

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190349

UNIVERSAL
LIBRARY

دَارُ الْكِتَابِ الْمَصْرِيَّةِ

القِسْمُ الْأَدَبِيُّ

نَهْائِيَةُ الْأَدَبِ

فِي

فُنُونِ الْأَدَبِ

تَأَلَّفَ

شَهْدَانُ الْحَمْدِ عَمَّادُ الْوَكِيلِ النَّوَيْسِي

السَّفَرُ الثَّالِثُ

[الطبعة الثانية]

مَطْبَعَةُ دَارِ الْكِتَابِ الْمَصْرِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

١٩٣٠ - ١٣٤٨ هـ

فهرس

السفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للنورى

القسم الثانى من الفن الثانى

فى الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة
رضى الله عنهم ، والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب وأخبار الكهنة ،
والزجر ، والقال ، والطيرة ، والفراسة والذكاء ، والكنايات
والتعريض ، والأحاجى ، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صحيفة

- ١ فى الأمثال
- ٢ ما تمثل به من أقوال النبى صلى الله عليه وسلم
- ٤ ومن كلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه
- ٥ ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه
- ٥ ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه
- ٦ ومن كلام على بن أبى طالب كرم الله وجهه
- ٦ ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

ومن أمثال العرب المرنبة على حروف المعجم :

٦ حرف الهمزة
١٨	» الباء
١٩	» التاء
٢١	» الثاء
٢١	» الجيم
٢٤	» الحاء
٢٦	» الخاء
٢٧	» الدال
٢٨	» الذال
٢٩	» الزاى
٣٠	» السين
٣١	» الشين
٣٢	» الصاد
٣٥	» الضاد
٣٦	» الطاء
٣٦	» الظاء
٣٧	» العين
٣٩	» الغين
٤٠	» الفاء

صبيحة

حرف القاف ... ٤٢

» الكاف ... ٤٤

» اللام ... ٤٦

» الميم ... ٤٨

» النون ... ٥١

» الهاء ... ٥٢

» الواو ... ٥٣

ما جاء فيما أوله (لا) ... ٥٤

حرف الياء ... ٥٧

ومما يمثل به من أشعار الجاهلية :

امرؤ القيس بن حجر ... ٥٨

زهير بن أبي سلمى ... ٥٩

النابعة الذيباني ... ٥٩

طرفة بن العبد ... ٦٠

أوس بن حجر ... ٦٠

بشر بن أبي خازم ... ٦١

التممس وهو جريز بن عبد المسيح ... ٦١

الأفوه الأودي ... ٦١

تميم بن أبي مقبل .. ٦٢

حميد بن ثور ... ٦٢

عدى بن زيد ... ٦٢

صفحة

٦٣ الأسود بن يعفر
٦٣ علقمة بن عبدة
٦٤ عمرو بن كلثوم
٦٤ الحارث بن حلزة
٦٤ حاتم الطائي
٦٤ المرقش الأصغر
٦٤ النمر بن تواب
٦٥ مهلهل بن ربيعة
٦٥ طفيل الغنوى
٦٥ عروة بن الورد
٦٥ الأعشى ميمون بن قيس
٦٦ لقيط بن معبد
٦٦ تأبط شراً
٦٦ المثقب العبدى
٦٦ الممزق العبدى
٦٦ أفنون التعلبي
٦٧ الأضبط بن قريع السعدى
٦٧ سويد بن أبى كاهل

ومما يمثّل به من أشعار المخضرمين :

٦٧ لييد بن ربيعة
٦٨ كعب بن زهر

النايفة الجعدى ٦٨

أمية بن ابى الصلت الثقفى ٦٨

حسان بن ثابت ٦٩

الخطينة ٦٩

متم بن نوية ٦٩

أبو ذؤيب الهذلى ٦٩

الخنساء ٧٠

عمرو بن معد يكرب ٧٠

معن بن أوس ٧٠

زياد بن زيد ٧٠

أيمن بن حريم بن فاتك الأسدى ٧١

ومما يتنثل به من أشعار المتقدمين فى صدر الاسلام :

القطامى ٧١

الطرماح بن حكيم بن الحكم ٧١

الكيت بن زيد الأسدى ٧١

المساور بن هند ٧٢

عدى بن الرقاع ٧٢

الفرزدق واسمه همّام بن غالب ٧٢

جرير بن الخطافى ٧٣

الأخطل واسمه مالك بن غياث ٧٣

الصلتان العبدى ٧٤

صحيفة

- ٧٤ ... كثير عزة
- ٧٥ ... جميل
- ٧٥ ... عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة
- ومما يمثّل به من أشعار المحدثين :
- ٧٦ ... إبراهيم بن هرمة
- ٧٦ ... بشار بن برد
- ٧٧ ... أبو العتاهية
- ٧٨ ... سلم بن عمرو الخاسر
- ٧٩ ... صالح بن عبد القدوس
- ٨٠ ... ابن ميادة
- ٨٠ ... أبو نواس الحسن بن هاني
- ٨١ ... أبو عيينة المهلي
- ٨١ ... عبد الله بن أبي عتبة المهلي
- ٨١ ... العباس بن الأحنف
- ٨٢ ... مسلم بن الوليد
- ٨٢ ... منصور الفمري
- ٨٣ ... العتابي
- ٨٣ ... أشجع السامي
- ٨٤ ... الجرهمي
- ٨٥ ... محمود الوراق
- ٨٥ ... محمود بن حازم الباهلي

صحيحة

- السموئل بن عادياء ٨٥
- محمد بن أبي ذرعة الدمشقي ٨٦
- أبو الشيص ٨٦
- علي بن جبله بن عبد الرحمن الأنباري ٨٦
- الجلال الحارثي ٨٦
- عبد الصمد بن المعدل ٨٦
- الحمدوني ٨٧
- العتبي ٨٧
- أبو سعيد الخزومي ٨٧
- دعبل بن علي الخزاعي ٨٨
- اسحاق بن إبراهيم الموصلي ٨٨
- المؤمل بن أميل ٨٨
- ابراهيم بن العباس ٨٨
- أبو علي البصير ٨٩
- سعيد بن حميد ٨٩
- علي بن الجهم ٨٩
- ابن أبي فنن ٩٠
- يزيد بن محمد المهلب ٩٠
- عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ٩٠
- أحمد بن أبي طاهر ٩٠
- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ٩١

صحيفة

- أبو عبادة البحتري ... ٩٣
- ديك الجن ... ٩٥
- ابن الرومي ... ٩٥
- عبد الله بن المعتز ... ٩٦
- عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ... ٩٦
- ابن طباطبا العلوي ... ٩٧
- منصور الفقيه المقرئ ... ٩٧
- ابن بسام ... ٩٨
- بحظة ... ٩٩
- الصنوبري ... ٩٩
- أبو الفتح كشاجم ... ١٠٠
- ومما يمثل به من أشعار المولدين :
- أبو فراس الحمداني ... ١٠٠
- أبو الطيب المتنبي ... ١٠١
- السري بن أحمد بن السري الموصلي ... ١٠٣
- أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي ... ١٠٣
- أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي [أخوه] ... ١٠٤
- الحباز البلدي ... ١٠٤
- أبو اسحاق الصابي ... ١٠٤
- عبد العزيز عمر بن نباته ... ١٠٤
- ابن لنكك البصري ... ١٠٥

صحيحة

- أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامي ... ١٠٥ ...
- أبو الفرج البقاء ... ١٠٦ ...
- ابن سكرة الهاشمي ... ١٠٦ ...
- ابن المجاج ... ١٠٦ ...
- أبو الحسن الموسوي النقيب ... ١٠٧ ...
- ابو طالب المأموني ... ١٠٨ ...
- ابن العميد ... ١٠٨ ...
- الصاحب بن عباد ... ١٠٨ ...
- الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي ... ١٠٩ ...
- أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ... ١٠٩ ...
- بدیع الزمان أبو الفضل الهمداني ... ١١٠ ...
- اسماعيل الناشئ ... ١١٠ ...
- أبو الفتح علي بن محمد البستي ... ١١٠ ...

الباب الثاني من القسم الثاني من الفن الثاني :

- أوايد العرب ... ١١٢ ...
- البحيرة ... ١١٢ ...
- الوصيلة ... ١١٢ ...
- السائبة ... ١١٣ ...
- الحامي ... ١١٣ ...
- الأزلام ... ١١٣ ...
- الميسر ... ١١٤ ...

صحيفة

١١٦	نكاح المقت
١١٦	رمى البعرة
١١٦	ذبح العتائر
١١٦	عقد السلع والعشر
١١٦	ذبح الطهي
١١٧	حبس البلايا
١١٧	خروج الهامة
١١٧	إغلاق الظهر
١١٧	التعمية والتفقئة
١١٧	بكاء المقتول
١١٨	رمى السن في الشمس
١١٨	خضاب النحر
١١٨	التصفيق
١١٨	جز النواصي
١١٩	كى السليم عن الجرب
١١٩	ضرب الثور
١١٩	كعب الأرنب
١٢٠	حيض السمرة
١٢٠	الطارف والمطروف
١٢٠	وطء المقاليت
١٢٠	تعليق الحل على السليم

من نهاية الأرب

(م)

صحيفة

١٢٠	ذهاب الخلد
١٢١	الحلأ
١٢١	التعشير
١٢١	عقد الرتم
١٢١	دائرة المهقوع
١٢٢	شق الرداء والبرقع
١٢٢	نوء السماك
١٢٢	النسيء
١٢٢	وأد البنات

الباب الثالث :

في أخبار الكهنة ويتصل به الزجر والنأل والطيرة والفراسة والذكاء :

١٢٤	أخبار الكهنة
١٣٠	الزجر
١٣٩	الفأل والطيرة
١٤٤	الفراسة والذكاء

الباب الرابع :

في الكتابات والتعريض

١٤٧	في الكتابات والتعريض
-----	-------	----------------------

الباب الخامس :

في الأفاغ والأحاجي

١٥٧	في الأفاغ والأحاجي
-----	-------	--------------------

ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويس

١٦٦	ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويس
-----	-------	-----------------------------------

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والملح والخمر، والمعاقرة
والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب
وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

- في المدح وفيه ثلاثة عشر فصلا ١٦٨
- ذكر ما قيل في الافتخار ١٩٦
- ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام ٢٠٠
- ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية وذكر تئ من أخبارهم ٢٠٤
- وفي أخبار الكرام ٢٠٧
- ذكر ما قيل في الإيعطاء قبل السؤال ٢١٦
- ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام ٢١٧
- ومما قيل في الصبر والإقدام ٢٢٢
- ذكر ما قيل في وفور العقل ٢٢٩
- ذكر ما قيل في حدّ العقل وماهيته وما وصف به ٢٣٢
- ذكر ما قيل في الصدق ٢٣٦
- ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة ٢٣٨
- ذكر ما قيل في التواضع ٢٤٤
- ذكر ما قيل في القناعة والزاهة ٢٤٦
- ذكر ما قيل في الشكر والثناء ٢٤٧
- ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز ٢٥٤

صحيحة

٢٥٧ ... ذكر ما قيل في الشفاعة

٢٥٨ ... ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

الباب الثاني — في الهجاء وفيه أربعة عشر فصلا :

٢٦٧ ... ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه

٢٧٢ ... ومما قيل في الهجاء من النظم

٢٨٥ ... ومما يذم به الرجل أن يكون ثقيلا

٢٨٦ ... ومما حجب به أهل الوقت على الإطلاق

٢٨٦ ... ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم

ذكر ما قيل في الحسد :

٢٨٧ ... ومما يذم به الرجل أن يكون حسودا

٢٨٩ ... ومن أخبار الحسدة

٢٨٩ ... ومما قيل من الشعر في تفضيل المحسود ومدحه وهجاء الحاسد وذمه

٢٩١ ... ذكر ما قيل في السعاية والبغى والغيبة والنيمة

٢٩٤ ... ومما قيل في الغيبة والنيمة

٢٩٧ ... ذكر ما قيل في البخل واللؤم

٣٠٠ ... ومن أخبار البخلاء

٣١٨ ... احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه

٣٢٧ ... ومن نوادر البخلاء

٣٢٨ ... ذكر ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة

٣٤٣ ... ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

صحيفة

- ذكر الاقتصاد في المطاعم والعفة عنها ... ٣٤٦ ...
- ذكر أخبار الأكلة ... ٣٤٩ ...
- ذكر ما قيل في الجبن والفرار ... ٣٥٣ ...
- ومن أخبار الفزارين الذين حسنوا الفرار على قبجه ... ٣٥٧ ...
- ذكر ما قيل في الحق والجمل ... ٣٦٠ ...
- ومن صفات الأحمق وعلامته ... ٣٦٣ ...
- ذكر ما قيل في الكذب ... ٣٦٧ ...
- ذكر ما قيل في الغدر والخيانة ... ٣٧١ ...
- ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة ... ٣٧٣ ...
- ذكر ما قيل في الكبر والعجب ... ٣٧٨ ...
- ومما هجى به أهل الكبر ... ٣٨٤ ...
- ذكر ما قيل في الحرص والطمع ... ٣٨٤ ...
- ذكر ما قيل في الوعد والمطل ... ٣٨٧ ...
- ذكر ما قيل في العي والحصر .. ٣٩٠ ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ،
والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة ، والزجر ، والقال ،
والطيرة ، والفراسة ، والذكاء ، والكنايات ، والتعريض ، والأحاجي ، والألفاظ .
وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول

من هذا القسم

(في الأمثال)

ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه العزيز في آي كثيرة ، فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ) وتكرر ذكر الأمثال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى
جَنَبَيْهِ الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع
يقول أدخلوا الصراط ولا تعزجوا “ فالصراط : الإسلام ، والستور : حدود الله تعالى ،
والأبواب : محارم الله ، والداعي : القرآن .

قال المبرد : المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر شبه به حال الثاني بالأول ، والأصل فيه التشبيه . قال : وقولهم مثل بين يديه ، إذا أنتصب ؛ معناه أشبه الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان ، أى أشبه .

والمثال : القصاص ، تشبيه حال المقتص منه بحال الأول .

وقال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه .

وقال إبراهيم النظم : يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للنطق ، وأنىق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث .

وأول ما نبداً به من ذلك ما مُثِّلَ به من أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو مما لم يسبق إليه :

”إيّاكم وخُضراء الدّمن“ ف قيل له : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : ”المرأة الحسناء في منبِت السّوء“ .

”كلّ الصيد في جَوْف الفراء“ قاله لأبى سفيان يتألفه على الإسلام .

”مات فلان حتف أنفه“ .

”لا ينتطح فيه عتران“ .

”إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى“ . المنبت : المنقطع عن أصحابه

في السفر؛ والظهر : الدابة ، قاله في الغلو في العبادة .

”الآن حمى الوطيس“ : ضربه في الحرب .

”يا خيل الله أركبي“^(١) .

(١) أى يا فرسان خيل الله اركبي ، وهذا من أحسن المجازات وألطفها .

”أَسْتَدَى أَزْمَةً تَنْفَرِجِي“ .

وقوله صلى الله عليه وسلم: ”الناس كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية“ .
”الناس كعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا“ .

”النَّاسُ كِبَابِلُ، مَائَةٌ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً“ .

”المؤمن هينَ لَيْنٍ، كاجمل الأَئِفِ إن قِيدَ آتْقَادِ، وإن أُبَيخَ على صخرة آسْتَنَاحِ“ .

”المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا“ .

”أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم“ .

”مثل أصحابي كالملح لا يصلح الطعام إلا به“ .

”أُمَّتِي كَالْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ“ .

”مثل أبي بكر كَالْقَطَرِ أَيْنَ وَقَعَ نَفَعَ“ .

”عُمَمَالِكُمْ كَأَعْمَالِكُمْ وَكَيْفَا تَكُونُوا يَوَلَّى عَلَيْكُمْ“ .

وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو: ”والعقد بيننا كَشَرَجِ الْعَبِيَّةِ“، يعنى إذا انحَلَّ بعضه انحَلَّ جميعه .

”المرأة كالضلع العوجاء إن قومتها كسرتها، وإن داريتها أستمعت بها“ .

”المتشيع بما لم يُعطه كلابس ثوبَي زور“ .

”الدال على الخير كفاعله“ .

”لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو نحاصا وتروح بطائنا“ .

”وعد المؤمن كالأخذ باليد“ .

”مثل المؤمن كالنحلة، لا تأكل إلا طيباً ولا تُطعم إلا طيباً“ .

”مثل المؤمن كالسُّبُلَةِ تَمِيلُ أَحْيَاناً، وَتَعْتَدِلُ أَحْيَاناً“ .

(١) قال ابن الأعرابي: العرب تمدح بالهين اللين مخنقين وتذم بهما مثقلين ولم يذكر غيره هذا الفرق .

”مثل الجليس الصالح كالعطّار، إن لم تُصَب من عطره أصبت من ريحه، ومثل الجليس السوء كالكيكر إن لم يحرق ثوبك أذاك بدُخانهِ“ .

”علم لا ينفع كثر لا يُنْفِق منه“ .

وقال : ”المؤمن مرآة أخيه“ .

”قد جدّع الحلال أنف الغيرة“ .

”الأعمال بالنيّات ولكل أمرئ ما نوى“ .

”نية المرء خير من عمله“ .

”إن من الشّعْر لحكمة وإن من البيان لِسِحْرٌ“ .

”من كثر سواد قوم فهو منهم“ .

”الأعمال بخواتمها“ .

”ساق القوم آخرهم شرباً“ .

”المرء على دين خليله فلينظر أمرؤ من يُخال“ .

”المستشير معانٌ والمستشار مؤتمن“ .

ومن كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه

إن الله قرن وعده بوعيده .

ليست مع العزّاء مصيبة .

الموت أهون مما بعده وأشدّ مما قبله .

ثلاثٌ من كنّ فيه كنّ عليه : البغى، والنكث، والمكر .

ذلّ قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة .

أحرص على الموت تُوهَب لك الحياة باقاله لخالد بن الوليد حين بعثه الى أهل الرّدة .

كثيرُ القول يُنسى بعضُه بعضاً، وإنما لك ما وُعى عنك .

لا تكتم المستشارَ خبراً فتؤتى من قبل نفسك .
 خيرا لخصمتين لك أبغضهما إليك .
 صنائع المعروف تبقى مصارعَ السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ .
 أَشَقُّ الْوَلَاةِ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ .
 اتَّقُوا مَنْ تَبَغَّضَ قُلُوبُكُمْ .
 أَعْقَلُ النَّاسِ أَعَدَّ لَهُمُ لِلنَّاسِ .
 اجْعَلُوا الرَّأْسَ رَأْسِينَ .

أَخِيفُوا الْهَوَامَّ قَبْلَ أَنْ تَخِيفَكُمْ .
 لَوْ أَنَّ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ بَعِيرَانِ لَمَا بَالَيْتَ أَيْهَمَا رَكَبْتُ .
 مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ كَانَ أَجْدَرَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .
 مَا الْخَمْرُ صِرْفًا بِأَذْهَبَ لِلْعُقُولِ مِنَ الطَّمَعِ .
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ضَعْفَ الْأَمِينِ وَخِيَانَةَ الْقَوَى .
 اقْتَصَادٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ أَجْتِهَادٍ فِي بَذْعَةٍ .
 لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا ، وَلَا بُغْضُكَ تَلْفًا .

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه
 مَا يَزَعُ اللَّهُ بِالسَّلْطَانِ أَكْثَرُ مِمَّا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ .
 الْهَدِيَّةُ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا غُزِلَ مِثْلُهَا مِنْهُ إِذَا عَمِلَ .

أَتَمُّ إِلَى إِمَامٍ فَعَالٍ ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَوْلٍ ؛ قَالَهُ يَوْمَ صَعَدَ الْمَنْبَرُ فَأُتِيَ عَلَيْهِ .
 وَقَالَ يَوْمَ قُتِلَ : لِأَنِّ أَقْتَلُ قَبْلَ الدَّمَاءِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتَلَ بَعْدَ الدَّمَاءِ .

٥

١٠

١٥

٢٠

ومن كلام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ؛ ومن ضيَّعه الأقربُ أُتيح له الأبعد ؛
ومن بالغ في الخصومة أثم ، ومن قصّر فيها ظلم .
رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .
الناس من خوف الذلّ في الذلّ .
إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

لكل داخل دهشة فأبدؤه بالتحية ؛ ولكل طاعم حشمة فأبدؤه باليمين .
ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب "الأمثال" للميداني . [والميداني^(١) : هو
أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري — والميداني : بفتح الميم
وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة الى ميدان زياد ، وهى محلة
بنيسابور ، توفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة] ووضعت على حروف المعجم .
فمن ذلك ما جاء منها على حرف الهزمة :

حرف الهزمة

تقول العرب : « إِنَّ الْمَوْصِينَ بَنُو سَهْوَانَ » قال الميداني : يُضْرَبُ لِمَنْ يَسْهُو
عن طلب شيء أمر به ، وبنو سهوان : بنو آدم عليه السلام حين عهد اليه
فسها ونسي .

وقولهم : « إِنَّ الرِّثِيَّةَ تَفْتَأُ الْغَضَبَ » قال : الرِّثِيَّةُ : اللابن الحامض يخلط
بالحلوى والقثاء : التسكين ؛ وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم ،

وكان جائعا فسقود الرثيمة فسكن غضبه ، فقال هذا المثل . يضرب في الهدية
تورث الوفاق .

وقولهم : « إن الحديد بالحديد يُفْلَح » أى يستعان فى الأمر الشديد بما
يشاكله ويقاويه .

وقولهم : « إن السلامة منها تركٌ مافيا » فى اللُذْطَة وذم الدنيا .^(١)

والنفس تكف بالدنيا وقد علمت * أن السلامة منها تركٌ ما فيها

❦

وقولهم : « إن العصا من العصية » يقال : إن أول من قال ذلك الأنقى

الجرهمى ، ذلك أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع بينه : مضر ، وإيادا ، وربيعه ،

وأثمارا ، فقال : يا بنى ، هذه القبة الحراء — وكانت من آدم — لمضر ؛ وهذه الفرس

الأدهم والخباء الأسود لربيعة ؛ وهذه الخادم — وكانت شتاء — لإياد ، وهذه البدرة

والجلس لأثمار ، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون ، فأتوا الأنقى الجرهمى ومزله

بنجران . فتشاجروا فى ميراثه ، فنوجهوا اليه ، فبينما هم فى سيرهم إذ رأى مضر أثر

كلاء قد رعى ، فقال : إن البعير الذى رعى هذا أعور ، وقال ربيعة : إنه لأزور ،

وقال إياد : إنه لأبتر ، وقال أثمار : إنه لشروء ، فساروا قليلا ، فاذا هم برجل يوضع^(٢)

جمله فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ، وقال ربيعة :

أهو أزور ؟ قال : نعم ، وقال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم ، وقال أثمار : أهو شروء ؟

قال : نعم ، هذه والله صفة بعيرى فدلونى عليه ! فقالوا : والله مارأيناه ، فقال :

هذا والله الكذب ! كيف أصدقكم وأنتم تصفونه بصفته ! فساروا حتى قدموا بنجران ؛

(١) فى الميدانى : وهذا فى بيت أوله . والنس الخ .

(٢) فى الميدانى : ينشد جملة .

ومن كلام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه

- من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ؛ ومن ضيَّعه الأقربُ أُتيح له الأبعد ؛
ومن بالغ في الخصومة أثم ، ومن قصّر فيها ظلم .
رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .
الناس من خوف الذلّ في الذلّ .
إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

- لكل داخل دهشة فأبدؤه بالتحية ؛ ولكل طاعم حشمة فأبدؤه باليمين .
ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب "الأمثال" للبدائي . [والميداني^(١) : هو
أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميدانيّ النيسابوريّ — والميدانيّ : بفتح الميم
وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة الى ميدان زياد ، وهى محلة
بنيسابور ؛ توفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة] ووضعت على حروف المعجم .
فمن ذلك ما جاء منها على حرف الهمزة :

حرف الهمزة

- ١٥ تقول العرب : « إِنَّ الْمُؤَصِّينَ بَنُو سَهْوَانَ » قال الميدانيّ : يُضْرَبُ لمن يسهو
عن طلب شيء أمر به ، وبنو سهوان : بنو آدم عليه السلام حين عهد اليه
فسها ونسى .

وقولهم : « إِنَّ الرَّيْثِيَّةَ تَفْتَأُ الغَضْبَ » قال : الرّثيئة : اللابن الحامض يخلط
بالحلوى والفثاء : التسكين ؛ وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم ،

وكان جائعا فسقود الرثيمة فسكن غضبه ، فقال هذا المثل . يضرب في الهدية
تورث الوفاق .

وقولهم : « إن الحديد بالحديد يُفْلَح » أى يستعان فى الأمر الشديد بما
يشاكله ويقاويه .

وقولهم : « إن السلامة منها تركٌ مافيا » فى اللدّة وذم الدنيا .^(١)

والنفس تكفّ بالدنيا وقد علمت * أن السلامة منها تركٌ مافيا

③

وقولهم : « إن العصا من العصية » يقال : إن أول من قال ذلك الأنقى

الجرهمى ، ذلك أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه : مضر ، وإبادا ، وربيعه ،

وأثمارا ، فقال : يا بنى ، هذه القبة الحراء — وكانت من آدم — لمضر ؛ وهذه الفرس

الأدهم والخباء الأسود لربيعة ؛ وهذه الخادم — وكانت شطاء — لإياد ؛ وهذه البدرة

والجلس لأثمار ، فإن أشكل عليكم كيف تفتسمون ، فأتوا الأنقى الجرهمى ومزله

بنجران . فتشاجروا فى ميراثه ، فتوجهوا اليه ، فبينما هم فى سيرهم إذ رأى مضر أثر

كلاء قد رعى ، فقال : إن البعير الذى رعى هذا أعور ، وقال ربيعة : إنه لأزور ،

وقال إياد : إنه لأبتر ، وقال أثمار : إنه لشرد ، فساروا قليلا ، فاذا هم برجل ^(٢) يوضع

جمله فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ، وقال ربيعة :

أهو أزور ؟ قال : نعم ، وقال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم ، وقال أثمار : أهو شرد ؟

قال : نعم ، هذه والله صفة بعيرى فدلونى عليه ! فقالوا : والله ما رأيناه ، فقال :

هذا والله الكذب ! كيف أصدقكم وأتم تصفونه بصفته ! فساروا حتى قدموا بنجران ؛

(١) فى الميدانى : وهذا فى بيت أوله . والنس الخ .

(٢) فى الميدانى : يشد جملة .

- فلما نزلوا، نادى صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملى وصفوا لى صفته ثم قالوا :
 لم نره ؛ فاختصموا إلى الأفعى ، فقال لهم : كيف وصفتموه وأنتم لم تروه ؟ فقال مضر :
 رأيته قد رعى جانبا وترك جانبا ، فعلمت أنه أعور ؛ وقال ربيعة : رأيته إحدى
 يديه ثابتة والثانية فاسدة ، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدة وطئه ؛ وقال إياد :
 عرفت أنه أتر باجتماع بعره ولو كان ذيبالا لمصع به ؛ وقال أنمار : عرفت أنه
 شرود ، لأنه يرمى فى المكان المتلف نبتة ثم يحوزه إلى مكان أرق منه ؛ فقال الأفعى :
 ليسوا بأصحاب جملك فاطلبه ، ثم سألهم : من أنتم ؟ فأخبروه بغيرهم ، وبما جاء واله ،
 فأكرمهم ، وقال : أحتاجون إلى وأنتم كما أرى ؟ ثم أنزلهم وذبح لهم شاة ، وأنهم
 بغيره ؛ وجلس لهم الأفعى بحيث لا يرى ؛ فقال ربيعة : لم أر كاليوم أطيب لحما لولا
 أن شاته غذيت بلبن كلبة ؛ وقال مضر : لم أر كاليوم أطيب نعما لولا أن حبلتها
 نبتت على قبر ؛ فقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذى
 يدعى له ؛ فقال أنمار : لم أر كاليوم كلاما أنفع فى حاجتنا من كلامنا ، وكان كلامهم
 بإذنه ، فدعا قهرمانه ، فقال : ما هذه النعير ، وما أمرها ؟ قال : هى من حُبلة
 غرستها على قبر أبيك ؛ وقال للراعى : ما هذه الشاة ؟ فقال : هى عناق أرضعتها
 بلبن كلبة وكانت أمها ماتت ؛ ثم أتى أمه ، فقال : اصدقينى ، من أبى ؟ فأخبرته
 أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له ، فحفت أن يموت وليس له ولد ،
 فأمكنت من نفسى ابن عم له كان نازلا عليه فولدتك ؛ فرجع إليهم وقال : ما أشبه
 القبة الحمراء من مال تزار فهو لمضر ، فذهب بالإبل الحمر والدنانير ، فسميت مضر
 الحمراء . وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شئ أسود ، فصار
 لربيعة الخيل الدُّهم وما شاكلها ، فقييل : ربيعة الفرس . وأما الخادم الشمطاء

(١) الحبله (بالضم ويحرك) : الكرمه التى يكون منها النعير .

فلصاحبها الخليل البُلُق والمأشية، فسميت : إباد الشمطاء، وقضى لأنمار بالدرهم والأرض فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأفعى : إن العصا من العصية، وإن خَشِينَا من أخشن، فأرسلهما مثلا .

وقولهم : «إِن الْعَوَانَ لَا تُعَلِّمُ الْحِمْرَةَ» : يضرب للرجل المجرب .

وقولهم : «إِنِّي لَا أَكُلُ الرَّأْسَ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا فِيهِ» : يضرب للأمر تأتيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره .

وقولهم : «أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ، وَأَسْتُ فِي الْمَاءِ» : يضرب للتكبر الصغير الشأن .

وقولهم : «إِن الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدٌ» : أى أنصار وأعوان : يضرب لمن يحذله ناصره .

وقولهم : «إِن يَدَمَ أَظْلُكَ فَقَدْ نَقَبَ خُفِّي» الأطل : ماتحت مَنْسَمِ البعير : والخف : قائمته : يضربه المشككو إليه للشاكى أى أنا منه فى مثل ما تشكوه .

وقولهم : «إِن تَسْلِمِ الْحِلَّةُ فَالنِّيبُ هَدَرٌ» الْحِلَّةُ : جمع جليل يعنى العظام من الإبل ، والنيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة، معاه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به .

وقولهم : «إِن يَبِيعَ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِيعُ عَلَيْكَ الْقَمَرُ» يقال : إن بنى ثعلبة ابن سعد فى الجاهلية تراهونوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يرى، وقالت طائفة : بل يغيب قبل طلوعها، فتراضوا برجل جعلوه بينهم، فقال رجل منهم : إن قومي يبيعون على، فقال العدل : إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر، فذهبت مثلا : يضرب للأمر المشهور .

٥

١٠

١٥

وقولهم : «إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِعْصَارًا» الإعصار : ريح شديدة تهب فيما بين السماء والأرض : يضرب للدل بنفسه إذا صُلِّيَ بمن هو أدهى منه وأشد.

وقولهم : «إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا» قالوا : قالت غُنيّة الأعرابية لأبنها ، وكان عارما مع ضعفه ، فواثب يوما فقي ^(١) فقطع أذنه فأخذت ديتها ، فزادت حُسْنَ حَالٍ ثم واثب آخر فقطع شفته فأخذت الدية فذكرته في أرجوزتها فقالت :
أَحْلِفْ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّفَا * إِنَّكَ أَجْدَى مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا ^(٢)

ف قيل لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ فقال : العصا تقطع ساجورا والسواجر للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويقطع الوتد فيصير كل قطعة شظاذا وإن جعل لرأس الشظاظ كالفلكة صار للبخيت مَهَارًا وهو العود الذي يدخل في أنفه ، وإذا فرق المهار جاءت منه نَوَادٍ وهي الخشبة التي تشد على خَلْفِ الناقة .

وقولهم : «إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ» : يصرب للرجل الداهي ؛ قال بعضهم : لِمَ تُؤْكَلُ الكتف من أسفلها ؟ قال : لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى المرقعة مكانها ثابتة .

وقولهم : «إِنَّكَ لَا تَنْجِي مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبُ» أي لا تجد عند ذى المنبت السوء جميلا ؛ والمثل من قول أكرم قال : إذا ظلمت فاحذر الانتصار ، فإن الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .

وقولهم : «أُخُو الظَّالِمَاءِ أَعَشَى بِاللَّيْلِ» : يضرب لمن يخطئ حجه ولا يبصر المخرج مما وقع فيه .

(١) في الميدان : "قطع الفتى أنفه فأخذت عمية دية أهله فحسنت حالها بعد فقره . مدفع ثم واثب آخر فقطع أذنه الخ" . (٢) في الميدان : "خير" .

وقولهم : « إِنَّكَ لَتَكْذِبُ الْحَزَّ وَتُحْطِي الْمَفْصِلَ » : يضرب لمن يجهل
في السعى ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : « أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ » : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .
وقولهم : « إِذَا صَاَحَتِ الدَّجَاجَةُ صِيَاَحَ الدِّيكِ فَلْتُنْذِجْ » قاله الفرزدق
في امرأة قالت الشعر .

وقولهم : « إِذَا رَأَى رَأَى السَّكِينِ فِي الْمَاءِ » : يضرب لمن يخافك جداً .
وقولهم : « إِنَّكَ رِيَّانٌ فَلَا تَعْجَلْ بِشَرِّكَ » : يضرب لمن أشرف على
إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : « أَبْطَشُ مِنْ دَوَسَرٍ » هي إحدى ذنائب النعمان أشدها بطشا
ونكايه ؛ قال بعض الشعراء

ضَرَبْتُ دَوَسَرٌ فِيهِمْ صَرَبَةً * أَثْبَتْتُ أَوْتَادَ مُلْكٍ فَاسْتَقَرَّتْ

وقولهم : « أَبْرَمًا قَرُونًا » البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ابخله ،
والقرون : الذي يقرن بين الشيئين ؛ وأصله أن رجلاً كان لا يدخل في الميسر ولا
يرى اللحم فجاء إلى امرأته وبين يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما
فقال له : أَبْرَمًا قَرُونًا : يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

وقولهم : « النَّيْبُ مُجَالَّةُ الرَّاكِبِ » : يضرب في الحث على الرضا بيسير الحاجة
عند إعواز جليلها .

* ضربت دوسر فيهم *

(١) في اللسان : وهذا الشعر أورده الجوهري

وصوابه : « دوسر فيه » لأنه عائد على يوم الحنو .

وقولهم :

« الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا * إِمَّا نَعِيمَهَا وَ إِمَّا بُوسَهَا »

أول من قال ذلك يَبَس : وهو رجل من بني غراب بن فزارة ، وكان سابع سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بني أشجع ، وهم في إبلهم فقتلوا منهم ستة وتركوا بهيسا لحقه فقال : دعوني أتوصل معكم الى أهلي فأقبل معهم ، فلما كان من الغد نَحَرُوا جزورا في يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : أَظَلُّوا لحكم لا تفسده الضَّحُّ ، فقال بهيس : لكن بالأنثلاث^(١) لحم لا يظلل ، فأرسلها مثلا ؛ ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها الخبر فقالت : ما جاء بك من بين إخوتك وأنت أخبثهم ، فقال : ما خَيْرُ القومُ فتختارني ، فأرسلها مثلا ؛ ثم أعطته ثياب إخوته ومتاعهم ، فقال : يا حبذا التراث لولا الدَّلة ، فأرسلها مثلا ؛ وأخذ يوما يَبْرُد سكينًا ، فقيل له : ما تصنع بها ؟ فقال : ١٠ أَقتل بها قتلة إخواني ، فقيل له : إنك لأحق ، فقال : ما يؤمنك من أحمق في يده سكين ، فأرسلها مثلا ؛ ثم إنه مرَّ بنسوة من قومه يصلحن امرأة يردن أن يهدينها لبعض قتلة إخوانيه فكشف ثوبه عن آسته وغطى به رأسه ، فقيل له : ما تصنع ؟ فقال : الْبَسْ لكل حالة لبوسها * إِمَّا نَعِيمَهَا وَ إِمَّا بُوسَهَا

وقولهم « الصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ » قال الأصمعي : معناه تركت الشيء ١٥

في وقته ؛ وقال غيره : تركت الشيء وهو ممكن ، وقال أبو عبيدة : أول من قاله عمرو بن عدس ، وكان قد تزوج دَخْتَوْس بعد ما كبر ، فكان ذات يوم نائمًا في حجرها بخنخف^(٢)

(١) قال ياقوت في معجمه : أنثلاث بالناء هو الموضع المذكور في المثل في بعض الروايات ؛ لكن بالأنثلاث الخ . ثم قال : وأكثر الرواة يقولون : الأنثلاث - بالناء - جمع أنثة وهو صف من الطراف.

كبير يظلل فيه مائة نفس . (٢) في الأصل : « يبرم » وهو تحريف . ٢٠

(٣) الخفيف : صوت من الجوف أشد من العطيط .

وسال لعبه فتأقفته فأنبته وهى تتأفف منه، فقال : أتحبين أن أطلقك ؟ قالت : نعم ، فطلقها ، وتزوجها فتى ضرير حسن الوجه ، ففجأتهم ذات يوم غارة والفتى نائم بجاءت دَخَنَتَسْ فأنبته وقالت له : الخليل ، فجعل يقول : الخليل الخليل ! من الخوف حتى مات فرقا وسُيِّت دَخَنَتَسْ فبلغ عمرا الخبر فركب ولحقهم وقاتل حتى استنقذ جميع ما أخذوا واستنقذها فوضعها قدّامه على السرج وردّها الى أهلها ، ثم أصابهم سنة فبعثت إليه تقول : نحتاج اللبن فبعث إليها بالقمحة وقال : الصيف ضيعت اللبن .

وقولهم : « اضْطَرُّهُ السَّيْلُ الى مَعْطَشِهِ » وهو أن رجلا عطش وكان قد أتى واديا له غور وماء شديد الحرارة ، فبقى فى أصل شجرة لا يقدر أن ينزل فيأخذ به الماء ، ولم يجد ماء فمات عطشا : يضرب لمن ألقاه الخير الذى كان فيه الى شر .

وقولهم :

« إِنَّ الْحَمَاءَ أُولِعَتْ بِالْكَنَّةِ * وَأُولِعَتْ كَنَّهُ بِالظَّنَّةِ »

الحماة : أم الزوج ، والكَنَّة : امرأة الابن والأخ ، والظَّنَّة : التهمة ، وبين الحماة والكنة عداوة مُسْتَحِكَّة : يضرب بها المثل فى الشرّ يقع بين قوم هم أهل لذلك .

وقولهم : « إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ » قاله معاوية : لما بلغه أن الأشتر سُقِيَ عسلا فيه سم فمات : يضرب عند الشّامة بمصاب العدو .

وقولهم : « إِنْ اِلْهَوَى لِيَمِيلُ بِأَسْتِ الرَّاكِبِ » أى من هوى شيئا مال نحوه

قيحا أو جميلا ، كما قيل

وما زُرْتُمْ عَمْدًا وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى * إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ يَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ



وقولهم : «إِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْتُرُ» : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل
ثم تكون منه الزلة .

وقولهم : «إِنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ ظَنِّ مُوَلَّعٍ» : يضرب للعنى بشأن صاحبه لأنه
لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الوالدات بالأولاد .

وقولهم : «إِنْ خَصَلْتَيْنِ خَيْرُهُمَا الْكَذِبُ لَخَصَلَتَا سُوءٍ» : يضرب للرجل
يعتذر من شيء فعله بالكذب .

وقولهم : «أَحَادِيثُ طَسِمٍ وَأَحَادِلُهَا» : يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

وقولهم : «أَحْشَنًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ» : يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

وقولهم : «الْحَقُّ أَبْلَجُ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجُ» : معناه أن الحق واضح بين، والباطل
يتجلى فيه أى يتردد فلا يجد صاحبه مخرجا .

١٠

وقولهم : «الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ» : هذا المثل قاله أكرم بن صيفى .

وقولهم : «اخْتَلَطَ الْخَائِرُ بِالزُّبَادِ» . الخائر : ما ختر من اللبن ، والزُّبَادُ : الزَّبَدُ :
يضرب للقوم يقعون فى التخليط من أمرهم .

وقولهم : «أَخْطَأْتُ أَسْتَهُ الْحُفْرَةَ» : يضرب لمن رام شيئا فلم ينله .

وقولهم : «ادْعِ إِلَى طِعَانِكَ مَنْ تَدْعُوهُ إِلَى جِفَانِكَ» أى آستعمل
فى حواريجك من تخصه بمعروفك .

١٥

وقولهم : «أَرَوْغَانًا يَأْبَعَالُ» ، وقد علقمت بالحبال « نعاله : الثعلب يضرب لمن
يراوغ وقد وجب عليه الحق .

وقولهم: «إِزِمِ فَقَدْ أَفْقَتَهُ مَرِيئَسًا» يقال: أفقت السهم إذا وضعت فوقه في الوتر: يضرب لمن تمكن من طليته .

وقولهم: «أَضْرِبْ طَا وَأَنْتِ الْأَعْلَى؟» قاله سُلَيْكُ بْنُ سُلَيْكَةَ السَّعْدِيُّ، وذلك أنه بينما هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال: استأْسِرْ، فقال له سُلَيْكُ: الليل طويل وأنت مقمر، فأرسلها مثلاً: ثم ضمه سُلَيْكُ بيديه ضمةً أضرطته، فقال له: أَضْرِبْ طَا وَأَنْتِ الْأَعْلَى فَأرسلها مثلاً: يضرب لمن يشكو في غير موضع الشكوى .

وقولهم: «أَضَلَلْتُ مِنْ عَشْرِ ثَمَانِيًا»: يضرب لمن يفسد أكثر ما يليه من الأمر .

وقولهم: «أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً، فَإِنْ أَبَى بِخُمْرَةٍ»: يضرب لمن يختار الهوان على الكرامة .

وقولهم: «اكَذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا» معناه لا تحدث نفسك بأنك لا تطفر، فإن ذلك يثبطك . قال لبيد :

اكَذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا * إِنَّ صَدَقَ النَّفْسَ يُزْرَى بِالْأَمَلِ

وقولهم: «أَكْبَرًا وَإِمْعَارًا؟» أى أتجمع بين الكبر والفقر .

وقولهم: «أَمْكُرًا وَأَنْتِ فِي الْحَدِيدِ» هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمر بن سعيد لما قبض عليه وبكاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت ألا تفضحني بأن تخرجني للناس فتقتلني بحضرتهم فافعل، وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك فيخرجه فيمنعه منه أصحابه، فقال: أبا أمية! أمكرا وأنت في الحديد: يضرب لمن أراد أن يمكر وهو مقهور .

وقولهم : « أَهْوَنُ هَالِكٍ يَجُوزُ فِي هَامِ سَنَةٍ » : يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ يُسْتَخَفُّ بِهِ وَبِهَلَاكِهِ .

قال الشاعر :

وأهون مفقود إذا الموتُ نابه * على المرء من أصحابه مَنْ تَقَنَّعا

وقولهم : « أَوْسَعَتْهُمْ سَبًا وَأَوْدَوْا بِالْإِبِلِ » أصله أن رجلا من العرب أُغِيرَ عَلَى إِبِلِهِ فَأَخَذَتْ ، فَلَمَّا تَوَارَوْا صَعِدَ أَكْمَةً وَجَعَلَ يُسَبِّحُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَسَأَلُوهُ عَنْ إِبِلِهِ ، فَقَالَ هَذَا الْمَثَلُ .

ويقال : إِنْ أَوَّلَ مَنْ قَالَهُ كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ وَرْقَاءَ الصَّيْدَاوِيَّ أَغَارَ عَلَى بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطْفَانَ وَأَسْتَأَقَ إِبِلَ زَهِيرٍ وَرَاعِيَهُ ، فَقَالَ زَهِيرٌ فِي ذَلِكَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلَهَا :

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ يَأْوُوا لِمَنْ تَرَكُوا * وَزَوَّدُوكَ أَشْتِيَا قَائِمَةً سَلَكُوا

وَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْحَارِثِ فَلَمْ يَرِدْ الْإِبِلَ ، فَهَجَاهُ ، فَقَالَ كَعْبُ ابْنُهُ : أَوْسَعَتْهُمْ سَبًا وَأَوْدَوْا بِالْإِبِلِ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا : يَضْرِبُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا الْكَلَامُ .

وقولهم : « أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ » هُوَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ مَنَاةُ أَخُو مَالِكِ

الَّذِي يُقَالُ فِيهِ : إِنَّكَ أَبْلَى مِنْ مَالِكٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَالِكًَا تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ وَبَنَى بِهَا فَأُورِدَ الْإِبِلَ أَخُوهُ سَعْدٌ وَلَمْ يَحْسَنْ الْقِيَامَ عَلَيْهَا وَالرَّفْقَ بِهَا ، فَقَالَ مَالِكُ :

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ * مَا هَكَذَا تَوْرَدَ يَأْسَعُدُ الْإِبِلَ

فَضْرَبَ مِثْلًا لِمَنْ قَصَرَ فِي طَلَبِ الْأَمْرِ .

وقولهم : « إِنْ الشَّقِيَّ وَأَفِدُ الْبَرَّاجِمِ » قَالَهُ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ الْمَلِكُ . وَذَلِكَ أَنَّ

سُوَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ التَّمِيمِيُّ قَتَلَ أَخَاهُ سَعْدُ بْنَ هَنْدٍ وَهَرَبَ فَنَذَرَ عَمْرُو لِيَقْتُلَنَّ بِأَخِيهِ مَائَةً

من بنى تميم، فسار إليهم بجمعهم فلقبهم الخبر ففزعوا في نواحي بلادهم فلم يجد إلا عجوزا كبيرة وهي حمراء بنت ضمرة، فلما نظر إليها قال : إني لأحسبك أعجمية، قالت : لا والذي أسأله أنت يخفص جناحك، ويهد عمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك، ما أنا بأعجمية، قال : فن أنت ؟ قالت : أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد معدا كابر عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة، قال : فن زوجك ؟ قالت : هوذة ابن جروء، قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين مكانه ؟ قالت : لو كنت أعلم مكانه حال بني وبينك، فقال عمرو : أما والله لولا أني أخاف أن تلدى مثل أبيك وأخيك وزوجك لأستبقيتك، فقالت : والله ما أدركت نارا، ولا تحوت عارا، مع كلام كثير كتبه به فأمر بإحراقها، فلما نظرت إلى النار، قالت : ألا قتي مكان تجوز ! فذهبت مثلا، ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحد، فقالت : هيهات صارت الفتیان حُما، فذهبت مثلا، ثم أُلقيت في البار وليث عمرو عامّة يومه لا يقدر على أحد، حتى إذا كان آخر النهار أقبل راكب يسمى عمّارا نُوضع به راحلته حتى أناخ إليه، فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا رجل من البراجم، قال : فما جاء بك إلينا ؟ قال : سطع الدخان وكنت طويوت منذ أيام وطننته طعاما، فقال عمرو : إن الشقي وافد البراجم، فذهبت مثلا، وأمر به فأُلقي في النار، قيل : إنه أحرق مائة من بنى تميم : تسعة وتسعين من بنى دارم، وواحدا من البراجم .

وقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بنى تميم غير وافد البراجم وإنما أحرق النساء والصبيان، قال جرير :

وأخرأكم عمرو وكأفد خزيتم * وأدرك عمّارا شقي البراجم

ولذلك مُيرت بنو تميم بحب الطعام، قال الشاعر :

إذا مامات مئت من تميم * وسرك أن يعيش يخي زيدا

يُخْزِرُ أَوْ يُلْجِمُ أَوْ يَتَمَرَّ * أَوْ الشَّيْءُ الْمَلْفَفُ فِي الْبِجَادِ

تَرَاهُ يُنْقَبُ الْآفَاقُ حَوْلًا * لِيَا كُلَّ رَأْسٍ لِقَمَانِ بْنِ عَادٍ

وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هَلَكَةٍ طمعا .

حرف الباء

- ٥ تقول العرب : « بلغ السيلُ الزَّبْيَ » هي جمع زُبَيْة وهي حفرة تُحْفَرُ للأسد إذا أرادوا صيده لا يعلموها الماء فإذا بلغها السيل كان مجحفا : يضرب لمن جاوز الحد .

وقولهم : « بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا » اللحاء : القشر : يضرب للمتخالئين المتفقين ؛ ويرى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

- ١٠ وقولهم : « بينهم داء الضرائر » هي جمع ضَرَّة : يضرب للعداوة إذا رسيخت بين قوم .

وقولهم : « بينهم عِطْرٌ مَنْشِمٌ » قال الأصمعي : مَنْشِمٌ كانت عطارة بمكة وكانت خِزَاعَةً وَجُرْهُمُ إذا أرادوا القتال تطيَّبوا مِنْ طِيْهِهَا فإذا فعلوا ذلك كثرت بينهم القتل فكان يقال : أشام من عطر منشم : يضرب في الشرِّ العظيم ، وفيه يقول زهير :

١٥

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَدُبَيَّانَ بَعْدَ مَا * تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمُ عِطْرَ مَنْشِمٍ

وقولهم : « به داءُ ظَنِّي » أي أنه لا داء به كما أن الظني لا داء به ، وقيل : ربما يكون بالظني داء لا يعرف مكانه ، معناه أن به داء لا يُعرف .

وقولهم : « بَلَغَتِ الدِّمَاءُ الثَّنَنَ » الثَّنَةُ : الشعرات التي في مؤخر رُسْغِ الدابة :

٢٠

يضرب عند بلوغ الشرِّ النهاية .

وقولهم : «بَرَحَ الخَفَاءُ» أى زال من قولهم ما برح ، والمعنى زال السرّ فوضع الأمر ، ويقال : الخفاء : المتطأطأ من الأرض ، والبراح : المرتفع أى صار الخفاء براحا .

وقولهم : «بَنَانٌ كَيْفَ لَيْسَ فِيهَا سَاعِدٌ» : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له على ما فى نفسه .

وقولهم : «بَاتَ فُلَانٌ يَشْوَى الْقَرَّاحَ» يعنى الماء الخالص لا يخالطه شئ : يضرب لمن ساءت حاله ، وفقد ماله بحيث يشوى الماء شهوةً للطيبخ

وقولهم : «بَجَّجَ بَجَّجَ سَاقُ بَحْلَخَالٍ» هى كلمة بقولها المتعجب من حسن الشئ وكأله . وأول من قال ذلك الْوَرِثَةُ بنت ثعلبة ، وذلك أن ذُهل بن شيبان كان زوج الْوَرِثَةِ وكانت لا تترك له أمرأه إلا ضربتها فترج رَقَاش بنت عمرو بن عثمان من بنى ثعلبة ، فخرجت رقاش يوما وعليها خَلْخَالَان ، فقالت الْوَرِثَةُ ذلك فذهبت مثلا .

حرف التاء

قولهم : «تَرَكَ الظُّبْيُ ظِلَّهُ» أى كَاسَهُ الذى يستظل به : يضرب لمن نفر من شئ فركه تركا لا يعود له .

وقولهم : «تَرَكَتُهُ عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّدْرِ» وهى ليلة ينفر الناس من منى فلا يبقى منهم أحد .

وقولهم : «تَرَكَتُهُ عَلَى أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ» أى على حال لا خيره فيه كما لا شعر على الراحة : يضرب فى اصطلام الدهر .

وقولهم : «نَجَّوْعُ الْحَرَّةِ وَلَا تَأْكُلُ بِتَدْيِيهَا» أى لا تكون ظئراً وإن آذاها

الجوع . أول من قاله الحارث بن سليل الأسدي وكان حليفا لعقمة بن حصيفة الطائي فزاره فنظر الى أبنته الزباء وكانت من أجمل أهل دهرها ، فقال : أتيتك خاطبا وقد يُنكح الخاطب ، ويُذرك الطالب ، ويُمنح الراغب ، فقال له عقمة : أنت كفء كريم يُقبل منك الصفو ، ويُؤخذ منك العفو ، فأقم ننظر في أمرك ، ثم أنكفا الى أمها ، فقال : إن الحارث سيّد قومه حسبا ومنصبا وبيتا ، وقد خطب اليها الزباء فلا ينصرفنّ إلا بحاجته ، فقالت المرأة لأبنتها : أى الرجال أحب إليك الكهل الجتجج ، الواصل المتاح ، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : بل الفتى الوضاح ، فقالت : إن الفتى يُغيرك ، وإن الشيخ يُميرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السنّ ، الكثير المعنّ ، قالت يا أمها : إن الفتاة تحب الفتى ، كحُب الرّعاء أنيق الكلا ، قالت : أى بنية ! إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت : ١٠ إن الشيخ يُبلّ شبّابى ، ويدنّس ثيابى ، ويُسمّيت بى أترابى . فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتروّجها الحارث على مائة ونحسين من الإبل وخادم وألف درهم ، فابتنى بها ، ثم رحل بها الى قومه فبينما هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى الى جانبه ، إذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست الصّعداء ، ثم أرخت عينيها بالبكاء ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : مالى وللشيوخ ، الناهضين كالفرّوخ ، فقال لها : نيكلك ١٥ أمك ! تجوع الحزّة ولا تأكل بشديها ، ثم قال لها : وأبيك ، لرب غارة شهدتها ، وسيّة أردفتها ، ونمرة شربتها ، فألقى بأهلك فلا حاجة لى فيك ، وهذا المثل : يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب .

وقوله : «تَجَشَّأ لُقْمَانُ مِنْ غَيْرِ شَيْعٍ» : يضرب لمن يدعى ما ليس يملك .

٢٠ وقوله : «تُخْبِرُ عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَّاتَهُ» أى منظره يخبر عن مخبره .

وقولهم : « تشكو إلى غير مُصَمِّتٍ » أى إلى من لا يتم بشأنك . قال الشاعر

إنك لا تشكو إلى مُصَمِّتٍ * فاصبر على الحمل الثقيل أو مُتِّ

وقولهم : « تجاوز الرَوْضَ إلى القاعِ القَرِقِ » : يضرب لمن يعدل بمحاجته

عن الكريم إلى اللئيم ، والقَرِقُ : المستوى .

وقولهم : « تسمع بالمُعَيْدِ خَيْرٌ من أن تراه » ويروى : لا أن تراه :

يضرب لمن خبره خيرٌ من مرآه ، أول من قاله : المنذر بن ماء السماء .

وقولهم : « تُقَطِّعُ أعناق الرجال المطامع » : يضرب فى ذم الطمع .

وقولهم : « تَقْلِدُهَا طَوْقُ الحمامة » كناية عن الخصلة القبيحة التى لا ترايله

ولا تفارقه .

حرف الشاء

قولهم : « ثَارَ حَابِلُهُمْ عَلَى نَابِلِهِمْ » الحابل : صاحب الحباله ، والنابل :

صاحب النبل أى اختلط أمرهم : يُضْرَبُ فى فساد ذات البين وتأريث الشرِّ فى القوم .

وقولهم : « ثَوَّرَ كِلَابٍ فى الرَّهَانِ أَقْعُدُ » هو كلاب بن ربيعة بن عامر

أبن صَعَصَعَةَ القيسى كان يحق ، وذلك أنه ارتبط عجل ثور ليسابق عليه ، والأقعد

من القَعِيد وهو المتخلف المتباطئ : يُضْرَبُ لمن يروم ما لا يكون .

حرف الجيم

قولهم : « جَرَى المَذَكَّاتِ غَلَابٌ » المَذَكَّة من الخيل التى أتى عليها بعد

فُروحها سَنَةً أو سنتان والغلاب المغالبة : يضرب لمن يُوصَف بالتبريز على أقرانه

في حلبسة الفضل ؛ وأول من قاله نذكره إن شاء الله تعالى في حرب داحس والغبراء .

وقولهم : « جَزَاءُ سِنِمَارٍ » وهو الذي بنى الخَوْرَنَق وتقدم خبره في مبانى العرب .

وقولهم : « بَحْرَحَ حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِي أَنْفَهُ » قالته جندلة بنت الحارث ،

- وكانت تحت حنظلة بن مالك وهي عذراء ، وكان حنظلة شيخا كبيرا فخرجت في ليلة مطيرة فبصرها رجل فوثب عليها وأقتضها ، فصاحت وقالت : لِسَعْتُ . قيل أين ؟ قالت : حيث لا يضع الراقى أنفه : يضرب لمن يقع في أمر لا حيلة له في الخروج منه .

وقولهم : « جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا » : يضرب لمن يعد ولا يفى .

وقولهم : « جَرَى مِنْهُ مَجْرَى اللَّدُّودِ » وهو ما يُصَبَّ في أحد شِقَى النَم من

- الدواء : يضرب لمن يُبْغِض وَيَكْرَهُ . ١٠

وقولهم : « جَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاءٍ » معناه أَجْتَمَعَ بالأبدان ، وأفتراق بالقلوب ،

وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « هَذَنُ عَلَى دَخْنٍ » : يُضْرَبُ لِمَنْ يَضْمِرُ أذى وَيُظْهِرُ صفاء .

وقولهم : « جَارٌّ بَكَارٍ أَبِي دَوَادٍ » يعنون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره

- رجل فإن مات وداه ، وإن هلك له بعير أو شاة أخاف عليه ، فضربت به العرب المثل في حسن الجوار ، قال طرفة : ١٥

إِنِّي كَفَانِي مِنْ أَمْرِ هَمَمْتُ بِهِ * جَارٌّ بَكَارٍ الْحُدَاقِ الَّذِي اتَّصَفَا

والحذاق هو أبو دواد .

وقولهم : « جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيَرَةِ » قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ليلة زُفَّتْ فاطمة الى علي رضي الله عنهما . ٢٠

وقولهم : « جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتَبَعَكَ » أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ ذَلِكَ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ حِمْيَرٍ
 كَانَ جَائِزًا عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يَسْلُبُهُمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَإِنْ أَمَرَأْتَهُ سَمِعَتْ صَوْتَ السَّوَالِ
 فَقَالَتْ : إِنِّي لِأَرْحَمُ هَؤُلَاءِ وَإِنِّي لِأَخَافُ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْكَ سَبَاعًا ، بَعْدَمَا كَانُوا لَكَ أَتْبَاعًا ،
 فَقَالَ : جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتَبَعَكَ ، ثُمَّ إِنَّهُ غَزَاهُمْ وَلَمْ يَقْسَمْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا فَقَالُوا لِأَخِيهِ : قَدْ تَرَى
 مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ وَنَحْنُ نَكْرَهُ خُرُوجَ الْمَلِكِ عَنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ فَسَاعَدَنَا عَلَى قَتْلِ أَخِيكَ
 وَاجْلِسْ مَكَانَهُ ، فَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ وَشَّوْا عَلَى الْمَلِكِ فَقَتَلُوهُ ، فَمَرَّ بِهِ عَامِرُ بْنُ جَدِيمَةَ
 وَهُوَ مَقْتُولٌ ، فَقَالَ : رُبَّمَا أَكَلَ الْكَلْبُ مُؤَذِّبَهُ إِذَا لَمْ يَنْلِ شَبْعَهُ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ،
 وَالْمِثْلُ يَضْرِبُ فِي اللَّئَامِ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَعَامِلُوا بِهِ .

وقولهم : « جَاءَتْهُمْ عَوَانًا غَيْرَ بَكْرٍ » أَيْ مُسْتَحْكِمَةً غَيْرَ ضَعِيفَةٍ يَرِيدُونَ حَرْبًا
 أَوْ دَاهِيَةً عَظِيمَةً .

وقولهم : « جَاءَ بِصَحِيفَةِ الْمَتَلَسِّسِ » إِذَا جَاءَ بِالْدَاهِيَةِ ، وَكَانَ مِنْ خَيْرِ
 صَحِيفَةِ الْمَتَلَسِّسِ أَنَّ الْمَتَلَسِّسَ وَطَرَفَهُ قَدَمَا عَلَى عَمْرِو بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فَعَلَّهْمَا
 فِي صَحَابَةِ قَابُوسَ بْنِ الْمُنْذِرِ أَخِيهِ وَأَمْرَهُمَا بِلَزُومِهِ ، وَكَانَ قَابُوسُ شَابًا يَعْجِبُهُ اللَّهُ ،
 فَطَالَ بَقَاؤُهُمَا عِنْدَهُ ، فَهَجَا طَرَفَهُ عَمْرًا بِأَيَاتِ فَبْلَغَتِهِ ، فَاسْتَدْعَاهُمَا لِحُبَابِهِمَا بِجَاءٍ وَكَتَبَ
 مَعَهُمَا إِلَى أَبِي كَرِيبٍ عَامِلِهِ عَلَى هَجْرٍ أَنْ يَقْتُلَهُمَا ، وَقَالَ : قَدْ كَتَبْتُ لَكُمَا بِجَاءٍ
 وَمَعْرُوفٍ ، فَلَمَّا صَدَرَ مِنْ عِنْدِهِ ، قَالَ الْمَتَلَسِّسُ لَطَرَفِهِ : هَلْ لَكَ فِي كِتَابِنَا ، فَإِنْ كَانَ
 فِيهِمَا خَيْرٌ مَضِينَا لَهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا آتَقَيْنَاهُ ؟ فَأَبَى طَرَفَهُ وَقَرَأَ الْمَتَلَسِّسُ كِتَابَهُ فَإِذَا فِيهِ
 السُّوءُ فَأَلْفَاهُ فِي الْمَاءِ وَقَالَ لَطَرَفُهُ : أَلْقَى كِتَابَكَ فَأَبَى وَمَضَى بِكَتَابِهِ ، قَالَ : وَمَضَى
 الْمَتَلَسِّسُ حَتَّى لَحِقَ بِمَلُوكِ بَنِي جَضْنَةَ بِالشَّامِ وَسَارَ طَرَفَهُ بِكَتَابِهِ ، فَلَمَّا أَتَاهُمَا إِلَى
 الْعَامِلِ قَتَلَهُ .

وقولهم : « جَنْدَلَتَانِ أَصْطَكَا » : يضرب اِقْرَنَيْنِ يتصاولان .

وقولهم : « جَزَيْتُهُ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ » : للكفاة .

- وقولهم : « جاءوا على بكرة أبيهم » أى جاءوا جميعا لم يتخلف منهم أحد .
 وقيل : بل البكرة تأنيث البكر، يصفهم بالقلة أى بحيث تحملهم بكرة أبيهم . وقيل بل
 البكرة التى يُسْقَى عليها، معناه جاءوا بعضهم يتلو بعضا كدوران البكرة على نسق واحد ؛
 وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أبيهم ، وقال ابن الأعرابى :
 البكرة : جماعة من الناس أى بأجمعهم .

وقولهم : « جَاوَزَ الْحَزَامُ الطَّيِّبِينَ » : يضرب فى تجاوز الحد .

حرف الحاء

- ١٠ قولهم : « حَرَكْ لَهَا حَوَارَهَا نَحْنُ » الحوار : ولد الناقة، والجمع القليل أخوة
 والكثير حوران وحيران ، معناه ذكَّره بعض أشجانه يهيج له ، قاله عمرو بن العاص
 لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام ، أى أَرِهْمَ دم عثمان على قميصه .

وقولهم : « حَلَبْتُهَا بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ » أى أخذتها بالقوة إذ لم يتأت بالرفق .

وقولهم : « حَذَوِ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ » أى مثلاً بمثل : يضرب فى التسوية بين

- ١٥ الشئين ؛ ومثله : حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، وقد تقدم .

وقولهم : « حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ » معناه أنه أختبر الدهرَ شَطْرَى خيره

وشره فعرف ما فيه .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرَى » قال امرؤ القيس :
 إذا ما لم تكن إِبْلُ فِعْزَى * كَأَنَّ قُرُونَ جَلَّتْهَا الْعِصَى
 فتملاً بَيْنَا أَقْطَا وَنَمْنَا * وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرَى
 قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين ، أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شَيْعَكَ
 وَرَيْكَ ، والآخر القناعة باليسير .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ » أى اكتف بالقليل
 عن الكثير .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ » أى اكتف بسماعه ولا تعابيه ، قال :
 ويجوز أن يريد يكفيك سماع الشر وإن لم تقدم عليه ولم تنسب إليه ، والمثل قائمه
 فاطمة بنت الخُرْشُب من بنى أنمار بن بَغِيز أم الربيع بن زياد ، وذلك أن ابنته
 الربيع كان أخذ من قيس بن زهير بن جَذِيمة دِرْعاً ، فتعرض قيس لأم الربيع وهى
 على راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتبتها بالدرع ، فقالت له : أين عُرِبَ عَنْكَ عَقْلُكَ
 يَا قَيْسُ ؟ أترى بنى زياد مصالحيك ! وقد ذهبت بأمهم يمينا وشمالا وقال الناس ما
 قالوا وشاءوا ، وإن حسبك من شَرِّ سَمَاعِهِ ، فذهبت كلمتها مثلاً تقول : كفى بالمقابلة
 عارا وإن كان باطلا .

وقولهم : « حَلَقَتْ بِهِ عَنَقَاءُ مُغْرِبٍ » : يضرب لما يُئْس منه ؛ قال الشاعر :
 إذا ما ابنُ عبد الله خَلَى مكانه * فقد حَلَقَتْ بِالْجُودِ عَنَقَاءُ مُغْرِبٍ

قال الميبدانى : والعنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يقال : كان
 بأرض الرّس جبل يقال له : دَحْجٌ مصعده فى السماء ، وكان يأتيه طائر عظيم لها عنق

- طويلة، وهى من أحسن الطير؛ فيها من كل لون، وكانت تقع متصبية وتنقض على الطير فتأكلها؛ فجاءت يوما وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب : لأنها تغرب بكل ما تأخذه، ثم أنقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضممتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيهم : خالد بن صعوان، فقال : اللهم خذها وأقطع نسلها وسلط عليها .
- أفة ! فأصابتها صاعقة فاحترقت فضرتها العرب مثلاً .

قال عنقرة بن الأنرس الطائي في مرثية خالد بن زيد :

لقد حَلَّقْتُ بِالْجُودِ عَنْقَاءَ كَأَسْرُ * كَفَتَتْخَاءٍ دَخَّ حَلَّقْتُ بِالْحَزَوْرِ
فَمَا إِنْ لَهَا بَيْضٌ فَيُعْرِفُ بَيْضَهَا * وَلَا شِبْهُ طَيْرٍ مُنْجِدٍ أَوْ مُغَوَّرِ

- وقولهم : « حَتَّامٌ تَكْرَعُ وَلَا تُنْقَعُ » كَرَعَ إِذَا تَنَاوَلَ الْمَاءَ بَفِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ : ١٠
يضرب للحريص في جمع الشيء .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ إِنْضَاجِهِ أَنْ تَقْتَلَهُ » يضرب لطالب النار فيقول :
لَا قَتْلَ فَلَانَا وَقَوْمَهُ أَجْمَعِينَ فَيَقَالُ : لَا تَعْدُ، حَسْبُكَ أَنْ تَدْرِكَ ثَارَكَ وَطَلْبَتَكَ :
ويضرب لمتجاوز الحد .

حرف الخاء

١٥

قولهم : « خَيْرَ حَالِيكَ تَنْطَحِينَ » : يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة،
ومثله : خَيْرَ إِنْاءِكَ تَكْفِيئين .

وقولهم : « خَامِرَى أُمِّ عَامِرٍ » معناه آسترى؛ وأُمُّ عَامِرٍ : الضمير يشبه بها
الأحقق . ومثله : خَامِرَى حَضَابِرٍ، أُنَاكَ مَا تَحَاذِرُ ، وهو أَسْمُ لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى
من الضباع .

٢٠

وقولهم : « خلا لك الجؤ فيبضى وأصفرى » قاله طرفة بن العبد ، وكان في سفر مع عمه فنصب فخاً للقنابر ونثر حباً فلم يصد شيئاً ، فلما تحملوا رأى القنابر يلقطن الحب الذى نثره لهن ، فقال فى ذلك :

يالك من قنبرة بمعمِر * خلاك الجؤ فيبضى وأصفرى
ونقرى ماشئت أن تنقرى * قد رحل الصياد عنك فأبشرى
ورفع الفخ فماذا تحذرى * لا بد من صيدك يوما فاصبرى
يضرب فى الحاجة يتمكّن منها صاحبها .

وقولهم : « خلع الدرع بيد الزوج » المثل لرقاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل ، وكان زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، فقال لها : أخلعى ؛ فقالت : خلع الدرع بيد الزوج ، فقال : أخلعيه لأنظر إليك ، فقالت : التجرد لغير النكاح مثله ، فذهبت كلمتها مثلين : يضربان فى وضع الشيء فى غير موضعه .
وقولهم :

« خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ * وَمَنْ هُرِّيقَ بِالْفَلَاةِ مَأْوُهُ :
يُضْرَبُ لِمَنْ كَرِهَ صَحْبَتَكَ وَزَهَدَ فِيكَ .

وقولهم : « نَحْمُرُ أَبَى الرِّوْقَاءِ لَيْسَتْ تُسْكِرُ » : يُضْرَبُ لِلْغِنَى الَّذِى لَا فُضْلَ لَهُ عَلَى أَحَدٍ .

حرف الدال

قولهم : « دَمَّتْ لِحْنَبُكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعًا » أى آسَمَدَ للنوائب قبل حلولها ، والتدमित : التلين .

وقولهم : « دَجَّ أَمْرًا وَمَا اخْتَارَ » : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ النَّصْحَ ؛
قال الشاعر :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْرِ مَا أَمَكَّنَهُ * وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ أَزِينَهُ
وَأَعْجَبَهُ الْعُجْبُ فَاقْتَادَهُ * وَتَاهَ بِهِ النَّيُّ فَاسْتَحْسَنَهُ
فَدَعَهُ فَقَدْ سَاءَ تَدْيِيرُهُ * سَيُضْحَكُ يَوْمًا وَيَكِي سَنَهُ

حرف الذال

قولهم : « ذَكَرْنِي فُوكَ حِمَارِي أَهْلِي » أصله أن رجلا خرج يطلب حمارين
ضالًا له ، فرأى امرأة [متقبلة] فأعجبته فنسى الحمارين ، فلما أسفرت عن وجهها
رأها فوَّها فقال : ذَكَرْنِي فُوكَ حِمَارِي أَهْلِي ، وقال :

لَيْتَ النَّقَابَ عَلَى النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ * كَيْ لَا تَفُرَّ قَبِيحَةُ إِنْسَانَا

وقولهم : « ذَهَبُوا أَيَدِي سَبَا » ويقال : تفرقوا ، أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع
معه .

وقصة سبيلنا تفرقوا بسبب سيل العرم مشهورة ، وسند كرها إن شاء الله تعالى
في التاريخ .

وقولهم : « ذَهَبُوا شَعْرَ بَغْرٍ ، وَشَدَّرَ مَذَرَ ، وَخَذَعَ مَذَعَ » أى فى كل وجه .

وقولهم : « ذَلَّ بَعْدَ شِمَاسِهِ الْيَعْفُورُ » : يضرب لمن أنقاد بعد جماحه ، واليعفور :

فرس .

وقولهم : « ذَهَبَتْ طُولَا ، وَعَدِمَتْ مَعْقُولَا » : يضرب للطويل بلا طائل .

حرف الراء

قولهم : « رمتني بدائها وأنسلت » أصل هذا المثل : أن سعد بن زيد مناة تزوج رُهمَ بنة الخزرج ، وكانت من أجمل النساء ، وكان ضرائرها إذا سابَّتها يَقُلْنَ لها : يا عفلاء ، فقالت لها أمها : إذا سابَّتك فابدئين بذلك ، ففعلت رُهم ذلك مع ضرتها ، فقالت : رمتني بدائها وأنسلت ، فذهبت مثلا : يضرب لمن يُعير الآخر بما هو يُعير به .

وقولهم : « رماه بثلاثة الأثافي » وهي قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حجران ويُنصب عليها القدر : يضرب لمن رُمي بدهاية عظيمة .

وقولهم : « رَبَّ صَلِّفْ تحبِّ الراعدة » الصلف : قلة الخير ، والراعدة : السحابة ذات الرعد : يضرب للبخيل مع السعة .

وقولهم : « رَجَعَ بِحُفَى حُنَيْنٍ » أصله أن حُنَيْنًا كان إسكافا بالحيرة وساومه أعرابي بِحُفَيْنٍ فآخلفا حتى أغضبه ، فلما آرتحل الأعرابي أخذ حنين الحفَيْن فآلقى أحدهما على طريق الأعرابي ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه ، فلما مرَّ الأعرابي بالخلف الأول قال : ما أشبه هذا بحف حنين ولو كانا حفين لأخذتهما ، ثم مرَّ بالآخر فندم على ترك الأول فأناخ راحلته وأنصرف إلى الأول وقد كَمَنَ له حنين ، فأخذ الراحلة وذهب بها وأقبل الأعرابي إلى أهله ليس معه غير حَفَى حنين ، فذهبت مثلا : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيلة .

وقولهم : « رَبَّ سَاعٍ لقاعد وآكِلٍ غير حامِدٍ » أول من قاله النابغة الذبباني ، وكان سبب ذلك أن وفدًا وفدًا إلى النعمان وفيهم رجل من بني عَبَسَ يقال

له : شَقِيقٌ ، فَمَاتَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَبَا النِّعْمَانُ الْوَفُودَ بَعَثَ بِجَبَائِهِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ النَّابِغَةُ فِي ذَلِكَ :

أَتَى أَهْلَهُ مِنْهُ حِجَاءٌ وَنِعْمَةٌ * وَرُبَّ أَمْرٍ يُسْعَى لِأَنِّهِ قَاعِدِ

وقولهم : « رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ » قاله أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى ، معناه قد ظهر للناس منه أمر أنكره عليه وهم لا يعرفون عذره ؛ وقيل : إن رجلا قال للأحنف .
أَبْنُ قَيْسٍ : أَنَا أَبْغَضُ التَّمْرِ وَالزَّيْدَ ، فَقَالَ : رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

وقولهم : « رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي » : يَضْرِبُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْإِكْثَارِ خِيفَةُ الْإِهْجَارِ ، ذَكَرُوا أَنَّ مَلَكًا مِنْ مَلُوكِ خَمِيرٍ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ نَدِيمٌ لَهُ فَوْقَهَا عَلَى صَخْرَةٍ مَلْسَاءَ ، فَقَالَ النَّدِيمُ : لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا دُبِخَ عَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَى أَيْنَ كَانَ يَبْلُغُ دَمُهُ ، فَأَمَرَ بِذَبْحِهِ ، وَقَالَ : رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي .

ومثله قولهم : « رُبَّ رَأْسٍ حَصِيدٍ لِسَانٍ » : يَضْرِبُ لِلْأَمْرِ بِالسَّكُوتِ .

وقولهم : « رَدَّ الْمَجْرَمَ مِنْ حَيْثُ جَاءَكَ » أَيْ لَا تَقْبَلِ الضَّمِيمَ وَأَرْمِ مَنْ رَمَاكَ .

حرف الزاى

قولهم : « زَيْنٌ فِي عَيْنٍ وَالِدٍ وَلَدُهُ » يَضْرِبُ فِي عَجَبِ الرَّجُلِ بِرَهْطِهِ .

وقولهم : « زَا حِمٌّ بَعُودٌ أَوْ دَعٌ » أَيْ لَا تَسْتَعِنْ إِلَّا بِأَهْلِ السَّنِّ وَالتَّجَرِبَةِ .

وقولهم : « زَوْجٌ مِنْ عُدُوٍّ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ » ، قَالَتْهُ بَعْضُ نِسَاءِ الْعَرَبِ ، قَالُوا : كَانَ ذُو الْإِصْبَعِ الْعُدَوَانِيَّ غَيُورًا ، وَلَهُ بَنَاتُ أَرْبَعٍ ، وَكَانَ لَا يَزُوجُهُنَّ غَيْرَهُ عَلَيْهِنَّ ، فَاسْتَمَعَ عَلَيْهِنَّ يَوْمًا وَقَدْ حُلُوْنَ يَتَحَدَّثْنَ ، فَقَالَتْ إِحْدَهُنَّ : لَتَقُلُّ كُلُّ وَاحِدَةٍ مَنَا مَا فِي نَفْسِهَا ،

ولنصدق جميعا، فآستهت كل واحدة من الثلاث زوجا وصفت من جماله وكأله وسعة
حاله، ثم أبت الصغرى أن تشكم، فقالوا: لا بد أن تقولى، وألحنَ عليها، فقالت:
زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ، خَيْرٌ مِنْ قُودٍ، فزوجهنَّ .

وقولهم: «زُرْغَبًا تَزْدُ حُبًّا» قاله معاذ بن صرم الخزاعي، وكانت أمه من عك،
وكان يكثر من زيارة أخواله، فأقام فيهم زمانا، ثم خرج يتصيد مع بنى أخواله، فحمل
على عير، فلحقه ابن خال له يقال له: الغضبان فتخاصما، فقال له الغضبان: والله
لو كان فيك خير لم تركت قومك! فقال: زُرْغَبًا، تَزْدُ حُبًّا، فأرسلها مشلا،
وفي ذلك يقال الشاعر:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَالِيَا * وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرْدَادَ حُبًّا فَزُرْغَبَا

١٠ وقال آخر:

عليك بإغباب الزيارة إنها * إذا كثرت كانت إلى المهجر مسلكا
ألم تر أن القطر يسام دائما * ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

حرف السين

وقولهم: «سَبَقَ السيفُ العَدْلَ» قاله ضبّة بن أد لما لاهم الناس على قتل قاتل
أبنة في الحرم، ويقال: إنه لخزيم بن نوفل الهمداني .

وقولهم: «سَقَطَ العشاءُ به على سرحان» أصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء،
فوقع على ذئب فأكله، وقال ابن الأعرابي: أصله أن رجلا من بنى غني يقال له: سِرْحَانُ
ابن هزلة كان بطلا فأتكا، فقال رجل: والله لأرعين إبل هذا الوادى! فورد
بإبله، فوجد سرحان فقتله، وأخذ إبله وقال:

أَبْلَغَ نَصِيحَةٍ أَنْ رَاعَى أَهْلَهَا * سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ
سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ * طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِطْعَانٍ

يضرب في طلب الحاجة يؤدى صاحبها إلى التلف .

ومثله قولهم : «سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ» وهو الأسد .

وقولهم : «سَكَتَ أَلْفًا، وَنَطَقَ خَلْفًا» الخَلْفُ : الردى من القول وغيره .

وقولهم : «سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً» أول من قاله سُهَيْل بن عمرو أخو بني عامر ، وكان قد خرج بأبنة أَنَس ، فوقف بحزرة مكة ، فأقبل الأخنس بن شريق التَّقْفَى فقال له : من هذا ؟ فقال : آبَى ! فقال : حياك الله يافق [أين أمك؟] فقال : لا والله ما أمي في البيت ، ولكنها أُنْطَلَقَتْ إلى أم حنظلة تطحن دقيقا ، فقال أبوه : ساء سمعا فأساء جابةً ، فأرسلها مثلاً .

وقولهم : «سَحَابٌ نَوْءٌ مَأْوُهُ حَمِيمٌ» : يضرب لمن له لسان لطيف وليس وراءه خير .

وقولهم : «سوء الاستمساك خير من حُسْنِ الصَّرْعَةِ» : معناه حصول البعض مع الاحتياط خير من الكل مع التهور .

حرف الشين

قولهم : «شُئِبَ فِي الْإِنَاءِ وَشُئِبَ فِي الْأَرْضِ» : يضرب لمن يتكلم فيصيب مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : «شَرِيقٌ بِالرِّيقِ» أى ضره أقرب الأشياء إلى نفعه .

وقولهم : «شِنْشَنَةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ أَنْحَرَمَ» قاله أبو أنحزم الطائى ، وكان له

أَبْن يُقَالُ لَهُ : أَخْزَمُ ، فَمَاتَ وَتَرَكَ بَنِينَ ، فَوَثَبُوا عَلَى جَدِّهِمْ يَوْمَا فَأَدَمَوْهُ ، وَكَانَ أَبُوهُمْ عَاقًا لَهُ فَقَالَ :

إِنَّ بَنِيَّ ضَرَجُونِي بِالْدِّمِ * سِنَّشَنَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

والسنشنة : الطبيعة والعادة : يضرب في قرب الشبه .

وقولهم : « شَمَّرَ ذَيْلًا ، وَأَدَّرَعَ لَيْلًا » : يضرب على الحث في الجَدِّ والطلب .

وقولهم : « شَنُوءَةٌ بَيْنَ يَتَامَى رُضْعٍ » الشنوءة : ما يستقذر من القول والفعل : يضرب انقوم آجتماعوا على فجور وفاحشة ليس فيهم مرشد ولا ناه .

وقولهم : « شَيْخٌ بِحُورَانٍ لَهُ الْقَابِ » وبعده * الذئب والعنق والعراة * حُورَانٍ بَارِضِ الشَّامِ : يضرب لمن يُظْهِرُ لِلنَّاسِ الْعِفَافَ ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُحْتَزَّزَ مِنْهُ .

وقولهم : « شَغَلَ الْحَلِيَّ أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا » : يضرب للسؤل شيئًا هو إليه أحوج من السائل .

وقولهم : « شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطُّوقِ » قاله جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ . وعمره هذا هو أبْنُ أُخْتِهِ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ عَدَى بْنِ نَصْرٍ .

حرف الصاد

قولهم : « صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكِرَامِ » قال ذلك يَسَارُ الْكُوعَابِ ، وَكَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ يَرْعَى لِأَهْلِهِ إِبِلًا صَحْمَةً ، وَكَانَ مَعَهُ عَبْدٌ يَرَاعِيهِ ، فَتَزَّاهَا يَوْمًا سَائِرِينَ بِجَدَاءِ الْإِبِلِ الَّتِي يَرَاعَاهَا ، فَعَمِدَ إِلَى لَقُوحِ خَلْبِهَا فِي عُلْبَةٍ ، حَتَّى مَلَأَهَا مِشْيَ بَهَا ، وَكَانَ أَخْفَجَ

(١) كذا بالأصل . وهي وإن كانت دات معنى يتناسب مع السياق إلا أنها لا تسعد أن تكون محرفة عن الهجاء وهي من الإبل ما بين الأربعين إلى المائة ، يريد أنه كان يرعى لهم إبلًا بهذا المقدار .

الرجلين، حتى أتى بها ابنة مولاه يسقيها، وهى راكبة على جملها، فنظرت إلى رجله
فقبست، ثم شربت اللبن وجرته خيرا، فانطلق فرحا حتى أتى صاحبه، فقَصَّ عليه
الفصة، فقال : آسخر بنفسك ولا تسخر ببنات الأحرار، فقال : والله لقد دَحِكْتُ
إلى دَحِكَةٍ لَا أُحِبُّهَا، يريد : نَحِكتُ، وكان أعجمى اللسان، ثم باتا فقام غلاب في علبة
فملاها، ثم أتى ابنة مولاه، فبَثَّها من نومها فاستيقظت وشربت، ثم اضطجعت
وجلس يسار حياهما، فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ما أعلمك بحاجتى ! فقالت :
لا والله ! فما هى ؟ قال ذاك الرجل الذى دَحِكْتُ إلى . فقالت : حياك الله ،
وقامت إلى سَفِطٍ لها فأخرجت منه بَخُورا ودُهنا طيبا ، وعمدت إلى موسى كانت
تحفُّ به الشعر ، وأخذت مِجْمَرَةً فيها نار ، فوضعت عليه البخور ووضعتها تحته ،
وطا طأت كأنها تصلح الحور ، فعمدت إلى مذاكيره فمسختها بالموسى ، فلما أحس
بحرارة الحديد . قال : صبرا على مجامر الكرام ، ثم أومات إلى أنها تدهنه وقالت :
إن هذا دهن طيب إلا أن فيه حرارة فتصبر عليه ، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافك ،
ثم أثنمته الدهن على الموسى ، ورفعته فوضعت بين عينيه فَأَسْتَلَّتْ بها أنفه . وقالت :
قم إلى إبلك يابن الخبيثة ، فأتى صاحبه ، فلما رآه . قال : أمقبل أنت أم مدبر ؟
قال : أنراك الله ، أو قد عمى بصرك !

١٥

إذ لا ترى أنفا ولا أذنين * أما ترى وبأصصة العينين

هذا أحد الأقوال فى هذا المثل : يصرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره . ويقال :
إن أعرابيا قدم الحضر بابل ، فباعها بمال كثير وأقام لحوائج له ، ففطن
قوم من جيرته لما معه من المال ، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال
والحسب طمعا فى ماله ، فرغب فيها فزوجه إياها ، ثم اتخذوا طعاما وجمعوا الخى ،
وجلس الأعرابي فى صدر المجلس ، فأكلوا الطعام وأداروا الكئوس وشرب

٢٠

الأعرابي، ثم أتوه بكسوة فاخرة، فلبسها وقدموا له شجرة فيها بخور لا عهد له به، وكان لا يلبس السراويل، فلما جلس على المحمرة، سقطت مذاكيره في النار، فظن أن ذلك سنة لا بد منها، وأستحيا أن يكشف ثوبه. فقال: صبرا على مجامر الكرام، فذهبت مثلا وأحترقت مذاكيره، وتفرق القوم، وأرتحل إلى البادية وترك المرأة والمال، فلما وصل إلى قومه وقص عليهم القصة. قالوا: آست لم تعود المجرم، فذهبت مثلا: يصرب لمن لا قديم له.

وقولهم: «صار الزج قدام السنان»: يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير استحقاق لذلك.

وقولهم: «صرح المحض عن الزبد»: يضرب للأمر إذا آنكشف وتبين.

وقولهم: «صفقة لم يشهد لها حاطب» هو حاطب بن أبي بلتعة كان حازما، فباع بعض أهله ببيعة عين فيها حين لم يشهد لها حاطب، فصارت مثلا لكل أمر ينهر دون صاحبه.

حرف الضاد

قولهم: «ضربه ضرب غرائب الإبل»: وذلك أن الغريسة تزدهم على الحياض عند الورود، وصاحب الخوض يطردها ويضربها بسبب إبله: يصرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن.

وقولهم: «ضل الدريص نفقه»: الدريص: ولد الفأرة واليربوع والهررة وأشباه ذلك، ونفقة: بحره: يصرب لمن يُغنى بأمره ويُعد حجة لخصمه، فينسى عند الحاجة.

وقولهم : « ضَلَّ حِلْمُ امْرَأَةٍ فَأَيْنَ عَيْنَاهَا ؟ » أى هَبْ أَنْ عَقَلَهَا ذَهَبَ
فَأَيْنَ ذَهَبَ بِصَرِّهَا ؟ : بضرب في استبعاد عقل الحليم .
وقولهم : « ضَائِفُ اللَّيْثِ قَتِيلُ الْمَحَلِّ » : يضرب لمن أضطرب لشيء فغزير
بنفسه في طلبه .

حرف الطاء

٥

قولهم : « طَوَيْتُهُ عَلَى بِلَالٍ وَعَلَى بُلَيْتَةٍ » قال الشاعر :
وصاحبٍ مُرَامِيٍّ دَاجِيَتَهُ : عَلَى بِلَالٍ نَفْسُهُ طَوَيْتُهُ
ويقال : طَوَيْتُ السَّقَاءَ عَلَى بُلَيْتَةٍ إِذَا طَوَيْتُهُ وَهُوَ نَدٍ لِأَنَّهُ إِنْ طَوَى يَابَسَا تَكَسَّرَ ،
وإن طَوَى نَدِيًّا عَفِنَ : يضرب للرجل يجل على ما فيه من العيب ؛ قال الشاعر :
ولقد طَوَيْتُكُمْ عَلَى بِلَالٍ تَكْمُ * وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ
فإذا القرباة لَا تُفَرِّبُ فَاطْعَا * وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ
والأذْرَاب : جمع ذَرْبٍ وهو الفساد .
وقولهم : « طَوَيْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ » : غَرَّ النَّوْبِ : أَثْرَكَرَهُ الْأَوَّلُ : يضرب لمن
يُوَكِّلُ إِلَى رَأْيِهِ وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ .

١٠

حرف الظاء

١٥

قولهم : « ظَالِعٌ يَعُودُ كَسِيرًا » : يصرب للضعيف يَنْصُرُ مَنْ هُوَ أَوْضَعُفَ مِنْهُ .
وقولهم : « ظَنُّ رَعْوَمٍ خَيْرٌ مِنْ أَمِّ سَوْوَمٍ » : الظن : الحاصة ، والرءوم :
العطوف ، والسَّوْم : الملل : يصرب في عدم الشفقة وقلة الاهتمام .
وقولهم : « ظَاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِ الْحَقْدِ » معناه ظاهر .

وقولهم : « ظَلَالٌ صَيْفٌ مَالِهَا قِطَارٌ » : يضرب لمن له ثروة ولا يُجِدَى على أحد .

حرف العين

وقولهم : « عند الصباح يُحَمَّدُ الْقَوْمُ السَّرَى » أول من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه ، وكان باليمامة أن يسير إلى العراق ، ونالته مشقة بسبب العطش ، فأمرى حتى أدرك الماء فقال : عند الصباح يحمد القوم السرى : يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة .

وقولهم : « عند جهينة الخبر اليقين » يضرب في معرفة الشيء حقيقة .

وقولهم : « عَيْرَ عَارِهِ وَتَدَهُ » أى أهلكه وأصله أن رجلاً أشفق على حماره فربطه إلى وتد ، فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه .

وقولهم : « عند النطاح يُغَلَبُ الْكَبْشُ الْأَجَمُّ » وهو الذى لا قرن له : يضرب لمن عليه صاحبه بما أعد له .

وقولهم : « على أهلها تَجْنِي بَرَأَقِش » قالوا : كانت برأقش كلباً لقوم من العرب ، فأغبر عليهم فهدموا وهى معهم . وبيحت فانبغ القوم آثارهم بنباحها ، فأدركوهم فقتلوهم ، ففيها يقول حمزة بن بَيْص :

بل جناها أحم على كريم
وعلى أهلها برأقش تَجْنِي

وقيل في هذا المثل غير ذلك .

وقولهم : « عسى الغوير أبوسا » الغوير : تصغير غار ، والأبوس : جمع بؤس وهو الشدة ، قالته الرباء عند رجوع قصير من العراق ، ومعه الرجال ، وكان الغوير

على طريقه، ومعناه لعل الشرَّ يأتِيكم من قبل الغار: يضرب للرجل يقال له: لعل الشرَّ جاء من قبلك .

وقولهم: «عُشِبٌ وَلَا بَعِيرٌ»: يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره .

وقولهم: «عَادَ غَيْثٌ عَلَى مَا أَفْسَدَ»: يضرب للرجل فيه فساد، وصلاحه أكثر .

وقولهم: «عاد السهمُ إلى النَّزْعَةِ» أى رجع الحق الى أهله .

وقولهم: «عصا الجبانِ أطول» لأنه يفعل ذلك من فضله، يرى أن طوله أشدُّ ترهيباً لعدوه من قصرها .

وقولهم: «على الخبير سقطت» المثل لمالك بن جُبَيْر العامري، وتمثّل به الفرزدق حين لقي الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، عند مقدمه من العراق وخروج الحسين إليه وقد قال له: ما وراءك؟ فقال: على الخبير سقطت؛ فلوبُّ الناس معك، وسيوفهم مع بنى أمية، والنصر من السماء .

وقولهم: «عادة السُّوءِ شَرٌّ مِنَ الْمَغْرَمِ» معناه أن المغْرَم إذا أدبته فارقك،

وعادة السُّوء لا تفارق صاحبها .

وقولهم: «تَجَعَّجَ لِمَا عَصَاهُ الظَّعَّانُ» أى صاح، والظعان: نِسْعٌ يُشَدُّ بِهِ الْهُودُجُ: يُضْرَبُ لِمَنْ يَضِجُ إِذَا لَزِمَهُ الْحَقُّ .

وقولهم: «عند الرّهبان تُعرَفُ السّوابق»: يضرب لمن يدعى ما ليس

فيه .

وقولهم: «عَادَ الْأَمْرُ إِلَى نِصَابِهِ»: يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ يَتَوَلَّاهُ أَرْبَابُهُ .

وقولهم: «عَيْنُكَ عَبْرَى وَالْفُؤَادُ فِي دَدٍ» الدَّدُ وَالْدَدْتُ وَالْدَدَا: اللَّعْبُ وَاللَّهُوُ: يُضْرَبُ لِمَنْ يُظْهِرُ حُرْناً لِحَزَنِكَ وَفِي قَلْبِهِ خِلَافَ ذَلِكَ .

وقولهم: «عَرُفُطَةٌ تُسْقَى مِنَ الْغَوَادِقِ» ويروى: الْغَوَاقِبُ؛ الْعُرْفُطَةُ: شَجَرَةٌ خَسِئَةُ الْمَسِّ، وَالْغَوَادِقُ: السَّحَابُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ: يُضْرَبُ لِلشَّرِّ يَرْكُومُ وَيَجَلُّ .

حرف الغين

قولهم: «غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ» قاله عامر بن الطفيل ؛ وذلك أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدِمَ مَعَهُ أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخُو لَيْدٍ ، أَن رَّبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ الشَّاعِرِ لَأَمَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ قَدْ أَقْبَلَ ، قَالَ : "دَعْنِي فَإِنَّ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَهْدِيهِ" فَأَقْبَلَ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا لِي إِذَا أَسَأْتُ ؟ قَالَ : "لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ" قَالَ : تَجْعَلُ لِي الْأَمْرَ بَعْدَكَ ؟ قَالَ : "لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ" قَالَ :

فَتَجْعَلُنِي عَلَى الْوَبَرِ وَأَنْتَ عَلَى الْمَدَرِ" قَالَ : "لَا" قَالَ : فَمَاذَا تَجْعَلُ لِي ؟ قَالَ : "أَجْعَلُ لَكَ أَعْنَتَهُ الْخَلِيلَ تَغْزُو عَلَيْهِمَا" ، قَالَ : أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ الْيَوْمَ ؟ وَكَانَ قَدْ أَوْصَى إِلَى أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ : إِذَا رَأَيْتَنِي أَكَلَمْتُهُ فُدِّرْ مِنْ خَلْفِهِ فَأَضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ ، فَاحْتَرَطَ أَرْبَدُ سَيْفَهُ شَبْرًا فَنَبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى سَلِّهِ . فَأَلْفَتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى أَرْبَدَ وَمَا يَصْنَعُ بِسَيْفِهِ ، فَقَالَ : "اللَّهُمَّ أَكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ" ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَرْبَدَ صَاعِقَةً فِي يَوْمٍ صَائِفٍ صَاحٍ فَأَحْرَقَتْهُ ، وَوَلَّى عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ هَارِبًا وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، دَعَوْتَ رَبَّكَ فَقَتَلَ أَرْبَدَ ، وَاللَّهِ لَا مَلَأَتْهَا عَلَيْكَ خِيَلًا جُرْدًا وَفِتْيَانًا مُرْدًا ، فَقَالَ :

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يَمْنَعُكَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ [وَابْنًا قِيْلَةً] “^(١) فسار عامر حتى نَزَلَ بِبَيْتِ امْرَأَةٍ سَلُولِيَّةٍ ، فخرجت على ركبته غُدَّةٌ عَظِيمَةٌ ، فقال : غُدَّةُ كَفْدَةِ البعير ومَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ ، ثم مات على ظهر فرسه ؛ وسَلُولُ أَقْلُ العرب وأَذَنُّمُ ، فسار كلامه مثلاً : يُضْرَبُ فِي خَصْلَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا شَرٌّ مِنَ الْآخَرَى .

- وقولهم : « غَرَفَنِي بُرْدَاكِ مِنْ خَدَافِي »^(٢) ويروى : من غدافى ؛ أصل المثل أن رجلاً استعار بُرْدِيَّ امْرَأَةً فلبسهما ، وَرَمَى بِخُلُقَانٍ كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَاسْتَرْجَعَتْ الْمَرْأَةُ بُرْدِيَّهَا فَقَالَتْ : يُضْرَبُ لِمَنْ ضَيَّعَ مَالَهُ طَمَعًا فِي مَالٍ غَيْرِهِ .

حرف الفاء

- قولهم : « فِي وَجْهِ الْمَالِ تَعْرِفُ أَمْرَتَهُ » أى نماء وخيره ؛ ويقال : أَمِرَتْ أَمْوَالُ بَنِي فَلَانٍ إِذَا نَمَتْ وَكَثُرَتْ : يُضْرَبُ لِمَنْ يُسْتَدَلُّ بِحَسَنِ ظَاهِرِهِ عَلَى حَسَنِ بَاطِنِهِ .

- وقولهم : « فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ » زعمت العرب أن الأرنب ألقت ثمرة فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان إلى الضَّبِّ ، فقالت الأرنب : يَا أَبَا الْحَسَلِ ، قال : سَمِعِمَا دَعَوْتِ ، قالت : أَتَيْنَاكَ لِنُخْتَصِمَ إِلَيْكَ ، قال : عَادِلًا حَكْمًا ، قالت : فَأَخْرِجْ إِلَيْنَا ، قال : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ ، قالت : إِنِّي وَجَدْتُ ثَمْرَةً ، قال : حُلُوَّةٌ فَكَّيْهَا ، قالت : فَاخْتَلَسَهَا الثَّعْلَبُ ، قال : لِنَفْسِهِ بَغَى الْخَيْرِ ، قالت : لَطْمَتُهُ ، قال :

(١) الزيادة عن الميداني ويريد بهما في الحديث الأوس والخزرج (ج ٢ ص ٣) .

(٢) في اللسان مادة ” خدعل ” ومعجم الأمثال للميداني : « برداك » بفتح الكاف . وورد

في القاموس وشرحه بفتح الكاف وكسرهما فرواية الفتح على أنه قاله امرأة رأت على رجل بردين فتزوجته طامعة في يساره فألفته معسرا . والكسر على أن قاله رجل استعار من امرأة برديها ... الخ .

بِحَقِّكَ أَخَذْتِ، قَالَتْ : لَطْمَنِي، قَالَ : حُرِّ أَنْتَصِرُ، قَالَتْ : فَاغْضُ بَيْنَنَا، قَالَ :^(١)
حَدَّثَ حَدِيثَيْنِ أَمْرَاءَ، فَإِنْ أَبَتْ فَارْبَعَةً، فَذَهَبَتْ أَقْوَالُهُ كُلُّهَا أَمْثَالًا .

وقولهم : « فِتْنَى وَلَا كِلَالِكِ » قاله مُتَمِّمٌ بْنُ نُوَيْرَةَ فِي أَخِيهِ مَالِكٍ لَمَّا قُتِلَ .

وقولهم : « فِي دُونِ هَذَا مَا تُنْكِرُ الْمَرْأَةُ صَاحِبَهَا » أَوَّلُ مَنْ قَالَه جَارِيَةٌ مِنْ مُزَيْنَةَ .

٥ قال الْحَكَمُ بْنُ صَخْرٍ الثَّقَفِيُّ : خَرَجْتُ مُنْفَرِدًا فَرَأَيْتُ بِيَامِرَةَ (وَأَمْرَةً مَوْضِع) حَارِيتَيْنِ
أُخْتَيْنِ لَمْ أَرَّ كِجَالَهُمَا، فَكَسَوْتُهُمَا وَأَحْسَنْتُ إِلَيْهِمَا، قَالَ : ثُمَّ حَجَجْتُ مِنْ قَابِلٍ وَمَعِيَ
أَهْلِي، وَقَدْ آعَلْتُ وَنَصَلْتُ خَصَابِي، فَلَمَّا صَرْتُ بِبِيَامِرَةَ، إِذَا إِحْدَاهُمَا قَدْ جَاءَتْ،
فَسَأَلْتُ سُؤَالَ مُنْكَرَةٍ، قَالَ فَقُلْتُ : فَلَانَةٌ؟ قَالَتْ : قَدِىْ لَكَ أَبَى وَأُمِّى، أُنِّى تَعْرِفُنِى
وَأُنْكَرُكَ؟ قَالَ فَقُلْتُ : أَنَا الْحَكَمُ بْنُ صَخْرٍ، قَالَتْ : رَأَيْتُكَ عَامَ أَوَّلِ شَابَابٍ سَوْفَةً،
١٠ وَأَرَاكَ الْعَامَ شَيْخًا مَلِكًا، وَفِي دُونِ هَذَا مَا تُنْكِرُ الْمَرْأَةُ صَاحِبَهَا، فَذَهَبَتْ مِثْلًا، قَالَ
قُلْتُ : مَا فَعَلْتُ أَخْتُكَ؟ قَالَ : فَتَنَفَسْتُ الصَّعْدَاءَ، وَقَالَتْ : تَزَوَّجَهَا أَبْنِ عَمِّ لَهَا
وَذَهَبَ بِهَا، فَذَلِكَ حَيْثُ تَقُولُ :

إِذَا مَا قَفَلْنَا نَحْوَ نَجْدٍ وَأَهْلُهَا * فَخَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا قُفُولٌ إِلَى نَجْدٍ

قال قات : أَمَّا إِنِّي لَوْ أَدْرَكْتُهَا لَتَزَوَّجْتُهَا، قَالَتْ : وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ شَرِيكَتِهَا
فِي حَسَنَتِهَا وَجَمَالِهَا وَشَقِيْقَتِهَا؟ قال قات : يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ كَثِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ :
١٥ إِذَا وَصَلْتَنَا خُلَّةٌ كَى تَزِيلُنَا * أَبَيْنَا وَقَلْنَا الْحَاجِبِيَّةَ أَوَّلَ

فَقَالَتْ : كَثِيرٌ بَنِي وَبَيْنَكَ، أَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ :

هَلْ وَصَلَ عَزَّةَ إِلَّا وَصَلَ غَانِيَةً * فِي وَصَلِ غَانِيَةٍ مِنْ وَصْلِهَا خَلْفٌ

(١) هذه العبارة لم ترد في الميداني في شرح هذا المثل وهي نافية هنا عن السياق، وقد أوردتها الميداني

في حرف الحاء على أنها مثل مستقل وقال إن المراد أن تكرر للآلة إذا حدثتها الحديث مرتين فإن لم تفهم

فرد : وهو مثل يضرب في سوء السمع والإحاطة .

قال : فتركت جوابها عيّا .

وقولهم : « فأنكته واثقة برى » زعموا أن امرأة كثرت لبنها وطفقت تهريقه ، فقال لها زوجها : لم تهريقينه ؟ فقالت : فأنكته واثقة برى : يضرب للمفسد الذى وراء ظهره ميسرة .

حرف القاف

قولهم : « قطعت جبهة قول كل خطيب » أصله أن قوما اجتمعوا يخطبون في صالح بين حين ، قتل أحدهما من الآخر قتيلًا ليرضوا بالدية ، فبينما هم في ذلك ، إذ جاءت أمة يقال لها : جبهة ، فقالت : إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله ، فقالوا : قطعت جبهة قول كل خطيب : يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بجهله .

وقولهم : « قبل البكاء كان وجهك عابسًا » : يضرب للبخيل يعتلّ بالإعدام ، ومثله : « قبل النفاس كنت مصفرة » .

وقولهم : « قلب الأمر ظهرًا لبطن » : يضرب في حسن التدبير .

وقولهم : « قد شمرت عن ساقها فشمري » : يضرب في الحث على الحد في الأمر .

وقولهم : « قد يضطر العير والمكواة في النار » قال عرفة بن عريضة سيد بنى هزان ، وكان بينه وبين الحصين بن نبيت العُكلى حروب ووقائع ، فقتلت عُكلى رجلا من بنى هزان ، وأسر عرفة بن عُكلى رجلين ، فقال لها : أياكم أفضل لأقتله بصاحبنا ؟ فجعل كل واحد منهما يخبر أن صاحبه أكرم منه ، فأمر بقتلهما

جميعا، فُتدّم أحدهما للقتل، بفعل الآخر يَضِرط، فقال عُرْفُطَة : قد يضطر العير
والمكواة في النار، فأرسلها مشلا : يضرب للرجل يخوف بالأمر فيجزع قبل
وقوعه . وهذا أحد الأقوال فيه ؛ وقيل غير ذلك .

وقولهم : « قد بينَّ الصبحُ لذي عَيْنين » : يضرب في ظهور الأمر كلَّ
الظهور . ٥

وقولهم : « قد أنصفَ القارةَ من رامها » القارةُ : قبيلةٌ قد تقدّم ذكرها
في الأنساب .

وقولهم : « قبل الزمء ثُملاً الكئان » أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه .
ومثله . « قبل الرمي يُراش السهم » : يصرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة
اليها . ١٠

وقولهم : « قلب له ظَهر الحِجَن » : بضرب لمن كان لصاحبه على مودّة،
ثم حال عن عهده .

وقولهم : « قد ألقى عصاه » إذا استفتز من سفر أو غيره ؛ يقال : إنه لما بويع
لأبى العباس السفّاح ، قام خطيبا فسقط القصيب من يده ، فقام رجل من القوم
وأنشد : ١٥

فألقَ عصاها وأنسَقَر بها النوى كما قَرَعَ عينا بالإياب المسافرُ

وقولهم : « قد ونى طَرَفاه » : بضرب لمن ذلَّ وضعُف عن أن يتم له أمر ؛
قال النجاشي :

وإن فلانا والإمارة كالذى * ونى طَرَفاه بعد ما كان أجدها

وقولهم : « قُدَّتْ سيوره من أدِيمك » يضرب للشئين يستويان
في الشبه قال الشاعر :

« وقُدَّتْ من أدِيمهم سيورى * »

وقولهم : « قد بَلَغَ الشَّظَاظُ الورَكَيْنِ » الشظاظ : عُود يُجْعَلُ في عروة
الجواقي : يضرب فيما جاوز الحد ، وهو كقولهم : جاوز الحزام الطَّيِّين .

حرف الكاف

قولهم : « كان كُرَاعا ، فصَارَ ذُرَاعا » : يضرب للذليل الضعيف صار
عزيرًا قويًا .

وقولهم : « كلامٌ كالْعَسَلِ ، وعِلٌّ كالْأَسَلِ » : يضرب في اختلاف القول
والفعل .

وقولهم : « كنتَ تَبْكِي من الأثرِ العافِي فقد لاقيتَ أخذودا » : يضرب
لمن يشكو القليل من الشر ثم يقع في الكثير .

وقولهم : « كلَّ ذاتِ بعلٍ ستَتِّيمُ » هذا من أمثال أكرم بن صيفي ، قال
الشاعر :

أفاطم إني هالك فتنبّتي * ولا تجزعي كلَّ النساءِ تئيم

أى ستفارق زوجها .

وقولهم : « كلَّ أَرْبَ نَفَور » قاله زهير بن جَذِيمَة لأخيه أُسَيْد ، ونذكر الخبر
في وقائع العرب .

وقولهم : « كلَّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبَة » : يضرب في عجب الرجل بعشيرته ورهطه .

وقولهم : « كَلَّ الصَّيْدُ فِي جَوْفِ الْفَرَا » الفراء : الحمار الوحشي ، أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين ، فأصطاد أحدهم أرنباً ، والآخريين ، والثالث حمارة ، فتناولوا عليه بصيدهما ، فقال : كَلَّ الصَّيْدُ فِي جَوْفِ الْفَرَا : يضرب لمن يفضل على أقرانه ، وقد تمثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : « كَدَمْتُ غَيْرَ مَكْدَمٍ » : يضرب لمن يطلب شيئاً في غير مطلبه .

وقولهم : « كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ الْبَقَرُ » : يضرب في عقوبة البريء بذنب المجرم ، ويأتي ذكر ذلك في أوابد العرب .

وقولهم : « كَالْكَبْشِ يَحْمِلُ شَفْرَةً وَزَنَاداً » : يضرب لمن يتعرض للهلاك .

وقولهم : « كَالْمُسْتَغِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ » : يضرب في الخلتين مجتمعان

١٠ على الرجل .

وقولهم : « كَالْقَابِسِ الْعَجَلَانَ » : يضرب لمن عجّل في طلب حاجته .

وقولهم : « كَلَاهُمَا وَتَمَرًا » أول من قاله عمرو بن محران الجعدي ، وذلك أنه مرّ برجل وبين يديه زبد وسام وتمر ، فقال : أُلْتِنِي مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فقال : أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَرْبَدُ أَمْ سَنَامٌ ؟ فقال : كَلَاهُمَا وَتَمَرًا ، فسارت مثلاً .

وقولهم : « كَالْبَاحِثِ عَنِ الْمُدَّةِ » يقال : إن رجلاً وجد صيداً ، ولم يكن معه

١٥ ما يذبحه به ، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض ، فسقط على شفرة فذبحه بها : يضرب في طلب الشيء يؤدى صاحبه إلى تلف النفس .

وقولهم : « كَذَى الْعُرْيُكُوى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ » : يضرب في أخذ البريء

بذنب الجاني ، ويأتي ذكره في أوابد العرب .

وقولهم : « كالمحتاض على عَرَض السراب » : يُضْرَب لمن يطمع في محال .
 وقولهم : « كلَّ لِيَالِيهِ لَنَا حَنَادَس » : يُضْرَب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تكروه .

حرف اللام

(١٦)

قولهم : « لو ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي » معناه لو طأمني من كان كفئاً لي
 لكان علي ، ولكن ظلمني من هو دوني ، وهو كقول بعضهم :

فلو أُنِي لُبَيْتُ بهاشمي * خؤولته بنو عبد المَدَانِ

لهان علي ما ألقى ولكن * تعالَى فانظري بمن آبتلاني

وقولهم : « لو غَيْرَ ذَاتِ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي » روى الأصمعي أن حاتماً الطائي
 مرَّ ببلاد عترة في بعض الأتربة الحرم فناداه أسير لهم : يا أبا سَفَانَةَ : أكلني الإِسَارَ
 والقمل ، فقال : ويحك ! أسأتَ إذا تَوَهَّتَ باسمي في غير بلاد قومي ، فساوم القوم به
 ثم قال : أطلقوه وأجعلوا يدي في العِمد مكانه ، ففعلوا ذلك به ثم حاءته امرأة ببيعير
 ليفصده فتحره فطعمته فقال : لو غير دات سوار لطمعتني ، يعني أني لا أقتص من
 النساء ، ثم عُرِفَ ، ففدى نفسه فداءً عظيماً .

وقولهم : « لو تُرِكَ القَطَا لَيْلَا لَنَامَ » قالته امرأة عمرو بن مامة ، وقد نزل عليه
 قوم من مُرَادٍ ، فطرقوه ليلاً ، فأناروا القطا ، فرأته امرأته فتهتته فقال : إنما هذا
 القطا ، فقالت : لو تُرِكَ القَطَا لَيْلَا لَنَامَ به فسار مثلاً : يُضْرَب لمن حُمِلَ على مكروه
 من غير إرادته به وقيل : إن التي قالته له حَدَامُ بنت الريان .

وقولهم : « لَيْسَتْ لَهُ جِلْدَةُ النَّمْرِ »^(١) : يضرب في إظهار العداوة وكشفها .

(١) كذا في الميداني . وفي الأصل : « لبس لهم ... الخ » .

وقولهم : «لقد ذَلَّ من بالت عليه الثعلب» أصله أن رجلا من العرب كان يعبد صنما، فجاء ثعلب فبال عليه، فقال في ذلك :

أربُّ يبول الثُّعلْبَانُ^(١) برأسه * لقد ذَلَّ من بالت عليه الثعلبُ

وقولهم : «ليس هذا بعشك فأدرجى» : يُضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره .

وقولهم : «لم أجد لشفرتي محزاً» : يُضرب عذرا في تعذر الحاجة .

وقولهم : «لو سئلت العارية أين تذهبين لقلت أكسبُ أهلي ذمّا» هذا من كلام أكرم بن صيفى : يُضرب في سوء الجزاء للنعم .

وقولهم : «ليس من العذل، سرعة العذل» أى لا ينبغي أن تعجل بالعذل قبل أن تعرف العذر .

وقولهم : «ليس القدامى كالحوائى» : يُضرب عند التفضيل .

وقولهم : «لو كويت على داءٍ لم أكره» أى لو عوتبتُ على ذنب ما امتعشتُ .

وقولهم : «ليس على الشرق طخاءٌ يحجب» أى ليس على الشمس سحاب : يُضرب في الأمر المشهور الذى لا يخفى على أحد .

وقولهم : «لا كوينه كية المتلوم» أى يكأ بليغا، والمتلوم : الذى يتبع الداء حتى يعلم مكانه ؛ يُضرب في التهديد الشديد .

وقولهم : «لأمر ما جدع قصير أنفه» قالته الزباء لما رأت قصيرا مجدوعا، وخبره يأتى في باب المكاييد .

(١) الثعلبان : ذكر الثعلب، كالأمعوان : لذكر الأفعى، والعقربان : لذكر العقارب .

حرف الميم

قولهم : « ما تَنفَعُ الشَّفْعَةُ فِي الْوَادِي الرَّغْبِ » الشَّفْعَةُ : المطرة الهيئة ، والرُّغْبُ :
الواسع : يصرب للذى يعطيك قليلا لا يقع منك موقعا .

وقولهم : « ما وراءك يا عِصام » يقال : أقول من قال ذلك الحارث بن عمرو
ملك كندة ، وذلك أنه بلغه جمال أبنة عوف بن مُحَلَّم فأرسل إليها امرأة ذات عقل
ولسان ، يقال لها : عِصام ، وقال : أذهبي لتعاهيني بحالها ، فلما آتته إليها ونظرتها
خرجت وهي تقول : « تَرَكَ الْخِدَاعَ ، مَنْ كَشَفَ الْفِتْنَانَ » فذهبت مثلا ، ثم عادت
إليه ، فقال لها : ما وراءك يا عِصام ؟ فقالت : « صَرَّحَ الْمُخَضُّعُ عَنِ الزُّبْدِ » فأرسلتها
مثلا ؛ وساق الميداني على هذا المثل كلاما طويلا قالت عِصام في وصف أعضاء
المخطوبة .

١٠

وقولهم : « ما يوم حَلِيمَةٍ بَسْرٍ » هي حليلة بنت الحارث بن أبي شَمِير ، كان
أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيبا في مِرْكَنِي فطبتهم ؛ فلما
آتته إلى لبيد بن عمرو وذهبت لِيُخَلِّقَهُ قَبْلَهَا ، فلطمته وأتت أباه ، فقال لها :
ويلك ! أسكتي عنه ، فهو أراجهم عندي ذكاء فؤاد ، وإني مرسله ، فإن قُتِلَ فقد كفى
الله شره ؛ فسار إلى المنذر بالجيش . فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا ، فقليل فيه :
ما يوم حليلة بَسْرٍ .

١٥

وقولهم : « ما أشبه الليلة بالبارحة » أى ما أشبه بعض القوم ببعض .
وقولهم : « مرعَى ولا كالسَّعدان » قالوا : السَّعدان أخضر العُشْبِ لبناء ،
ومناقبه السهول : يُضْرَبُ مثلا للشيء يَفْضَلُ على أقرانه وأشكاله ؛ وأول من قال
المثل : خنساء بنت عمرو بن الشريد ، وفيل : بل قالت امرأة من طيء تزوجها

٢٠

١٧

أمرؤ القيس بن عُجْر الكِنْدِي فقال لها : أين أنا من زوجك الأول ؟ فقالت :
مرغى ولا كالسعدان ، أى إنك إن كنت رصًا فليست كغفلان .

وقولهم : «مَاءٌ وَلَا كَصَدَاءٍ» صَدَاءُ : رَكِيَّةٌ عَذْبَةٌ ؛ قال صِرَار السَّعْدِي :
وإني وتَهَيَّأى بزينب كالذى * تَطَلَّبَ من أحواضِ صَدَاءٍ مَشْرَبًا
معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لفرط حسنها ، كالذى يَرِدُ الماءَ فإنه يزاحم عليه
لفرط عذوبته .

وقولهم : «محا السيف ما قال ابنُ دَارَةَ أجمعاً» هو سالم بن دَارَةَ الغطفاني ؛
ودارُهُ : أمه . وكان قد هجا بعض بني فزارَةَ فَأَغْتَالَهُ زُمَيْلٌ فقتله ، ففيه يقول الكُمَيْتُ
فلا تُكثِّروا فيه الصِّجَاحَ فإنه * محا السيف ما قال ابنُ دَارَةَ أجمعاً

وقولهم : «مَلِكْتَ فَأُصْحِجْ» الإصحاح : حسن العفو ، أى ملكت الأمر فأحسن
العفو ، وقد تمثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ؛ ونذكر الخبر
في ذلك في المغازي .

وقولهم : «من ينكح الحسناء يُعْطِ مَهْرَهَا» أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .
وقولهم : «من سرّه بنوه ساءت نفسهُ» قاله صِرَار بن عمرو الضبي : وكان
ولده ثلاثة عشر رجلاً ، كلهم قد غزا ورأس ، فراهم يوماً وأولادهم ، فعلم أنهم لم يبلغوا
هذه الأسنان إلا مع كبر سنّه ، فقال : من سرّه بنوه ساءت نفسهُ ، فأرسلها مثلاً .

وقولهم : «من أشبه أباه فبِ ظلمٍ» معناه ظالم .
وقولهم : «من يرُ يوماً يرُ به» قاله كَلْبُ بن شُؤْبٍ بوب الأسدى ، وكان يُغِيرُ على
طِيٍّ وحده . فعدا حارثُ بن لَأْمٍ رجلاً من قومه يقال له : عترم ، فقال له : أما تستطيع

أن تكفيني مؤونة هذا الخبيث؟ فقال : بلى ، فأرسل عشرة عيون عليه ، فعلموا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائماً في ظلِّ أراكٍ فتزل ومعه آخراً أخذ كل واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فترع يده اليمنى من مُمسكها وقبض على حلق الآخر فقتله وبادر الباقر فأخذه وشدوه وثاقاً وأتوا به حارثة ، فقال له : يا كلب ، إن كنت أسيراً فطالما أسرت ، فقال : من يُر يوماً ير به ، فأرسلها مثلاً ، وقال حوذة وهو ابن المقتول ٥ لحارثة : أعطنيه أقتله بأبي ، فقال : دونكه ! وجعلوا يتكلمون وهو يعالج كآفه حتى آنحل ، ثم وثب على رجله فأتبعوه بالخيال فأعجزهم .

وقولهم : « مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ أَمِنَ الْعَثَارَ » الجَدَدُ : الأرض المستوية : يُضْرَب في طلب العافية .

١٠ وقولهم : « مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا أَثَرُهُ ! » قاله الحارث بن ظالم ، وذلك أنه لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بنهير بن جذيمة العبسي على ما ذكره إن شاء الله في وقائع العرب وهرب ، فوَّجه النعمان فوارس في طلبه فأدركه سحرًا فعطف عليهم وقتل منهم جماعة وكرّوا عليه فجعل لا يقصد لجماعه إلا يفرقها وهو يقول : من يشتري سبني وهذا أثره ، فارتدعوا عنه وأنصرفوا إلى النعمان .

١٥ وقولهم : « مَنْ مَنِ جَعَدٍ وَجَعَدٌ غَيْرَ مُحَمَّدٍ » قاله جعد بن الحُصَيْن أبو صخر ابن جعد الشاعر ، وكان قد كبر ففتزق عنه بنوه وأهله . وبقية له جارية سوداء تحمده ، فغلقت بفتى من الحى يقال له : عرابة ، فجعلت تنفل إليه ما في بيت جعد ، ففطن جعد لذلك ، فقال في ذلك :

أبلغ لديك بنى عمرو مغلغلة * عرا وعوفا وما قولى بمردود

٢٠ بأبى بلى أمسى وفقى داهية * سوداء قد وعدتني نمرًا وعود

تُعْطَى عَرَابَةٌ بِالْكَفَيْنِ مُجْتَنِّحًا ۖ مِنْ الْخَلْقِ وَتُعْطَيْنِي عَلَى الْعَوْدِ
أَمْسَى عَرَابَةٌ ذَا مَالٍ يُسْرَتُ بِهِ ۖ مِنْ مَالٍ جَعِدٍ وَجَعْدٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ
يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَصَابُ مِنْ مَالِهِ وَيَذْمُ .

وقولهم : « من مأمنه يؤتَى الحَذِرُ » قاله أكرم بن صيفي .

وقولهم : « من يَمْشِ يَرْضَ بما ركب » : يضرب للذي يضطر إلى ما كان
يرغب عنه .

وقولهم : « من يَلْقَ أبطالَ الرِجَالِ يَكْلِمَ » قاله عقيل بن علقمة المُرِّي ،
وقد رماد عَمَّسَ ابْنَهُ بِسَهْمٍ فَنَلَّ نَحْدِيهِ . فقال أبياتا منها :
إِنِّي بَنِي زَمَلُونِي بِالْدمِ * سَتَسِنَّةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَنْحَرِمِ
: من يَلْقَ أبطالَ الرِجَالِ يَكْلِمَ * ١٠

وقولهم : « من لَا يَدُّ عَنْ حَوْضِهِ يَهْدِمَ » أي من لم يدفع عن نفسه يُظَلَمَ ،
قاله زهير بن أبي سلمى .

وقولهم : « مُكْرَهُ أَخْوَكُ لَا بَطْلَ » قاله أبو حنّس خال بيّس : يُضْرَبُ لِمَنْ
يُجْمَلُ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ .

وقولهم : « مَنْ نَامَ لَا يَشْعُرُ بِشَجْوِ الْأَرَقِ » : يُضْرَبُ لِمَنْ غَفَلَ عَمَّا يَعْنِيهِ
صاحبه مِنَ الْمَشَقَّةِ . ١٥

حرف النون

وقولهم : « نَفْسٌ عَصَامٌ سَوْدَتْ عَصَامًا » هو عصام بن شَهْرٍ حَاجِبُ النعمان
ابن المنذر : يُضْرَبُ فِي نَبَاهَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قَدِيمٍ ، وَقِيلَ فِي هَذَا :

نَفْسُ عَصَامٍ سَوَدَتْ عَصَامًا * وَعَلِمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

* وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامًا *

وقولهم : « نَظَرَةٌ مِنْ ذِي عَلَقٍ » أى من ذى هوى : يضرب لمن ينظر بودة .

وقولهم : « نَزَّتْ بِهِ الْبَطْنَةُ » : يُضْرَبُ مَنْ لَا يَحْتَمِلُ النِّعْمَةَ ؛

قال الشاعر :

فَلَا تَكُونَنَّ كَالنَّازِي بِبَطْنَتِهِ * بَيْنَ الْقَرِينَيْنِ حَتَّى ظَلَّ مَقْرُونَا

وقولهم : « نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكَا » قال عبد الله بن هَمَّامِ السَّلُولِيُّ :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ * نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكَا

يُضْرَبُ مَنْ يَنْجُو مِنْ هَلَكَةٍ نَشَبَ فِيهَا شُرَكَاءَهُ وَأَصْحَابَهُ .

وقولهم : « نَامَ عَصَامٌ سَاعَةَ الرَّحِيلِ » : يُضْرَبُ مَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ بَعْدَ مَا وُلِّيَ .

حرف الهاء

قولهم « هُدْنَةُ عَلَى دَخَنٍ » .

وقولهم : « هَذَا أَوَانٌ شَدَّكُمْ فَشَدُّوا » .

ومثله قولهم : « هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّى زَيْمٌ » قال الأصمعي : زَيْمٌ أَسْمُ فَرَسٍ : يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُؤْمَرُ بِالْجِدِّ .

وقولهم : « هُوَ عَلَى حَبْلِ ذِرَاعِكَ » أى الأمر فيه إليك : يُضْرَبُ فِي قَرَبِ الْمُتَنَاولِ ؛ وَحَبْلُ الذِّرَاعِ : عَرَقٌ فِي الْيَدِ .

وقولهم : « هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّيْرَ » : يُضْرَبُ فِي سُوءِ أَهْتَامِ الرَّجُلِ بِشَأْنِ صَاحِبِهِ .

وقولهم : « هو بين حاذف وقاذف » الحاذف بالعصا ، والقاذف بالحصى :
يُضْرَبُ لِمَنْ هُوَ بَيْنَ الشَّرِّينِ .

وقولهم : « هو على طَرْفِ الثَّمَامِ » الثَّمَامُ : نبت ضعيف سهل المُتَنَاوَلِ تُسَدُّ بِهِ
خِصَاصُ الْبُيُوتِ ، وَرَبَّمَا حُشِيتْ بِهِ الْمَخَادِبُ قَالُوا : إِنَّهُ يَنْبَغُ عَلَى قَدْرِ قَامَةِ الْإِنْسَانِ :
يُضْرَبُ فِي تَسْهِيلِ الْحَاجَةِ وَقَرَبِ النِّجَاحِ .

وقولهم : « هِيَ الْخَمْرُ تُكْنَى الْطَّلَاءُ » : يَضْرَبُ لِلْأَمْرِ ظَاهِرَهُ حَسَنٌ وَبَاطِنُهُ
عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ .

حرف الواو

- قوله : « وافق شَنْ طَبَقَةً » قال الشرقي بن القطامي : كان رجل من دهاة العرب
وعقلائهم يقال له : شَنْ ، فآلَى أَنَّهُ يَطُوفُ الْبِلَادَ حَتَّى يَجِدَ أَمْرًا مِثْلَهُ فَيَتَرَوَّجُهَا ، فَبَيْنَا
هُوَ فِي بَعْضِ مَسِيرِهِ إِذْ وَافَقَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ فَنَسَارَا جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهُ شَنْ : أَتَحْمَلُنِي
أَمْ أَحْمَلُكَ ؟ فَقَالَ : أَنَا رَاكِبٌ وَأَنْتَ رَاكِبٌ ، فَكَيْفَ تَحْمَلُنِي أَوْ أَحْمَلُكَ ! ثُمَّ سَارَا فَاتَّهَيَا
إِلَى زَرْعٍ قَدْ اسْتَحْصَدَا ، فَقَالَ شَنْ : أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكُلُ أَمْ لَا ؟ فَقَالَ : لَمْ أَرِ
أَجْهَلَ مِنْكَ ، نَبْتًا مَسْتَحْصَدًا فَتَقُولُ : أَكُلُ أَمْ لَا ! فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَارَا حَتَّى دَخَلَا الْقَرْيَةَ
فَلَقِيَا جَنَازَةً ، فَقَالَ شَنْ : أَتَرَى صَاحِبَ هَذَا النِّعْشِ حَيًّا أَمْ مَيِّتًا ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :
تَرَى جَنَازَةً تَسْأَلُ عَنْهَا أُمِّيَّتَ صَاحِبِهَا أَمْ حَيًّا ! فَسَكَتَ عَنْهُ شَنْ وَأَرَادَ مَفَارَقَتَهُ فَأَبَى
أَنْ يَتْرَكَهُ وَسَارَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَكَانَ لِلرَّجُلِ بِنْتُ يُقَالُ لَهَا : طَبَقَةٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَالِمَهَا أَبُوهَا
سَأَلْتَهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ أَجْهَلَ مِنْهُ ، وَحَدَّثَهَا بِحَدِيثِهِ ، فَقَالَتْ : يَا أَبْتَ
مَا هَذَا بِجَاهِلٍ ، قَوْلُهُ : أَتَحْمَلُنِي أَوْ أَحْمَلُكَ ؟ أَرَادَ أَتَحَدِّثُنِي أَمْ أَحَدِّثُكَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ :
أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكُلُ أَمْ لَا ؟ فَأَرَادَ هَلْ بَاعَهُ أَهْلُهُ فَأَكَلُوا مِنْهُ أَمْ لَا ؟ وَأَمَّا الْجَنَازَةُ

فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا؟ فخرج الرجل فقعده مع شَنِّ فخادته، وقال له :
 أتحب أن أفسر لك ما سألتني؟ قال : نعم ، ففسره ، فقال شَنُّ : ما هذا من كلامك ،
 فأخبرني مَنْ صاحبه ؟ فقال : آبنة لى ، فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله ،
 فلما رأوها قالوا : وافق شَنُّ طبقة ، فذهبت مثلاً ، يضرب للتوافقين ؛
 وقال الأصمى : هم قوم كان لهم وعاء من أديم فتشَنَّنَّ بجعلوا له طبَقًا فوافقه ف قيل :
 وافق شَنُّ طبقه ، ورواه أبو عبيد ذ فى كتابه ، وقال ابن الكلبي : طبقة : قبيلة من
 إباد كانت لا تطاق فأوقعت بها شَنُّ بن أفضى بن دُعْمَى فانتصفت منها وأصابته
 فيها فضربتا ، مثلاً ، وأنشد :

لَقِيَتْ شَنُّ إِيَادًا بِالْقَا * طَبَقًا وَافِقَ شَنُّ طَبَقَهُ

وقولهم : «وجدتُ الناسَ أَخْبَرُ تَقَلَّه» أصله أَخْبَرُ الناسَ تَقَلَّهَم : يُضْرَب
 فى ذم الناس وسوء معاشرتهم .

وقولهم : «وَلَوْ دُ الوعد عَاقِرُ الإِنْجَاز» : يُضْرَب لمن يكثر وعده ويقِلُّ نَقْدُهُ .

وقولهم : «وَدَعَ مَالًا مُودِعُهُ» لأنه إذا استودعه غيره فقد ودَّعه وغرَّره
 ولعله لا يرجع اليه .

وقولهم : «وَمَوْرِدُ الْجَهْلِ وَبَنَى الْمَنْهَلِ» : يُضْرَب فى النَّهْيِ عن آسْتِعْمالِ
 الجَهْلِ .

ما جاء فى ما أوْلَه (لا)

قولهم : « لا مَحْبَأً لِعِطْرٍ بعد عَرُوس » ويقال : « لا عِطْرَ بعد عَرُوس »

أول من قاله امرأة من عُدْرَةَ ، يقال لها : أسماء ، بنت عبد الله ، وكان لها زوج من

بنى عمها يقال له : عَرُوسٌ ، فمات عنها ، فترجوها رجل من قومها يقال له نَوَقْلٌ ، وكان أعسرَ أبخرَ بخيلا ذميا ، فلما دخل بها قال : صُمِّي إليك عِطْرُكَ ، فقالت : لا عِطْرَ بعد عَرُوسٍ ، فذهبت مثلا ، ويقال : إن رجلا تزوج امرأة ، فلما أهديت إليه وجدها تَفِلَّةً فقال لها : أين الطَّيِّبُ ؟ فقالت خَبَأْتُهُ ، فقال لها : لا حَبْأَ لِعِطْرِ بعد عَرُوسٍ : يُصْرَب مثلا لمن لا يُدْخِر عنه نفيسٌ .

وقولهم : « لا يُلدَغ المؤمن من حجرٍ مرتين ^(١) » : بضرب لمن أُصيب ونُكِبَ مرّةً بعد أخرى ، يقال هدا من أمثال النبي صلى الله عليه وسلم قاله لأبي عَزّة الشاعر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسره يوم بدرٍ فن عليه وأطلقه ثم أتاه يوم أحدٍ فأسره ، فقال : مَنْ عَلَى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُلدَغ المؤمن من حجرٍ مرتين » أى لو كنت مؤمنا لم تعد لقتالنا .

وقولهم : « لا أطلبُ أثراً بعد عين » أول من قاله مالك بن عمرو العامري ^(٢) ، وكان من حديثه أن بعض ملوك غسان كان يطلب في بنى عامر دَحْلاً فأخذ منهم مالكا وسَمّاكا أبى عمرو العامري فاحتبسهما زمانا ثم دعا بهما ، فقال لهما : إني قاتل أحدا كما ، فأياك أقتل ؟ فجعل كل واحد منهما يقول : آقتلى مكان أنى ، فقتل سَمّاكا وخلى سبيل مالك ، فقال سَمّاك حين ظن أنه مقتول :

فأقسمُ لو قَتَلُوا مالكا * لكنْتُ لهم حَيَّةً راصِدهُ
برأس سبيلٍ على مَرَقِبٍ * ويوما على طُسرٍ وارِدهُ
فأمَّ سَمّاكٍ فلا تجزعى * فللموت ما تلد الوالدهُ

(١) كذا في الأصل . وفي جمع الأمثال وفرادى اللآل : “ لا يلسع ” .

(٢) هكذا في الأصل . وفي جمع الأمثال : “ المامل ” باللام . وفي فرادى اللآل : “ الباهل ” .

وأنصرف مالك إلى قومه فأقام فيهم زمنا ثم إن ركباً مروا وواحد منهم يتغنى بقول سِمْك * فأقسم لو قتلوا مالكا * فسمعته أتم سِمْك، فقالت : يا مالك قبح الله الحياة بعد سِمْك، أخرج في الطلب فخرج فلقي قاتل أخيه يسير في ناس من قومه فقال : من أحسن لى الجمل الأحمر ، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك أكفف ولك مائة من الإبل ، فقال : لا أطلب أثرا بعد عين ، فذهبت مثلا .

وقولهم : « لا يرسل الساق إلا مُمسكا ساقا » أصنائه في الحِرْباء : يضرب لمن لا يدع حاجة إلا سأل أخرى .

وقولهم : « لا ماءك أبقيت ، ولا حرك أنقيت » ويروى : ولا درنك ؛ أصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا فطهرت^(١) وكان معها ماء يسير فأغتسلت به فنقد ولم يكفها لغسلها فعضطها فقال هذا القول فصار مثلا ، وفيل : إن الذى قاله الضب بن أروى الكلاعى قاله لامرأته عمرة بنت سُبَيْع ، قال الفرزدق : وكنت كذات الحيض لم تبقي ماءها * ولا هى من ماء العذابة طاهر

وقولهم : « لا ناقتى فى هذا ولا جملى » المثل للحارث بن عباد حين قتل جَسَّاس بن مُرة كليباً وهاجت الحرب بين الفريقين وأعتزلها الحارث ، قال الراعى : وما هجرتك حتى قلت مُعَانَةً * لا ناقة لى فى هذا ولا جملى

يضرب عند التبرؤ من الظلم والإساءة .

وقولهم : « لا ينتطح فيها عِزَّان » قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : « لا ينبت البقلة ، إلا الحقللة » الحقللة : القَرَّاحُ ، أى لا يلد الوالد إلا مثله : ويضرب مثلا للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس .

وقولهم : « لا تَدْخُلْ بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا » : يضرب في المتخالّين المتصافين .
 وقولهم : « لا يَحْزُنُكَ دَمٌ هَرَأَقَهُ أَهْلُهُ » قال هذا المثل جَذِيعَةٌ : يُضْرَبُ
 لمن يُوقِعُ نَفْسَهُ فيما لا تَخْلُصُ لَهُ مِنْهُ .

حرف الباء

قولهم : « يَدَاكَ أَوْكَا وَفُوكَ نَفَخَ » أصله أن رجلا كالـ في جزيرة من جزائر
 البحر فأراد أن يعبر على زِقٍّ قد نَفَخَ فيه فلم يُحْسِنْ إِحْكَامَهُ ، فلما تَوَسَّطَ البحر
 خرجت منه الريح فغرق فاستغاث برجل ، فقال له : يَدَاكَ أَوْكَا وَفُوكَ نَفَخَ ، فذهبت
 مثلا : يُضْرَبُ لمن يَجْنَى على نفسه الحَيْنَ .

وقولهم : « يَسْجُ وَيَأْسُو » : يُضْرَبُ لمن يُصِيبُ في التدبير مَرَّةً وَيَخْطِئُ
 أخرى ، قال الشاعر :

إِنِّي لَا كَثِيرٌ مَّا سُمْتَنِي عَجَبًا * يَدٌ تَسْجُ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي

وقولهم : « يَسِرُّ حَسَوًا فِي آرْتِغَاءٍ » أصله أن الرجل يُؤْتَى بِاللَّبَنِ فَيُظْهِرُ أَنَّهُ
 يريد الرِّغْوَةَ خَاصَّةً فَيُشْرِبُهَا ، وهو في ذلك يَنَالُ مِنَ اللَّبَنِ : يُضْرَبُ لمن يُرِيكَ أَنَّهُ
 يُعِينُكَ وَإِنَّمَا يَحْتَزُّ النَّفْعَ إِلَى نَفْسِهِ ، قال الكميّ :

فإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَكُمْ صَدُودًا * وَتَحْصَاءَ بَعْلَةً مُرْتَغِيًا

وقولهم : « يَمْشِي رُوَيْدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا » : يُضْرَبُ للرجل يُدْرِكُ حَاجَتَهُ
 فِي تُوْدَةٍ وَدَعَةٍ ، وَيُسَدُّ فِيهِ :

تَسْأَلُنِي أُمُّ الْوَلِيدِ جَمَلًا * يَمْشِي رُوَيْدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا

وقولهم : « يُصْبِحُ ظِمَانًا فِي الْبَحْرِ قَهْ » : يُضْرَبُ لمن يَعاشرُ بِخَيْلٍ مُثْرِيًا .

وقولهم : « يَمْلَأُ الدَّلُو إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ » مأخوذ من قول عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ
 من يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلْ مَا جَدًّا * يَمْلَأُ الدَّلُو إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
 وهو الحبل الذي يُسَدُّ في وسط العَرَاقي : يُضْرَبُ لَمَنْ يَبَالِغُ فِيمَا يَلِي مِنَ الْأَمْرِ .
 وقولهم : « يَكُونُ الْبَعِيرُ مِنْ يَسِيرِ الدَّاءِ » : يُضْرَبُ فِي حَسَمِ الْأَمْرِ الضَّائِرِ
 قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ وَيَتَقَاعَمَ .

وقولهم : « يَعُودُ عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُمُّ » وَيُرْوَى : يَعْدُو ، مَعْنَاهُ يَعُودُ عَلَى الرَّجُلِ
 مَا تَأْمَرُهُ بِهِ نَفْسُهُ فَيَأْتُمُّ ، أَيْ يَمْتَثِلُهُ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ رَشِيدٌ ، وَرَبَّمَا كَانَ هَلَاكُهُ فِيهِ ،
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَحَارِ بْنِ عَمْرِو كَأَنِّي نَعْرُ * وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُمُّ

ومما يَمْتَثِلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ

٢٠

أَمْرِؤُ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ : قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ شَعْرِهِ فِي الْإِسْتِشْهَادِ عَلَى أَهْلِ
 الْعَرَبِ مَا يُسْتَفْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ .

ومن شعره :

* وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيْقَةِ الرَّجُلِ * * رَضِيْتُ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ *

١٥ * إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مُصْـبُوبٌ *

وقال أيضا :

وَقَاهُمْ جَدَّهُمْ بَنَى أَيْهَمَ * وَبِالْأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعِتَابُ

وقال :

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كِفَاخَرُ * ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

زهير بن أبي سلمى يقول :

ومن يغترّب يحسب عدواً صديقه * ومن لا يُكرّم نفسه لا يُكرّم
ومهما يكن عند امرئ من حليقة * ولو خالها تخمى على الناس تُعلم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يُضرّس بانياب ويوطأ بمنّيم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفِرّه ومن لا يتقّ الشتم يُسْتَم
ومن يك ذا فضل فيخلّ بفضله * على قومه يُستغرن عنه ويُذم
ومن لا يذدّ عن حوضه بسلاحه * يهدّم ومن لا يظلم الناس يُظلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه * مُطيع العوالى ركبّت كلّ لَهْدَم
وقال أيضا :

وهل يُنبت الخطي إلا وشيجه * وتُفرّس إلا في منابتها النخل

وقال أيضا :

والسترُ دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من سترٍ

وقال أيضا :

فإن الحقّ مقطّعه ثلاث * يمين أو نفاق أو جلاء

يقول : إنما الحقوق تصحّ بإحدى من هذه الثلاث : يمين أو حاكمة أو حجة واضحة ؛

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعجب من معرفته بمقاطع الحقوق .

النابعة الذبياني : اسمه زباد بن عمرو ، ويكنى أبا أمامة ؛ غلب عليه "النابعة"

لأنه غيّر برهة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال ؛ وكذلك الجعدى ؛ وقيل : إنما لقب بالنابعة

لقوله :

* فقد نبغت لهم متاؤون *

وقيل في نسبه : زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة
 ابن عوف بن سعد بن ذبيان .

فما يُثقل به من شعره قوله :

فإنك كالليل الذي هو مُدركي * فإن مطية الجهل الشهاب *

وقال :

ولست بمُستبقي أحًا لا تُلْمُهُ * على شعث أي الرجال المهذب

وقال أيضا :

استبق ودك للصديق ولا تكن * قَبَّبا يَعْضُ بفاربٍ ملحا

طرفة بن العبد يقول :

حنانك بعض الشر أهون من بعض * ما أشبه الليالة بالبارحة

وقال أيضا :

سُبْدَى لك الأيام ما كنت جادلا * ويأتيك بالأخبار من لم تُرَوِّد

وقال أيضا :

وأعلمُ علما ليس بالشك أنه * إذا ذلّ مولى المرء فهو ذليل

أوس بن حجر يقول :

فإنكما يابئ حبابٍ وُجدتما * كمن دبَّ يستخفي وفي الكفّ جُلجلُ

وقال أيضا :

وما ينهض البازي بغير جناحه * ولا يهمل الماشين إلا الحوامل

إذا أنت لم تُعرض عن الجهل والحنأ * أصبت حلما أو أصابك جاهل

وقال أيضا :

ولست بخائب أبدا طعاما * حذار غد لكل غد طعام

بشر بن أبي خازم يقول :

* وأيدى الندى فى الصالحين قروض * * كنى بالموت نأيا واغترابا *

المتلهس وهو جرير بن عبد المسيح يقول :

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبق الكثير مع الفساد

وقال أيضا :

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرر العصا * وما علم الإنسان إلا لعلما

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * جعلت لهم فوق العرائن ميسما

وما كنت إلا مثل قاطع كفه * بكف له أخرى فأصبح أجذما

وقال أيضا :

ولا يُقيم^(١) على ذل يراقبه * إلا الأذلان غير السوء والوئد

هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يسج فلا يرئى له أحد

الأفوه الأودى^(٢) يقول :

إنما نعمة دنيا معة * وحية المرء ثوب مستعار

(١) كذا بالأصل والرواية المشهورة فى هذا البيت :

ولن يقيم على حسف يسام به * إلا الأذلان غير الحى والود

(٢) ذكرت فى صلب أحد الأصول الفتوغرافيين هذه العبارة : (حاشية : الأفوه لقب واسمه صلاة بن

عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشرة وكان يقال لأبيه :

ورس الشوها . وفيه يقول الأفوه :

أبى فارس الشوها عمرو بن مالك * عداة الوعى إذ مال بالجد عاثر

ووردت أيضا فى الأصل الآخر حاشية بهامشه ولم ترد فى النسخة الراغية .

وصروف الدهر في أطباقه * حَلَقَةٌ فيها ارتفاعٌ وانحدارٌ
بيننا الناس على عليائها * إذ هوَّأ في هَوَاً منها فغاروا

وقال أيضا :

والبيت لا يُتَنَّى إلا له عَمَدٌ * ولا عِمَادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ
فإن تجمَّع أوتادُ وأعمدةٌ * وساكنٌ بلغوا الأمر الذي كادوا
تَهْدِ الأُمُورُ بأهل الرأي ماصِلَحتُ * وإن تولَّتْ فبالأشْرارِ تنقادُ
لا يصلح الناسُ فَوْضَى لَسَرَاةٍ لهم * ولا سَرَاةٍ إذا جُهاَلهم سادوا

تميم بن أُبَيٍّ بن مقبل يقول :

خِلِّي لا تستمعِجلا وانظرا غداً * عسى أن يكون الرفقُ في الأمرِ أَرشداً

وقال أيضا :

ما أنعم العيشُ أو أن الفقى حَجَرٌ * تنبوا الحوادثُ عنه وهو ملبومٌ
حميد بن ثور يقول :

أرى بَصْرِي قد رابحى بعد صحَّةٍ * وحسبك داءٌ أن تصحَّ وتسلما
ولن يلبثَ العصرانُ يوما وليلةً - إذا طَلَبَا - أن يُدْرَكَا ماتِمَا

عدي بن زيد يقول :

كنى واعظا للراء أيامَ دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكلَّ قرينٍ بالمقارِنِ يقتدى
وظلم ذوى القُرْبَى أشدَّ مَضاضَةً * على المرء من وقع الحسامِ المهْتَدِ
إذا ما رأيت الشرَّ يبعث أهله * وقامُ جُنَاحُ الشرِّ للشرِّ فاقْعَد

(٢١)

(١) كذا بالأصل . والمشهور أن هذا البيت لطرفة بن العبد من معلقته التي مطلعها :

نحولة أطلال بركة شمعد * تلوح بكاف الوشم في ظاهري اليد

وقال أيضا :

يا راقدا الليل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

وقال :

قد يدرك المبطل من خطئه * والخير قد يسبق جهد الحريص

وقال :

لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالفصان بالماء أعنصاري

وقال :

فهل من خايدٍ إما هلكا * وهل بالموت يا للناس عارُ

الأسود بن يعقرب يقول :

ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد إباد

أرض تخيرها لطيب مقيلا * كعب بن مامة وابن أم دؤاد

أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذى الشرفات من سندان

جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الأوتاد

فإذا النعم وكل ما يلهى به * يوما يصير إلى بلى ونفاد

علقمة بن عبدة يقول :

فإن تسألوني بالنساء فإنني * عليم بأدواء النساء طيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

يرد ذن ثراء المال حيث علمنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال أيضا :

وكلّ حصين وإن طالت إقامته * على دعائمه لا بدّ مهذوم
ومن تعرّض للغربان يزجرها * على سلامته لا بدّ مشئوم
عمرو بن كلثوم يقول :

وما شرُّ الثلاثة أمّ عمرو * بصاحبك الذي لا تصحينا
وإن غداً وإن اليوم رهنٌ * وبعد غد بما لا تعلمينا

الحارث بن حلّزة يقول :
لا تكسع الشولَ بأغبارها * إنك لا تدري من الناتج^(١)
وأصب لأضيافك ألبانها * وإن شرّ اللبن الواج

حاتم الطائي يقول :
أماوى ما يُفنى الرأى عن الفتى * إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وقد عليم الأقبام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر
وقال أيضا :

وأنت إذا أعطيت بطنك سؤاله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعاً

المرقش الأصغر يقول :
ومن يلق خيراً يحمّد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الفتى لأماً
النمر بن تولّب يقول :

يودّ الفتى طول السلامة جاهدا * فكيف ترى طول السلامة يفعل

(١) كسع الناقة بغيرها : نرك في صرعها بقية من اللبن . وأغبارها جمع عبر وهو بقية اللبن .

وقال أيضا :

ومتى تُصَبِّكْ خَصَاصَةً فَارْجُ الْغَنَى * وإلى الذى يَهَبُ الرِّغَابَ فَارْغِبْ
لا تَغْضِبْنِ عَلَى أَمْرِي فِي مَالِهِ . وعلى كَرَامِ صُلْبِ مَالِكٍ فَاغْضِبْ

وقال :

فلا وأبى النَّاسُ لا يَعْلَمُوا * نَ لِلْخَيْرِ خَيْرٌ وَلِلشَّرِّ شَرٌّ
فِيَوْمَا عَلَيْنَا وَيَوْمَا لَنَا . وَيَوْمَا نُسَاءُ وَيَوْمَا نُشَرُّ

مهلهل بن ربيعة، وأسمه عدى يقول :

أَعِزُّ عَلَى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيتُ * أَخْتُ بَنَى الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُثَمِ
أَنْكَحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي * جَنِبٍ وَكَانَ الْخِلَاءُ مِنْ أَدَمِ
لَوْ بَا بَا زَيْنٌ ^(١) جَاءَ يَخْطُبُهَا * ضَرَجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ
لِيسُوا نَاكَفَانَا الْكَرَامِ وَلَا * يُغْنُونَ مِنْ ذَلَّةٍ وَلَا عَدَمِ

طُفَيْلُ الْغَنَوَى يَقُولُ :

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتْنَ مَعَا * مِنْهُنَّ مُرٌّ وَبَعْضُ الْمُرِّ مَا كَوُلُ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنِ عَنْ خُلُقٍ * فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا يَدَّ مَفْعُولُ

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ يَقُولُ :

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعَتْ * عَلَى وَلَكِنْ شَيَّبَتْنِي الْوَقَائِعُ

وقال أيضا :

وَمَنْ يَكْ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرَا * مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيُبْلِغَ عُدْرًا أَوْ يَسْأَلَ رَغِيَةً * وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُدْرَهَا مِثْلُ مَنْجِجٍ

الأعشى : وهو ميمون بن قيس من بنى قيس بن ثعلبة يقول :

كَطَاحٍ صَخْرَةً يَوْمَا لِفَاقِهَا * فَلَمْ يَضُرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

(١) أبا نان : جيلان في بواحي البحرين .

وقال أيضا :

تَعَالَوْا فَإِنَّ الْحَكَمَ عِنْدَ ذَوِي النَّهْيِ . من الناس كالبقاء بادٍ مَجْوَلُهَا

وقال أيضا :

وَمَنْ يَغْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى * مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرَأً وَمَسَجَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَيِّئُ * يَكُنْ مَا أَتَارَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

وقال أيضا :

عُودَتِ كِنْدَةٌ عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا * اغْفِرْ لَهَا وَلِرَوِّجِهَا

(١١)

لَقِيَطُ بْنُ مَعْبَدٍ يَقُولُ :

قَوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ . ثُمَّ آفَزُوا قَدِيبَالِ الْأَمْرِ مَنْ قَزَعَا
هِيَهَاتَ مَا زَالَتِ الْأَمْوَالُ مَذَابِدَ * لِأَهْلِهَا - إِنَّ أُصَيْبًا وَامْرَأَةً - تَبَعَا

تَأْبِطُ شَرًّا : وَهُوَ نَابِتٌ بْنُ جَابِرٍ يَقُولُ :

لَتَقْرَعَنَّ عَلَى السَّنِّ مِنْ نَدِيمٍ * إِذَا تَذَكَّرْتُ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِ

الْمُثَقَّبُ الْعَبْدِيُّ يَقُولُ :

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أُنْحَى بِحَقِّ * فَأَعْرِفْ مِنْكَ غَنًى مِنْ سَمِينِي

وإِلَّا فَاطْرَحْنِي وَأَتَّخِذْنِي * عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتُتَّقِيَنِي

فَإِنِّي لَوْ تَعَانَدَنِي شِمَالِي * عَنَادَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي

الْمُزْرَقُ الْعَبْدِيُّ يَقُولُ :

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوْلًا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي * وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَلَمَّا أَمْرَقِ

أُفْنُونِ التَّغْلَبِيِّ يَقُولُ :

لِعَمْرِكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي * إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيَا

(١) و يقال أيضا : لقبط بن (معمرو ومعمرو) .

الأَضْبَطُ بن قُرَيْع السَّعْدِيُّ يقول :

قد يجمع المَالُ غيرَ آكله * ويأكل المَالُ غيرُ من جَمَعَه
لا تحقرنَّ الفقيرَ عَلاك أن * تركع يوما والدهرُ قد رَفَعَه
وأقبل من الدهر ما أتاكَ به * من قرعيا بعيشه نَفَعَه

(٢٢)

سُوَيْد بن أبي كاهل يقول :

رُبَّ مَنْ أَنْصَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ * قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ
ویرانی کَالشَّجَى فِي حَلْفِهِ * عَسِرًا تَخْرُجُهُ مَا يُنْتَرَعُ
وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ * وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ
أَتَهَى مَا يَمْتَلِ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَةِ .

ومما يمتثل به من أشعار المُخْضَرَمِينَ

المُخْضَرَمُونَ : هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

منهم لَيْد بن ربيعة ، وفاته سنة إحدى وأربعين ، وعمره مائة سنة وسبع
وخمسون سنة يقول :

وَإِذَا رُمْتُ رَحِيلًا فَارْتَحِلْ * وَأَعْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيمُ الْكَسَلِ^(١)
وَأَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّتْهَا * إِنَّ صَدَقَ النَّفْسُ يُزْرَى بِالْأَمَلِ

وقال أيضا :

وما المَالُ والأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ * وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تَرُدَّ الْوَدَائِعُ
وما المرءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئُهُ * يَحْوَرُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

(١) التَّوَصِيمُ فِي الْجَسَدِ : التَّكْسِيرُ وَالْفَتْرُ وَالْكَسَلُ .

وقال أيضا :

كانت فتاتي لا تلبس لغامز * فالأنها الإصباح والإمساء
ودعوت ربّي في السلامة جاهدا * ليُصَحِّحني فإذا السلامة داء

وقال أيضا :

ذهب الذين يُعاش في أكثافهم * وبقيت في خَلْفٍ بكلد الأجرِب ٥

وقال أيضا :

إلى الحَوْل ثم أَسْمُ السَّلامِ عليكما . ومن بيك حولا كاملا فقد اعتذر

كعب بن زهير يقول :

ومن دعا الناس إلى ذمه * ذمّوه بالحق وبالباطل

١٠ مقالةُ السوء إلى أهلها * أسرع من منحدرٍ سائل

النابعة الجعدى : وهو قيس بن عبد الله ، وقيل حسان بن قيس بن عبد الله
ويكنى النابعة : أبا ليلى ، وهو أَسَنُّ من الذبياني ، وطال عمره حتى أدرك أيام بني أمية ،
وهو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ” لا يَفْضُصُ الله فاك “ ، فما سقطت له
سنّ ، وفي رواية : فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سنّ تثبت له أخرى ، وعاش
عشرين ومائة سنة ، وقيل أكثر . ومما يُثبت به من شعره قوله :

١٥

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكن له * بوادرٍ تحمى صفوه أن يُكدرَا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له * حلمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال أيضا :

كُلبٌ لعمرى كان أكثرَ ناصرا . وأيسرَ جِما منك ضُرج بالدم

٢٠

أمية بن أبي الصَّلْت الثقفى يقول :

تلك المكارم لا قَعْبَانٍ من لبن * شيئا بِناءٍ فعادا بعد أبوالا

حسان بن ثابت يقول :

وإن امرأً يُمسي ويُصبح سالماً * من الناس — إلا ما جنى — لسعيد

وقال أيضاً :

رُبَّ حِلْمٍ أضاعه عَدَمُ الما * لِ وَجهِلٍ غَطَّى عليه النعيمُ

ما أبالي أنبَّ بالحزنِ تيسُ * أم لحاني بظهيرِ غيبٍ لثيمُ

الخطيئة : واسمه جرول بن أوس بن مخزوم . وقيل : جرول بن أوس بن مالك

ابن غطفان بن سعد ويكنى : أبا مليكة ، والخطيئة لقبٌ غلب عليه ؛ قيل لقب به

لقصره وقربه من الأرض ؛ وقيل : حبَّق في مجلس قومه فقال : إنما هي حطاةٌ

فسمي الخطيئة . فما يمتثل به من شعره قوله :

مَنْ يفعل الخيرَ لا يَعدَمُ جوازِيه * لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

دع المكارمَ لا ترحلْ لبُعيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال أيضاً :

أَقْلُوا عليهم لا أَباً لأبيكمُ * من اللومِ أوسدوا المكان الذي سَدُوا

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا * وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شَدُوا

متم بن نويرة يقول :

وكنا كندمانى جَذيمةَ حِقْبةَ * من الدهرِ حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطولِ آجتاجٍ لم نيت ليلةً معاً

أبو ذؤيب الهذلي يقول :

وتجلى للشامتين أريهمُ * أني لرب الدهر لا أنضعضُ

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفت كل تميمية لا تنفعُ

والنفسُ راغبة إذا رَغبتُها * وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تنفعُ

الخنساء : وهي ثَمَاضِرُ بنت عمرو بن الشريد تقول :
وَمَنْ ظَنَ مَنْ يُلَاقِي الحُرُوبَ * بَالَا يَصَابُ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزَا
وقالت أيضا :

نُهِنُ النَفُوسَ وَبَذَلُ النَفَوِ * سَ عِنْدَ الكَرِيهِهْ أَبَقَ لَهَا

عمرو بن معد يكرب يقول :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعِهِ * وَجَاوِزِهِ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وقال أيضا :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَزَرٍّ * فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا

أَنْ الْجَمَالَ مَأْثَرٌ - وَمَكَارِمٌ أَوْرَثَ مَجْدًا

معن بن أوس يقول :

وَفِي النَّاسِ إِنْ رَتَّتَ حَبَالُكَ وَاصِلٌ * وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَيْلِ مُتَحَوِّلٌ

إِذَا أَنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ * إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبَلُ

وقال أيضا :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةُ كُلَّ يَوْمٍ - فَلَمَّا أَسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي^(١)

زياد بن زيد يقول :

وَلَا أَتَمْنَى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي * وَلَكِنْ مَتَى أَتَحْمِلُ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِي

وقال أيضا :

هَلِ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى * رَزِيَّةٌ مَالٍ أَوْ فِرَاقٌ حَبِيبِ

(١) كذا في السبعة الراعية وأحد الأصلين المتنوع رايعين . وفي الأصل المتنوع راقي : الآخر « اشتد » بالشين

المعجمة . وفي اللسان مادة « سد » : « قال الأصمعي اشتد بالشين المعجمة ليس شيء » الخ . (انظر اللسان) .

أَيْمَنَ بن نَحْرِمَ بن فَاتِكِ الاسْدَى يَقُول :

إِنِّ لِلْفَتْنَةِ مِيطًا بَيْنَنَا * فَرَوَيْدَ الْمِيطِ مِنْهَا تَعْتَدِلُ

فَإِذَا كَانَ عَطَاءُ فَأْتِهِمْ * وَإِذَا كَانَ قَتَالُ فَاعْتَرَلُ

اتَّهَى مَا يُثَمِّلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْمُخْضَرِّينَ .

وَمَا يُثَمِّلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ

الْقُطَامَى : وَأَسْمَهُ عُثَيْرِ بن شَيْمٍ يَقُول :

وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا * يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعًا

وَحَيْرُ الْأُمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ * وَلَيْسَ بَأْسٌ تَتَّبِعُهُ أَتْبَاعًا

أَرَاهِمُ يَغْمَزُونَ مِنْ آسَرَكُوا^(٢) * وَيَحْتَنِبُونَ مِنْ صَدَقِ الْمِصْصَاعِ

لِذَاكَ وَمَا رَأَيْتَ النَّاسَ إِلَّا * إِلَى مَا حَزَّ جَانِبَهُمْ سِرَاعًا

وَقَالَ أَيْضًا :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَأَنَّى بَعْضَ حَاجَتِهِ . وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ

وَرَبَّمَا فَاتَ بَعْضَ الْقَوْمِ أَمْرُهُمْ * مَعَ التَّائِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجِلُوا

وَالنَّاسُ مِنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ * مَا يَسْتَهِي وَلَا تَمُ الْخَطِئُ الْهَبْلُ

الطَّرِمَاحِ بن حَكِيمِ بن الْحَكَمِ يَقُول :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي * بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ

وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّسَامِ وَلَنْ تَرَى * شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

الْكَمَيْتِ بن زَيْدِ الْأَسْدَى يَقُول :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَسْنَةُ مَرْكَبٌ * فَلَا رَأْيَ لِلضُّطَّرِّ إِلَّا رَكُوبُهَا

(١) المِيطُ : الشَّدَّةُ وَالْقُوَّةُ . (٢) اسْتَرْكُوا : اسْتَضَعَفُوا .

وقال أيضا :

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءها * ويا حاطباني حبل غيرك تحطب

المساور بن هند يقول :

شقيت بنو أسد بشعر مساور * إن الشق بكل حبل يحق

عدى بن الرقاع يقول :

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني * ضنا به نظري إلى الأمراء
بل ما رأيتُ جبال أرض تستوى * فيما غشيتُ ولا نجوم سماء
كالهرق منه وأبل متتابع - جود وآخر ما يبض بماء
والمرء يورث مجده أبناءه * ويموت آخر وهو في الأحياء

الفرزدق : واسمه همام بن غالب يقول :

فواعجبا حتى كُلبُ تسبني * كأن أباهما نهشل أو مجشع

وقال أيضا :

ترجى ربيع ان يجيء صغارها * بخير وقد أعيا عليك كبارها

وقال أيضا :

فإن تنج منها تنج من ذى عزيمة * وإلا فإنى لا إخالك ناجيا

وقال أيضا :

يمضى أخوك فلا تلق له خلفا * والمال بعد ذهاب المال مكتسب

وقال أيضا :

لبس الشفيع الذى يأنيك مؤتزا * مثل الشفيع الذى يأنيك عمرانا

وقال أيضا :

قُلْ لنُضِيرَ والمرء في دولة السد * طان أعمى ما دام يُدعى أميرا
فإذا زالت الولاية عنه * وأستوى بالرجال عاد بصيرا

وقال أيضا :

ولا تلين لسلطان يُكابدنا * حتى يلين لضرر الماضغ المحر

وقال أيضا :

هل أبك إلا أبْنُ من الناس فأصبرن * فلن يرجع الموتى حين المآتم
جرير هو أبْنُ الخَطَفَى توفى سنة عشر ومائة يقول :
إن الكريمة ينصر الكرم أبْنها * وأبْنُ اللئيمة للثام نصور

وقال أيضا :

زعم الفرزدق أن سيقتل مَرِبا * أبشر بطول سلامة يا مَرِج

وقال أيضا :

وأبْنُ اللَّبُون إذا ما لَزَّ في قَرِين * لم يستطع صَوْلَةُ البُرْل القناعيس

وقال أيضا :

رأيتك مثل البرق يُحسَبُ ضوءه * قريبا وأدنى ضوءه منك نازح

وقال أيضا :

أما الرجال فَعَلَانٌ ونِسْوَتُهُمْ * مثل القنَافِدِ لا حُسْنٌ ولا طِيب

الأخطل : وأسمه مالك بن غياث بن غوث ، وقال أبو الفرج الأصبهاني :

أسمه غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن سَيَّحان بن عمرو ، ورفَعَ نسبُه

إلى جُشَم بن بكر ويكنى : أبا مالك ، قال : وقال المدائني هو غياث بن غوث بن سلمة ابن طارقة . فلما يتمثل به من شعره قوله :

والناس همُّهم الحياة ولا أرى * طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا آتت إلى الذخائر لم تجد * ذخراً يكون كصالح الأعمال

وقال أيضاً :

إن الصنعة تلقاها وإن قدمت * كالعرَّ يكن حيناً ثم ينتشر^(١)
وأقسم المجد حقاً لا يخالفهم * حتى يخالف بطن الراحة الشعر

وقال أيضاً :

وإذا دعوتك يا أنحى فإنه * أحنى إليك مودةً ووصالاً
وإذا دعوتك عمهت فإنه * نسب يزيدك عندهن خبالاً

وقال أيضاً :

صفادع في ظلماء ليل تجاوبت * فدلَّ عليها صوته حياة البحر

وقال أيضاً :

يا مرسل الريح جنوباً وصباً * إن غضبت قيس فزدها غضباً

الصلتان العبدى يقول :

وإن بك بحر الحظَّيين واحداً * فما يستوى حيتانه والضفادع
وما يستوى صدرُ القناة وزجها * وما يستوى في الراحتين الأصابع

كثير عزة : وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي ، توفي سنة خمس ومائة

يقول :

وإني وتهايمى بعزة بعدما * تخلَّيتُ تما بيننا وتخلَّيت

(١) العزبان فتح وبالضم : الحرب .

٢٤

لكالمريحي ظل الغامة كلما * نبوا منها للقيلى أضحت
فقلت لها يا عز كل مصيبة * إذا وطئت يومالها النفس ذلت
هنيئا مريشا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحل

وقال أيضا :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة مطول معنى غريمها

وقال أيضا :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

جميل يقول :

فإن يك حرب بين قومي وبينها * فإني لها في كل نائبة سلم

وقال أيضا :

ولرب عارضة علينا وصلها * بالحد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها في القول بعد تسر : حبي بثينة عن وصالك شاغلي
أو كان في قلبي كقدر قلامة * وصلا وصلتك أو أنك رسائي

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقول :

أيت هذا أنجرت ما تعد * وشت أكادنا مما نجد^(١)
وأسبتت مرة واحدة * إنما العاجز من لا يسند

وقال أيضا :

لا تلمني وأنت زيتها لي * أنت مثل الشيطان للإنسان

(١) الرواية المشهورة في هذا البيت : * وشت أهنا مما نجد *

ومما يمثّل به من أشعار المحدثين

منهم إبراهيم بن هرمة يقول :

عَجِبْتُ أَتَيْلَهُ أَنْ رَأَيْتُنِي مُحِلِّقًا * تَكَلِّتُكَ أُمِّكَ أَيْ ذَاكَ يَرُوعُ
قَدْ يَذْرُوكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرَدَاؤُهُ * خَلَقَ وَجَيْبُ قَمِيصِهِ مَرْقُوعُ

وقال أيضا :

كَتَارَكَةٍ بِيضُهَا بِالْعَرَاءِ * وَمَلْبَسَةٍ بِيضُهَا أُخْرَى جَنَاحَا

بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ يَقُولُ :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مَعَاتِبًا * صَدِيقُكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
فَعَشَ وَاحِدًا أَوْ صِلَ أَحَاكَ فَإِنَّهُ * مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمَجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى * ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ

وقال أيضا :

وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً * فَإِنَّ الْخَوَافِ عُدَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلُّ أَخْتَهَا * وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بَقَائِمَ

وقال أيضا :

كَبِيرٍ تَنَسَّيَ لَذِيذَ النَّكَّاحِ * وَتَفَرَّقَ مِنْ صَوْلَةِ النَّاسِ كَاجِ

وقال أيضا :

أَنْتَ مِنْ قَلْبِهَا مَحَلُّ شَرَابٍ * يُسْتَهَى شَرْبُهُ وَيُخْشَى صُدَاعُهُ

وقال أيضا :

الْحَرِيثُ يَلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبِيدِ * وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
وَصَاحِبِ كَالِدُمَلِّ الْمِدَدِ * حَمَلَتْهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي

وقال أيضا :

وإذا جفوتَ قطعتُ عنك منافعِي * والدُّرُّ يقطعُه جفاءُ الحالبِ

وقال أيضا :

ولو لا الذى خَبَرُوا لم أكن * لِأمدَحَ رِيحَانَةً قَبْلَ شَمِّ

وقال أيضا :

تَأْتِي المقيمَ - وما سعى - حاجتُهُ * عَدَدَ الحصى وَيَحْيِبُ سَعَى الناصِبِ

وقال أيضا :

أنا والله أَشْتَهِي سحرَ عَيْنِي * بِكَ وَأَخْشَى مَصَارِعَ العُشَاقِ

وقال أيضا :

نرجو غدا وغداً كحاملة * فى الحى لا يدرون ماتلُدُ

وقال أيضا :

تسقط الطيرُ حيثَ يَنْتَثِرُ الحبُّ * ونُغْشَى منازلُ الكرماءِ

ليس يُعطيك للرجاءِ ولا الخو * فِى ولكنْ يَلْذُ طعمَ العطاءِ

وقال أيضا :

* والصعبُ يُمكنُ بعدَ ما جمعا .. * وان تَبَلَّغَ العَلْيَا بغيرِ الدراهمِ ^(١)

وقال أيضا :

ولا بدَّ من شكوى إلى ذى مروءة * يواسيك أو يُسليك أو يتوجعُ

أبو العتاهية يقول :

* أَذَلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ * وكلُّ غَنَى فى العيونِ جَلِيلُ *

* روائحُ الجَنَّةِ فى الشبابِ * وأىُّ الناسِ ليس له عُيوبُ *

(١) فى الأغاني طبع دار الكتب المصرية (ج ٣ ص ٢١٤) : ولا تبلغِ العليا بغيرِ المكارم .

وقال أيضا :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْحَدَّةَ * مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ أَيْ مَفْسَدَةٌ

وقال أيضا :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا حَيْكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ

فَإِذَا أَحْتَجْتَ إِلَيْهِ * سَاعَةً بَجَّكَ فَوْهُ

وقال أيضا :

مَا يَحْزُرُ الْمَرْءُ مِنْ أَطْرَافِهِ طَرَفًا * إِلَّا تَحَوَّنَهُ النِّقْصَانُ مِنْ طَرَفٍ

وقال أيضا :

يُصَادُّ فَوَادِي حَيْثُ أَرَمِي وَرَمَيْتِي * تَعُودُ إِنِّي نَحْرِي وَيَسْلُمُ مِنْ أَرَمِي

وقال أيضا :

وَلَرُبَّ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ * قَدْ أَوْرَثَتْ حَرْنًا طَوِيلًا

سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو الْخَاسِرُ : وَهُوَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ
بَصْرِيٌّ لُقِّبَ الْخَاسِرَ لِأَنَّهُ وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ مَصْحَفًا فَبَاعَهُ وَأَشْتَرَى بِثَمَنِهِ طُبُورًا ،
وَقِيلَ : بَلْ خَلَّفَ أَبُوهُ مَا لَا فَاَنْفَقَهُ فِي الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ : إِنَّكَ

لَخَاسِرُ الصَّفِيقَةِ ، فَلُقِّبَ بِذَلِكَ . فَمَا يَتَثَلَّى بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ عَمًّا * وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

لَوْلَا مَنِي الْعَاشِقِينَ مَا تَوَا * غَمًّا وَبَعْضَ الْمَنَى غُرُورُ

وقال أيضا :

وَلَوْ مَلَكَتْ عَيْنَا الرِّيحَ تَصْرِفُهُ * فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا فَاتَكَ الطَّلَبُ

وقال أيضا :

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ حَالَيْهِ * فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبْرِ

صالح بن عبد القدوس يقول :

ما يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والجاهل الآمل ما في غد * كحفظه في اليوم أو أمسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه
والحق داء ما له حيلة * ترجى كبعد النجم من لمسه

٥

وقال أيضا :

وإن عناء أن تفهم جاهلا * فيحسب جهلا أنه منك أفهم
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقال أيضا :

إذا وترت أمراً فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً

١٠

وقال أيضا :

شر المواهب ما تجود به * من غير محمده ولا أحر

وقال أيضا :

لا تجد بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل
إنما الجود أن تجود على من * هو للجود منك والبذل أهل

١٥

وقال أيضا :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم * ويسعد الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفتى من لطف حيلته * لكن جدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الراعي المحيد وقد * يرعى فيرزقه من ليس بالراعي

وقال أيضا :

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أَصْبَتْ جَلِيلًا * فَذَهَابُ الْعِزَاءِ مِنْهُ أَجْلٌ
كُلَّ آتٍ لَاشْكَ آتٍ وَذَوِ الْجَهِّ * لَمْ مَعْنَى وَالْغَمِّ وَالْخِزْنُ فَضْلُ

ابن ميادة : هو الرماح بن أبرد كنيته سُرخبيل يقول :

وَاعْجَبَا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا * يُنْخَطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ

وقال أيضا :

وَأَرَانَا كَالزَّرْعِ يَحْصِدُهُ الدَّهْ * رُحْمَنٌ بَيْنَ قَائِمٍ وَحَصِيدِ
وَكَأَنَّا لِلْمَوْتِ رَكْبٌ مُجْبُو * نَبْ سَرَّاعٍ لِمَنْهَلٍ مُورِدِ

أبو نؤاس الحسن بن هانئ يقول :

* دَعِ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِعْرَاءٌ * أَلَا رَبَّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلُ * ١٠

وقال :

* وَلِلرَّجَاءِ حَرَمَةٌ لَا تُجْهَلُ .. * وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ *

وقال أيضا :

إِذَا امْتَحِنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشِفُ * لَهُ عَنْ عَدُوِّ وَثِيَابِ صَدِيقِ

وقال أيضا :

لَا أَذْودُ الطَّيْرِ عَنْ شَجَرٍ * قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

وقال أيضا :

وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ * أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

وقال أيضا :

صَارَ جَدًّا مَا مَزَحْتُ بِهِ * رَبِّ جِدِّ سَاقِهِ اللَّعِبُ

وقال أيضا :

كفى حَزَنًا أَنْ الجَوَادِ مُقَتَّرٌ * عليه ولا معروف عند بخيل

وقال أيضا :

وأوبه مشتاق بغير دراهم * إلى أهله من أعظم الحدّان

أبو عِيْنَةَ المَهْلَبِيّ يقول :

* وكيف بُحود القلب والعينُ تشهدُ * ولا خيرَ فيمن لا يدوم له عهدُ *
* وشتانَ ما بين الولاية والعزلِ *

وقال أيضا :

وإذا تناولت الرءو * س فغَطَّ رأسك ثم طاطِطه

عبد الله بن أبي عُتْبَةَ المَهْلَبِيّ يقول :

كل المصائب قد تمرّ على الفتى * فتَهَوَّنْ غيرَ شِمَاتَةِ الأعداءِ

وقال أيضا :

ما كنتَ إلا كلحم ميتٍ * دعا إلى أكله اضطوارُ

العبّاس بن الأحنف يقول :

لو كنتِ عاتبةً لسكني رَوْعِي * أَمْلى رضاك وزرتُ غيرَ مرَاقِبِ

لكن مِلَّتِ فما لصدك حيلةٌ * صدّ المَلُولُ خلافُ صدِّ العاتِبِ

وقال أيضا :

صرتُ كَأَنِّي ذبَالَةٌ نُصِبْتُ * تُضَيُّ للناس وهى تحترقُ

وقال أيضا :

أرى الطريقَ قريبًا حين أسلُكهُ * إلى الحبيبِ بعيدًا حين أنصِرُفُ

وقال أيضا :

كفى حَزَنًا أَنْ التَّبَاعَدَ بَيْنَنَا ۖ وَقَدْ جَمَعْتَنَا وَالْأَجْبَةَ دَارُ

وقال أيضا :

أَقْنَا مَكْرَهِينَ بِهَا فَلَمَّا * أَلْفَنَاهَا نَحْرَجْنَا مَكْرَهِينَا

وقال أيضا :

* وَلَا خَيْرَ فِي وَدٍّ يَكُونُ بِشَافِعٍ ۖ مِنْ عَالِجِ الشَّوْقِ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا *

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار ، ثم مولى آل أبي أمامة : أسعد بن زُرَّارَةَ الْخَزْرَجِيِّ وَلَقَّبَ صَرِيحَ الْغَوَانِي ، وَمِمَّا يُتِمُّثَلُّ بِهِ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

دَلَّتْ عَلَى عَيْبِهَا الدُّنْيَا وَصَدَّقَهَا ۖ مَا آسَرَجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أُعْطَانِي

وكان يقول أخذتُ معنى هذا البيت من التوراة .

وقال أيضا :

نَعُدُّ الْفَقِي مَرَّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً * وَهَنَ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ نَوَائِرُ

وقال أيضا :

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ ۖ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ

فَأَذْهَبَ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ ۖ عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

منصور التَّمَرِيُّ : هو منصور بن الزُّرِّقَانِ بن سَلَمَةَ ، وقيل منصور بن سَلَمَةَ

ابن الزُّرِّقَانِ بن شريك ، مُطْعِمُ الْكَبِشِ الرَّحْمَ بِسَمِيِّ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَطْعَمَ نَاسًا زَلُّوا بِهِ وَنَحَرَ لَهُمْ ۖ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا هُوَ رَحِمٌ يَحْنُ حَوْلَ أَضْيَافِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُذَبَّحَ لَهُمْ كَبِشٌ وَيُرْمَى لَهُمْ فَفَعَلَ ذَلِكَ وَزَلَّ عَلَيْهِ فَمَرَّقَنَّهُ ۖ وَهُوَ ابْنُ مَالِكِ بن سعد بن عامر الصَّحْيَانِ ، سَمِيَ

بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ وَحَاكِمَهُمْ وَكَانَ يَحْلِسُ لَهُمْ إِذَا أَضْحَى النَّهَارُ ۖ وَهُوَ ابْنُ سَعْدِ

أَبْنُ الْخَزْرَجِ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ الْيَمْرِ بْنِ قَاسِطِ بْنِ هَنْبِ بْنِ أَنْصَى بْنِ دُعْمَى بْنِ جَدِيلَةَ
أَبْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زِرَارٍ . فَمَا يُتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

لَعَلَّ لَهَا عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ * وَرَبَّ أَمْرِي قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ

وَقَالَ أَيْضًا :

مَا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ * حَتَّى أَنْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعٌ

وَقَالَ أَيْضًا :

أَقْلَلُ عَتَابَ مَنْ آسَرْتِ بُوْدَهُ * لَيْسَتْ تُسَالُ مَسُودَةً بَعْتَابَ

الْعَتَابِيُّ : هُوَ كُلُّنُومِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَيُّوبَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ حَيْشِ بْنِ أَوْسِ بْنِ مَسْعُودِ

(٢٦)

أَبْنِ عَمْرِو بْنِ كُلُّنُومِ الشَّاعِرِ ابْنِ مَالِكِ بْنِ عَتَابِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ

حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمِ بْنِ تَغْلِبَ . فَمَا يُتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

وَإِنْ عَظِيَمَاتِ الْأُمُورِ مَشُوبَةٌ * بِمَسْتَوْدَعَاتِ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَلِلَّهِ فِي عَرَضِ السَّمَاوَاتِ جَنَّةٌ * وَلَكِنهَا مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِ

وَقَالَ أَيْضًا :

قُلْتُ لِلْفَرَقْدَيْنِ وَاللَّيْلِ مُلْقٍ * سُودًا كُفَاهَهُ عَلَى الْآفَاقِ

إِبْقِيَا مَا بَقِيَتَا سَوْفَ يُرْمَى * بَيْنَ شَخْصِيكُمَا بِسَهْمِ الْفِرَاقِ

أَشْجَعُ السُّلَمِيِّ : هُوَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْوَلِيدِ، وَقِيلَ : أَبُو عَمْرِو مِنْ أَهْلِ الرُّقَّةِ .

فَمَا يُتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

نَسِيكٌ مِنْ أَمْسَى يَنَاجِيكَ طَرْفُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التُّرَابِ نَسِيبُ

وقال أيضا :

سبق القضاءُ بكلِّ ما هو كائن * فليجهد المتقلب المحتال

وقال أيضا :

داءٌ قديم في بني آدم * فتنةُ إنسان بإنسان

وقال أيضا :

وعلى عدوك يا بن عم محمد * رَصَدان ضوءُ الصبح والإِظلامُ
فاذا تنبه رعتَه وإذا غفا * سَلَتْ عليه سيوفُك الأحلامُ

الجرهمي :

وأعددتُه ذخرًا لكلِّ مُلمية * وسهمُ الرزايا بالذخائر مولعُ

وقال أيضا :

إذا ما مات بعضُك فابك بعضًا * فإنَّ البعضَ من بعضٍ قريبُ

وقال أيضا :

أرى الحلمَ في بعضِ المواطينِ ذِلَّةً * وفي بعضها عزًّا يسودُ فاعلهُ

وقال أيضا :

ودون الندى في كلِّ قلبٍ ثَمِيَّةٌ * لها مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ

وقال أيضا :

العيش لا عيش إلا ما قَنِعتَ به * قد يكثرُ المسألُ والإنسانُ مُفْتَقِرُ

وقال أيضا :

وهل حازم إلا كآخر عاجز : إذا حل بالإنسان ما يتوقعُ

محمود الورَّاق : هو محمود بن الحسن البغدادي مولى بني زُهرة، ويُكنى
أبا الحسن . فما يُمثَّل به من شعره قوله :

وإذا غلا شيءٌ على تركته * فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

وقال أيضا :

ماكدتُ أخص عن أنى ثقة * إلّا ذمتُ عواقبَ الفحص

وقال أيضا :

الدهر لا يَنقِ على حالة * لا بد أن يُقيلَ أو يُدبرا
فإن تلقاك بمكروهه * فأصبر فإن الدهر لن يصبرا

وقال أيضا :

إذا كان وجهُ العذر ليس بواضح * فإن أطراحَ العذر خيرٌ من العذر

محمود بن حازم الباهلي :

ألا إنما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أم تولت

وقال أيضا :

وقائل كيف نفرقتما * فقلت قولاً فيه إنصاف
لم يك لي شكلاً ففارقته * والناس أشكأل وألأف

السَّموعِل بن عَادياء :

إذا المرء لم يَدَس من اللؤمِ عِرْضه * فكلُّ رداء يرتديه جميل

وقال أيضا :

إذا كنت ملحقاً مُسيئاً ومُحِبِّنا * ففِشيان ما تهوى من الأمر أكيس

محمد بن أبي ذُرَّة الدَّمَشْقِي :

لَا يُؤْنِسُكَ أَنْ تَرَانِي ضَاحِكًا * كَمْ ضَحَكَةٍ فِيهَا عُيُوسٌ كَايُنُ

وقال أيضا :

قَدْ يَهْزُ الْهِنْدِيُّ وَهُوَ حُسَامٌ * وَيُحْتَ الْجَوَادُ وَهُوَ جَوَادُ

- أَبُو الشَّيْصِ : واسمه محمد بن رُزَيْن بن تَمِيم بن نَهْشَل ، وأبو الشَّيْصِ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ عَمُّ دَعِيلِ بْنِ عَلِيٍّ . فَمَا يُثَمِّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :
إِذَا لَمْ تَكُنْ طُرُقَ الْهَوَى لِي ذَلِيلَةً * تَتَكَبَّرُهَا وَانْحَزْتُ مِنْ جَانِبِ السَّهْلِ

عَلَى بْنِ جَبَلَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَهُوَ الْمُتَّقِبُ بِالْعَكَّوكِ قَالَ :

وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوْتُ مِنْ شَرِّتِي * رَدَّتْهُ فِي عِظَتِي وَفِي إِفْهَامِي

- ١٠ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ سَنَنِ الرَّدَى * حَيْثُ الرِّمِيَّةُ مِنْ سِهَامِ الرَّامِي

وقال أيضا :

وَخَافْتُ عَلَى التَّطَوَّافِ قَوْمِي وَأَنَا * تُصَابُ غَرَارُ الْوَحْشِ وَهِيَ رُتُوعُ

الْجَلَّاحِ الْحَارِثِيِّ :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنِّي ذَا الْهَوَى * إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ

- ١٥ وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا أَهَانَ أَمْرُؤُ نَفْسَهُ * فَلَا أَكْرَمَ اللَّهُ مِنْ يُكْرِمُهُ

عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدَلِ :

لَيْسَ لِي عُذْرٌ وَعِنْدِي بُلْغَةٌ * إِنَّمَا الْعُذْرُ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ

وقال أيضا :

وأعلم أن بات الرجاء * تُحَلَّ العزيرَ محلَّ الذليل
وان ليس مُستغنيا بالكثير من ليس مُستغنيا بالقليل

وقال أيضا :

أرى الناسَ أحوثةً * فكونوا حديثًا حسنَ
كأن لم يكن ما أتى . وما قد مضى لم يكن
إذا وطنٌ راجي * فكل بلادٍ وطن
إذا عزَّ يوماً أخو * ك في بعض أمر فهُن

المحدوني :

إن المقدمَ في حدِّ صنعته * أتى توجه فيها فهو محروم

العنبي :

قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها * إن الشبابَ جنون برؤه الكبر

وقال أيضا :

وحسبك من حادثٍ بامرئ * برى حاسديه له راحينا

أبو سعيد الخزومي : وأسمه عيسى بن خالد بن الوليد ، والصحيح أنه أبو سعد
لا سعيد . فما يمثّل به من شعره قوله :

وكم رأينا للدهر من أسدٍ * بالت على رأسه ثعالبه

وقال أيضا :

إذا ضنَّ الجوادُ بما لديه * فما فصل الجواد على البخيل

وقال أيضا :

ليس لبس الطيّاليس * من لباس الفوارس

لا ولا حومة الوغى * كصدور المجالس
وظهور الجياد غير ظهور الطنافس
ليس من مارس الخطو * بكن لم يمارس

دَعْبِل بن علي الخزاعي: هو أبو جعفر واسمه محمد ودعبل لقبٌ غلب عليه،
والدَعْبِل: البعير المسن، وقيل: الناقة التي معها أولادها. فما يُتَنَل به من شعره قوله:

لا تعجبي ياسلم من رجل * صَحَّك المشيبُ برأسه فبكي

وقال أيضا:

هي النفس ماحستته فُحُسن * إليها وما قبَحَّتْهُ فُفُجَح

وقال أيضا:

جئنا به يشفع في حاجة * فاحتاج في الإذن إلى شافع

وقال أيضا:

تلك المساعي إذا ما أترت رجلا * أحب للناس عيباً كالذي عابه
كذلك من كان هذم المجد عادته * فإنه لبناء المجد عيابه

إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

وكل مسافر يزداد شوقاً * إذا دنت الديار من الديار

المؤمل بن أميل:

إذا مَرِضنا أتيناكم نَعُودُكم * وتذنبون فنأتيكم ونَعُودُكم
لا تحسبوني غنياً عن مودتكم * إني إليكم وإن أيسرتُ مفتقر

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول مولى يزيد بن المهلب يكنى أبا إسحاق،

وأصله من خراسان. فما يُتَنَل به من شعره قوله:

ورب أبح ناديتُه للممة * فالقيته منها أجل وأعظما

وقال أيضا :

وكنتم أذم إليكم الزمان * فأصبحتُ فيكم أذم الزمانا
وكنتم أعدك للنائبات * فهأنا أطلبُ منك الأمانا

وقال أيضا :

دنتُ بأفاس عن تناء زيارة * وشططُ بليلى عن دُنُو مزارها
وإن مقيمتٍ بمنقطع اللوى * لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

أبو عليّ البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفي يقول :
فلا تعتذر بالشغل عنا فإتما * تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

وقال أيضا :

لعمري أهلك ما تُسب المعلّى * إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكنّ البلاد إذا أفسحرت * وصوّح نبّها رعى الهشيم

سعيد بن حميد يقول :

* إن جهد المقلّ غير قليل * وعلى المريب شواهد لا تُدفع *

وقال أيضا :

وإنك كالدينا تُدّم صروفها * ونوسعها سبأ ونحن عبيدها

عليّ بن الجهم يقول :

ولكلّ حال معقبٌ ولربما * أجلى لك المكروه عما تحمّد

وقال أيضا :

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار إن زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا أن يزول التجميل

وقال أيضا :

إِرْضَ لِسَائِلَ الْخُضُوعِ وَلَلْقَا * رِفْ ذَنْبًا مَذَلَّةَ الْأَعْذَارِ

ابن أبي فتن : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول :
أرى الدهرَ يُخْلِقُنِي كُلَّمَا * لبستُ من الدهرِ ثوباً جديداً

وقال أيضا :

سَرٌّ مِنْ عَاشٍ مَالُهُ فَإِذَا حَا * سَبَّهُهُ اللَّهُ سَرَّهُ الْإِعْدَامُ

وقال أيضا ،

رَبِّ أَمْرٍ سَرٌّ أُخْرُهُ * بعد ما ساءتْ أوائلُهُ

يزيد بن محمد المهلبى يقول :

* لا عار إن ضامك دهرٌ أو ملكٌ *

١٠

وقال :

وإن النَّاسَ جَمْعُهُمْ كَثِيرٌ * وَلَكِنْ مِنْ تُسَرُّ بِهِ قَلِيلٌ

وقال أيضا :

ومن ذا الذى تُرْضَى سِجَايَاهُ كُلُّهَا * كفى المرءُ نُبَلًّا أَنْ تَعُدَّ مَعَايِيَهُ

١٥

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول :

فإن تَلَحَّظْ حَالِي وَحَالَكَ مَرَّةً * بنظرة عين عن هوى النفس تُحْجَبُ
تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَرًّا مِنْ بُؤْسِ عَيْشَتِي * عليك بيوم من نعيمك يُحْسَبُ

أحمد بن أبي طاهر يقول :

وَدَيْنَ الْفَقْرِ بَيْنَ التَّمَاكُ وَالنَّهْيِ * ودنيا الفقى بين الهوى والتغزير

وقال أيضا :

حسن الفتى أن يكون ذا حسب * من نفسه ليس حسنه حسبه

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يقول :

* ما الحبّ الا للحبیب الأول * لسان المرء من جذم الفؤاد *

* وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع *

وقال :

ما أبّ من أبّ لم يظفر بحاجته * ولم يغب طالب للنجح لم ينجح

وقال أيضا :

ومن لم يُسلم للنواب أصبحت * خلائقه طرا عليه نواشب

وقال أيضا :

لأمرٍ عليهم أن يتمّ صدوره * وليس عليهم أن تتمّ عواقبه

وقال أيضا :

لا تنكرى عطلّ الكريم من الغنى * فالسيل حרב للكان العالى

وقال أيضا :

واذا تأملت البلاد رأيتها * ثرى كما ثرى الرجال وتعدّم

وقال أيضا :

واذا أمرؤ أهدى اليك صنيعه * من جاهه فكأنها من ماله

وقال أيضا :

خلقنا رجالا للتجلد والأسى * وتلك الفوانى للبكا والمآثم

وقال أيضا :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهلٌ * ويكدي الفتى في دهره وهو عالمٌ
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا * هلكن إذا من جهلن البهائم

وقال أيضا :

٥ آلفة النجيب كم أفترق * أطل فكان داعيةً أجناع
ولست فرحة الأبواب إلا * لموقوف على ترج الوداع

وقال أيضا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ^(١) * يوما أتاح لها لسان حَسودٍ
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعرف طيبُ عَرِف العودِ

وقال أيضا :

١٠ خشموا لصولتك التي هي عندهم * كلموت يأتي ليس فيه عار

وقال أيضا :

ذاك الذي قرحت بطون جفونه * مرّها وتربة أرضه من إثمِد

وقال أيضا :

١٥ وتركى سرعة الصدر اعتباطًا * يدلّ على موافقة الورود

وقال أيضا :

ولم أر كالمعروف تُدعى حقوقه * مغارم في الأقوام وهي مغام

وقال أيضا :

وإن أمرأ ضنت يدها على أمرئ * بنيل يد من غيره لبخيل

٢٠ كذا في الأصول . والرواية المشهورة كما في ديوان أبي تمام طبع مصر ٤٣ : « ... طويت ... الخ » .

أبو عبادة البُحترى، وهو الوليد بن عُيَيد بن يحيى بن عُيَيد بن شَمْلان بن جابر
ابن مسلمة بن مُسهر بن الحارث بن خَيْم بن أبي حارثة بن جدى بن زَول بن بُحتر
الطائى . فما يَتمثل به من شعره قوله :

* وأبرحُ مما حلَّ ما يُتَوَقَّعُ *

وقال أيضا :

* وليس تقترن النماءُ والحسدُ *

وقال أيضا .

* إن المعنى طالبٌ لا يظفرُ *

وقال أيضا :

* أرى الكفرَ للنماءِ ضربا من الكفرِ *

١٠

وقال أيضا :

* يزين اللائى فى النظامِ آزدواجها *

وقال :

وكان رجائى أن أووب مملكا * فصار رجائى أن أووب مسلما

وقال أيضا :

١٥

متى أخرجتَ ذا كرم تخطى * اليك ببعض أخلاق اللئيم

وقال أيضا :

والشئ مُنْعَه يكون بَقْوَتِه * أجدى من الشئ الذى تُعْطاهُ

وقال أيضا :

تناسَ ذنوبَ قومك إن حفظَ الذنوبِ إذا قُدْمَنَ * من الذنوبِ

٢٠

وقال أيضا :

واذا ما خَفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا * أن أرى غير مُصْبِحٍ حيث أُمِسِي

وقال أيضا :

مَتَى أَرَيْتِ الدُّنْيَا نَبَاهَةً خَامِلٍ * فَلَا تَنْتَظِرُ إِلَّا نُحُولَ نَبِيهِ

وقال أيضا :

وَأَرَى النُّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا * لَنَجِيبٍ قَوْمٍ لَيْسَ بَابُنِ نَجِيبٍ

وقال أيضا :

وَإِذَا مَا الشَّرِيفُ لَمْ يَتَوَاضَعْ * لِلْأَخْلَاءِ فَهُوَ عَيْنُ الْوَضِيعِ

وقال أيضا :

وَلَمْ أَرِ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتَ * إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفُ بَوَاحِدٍ

وقال أيضا :

لَيْسَ الَّذِي يُعْطِيكَ تَالِدَ مَالِهِ * مِثْلَ الَّذِي يُعْطِيكَ مَالَ النَّاسِ
وَتَفَاضُلُ الْأَخْلَاقِ إِنْ حَصَلَتْهَا * فِي النَّاسِ حَيْثُ تَفَاضُلُ الْأَجْنَاسِ

وقال أيضا :

لَا يِيَّاسُ الْمَرْءُ أَنْ يَنْجِيَهُ * مَا يَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّهُ عَظْبُهُ
يَسْرُكُ الشَّيْءُ قَدْ يَسُوءُ وَكَمْ * نَوَّهَ يَوْمًا بِخَامِلٍ لِقَبْضِهِ

وقال أيضا :

إِذَا حَاسِبِيَّ الْإِتْقَانِ أَدْلَى بِهَا * كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ

وقال أيضا :

وَعَطَاءُ غَيْرِكَ إِنْ بَذَلَ * سَتَ عَنَابَةٍ فِيهِ عَطَاؤُكَ

ديك الجن، وأسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم بن مجد من أهل حمص يقول :
(١) وشافى النَّصْحُ يَعدُلُ بالأشافي * وليس القِدر إلا بالأثافي
وقال :

إذا شجر المودّة لم تجدّه * بغيث البرّ أسرع في الجفاف
وقال أيضا :

يرقدُ النَّاسُ آمنين وريب الدهر يرعاهمُ * بمقلّةٍ لِصَّ
أَبْنِ الرومي يقول :
وكم داخل بين الحميمين مصلح * كما أنغل بين العين والجفنِ مروّد
وقال أيضا :

هو بازٍ صائد أرسلتهُ * فأرجعوه سالما إن لم يصد
وقال أيضا :
وما الحمد إلا توعم الشكر في الفتى * وبعض السجايا ينتسب إلى بعض
إذا الأرض ردت ربيع ما أنت زارعٌ * من البذر فهي الأرض ناهيك من أرض
وقال أيضا :

وإذا أتاكَ من الأمور مقدّرٌ * ففررت منه فنحوهُ نتوجّه
وقال أيضا :
كيف ترضى الفقير عرسا لأمريءٍ * وهو لا يرضى لك الدنيا أمة
وقال أيضا :

عدوك من صديقك مستفادٌ * فلا تستكثر من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

(١) هكذا ورد في جميع الاصول ولم نوفق الى تحقيقه في المراجع التي بين أيدينا .

عبد الله بن المعتز يقول :

* فإن العيون وجوه القلوب *

وقال أيضا :

* أم الكرام قليلة الأولاد *

وقال أيضا :

* أبطأ فيض الدلاء أملؤها *

وقال أيضا :

إصبر على كيد الحسو * د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها * إذ لم تجد ما تأكله

وقال أيضا :

ولاهم إلا سوف يُفتح قفله * ولا حال إلا للفتى بعدها حال

وقال أيضا :

لا تأمنوا من بعد خير شرأ * كم غصني أخضر عاد جمرأ

وقال أيضا :

وإني على إشفاق عيني من البكا * لتجمع منى نظرة ثم أُطرق
كما حُلثت عن ماء ورد طريدة * تمت إليه جيدها وهي تفرق

وقال أيضا وإشارته الى الديك :

صَفَّقَ إما آرتياحة لَسْنَا الـ * فجبر وإما على الدجى أسفا

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائرته
فكيف تراه بعد يمينه صانعا * لمن ليس منه حين تدوى سائرته

وقال أيضا :

ألا قبح الله الضرورة إنها * تكلف أعلى الخلق أدنى الخلاق

وقال أيضا :

وكم قاتل قد قال مالك راجلا * فقلت له من أجل أنك فارس

وقال أيضا :

ومن سره ألا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

ابن طباطبأ العلوي : هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي الأصبهاني يقول :

إن في نيل المني وشك الردى * وقياس القصد عند السرف

كسراج دهنه قوت له * فإذا غرقته فيه طفى

وقال أيضا :

لقد قال أبو بكر * صوابا بعد ما أنصت

نخرجنا لم نصد شيئا * وما كان لنا أفلت

وقال أيضا :

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا * علما ورد من الصبا أياما

منصور الفقيه المقرئ يقول :

يا من يخاف أن يكو * ن ما أخاف سرمدًا

أما سمعت قولهم * إن مع اليوم غدا

وقال أيضا :

الملح يصلح كل ما * يخشى عليه من الفساد

فإذا الفساد جرى عليه * فحكه حككم الرماذ

وقال أيضا :

كُلُّ مذكورٍ من الناس اذا ما * فقدوه صار في حكم الرماد

وقال أيضا :

كُلُّ مذكورٍ من الذ * اس اذا ما فقدوه

صار في حكم حديث * حفظوه ونسوه

وقال أيضا :

كُلُّ من أصبح في دمه * رك مِمَّنْ قد تراه

هو من خلقك مقرا * ض وفي الوجه مِراه

ابن بسّام : هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسّام كنيته أبو الحسن يقول

* وكَمُ أُمْنِيَّةٌ جلبت مِنِّيَّ *

وقال :

ولولا الضرورةُ ما جئْتُكم * وعند الضرورة يؤتى الكنيف

وقال أيضا :

قل لأبي القاسم المرجى * قابلك الدهر بالعجائب

مات لك أبْنٌ وكان زينا * وعاش ذوالشين والمعائب

حياة هذا كهوت هذا * فلست تخلو من المصائب

وقال أيضا :

ربَّ يوم بكيت منه فلما * جزت في غيره بكيت عليه

وقال أيضا :

قد يحمل الشيخُ الكبي * رُجْزَاةَ الطُفْلِ الصغِيرِ

بَحْظَةٌ : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك
النديم يقول :

* وللساكين أيضا بالندى وَلَعٌ *

وقال أيضا :

* وآفة التبر ضَعْفُ مَتَقِدِهِ *

وقال أيضا :

* متى يلتقي المَيْتُ والغاسِلُ *

وقال أيضا :

لا تعدن للزمان صديقا * وأعد الزمان للأصدقاء

وقال أيضا :

وما كذب الذى قد قال قبل * اذا ما مرَّ يوم مرَّ بعضي

وقال أيضا :

اذا الشهر حلَّ ولا رزق لى * فعَدَى لأيامه باطلُ

وقال أيضا :

واذا جفانى جاهلٌ * لم أستخر ما عشتُ قطعة

وجعلته مثل القبو * رأزوره فى كل جمعه

الصنوبرى يقول :

مَحَنُ الْفَقْرِ يُجْبِرُنَّ عَنْ فَضْلِ الْفَقْرِ * كالنار مخبرةٌ بفضل العنبرِ

وقال أيضا :

رَبِّ حَالٍ كَأَنَّهَا مُذْهَبُ الدِّيبِ * باج صارت من رِقَةٍ كَاللَّاذِ

وزمانٍ مثل آبنة الكرم حسنا * عاد عند العيوف مثل الداذي^(٢)
أو ما من فساد رأى الليالى * أن شعري هذا وحالى هذى^(١)

أبو الفتح كشاجم : هو محمود بن الحسين بن السندی بن شاهك، وشاهك
أُمّه يقول :

يُعاد حديثه فيزيد حسنا * وقد يُستقبحُ الشيءُ المُعادُ

وقال أيضا :

شخص الأنام الى جمالك فاستعد * من شر أعينهم بعيب واحد

+ +

ومما يُمثّل به من أشعار المولّدين : منهم

أبو فراس الحمداني :

غنى النفس لمن يعقد * بل خير من غنى المال

وفضل الناس فى الأنف. * س ليس الفضل فى الحال

وقال أيضا :

ونحن أناسٌ لا توسّط عندنا * لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ

تهون علينا فى المعالى نفوسنا * ومن خطبَ الحسنة لم يغلبها مهرُ

وقال أيضا :

وندعو كريما من يجود بماله * ومن يبذل النفس النفيسة أكرمُ

وقال أيضا :

وجميل العدو غير جميل * وقبيحُ الصديق غير قبيح

(١) العيوف : الأبيّ وفى الأصول : (العيون) وهو تحريف .

(٢) الداذي : — جاء على لفظ السب وليس بنسب — شراب مسكر، قال الشاعر :

شربا من الداذي حتى كأننا * ملوك لسا برّ العرافين والبحر

أبو الطيب المتنبي يقول :

* مصائب قوم عند قوم فوائد *

وقال أيضا :

* إن المعارف في أهل النهى ذم *

وقال أيضا :

* وخير جليس في الزمان كتاب *

وقال أيضا :

* وتأتي الطبائع على الناقل *

وقال أيضا :

* ومنفعة الغوث قبل المعطب *

وقال أيضا :

* ومن فرح النفس ما يقتل *

وقال أيضا :

* اذا عظم المطلوب قل المساعد *

وقال أيضا :

* أنا الغريق فما خوفي من الليل *

وقال أيضا :

* فإن الرفق بالحنى عتاب *

وقال أيضا :

* بغیض الى الجاهل المتعاقل *

وقال أيضا :

وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان يثبت العز طيب

وقال أيضا :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلأ * مضرك وضع السيف في موضع الندى

وقال أيضا :

والأمر لله ربّ مجتهد * ما خاب إلا لأنه جاهد

وقال أيضا :

وليس يصحّ في الأفهام شيء * إذا احتاج النهار الى دليل

وقال أيضا :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى * عدوّ له ما من صدّاقته بدّ

وقال أيضا :

وإذا كانت النفوس كباراً * تعبت في مرادها الأجسام

وقال أيضا :

وإن يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافعله اللاتي سررن ألوف

وقال أيضا :

وإذا أتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأنّي فاضل

وقال أيضا :

وما الحسّن في وجه الفتى شرفا له * إذا لم يكن في فعله والخلاق

وقال أيضا :

وما يوجع الحرمان من كفّ حارم * كما يوجع الحرمان من كفّ رازق

وقال أيضا :

إِنَّا لَمِى زَمَنٌ تَرَكُ الْقَبِيحُ بِهِ * مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانًا وَإِجْمَالًا
ذَكَرَ الْفَتَى عَمْرُهُ الشَّامِي وَحَاجَتَهُ * مَا قَاتَهُ وَفَضُولَ الْعَيْشِ أَشْغَالًا

وقال أيضا :

وَقِيدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً ^(١) * وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قِيدًا تَقِيدًا

وقال أيضا :

مَا كُلُّ مَا يَنْتَنِي الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ * تَجْرَى الرِّيحُ بِمَا لَا تَسْتَهِي السُّفُنُ
السَّرِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ السَّرِيِّ الْمَوْصِلِيَّ يَقُولُ :

إِذَا الْعَبْءُ الثَّقِيلُ تَوَزَّعَتْهُ * أَكْفَ الْقَوْمِ هَانَ عَلَى الرِّقَابِ

وقال أيضا :

فَإِنَّكَ كَلِمًا أَسْتَوْدَعْتَ سِرًّا * أَنْتُمْ مِنَ النَّسِيمِ عَلَى الرِّيَاضِ

وقال أيضا :

إِلَى كَمْ أَحْبَبْتُ فِيكَ الْمَدِيحَ . وَيَلْقَى سِوَايَ لَدَيْكَ الْحُبُورَا

أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ هَاشِمٍ الْخَالِدِيُّ يَقُولُ :

إِنْ خَانَكَ الدَّهْرُ فَكُنْ عَائِذَا * بِالْيَسَدِ وَالظُّلْمَاءِ وَالْعَيْسِ

وَلَا تَكُنْ عَبْدَ الْمُنَى فَاَلْمُنَى * رِءُوسَ أُمُومَالِ الْمَفَالِسِ

وقال أيضا :

وَأَيُّ رَخْصَةٍ عَلَيْهِ حَتَّى مَلَّنِي * وَالشَّيْءُ مَمْلُوءٌ إِذَا مَا يَرْخُصُ

مَا فِي زَمَانِكَ مَا يَعْزَّزُ وَجُودَهُ * إِنْ رَمَتْهُ إِلَّا صَدِيقٌ مَخْلُصُ

(١) كذا في الأصول . وفي ديوانه طبع مصر : « في هواك » .

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالديّ [أخوه] يقول :
يا هذه إن رحْتُ في * خَلَقَ فَا في ذاك عَارُ
مذى المدام هي الحيا * ة قيصها خَرَقُ وقَارُ
وقال أيضا :

• صغيرٌ صرفتُ إليه الهوى * وما خاتمٌ في سوى خِنَصَرِ
الحَبَّازُ البلديّ : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان ، نسبة الى "بلد" وهي
من بلاد الجزيرة التي منها الموصل يقول :
إذا استنقلت أو أبغضتَ خلَقًا * وسَرَكَ بعْدُه حتى التَّنَادِ
فشرته بقرض دُرهمات * فإن القرض داعيةُ الفسادِ

١٠ أبو إسحاق الصبائي يقول :
نِعْمَ الله كالوحوش وما نأ * لف إلا الأخايِرَ النِّسَا كا
نقرتها آتَامُ قوم وصارت * لأولى البرِّ والثقي أشرا كا
وقال أيضا :

ومن الظلم أن يكون الرضا سَنَدًا ويبدو الإنكار وسطَ النادى
وقال أيضا :

١٥ الضبُّ والنون قد يُرجى اتِّفَاؤُهُما * وليس يرجى اتِّفَاءُ اللَّبِّ والذَّهَبِ
عبد العزيز عمر بن نباته يقول :

فلا تَحْمِرْنَ عِدْوًا رماك * وإن كان في ساعديه قِصَرُ
فإن السيوفَ تَحْزَنُ الرقاب * وتعجز عما تنال الإبر

وقال أيضا :

مَثَلُ خَلَعْتُ عَلَى الزَّيْمَانِ رِدَاءَهُ * عَوَزُ الدَّرَاهِمِ آفَةُ الْأَجْوَادِ

وقال أيضا :

يَهْوَى الشَّنَاءَ مُبَرِّزًا وَمُقَصِّرًا * حُبُّ الشَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

وقال أيضا :

وَنَبَتْ بِنَا أَرْضُ الْعِرَا * ق فَمَا مَحَنَاهَا بِمَحْنِهِ

غَيْرِ الرَّحِيلِ كَفَى الْبَلَا * د بِرَحْلَةِ النُّجَبَاءِ هُجْنُهُ

ابن لنكك البصرى : هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول :

وماذا أُرَجَى مِنْ حَيَاةٍ تَكَدَّرَتْ * وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَضْغَاثِ أَحْلَامِ

وقال أيضا :

عَدْنَا فِي زَمَانِنَا * عَنْ حَدِيثِ الْمَكَارِمِ

مَنْ كَفَى النَّاسَ شَرَّهُ * فَهُوَ فِي جُودِ حَاتِمِ

وقال أيضا :

جَارُ الزَّمَانِ عَلَيْنَا فِي نَصْرَتِهِ * وَأَيُّ دَهْرٍ عَلَى الْأَحْرَارِ لَمْ يَجْرِ

عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَا لَوْ أَنَّ أَيْدِيَهُ * يُلْقَى عَلَى الْفَلَكَ الدَّوَارِ لَمْ يَدْرِ

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامي يقول :

تَبَسَّطُوا عَلَى الْآثَامِ لِمَا * رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذُّنُوبِ

وقال أيضا :

وَالْمَرْءُ مَا شَغَلَتْهُ فُرْصَةٌ لَذَّةٌ * نَاسِيَ الْحَوَادِثِ آمِنَ الْحَذَثَانِ

وقال :

وَكَانَ رِقَادِي بَيْنَ كَأْسٍ وَرَوْضَةٍ * فَصَارُ سَهَادِي بَيْنَ طَرِيفٍ وَصَارِمِ

وقال أيضا :

ركوبُ الهولِ أركبك المذاكي ^(١) * ولُبسُ الدرعِ ألبسك الغلائلُ

أبو الفرج البَغَاء يقول :

ما الذلُّ إلا تَحْمُلُ المِنَّةِ * فكن عزيزاً إن شئتَ أوفهين

وقال أيضا :

ومن طلب الأعداءَ بالمالِ والطُّبَا * وبالسعد لم يبعد عليه مرامُ

وقال أيضا :

ولم أرُ مذ عرفتُ محلَّ نفسي * بلوعُ مني تساوى حملَ مَنْ

وقال أيضا :

أكلُ وميضِ بارقةِ كذوبُ * أما في الدهرِ شيءٌ لا يريب

١٠

ابن سَكْرَةَ الهاشمي : هو محمد بن عبد الله يقول :

* وعِلَّةُ الحالِ تُنسى عِلَّةُ الجسدِ *

وقال أيضا :

* وقد ينبت الشوكُ بين الأفاقي *

وقال أيضا :

الموتُ أنصف حين عدلِ قِسْمَةٍ * بين الخليفةِ والفقيرِ البائسِ

١٥

ابن الحَجَّاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يقول :

* وربُّ كلامِ تُستنار به الحربُ *

وقال أيضا :

* خَوْذُ تُزَقُّ الى ضَرِيرٍ مُقْعَدِ *

٢٠

(١) المذاكي : الحيل التي تم سها وكلت قوتها .

وقال أيضا :

واللوزة المثرة يا سادتي * يفسد في الطعم بها السكر

وقال أيضا :

مازلت أسمع كم من واقف بحجل * حتى آبتليت فكننت الواقب الجملا

وقال أيضا :

وبى مرضان مختلفان حال ال * حليلة منهما تُمسي بحالى
إذا عالجت هذا جف كبدى * وإن عالجت ذاك رباً طحالى

أبو الحسن الموسوى النقيب : هو محمد بن الحسين بن موسى يقول :

أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه * لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكنى * يا قارب ما عاد بالسراء يُكنى

وقال أيضا :

والحز من حذر الهوا * ن يزاوّل الأمر الحسبا
وهو العظيم وغير بد * ع منه إن ركب العظما

وقال أيضا :

ما السؤدد المطلوب إلا دون ما * يؤمى اليه السؤدد المولود
فاذا هما آتفا تكسرت القنا * إن غالباً وتضعض الجلود

وقال أيضا :

اشتر العز بما به * مع فما العز بغالى
بالقصار البيض إن شد * ت أو السمر الطوال
ليس بالمغبون عقلا * مشتر عزاً بمال

إنما يُذخر الما * ل الحاجات الرجال
والفتى من جعل الأمد * ووال أثمان المعالي

أبو طالب المأمونيّ يقول :
لى فى ضمير الدهر سرٌّ كامنٌ * لا بد أن تستلّه الأقدارُ
وقال أيضا :

وما شرف الإنسان إلا بنفسه * أكان ذووه سادة أم مواليا
وقال :

إذا الغيث وفى الروض واجب حقه * وزاد فإن الغيث للروض ظالمٌ

(٣١)

ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد، عُرِفَ
بأبن العميد، كان أبوه أبو عبد الله وزير مرداويج توفى أبى العميد بالرأى فى محترم
سنة ستين وثلاثمائة يقول :

لن يصرف الدهر من سجيته * أرب أريب وحول ذى حيل
أى معين صفا على كدر الدهر * وأى النعيم لم يزل
وقال أيضا :

من يُشَف من داءٍ بآخر مثله * أثرت جوانحه من الأدواء
داوى جوى بجوى وليس بحازم * من يستكشف النارَ بالحافاء

الصاحب بن عباد : هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد . توفى فى صفر
سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمى بالصاحب لصحبة أبى
العميد يقول :

* بقدر الهموم تكون الهمم * * كم صارم جرب فى خنزير *
٢٠

وقال أيضا :

لقد صدقوا والراقصات الى منى * بأن مودات العدا ليس تنفع
ولو أنى داريت دهرى حية * اذا آستمكنت يوما من اللسع تلسع

الحسن بن على بن عبد العزيز القاضى يقول :

* القلب يدرك ما لا يدرك البصر * * يملك الأحرار بالإيناس *

وقال أيضا :

وما أعجبتنى قط دعوى عريضة * ولو قام فى تصديقها ألف شاهد

وقال أيضا :

يقولون لى فىك آقباض وإتما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجا
اذا قيل هذا موردٌ قلت قد أرى * ولكن نفس الحتر تحمل الظما

وقال أيضا :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق واسع * فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
اذا لم يكن فى الأرض حر يعيننى * ولم يك لى كسبٌ فمن أين أرزق

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى يقول :

* ومن عجب الأيام تركت التعجب *

وقال أيضا :

* لكل صناعة يوما مُدِيلُ *

وقال أيضا :

وإذا مدة الشقى تاهت * جاءه من شقائه متقاضى

وقال أيضا :

عليك بإظهار التجلّد للعدا * ولا تظهرن منك الدنو فتُحرقا

بديع الزمان أبو الفضل الحمداني، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد
توفي سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموماً، وأوفى على الأربعين سنة يقول :

يا حريصاً على الغنى * قاعداً بالمراسدِ
لست في سعيك الذي * خضت فيه بقاصدِ
إن دنياك هذه * لست فيها بخالدِ
بعض هذا وإنما * أنت ساعٍ لقاعدِ

إسماعيل الناشئ يقول :

* وللشباب تُراعى حرمة الكتم^(١) *

وقال أيضاً :

وكنت أرى أن التجارب عُدّة : نغانت نقات الناس حتى التجاربُ

وقال أيضاً :

فركضاً في ميادين التصابي * أحق الخيل بالركض المعار^(٢)

وقال أيضاً :

ولا تجزَعن على أيكّة * أبت أن تُظَلَّك أغصانها

أبو الفتح عليّ بن محمد البستي يقول :

إذا مرّ بي يوم ولم ألتخذ يدًا * ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

وقال أيضاً :

أنا كالوردٍ فيه راحة قوم * ثمّ فيه لآخرين زكّام

(١) الكتم : نبات يخضب به :

(٢) المعاز : الفرس المضمّر .

وقال أيضا :

لا تَرْجُ شيئا خالصا نفعه * فالغيث لا يخلو من العيث

وقال أيضا :

ولم أرَ مثلَ الشكرِ جَنَّةَ غَارِس * ولا مثلَ حسنِ الصبرِ جَنَّةَ لايس

وقال أيضا :

ولن يشرب السمَّ الزُّعافُ أخوا الجحَا * مُدِلًّا بدرياقٍ لديه مجرَّب

وقال أيضا :

ما أَسْتَقَامْتُ قنَاةً رَأَيْتُ إِلَّا * بعدَ أن عَوَجَ المشيبُ قناتِي

وقال أيضا :

وطولِ جِمامِ الماءِ في مُسْتَقَرِّهِ * يَغْيِرُهُ لونا وريحًا ومطعما

وقال أيضا :

إذا حيوانٌ كَانَ طَعْمَةً ضَدَّهُ * توقاه كالْفأرِ الذي يَتَّقِي المَرَأَ

ولا بُشْكُ أن المَرءَ طَعْمَةُ دَهرِهِ * فما باله يا ويحه يأمن الدهرا

وقال أيضا :

لا تَحْقِرِ المَرءَ إِنْ رَأَيْتَ بِهِ * دِمَامَةً أو رِثَاةَ الحَلَلِ

فالنحلُ شيءٌ على ضؤولته * يَسْتَأْرُ منه القى جَنَى العسلِ

٥

١٠

١٥

الباب الثاني

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أوابد العرب

ومعنى الأوابد ها هنا : الدواهي ؛ وهي مما حى الله تعالى هذه الملة الإسلامية منها، وحذر المؤمنين عنها . فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا ﴾ . وكانت للعرب أوابد جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعادة ومداواة ودليلا وتفاؤلا وطيرة . فمنها :

الْبَحِيرَةُ :

قالوا : كان أهل الوريث يعطون لآلهتهم من اللحم ، وأهل المدر يعطون لها من الحارث ، فكانت الناقة اذا أنتجت خمسة أبطن عمدوا الى الخامس ما لم يكن ذكرا فشقوا أذننها ، فذلك : البحيرة ؛ فربما اجتمع منها هجمة من البحر فلا يُميز لها وبر ولا يذكر عليها إن ركب اسم الله ، ولا إن حمل عليها شيء ، فكانت ألبانها للرجال دون النساء .

الوصيلة :

كانت الشاة اذا وضعت سبعة أبطن عمدوا الى السابع ، فان كان ذكرا ذُبح ، وإن كانت أنثى تركت في الشاء ، فان كان ذكرا وأنثى قيل : وصلت أخاها ، فخرما جميعا ، وكانت منافعها ، ولبن الأنثى منها للرجال دون النساء .

السائبة :

كان الرجل يسبب الشيء من ماله ، إما بهيمة أو إنسانا ، فتكون حراما أبدا ،
منافعها للرجال دون النساء .

الحامى :

كان الفحل إذا أدركت أولاده فصار ولده ^(١) جدا قالوا : حمى ظهره ، أتركوه ؛
فلا يحمل عليه ولا يركب ولا يمتنع ماء ولا مرعى . فإذا ماتت هذه التي جعلوها
لآلئهم ، أشترك في أكلها الرجال والنساء ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ
هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾
قالوا : وكان أهل المدر والحريث إذا حرثوا حرثا ، أو غرسوا غرسا ، خطوا
في وسطه خطأ ، فقسموه بين اثنين فقالوا : ما دون هذا الخط لآلئهم ؛
وما وراءه لله ؛ فإن سقط مما جعلوه لآلئهم شيء فمما جعلوه لله رقدوه ، وإن سقط
مما جعلوه لله فمما جعلوه لآلئهم أفزوه ، وإذا أرسلوا الماء في الذي لآلئهم ، فأنفتح
في الذي سموه لله سدوه ، وإن أنفتح من ذلك في هذا قالوا : أتركوه فإنه فقير إليه ،
فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ
بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا مَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ
إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

الأزلام :

قالوا : كانوا إذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه ، ولا يدرون ما الأمر
فيه ولم يصح لهم أخذوا قداحا لهم ، فيها : أفعل ولا أفعل لا يفعل ، نعم لا خير ،

(١) هكذا في الأصول ، والذي في بلوغ الأرب للالوسي ولسان العرب مادة حمى عن الحامى جملة أقوال
قد انفردوا : هو الفحل إذا لقح ولد له فقد حمى ظهره ، وقيل : الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن ، وقيل غير ذلك .

شربطىءٌ سريعٌ، فأما المداراة: فإن قداحا لم فيها بيضا ليس فيها شيء فكانوا يحيلونها
 فمن خرج سهمه فالحق له . وللخضر والسفر سهمان ؛ فيأتون السادن من سدة
 الأوثان فيقول السادن : اللهم أيهما كان خيرا فأخرجه لفلان، فيرضى بما يخرج له .
 فاذا شكوا في نسب الرجل أجالوا له القداح وفيها : صريحٌ، وملصقٌ ؛ فإن خرج
 الصريح ألحقوه بهم، وإن خرج الملصق نفوه وإن كان صريحا، فهذه قداح
 الاستقسام .

الميسر :

قالوا في الميسر : إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجزورَ بينهم ، فيفصلونها
 على عشرة أجزاء ؛ ثم يؤتى بالحُرْصَة وهو رجل يتأله عندهم لم يأكل لحما قط بئنا ،
 ١٠ ويؤتى بالقداح وهو أحد عشر قدحا، سبعة منها لها حظ إن فازت ، وعلى أهلها
 غرم إن خابت ، بقدر ما لها من الحظ إن فازت، وأربعة يُنقل بها القداح ، لا حظ
 لها إن فازت ، ولا غرم عليها إن خابت .

فأما التي لها الحظ : فأولها القد في صدره حرٌّ واحد، فإن خرج أخذ نصيبا،
 وإن خاب غرم صاحبه ثمن نصيب ؛ ثم التوعم ، له نصيبان إن فاز، وعليه ثمن نصيبين
 ١٥ إن خاب ؛ ثم الضريب ، وله ثلاث أنصبا ؛ ثم الحلس ، وله أربعة ؛ ثم النافس ،
 وله خمسة ؛ ثم المسيل ، وله ستة ؛ ثم المعل ، وله سبعة . قالوا : والمسيل يسمى :
 المصْفَحُ ، والضريب يقال له : الرقيب .

وقد جمع صاحب بن عباد هذه الأسماء ونظمها في أبيات فقال :
 إن القداح أمرها عجيبُ ۞ القد والتوعم والرقيبُ
 والحلس ثم النافس المصيبُ * والمصْفَحُ المشتهر النجيبُ
 ٢٠ ثم المعل حفظه الترغيبُ * هالك فقد جاء بها الترتيبُ

وأما الأربعة التي ينقل بها القِداح، فهي : السَّفِيح، والمنِيح، والمُضْعَف،
والوَعْد .

قال ابن قتيبة : والمنِيح له وضعان : أحدهما لا حظ له ، والثاني له حظ ،
فكانه الذي يُمنَحُ حظّه ، وعلى ذلك دلّ قول عمرو بن قبيصة :
بأيديهم مَقْرُومَةٌ وَمَعَاتِي * يعودُ بأرزاق العيال مَنِيحها .

قالوا : فيؤتى بالقِداح كلها وقد عرف كل ما أختار من السبعة ولا يكون الأيسار
إلا سبعة، لا يكونون أكثر من ذلك، فإن تقصوا رجلا أو رجلين، فأحب الباقون
أن يأخذوا ما فضل من القِداح، يأخذ الرجل القِدح والقِدحين يأخذ فوزهما إن
فازا، ويغرم عنهما إن خابا، ويدعى ذلك التَّمِيم قال النابغة :

إني أتمم أيسارى وأمنحهم * من الأيادي وأكسو الجفنة الأدماء

فيعمد الى القِداح ، فتشَدُّ مجموعة في قطعة جَدِيد ثم يعمد الى الحُرْضة فيلقف
على يده اليمنى ثوب لثلاث يمسّ قِدح له في صاحبه هوى ، فيحاييه في إخراجها ، ثم
يؤتى بثوب أبيض يدعى المِجْوَل ، فيبسط بين يدي الحُرْضة ، ثم يقوم على رأسه
رجل يدعى الرقيب ، ويدفع رِبَابَةَ القِداح الى الحُرْضة وهو محوّل الوجه عنها ،

والربابة : ما يجمع فيها القِداح ، يأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب ، فينكر
القِداح بشماله ، فإذا نهد منها قِدح تناوله فدفعه الى الرقيب . فإن كان مما لا حظ له
رُدُّ الى الرّبابة، فإن خرج بعده المُسْبِلُ، أخذ الثلاثة الباقية، وغريم الذين خابوا ثلاثة
أنصياء من جزور أخرى، وعلى هذه الحال يفعل بمن فاز ومن خاب، فربما نحروا

عدة جزر ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئا، وإنما الغرم على الذين خابوا ولا يحلّ
لخائئين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا، فإن فاز قِدحُ الرجل فأرادوا أن يعيدوا قدحه
ثانية على خطار فعلوا ذلك به .

ومنها : نكاحُ المقت : كان الرجل اذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها ، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوانه بمهر جديد ، فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المال ، فأُتِلَ اللهُ تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) .

- ومنها : رمى البعرة : كانت المرأة في الجاهلية اذا توفى عنها زوجها ، دخلت حَفْشًا ، والحَفْشُ : الخُصُّ ، ولبست شرثايبها ولم تَمَسَّ طيبًا ولا شيئًا ، حتى تمرَّ لها سنة ثم تأتي بدابة : حمارٍ أو شاةٍ أو طيرٍ فتفتضُّ به أى تَمَسُّ به ، فقلما تفتضُّ بشيء إلا مات ، ثم تخرج على رأس الحول ، فتعطى بعرة فترمي بها ، ثم تراجع ما شئت من طيب أو غيره ومعنى رميها بالبعرة : أنها ترى أن هذا الفعل هين عليها مثل البعرة المرمية ، فنسخ الإسلام ذلك بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) .

ومنها : ذبح العتائر ، قالوا : كان الرجل منهم يأخذ الشاة ، وتسمى العتيرة والمعتورة فيذبحها ويصب دمه على رأس الصنم ، وذلك يفعلونه في رجب ، والعترة قيل : هو مثل الذبح ، وقيل : هو الصنم الذى يعتله . قال الطرماح

- ١٥ * نخز صريباً مثل عاترة النسك *
أراد بالعاترة : الشاة المعتورة .

عقد السِّلَعِ والعُشْرِ : وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب .

ذبح الظبي : كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغاً فأذبح عنها كذا ، فإذا بلغت ضئ بها ، وعمد الى الأطباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر ، قال الشاعر :

- ٢٠ عَتَاً باطلاً وزوراً كما يُع * تَرَعْنُ مَجْرَةَ الرِّبِيضِ الظَّبَاءِ^(٢)

(١) لعله : « ذبح عنها » . (٢) الربيض : الغنم نفسها .

ومنها : حبس البلايا ، كانوا اذا مات الرجل يشدون ناقته الى قبره ،
ويعكسون رأسها الى ذنبها ، ويغطون رأسها بوليّة وهي : البردعة ، فإن أفلتت لم تُردّ
عن ماء ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ، ليركبها صاحبها في المعاد ،
ليحشر عليها ، فلا يحتاج أن يمشی ، قال أبو زيد :

كالبلايا رءوسها في الولايا * مانحات السموم حراً لحدود

ومنها : خروج الهامة ، زعموا أن الإنسان اذا قُتل ، ولم يطالب بئاره ، نرج
من رأسه طائرٌ يُسمّى : الهامة ، وصاح على قبره : آسقوني ! آسقوني ! الى أن
يطالب بئاره ، قال ذو الإصبع :

يا عمرو إلّا تدع شنى ومثقتى * أضربك حتى تقول الهامة آسقوني

ومنها : إغلاق الظهر ، كان الرجل منهم اذا بلغت إبله مائة ، عمد الى البعير
الذى أمات به ، فأغلق ظهره لئلا يُركب ، ويعلم أن صاحبه حى ظهره ، وإغلاق
ظهره أن ينزع سناسين فقرته ويعقر سنامه .

ومنها : التعمية والتفقيّة ، وكان الرجل اذا بلغت إبله ألفاً فقاً أعين الفحل
يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة ، قال الشاعر :

وهبتها وأنت ذو آمتان * تفقاً فيها أعين البُعْران

فإن زادت عن ألف فقاً العين الأخرى ، فهو التعمية .

ومنها : بكاء المقتول ، كان الذماء لا يبكين المقتول إلا أن يُدرك بئاره ،
واذا أدرك بئاره بكينه ، قال شاعر :

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه * ياطمن حراً الوجه بالأنهار

(١) أمات به : صارت به مائة .

ومنها : رمى السن في الشمس ، يقولون : إن الغلام اذا نقر ، فرمى سنه
في عين الشمس بسببته وإبهامه وقال : أبدليني أحسن منها ، أمن على أسنانه
العوج ، والفَلَج ، والتَّلَج ، قال طرفه :

بدأنه الشمس من منيته * بردا أبيض مصقول الأشر

- ومنها : خضباب النحر ، كانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد
منها ، خضبوا صدره بدم الصيد علامة له ، قال الشاعر :

كأن دماء العاديات بنحره * عصارة حنّاء بشيب مرجل

ومنها : التصفيق ، كانوا اذا ضلّ الرجل منهم في القلاة ، قلب ثيابه ، وحبس
ناقته ، وصاح في أذنها كأنه يومئ الى إنسان ، وصفق بيديه : الوحا الوحا ، النجا النجا !

- هيككل^(١) ، الساعة الساعة ! الى الى ! تجلج ، ثم يحرك الماقة فيهدى ، قال الشاعر :

وأذن بالتصفيق من ساء ظنّه * فلم يدر من أىّ اليدين جوابها

يعنى يسوء ظنّه بنفسه اذا ضل .

ومنها : جرّ النواصي ، كانوا اذا أسروا رجلا ، ومثوا عليه فأطلقوه جزوا ناصيته
وضمعوها في الكانة ، قال الحطيئة :

- قُدنا سلول فسللوا من كنانهم * مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس^(٢)

(١) هكذا في أحد الأصول الفتوغرافية . وفي الأصل الآخر والسنة الراجية : « هيكل » .

(٢) ورد هذا البيت مع تفسيره هكذا في الأصول ، وقد روى هذا البيت في ديوانه (نفسه المحفوظة
المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٣ أدب ش) وفي ترجمته في الأغاني الجزء الثاني طبع دار الكتب ص ١٨٥
ضمن قصيدته في ٥ والزرقان ومناضله عن بغيس هكذا :

- قدناضلك فسللوا من كنانهم * مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس

وردد في لسان العرب مادة دكس :

قد ناصلوا فسللوا من كنانهم * مجدا تليدا وعزرا غير أنكاس

وفسر الأزهري بأن العرب كانوا اذا أسروا أسيرا خيره بن النخيلة وحز الناصية والأمر فان احتار جز
الناصية جروها وخلوا سبيله ثم جعلوا ذلك الشعر في كنانهم فان افتخروا أخرجه وأروهم مفاهيمهم .

يعنى بالنبل : الرجال ؛ وقالت الخنساء :

جززنا نواصيَ فرسانهم * وكانوا يظنون ألاَّ نُجْزَا

ومنها : كي السليم عن الجرب ، زعموا أن الإبل إذا أصابها العُرف أخذوا

الصحيح وكواه زال العُرف عن السقيم ؛ قال النابغة :

وكلفنني ذنبَ امرئٍ وتركته * كذى العُزيمُكوى غيرُهُ وهورانعُ

• ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : تؤمن معه العدو .

ومنها : ضرب الثور ، وزعموا أن الجحَّ تركب الثيرانَ فتصد البقر عن الشرب ؛

قال الأعشى :

وإني وما كلفتماني وربكم * ليعلم من أمسى أعقَّ وأحوبا

لكالثور والجحَّى يركب ظهره * وما ذنبه إن عافت الماء مشرما

وما ذنبه إن عافت الماء باقر * وما إن تعاف الماء إلا ليضربا

وقال آخر :

كذلك الثور يضرب بالهراوى * إذا ما عافت البقرُ الظَّاءُ

ومنها : كعب الأرنب ، كانوا يعلقونه على أنفهم ويقولون : إن من فعل

ذلك لم تصبه عين ولا سحر ، وذلك أن الجحَّ تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من

مطايا الجحَّ لأنها تحيض ؛ قال الشاعر :

ولا ينفع التعشيرُ إن حُمَ واقع * ولا دَعْدَعٌ^(١) يغني ولا كعب أرنب

وقيل لزيد بن كُثُوة : أحقُّ ما يقولون : إن من علق على نفسه كعب أرنب

لم يقربه جَنَّانُ الحَيِّ وعُثمَارُ الدارِ ؟ فقال : إي والله ! ولا شيطانَ الحَمَاطَةِ — الحمَاطَةُ :

(١) كذا في كتاب الحيوان لملاحظ ، ودعدع : كلمة يقولونها عند للفتار . وفي الأصلين الفتوغرافين :

« ددع » وفي هامش إحداهما : « صواه ددع » . وفي النسخة الزراعية : « جدع » بالذال المهملة .

وفي بلوغ الأرب للأوسى (ج ٢ ص ٣٤٨ طبع بغداد) : « زعزعج » .

شجرة التين — وجان العُشرة، وغول القفرة، وكلّ الخوافي، إى والله يطفئ زيراب
السَّعالي .

ومنها : حيض السُّمرة ، يزعمون أن الصبي اذا خيف عليه نظرة أو خطفة،
فُعُلق عليه سنّ ثعلب، أو سنّ هرة، أو حيض سُمرة آمن، فإن الجنينة اذا أرادت
لم تقدر عليه، فاذا قال لها صواحباتها في ذلك، قالت :
كانت عليه نُفرة * ثعالبٌ وهِررة
* والحيض حيض السُّمرة *

ومنها : الطارف والمطروف ، يزعمون أن الرجل اذا طرف عين صاحبه،
فهاجت فمسح الطارف عين المطروف سبع مراتٍ وقال في كلّ مرة : بإحدى جاءت
من المدينة، بائنتين جاءتا من المدينة، بثلاث جنّ من المدينة، الى سبع سكن هيجانها .
ومنها : وطء المقاتليت ، يزعمون أن المرأة المقلات اذا وطئت قتيلا شريفا
بقى أولادها، وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم :
تظلّ مقاتليت النساء يطأنه * يقلن ألا يلقى على المرء مِترُ

ومنها : تعليق الحلى على السليم ، كانوا يعلقون الحلى على المسروع ويقولون
إنه اذا علق عليه أفاق ، فيلقون عليه الأسورة والرّعات، ويتركونها عليه سبعة أيام
ويمنع من النوم، قال النابغة :

يُسَهَّدُ في وقت العشاءِ سليمُها * لحلى النساءِ في يديهِ قعاقُعُ

ومنها : ذهاب الخلدَر، يزعمون أن الرجل اذا خدّرت رجله فذكر أحبّ
الناس اليه ذهب عنه، قال كثير :

اذا خدّرت رجلى دعوتك أَشْفَى * بذكراك من مَذل بها فيمُونُ

وقالت امرأة من كلاب :

إذا خدرت رجلى ذكرتُ ابنَ مُصعب * فإن قلتُ عبد الله أجلي فتورها
وقيل ذلك لابن عمرو قد خدرت رجلاه فقال : يا محمداه .

ومنها : الحَلَّاءُ ، زعموا أنه إذا ظهرت بشفة الغلام بُشوراً ، يأخذ مُنْخَلاً على رأسه ويمز بين بيوت الحى ، وينادى : الحَلَّاءُ الحَلَّاءُ ، فيلقى فى منخله من هاهنا ثمرة ، ومن هاهنا كسرة ، ومن ثم بضعة لحم ، فإذا أمتلأ ، ثره بين الكلاب ، فيذهب عنه البثر ، وذلك البثر يسمى : الحَلَّاءُ .

ومنها : التعشير ، يزعمون أن الرجل إذا أراد دخول قرية ، تخاف وباءها ، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشركا ينق الحمار ، ثم دخلها لم يسبه وباؤها ، قال عُروة بن الورد :

لعمري اثن عشرت من خشية الردى * نهاق الحسير إننى للجزوع

ومنها : عقد الرِّثَم ، كان الرجل منهم إذا أراد سفراً ، عمد الى رثَمٍ يعقده ، والزم : نبت ، فإن رجع وراه معقودا ، زعم أن امرأته لم تحنه . وإن رآه محلولاً زعم أنها قد خانتها ، قال الشاعر :

هل ينفعنك اليوم إن هِمتَ بهم * كثرة ما توصى وتعقدا الرِّثَم
وقال آخر :

خانتها لما رأت شيئا بمفرقه * وغره حلفها والعقد للرثَم

ومنها : دائرة المهةوع ، وهو الفرس الذى به الدائرة التى تسمى : الحَقَّةُ ، يزعمون أنه إذا عرق تحت صاحبه ، آغلمت حليته وطبث الرجال ، قال الشاعر :

إذا عِرق المهةوع بالمرء أنعطت * حليته وأزداد حراً بحجائها

ومنها : شقَّ الرداء والبرقع ، زعموا أن المرأة إذا أحبَّت رجلا أو أحبها ثم لم تشقَّ عليه رداءه ، ويشقَّ عليها برقعها ، فسد جُهِمَا ، فاذا فعل ذلك دام جُهِمَا ، قال الشاعر :

إذا شُقَّ بردُ شُقَّ بالبردُ برُقِعَ * دَوَالِيكَ حَتَّى كُلُّنَا غَيْرَ لَا يَسِ

فكم قد شققنا من رداءٍ محبَّرٍ * ومن برقع عن طفلةٍ غيرِ عانسٍ

ومنها : نوء السماء ، كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل ، قال الشاعر :

ليت السماء ونوءه لم يخلُقْ * ومشى الأفيقُ في البلاد سليما

ومنها : النسيء ، وقد تقدَّم خبره في الفن الأول من الكتاب .

ومنها : وأد البنات ، وقد نهاهم الله عز وجل عنه في قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾ . وكانوا يقتلونهن خشية الإملاق أو من الإملاق ،

وقد قيل : إنهم كانوا يقتلونهن خوف العار أو أن يُسَبَّيْنَ ، مِنْ قَتَلْن خَشْيَةَ الإِمْلَاق

مَا رَوَى عَنْ صَعْمَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ الْمُجَاشَعِيِّ جَدِّ الْفَرَزْدَقِ : أَنَّهُ لَمَّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ أَعْمَلُ عَمَلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَفَيَنْفَعُنِي ذَلِكَ

الْيَوْمَ ؟ قَالَ : « وَمَا عَمَلُكَ » ؟ قَالَ : أَضَلَّاتُ نَاقَتَيْنِ عَشْرًا وَبُنًى ، فَرَكِبْتُ جَمَلًا وَمَضَيْتُ

فِي بُغَائِمِهَا فَرُفِعَ لِي بَيْتٌ حَرِيدٌ ، فَقَصَدْتُهُ فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ بِفَنَائِهِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ النَّاقَتَيْنِ ،

فَقَالَ : مَا نَارُهُمَا ؟ قُلْتُ : مَيْسَمَ بَنِي دَارِمٍ ، قَالَ : هُمَا عِنْدِي ، وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى

بِهِمَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِكَ مِنْ مَضَرٍ ، وَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ كِسْرِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ لَهَا :

مَا وَضَعْتَ ؟ فَإِنْ كَانَ سَقْبًا شَارِكًا فِي أَمْوَالِنَا ، وَإِنْ كَانَتْ حَانِلًا وَأَدْنَاهَا -- -- مَعْنَى قَوْلِهِ

سَقْبًا أَيْ ذِكْرًا ، وَحَانِلًا أَيْ أُنْثَى -- فَقَالَتِ الْعَجُوزُ : وَضَعْتُ أُنْثَى ، فَقَلَبَ أَتْبَعِيهَا ؟

(٣٥)

قال : وهل تتبع العرب أولادها ! قال قلت : أحتمكم ، قال بالنائتين والجل ، قلت : لك ذلك ، على أن ينقلني الجمل وإياها ففعل ؛ فأمنت بك يا رسول الله ، وقد صارت لي سنة على أن أشتري كل موءودة بناقتين عشراوين وجمل ، فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد أنقذتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا ينفعك ذلك لأنك لم تتبّع به وجه الله تعالى وإن تعمل في إسلامك عملا صالحا ^(١) " ^(٢) ثب عليه " ففى ذلك يقول الفرزدق مفتخرا :

وجدى الذى منع الوائدين * وأحيا الوئيد فلم توءد

ومن قتلهم خشية العار : قيس بن عاصم المنقرى وكان من وجوه قومه ومن ذوى الأموال فيهم وكان يثد بناته ، وسبب ذلك : أن النعمان بن المنذر لما منعتة بنو تميم الإناءة التى كانت تؤدّيها له جهّز اليهم أخاه الرّيان بن المنذر ، ومعه بكر بن وائل ففزاهم ، فاستاق النّعم وسبى الذّرارى ، فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحبّ البقاء عليها ، فقال النعمان :

ما كان ضرّ تميّا لو تعمّدها * من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فأناب القوم وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة آخترت أباه ردت اليه وإن آخترت صاحبها تركت عليه ، فكأن آخترن آباءهن إلا أبنه لقيس بن عاصم آخترت صاحبها عمرو بن المشرّج ، فنذر قيس لا يولد له أبنه إلا قتلها ، فاعتل بهذا من وأد وزعم أنه حيّة .

(١) كذا فى النسخة الراعية . وفى باقى الأصول : « تبلى الجمل » وهو تحريف .

(٢) فى الأغاني (ج ١٩) فى الكلام على الفرزدق ، ساق أبو الفرج هذا القصة وقال فقال : هل لى

فى ذلك من أجر يا رسول الله فقال عليه السلام : « هذا باب من البر ولك أجره اذ من الله عليك بالإسلام » . ٢٠

الباب الثالث

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أخبار الكهنة

ويتصل به الزجر والفأل والطيرة والفِراسة والذكاء، وكانت كهنة العرب

- لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام، فُنعت الشياطين من استراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ سِمْهَاتًا رَصَدًا﴾ فعند ذلك انقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال في الوحي. فمن أخبار الكهنة: خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبد المسيح وهو يعالج الموت، فأخبره خبر ما جاء لأجله، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرتجس إيوان كسرى، وسقط منه أربع عشرة شُرْفَةً، ونجّدت نارُ فارس، ولم تكن نحمدت قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، ورأى الموبّدان إبلا صاعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس، فلما أصبح [وأخبر] كسرى تصبّر تشجعا ثم رأى ألا يكتم ذلك عن وزرائه ومرازبته، فلبس تاجه، وقعد على سريره، وجمعهم وأخبرهم الخبر فيبناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بنحود النار فأزداد غمّا وسأل الموبّدان وكان أعلمهم فقال: حادث يكون من قبل العرب، فكتب كسرى الى الثّمان بن المنذر: أن وجه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه عبد المسيح بن حسان بن نقيلة الغساني، فقال له كسرى: أعندك علم بما أريد
- ١٠
- ١٥
- ٢٠

أَن أَسْأَلَكَ عَنْهُ ؟ قَالَ : لِيَجْزِيَنَّ الْمَلِكُ فَإِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ ، وَإِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِمَنْ يَعْلَمُهُ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَاهُ فَقَالَ : عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ خَالٍ لِي يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ : سَطِيحٌ ، فَأَرْسَلَهُ كَسْرَى إِلَيْهِ فَوَرَدَ عَلَى سَطِيحٍ وَقَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ فَلَمْ يُجِبْ سَطِيحٌ جَوَابًا فَأَنْشَدَ يَقُولُ :

أَصَمٌّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمِينِ * أَمْ فَازَ فَازَلَمْ بِهِ شَاؤُ الْعَنَنِ
يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ * وَكَاشَفَ الْكُرْبَةَ عَنْ وَجْهِ الْعَضَنِ
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَى مِنْ آلِ سَنَنْ * وَأَتَمَّهُ مِنْ آلِ ذَنْبِ بْنِ حَجَنْ
أَزْرَقُ مُهَيَّ النَّابِ صَرَّارِ الْأُذُنِ * أَبْيَضُ فَضْفَاضِ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ
رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرَى بِالْوَسَنِ * لَا يَرْهَبُ الرِّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ
يُحِبُّ فِي الْأَرْضِ عَلَى ذَاتِ شَيْخِنْ * تَرْفَعُنِي وَجَمًّا وَتَهْوِي بِي وَجَنْ
حَتَّى أَتَى عَارَى الْجَلَّاحِ وَالْقَطَنْ * تَلْفَهُ فِي الرِّيحِ بَوَغَاءُ الدَّمَنِ
* كَأَنَّمَا حُتِّحَتْ مِنْ حِصْنِي نَكَنْ *

فَفَتَحَ سَطِيحٌ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ : عَبْدُ الْمَسِيحِ ، عَلَى جَمَلٍ مُشَيَّحٍ ، أَتَى إِلَى سَطِيحٍ ، وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الضَّرِيحِ ، بَعَثَكَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ ، لِأَكْرَتِجَاسِ الْإِيوَانِ ، وَنَحُودِ النِّيْرَانِ ، وَرُؤْيَا الْمُؤَبَّدَانِ : رَأَى إِبِلًا صَعَابًا ، تَقُودُ خَيْلًا عِرَابًا ، قَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةً وَأَنْتَشَرَتْ فِي بِلَادِ فَارَسَ ، يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ إِذَا كَثُرَتِ التَّلَاوَةُ ، وَبُعِثَ صَاحِبُ الْهَرَاوَةِ ، وَفَاضَ وَادِي السَّمَاءِ ، وَغَاضَتْ بِحِيرَةُ سَاوَهُ ، وَخَمِدَتْ نَارُ فَارَسَ ، فَلَيْسَ الشَّامُ لِسَطِيحٍ شَامًا ، وَلَا بَابِلُ لِلْفَرَسِ مُقَامًا ، يَمْلِكُ فِيهِمْ مَلُوكٌ وَمَلِكَاتُ ، بَعْدَ الشُّرَفَاتِ ، وَكُلُّ مَا هُوَ أَتَى آتٍ ، ثُمَّ قَضَى سَطِيحٌ لَوْقَتَهُ ، فَتَارَ عَبْدُ الْمَسِيحِ إِلَى رَحْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ :
شَمِّرْ فَإِنَّكَ مَاضِي الْعَزْمِ شَمِيرٌ * لَا يَفْزَعُكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرٌ
إِنْ كَانَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ * فَإِنْ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ

- فربما ربما أضحوا بمنزلة * تهاب صولهم الأسد المهاصير
 منهم أخوال الصرح بهرام وإخوته * والمهرمزان وسابور وشابور
 والناس أولاد علات فمن علموا * أن قد أقل فحقور ومهجور
 وهم بنو الأثم أما إن رأوا نشبا * فذلك بالغيب محفوظ ومنصور
 والخير والشر مقرنونان في قرن * فالحير متبع والشر محذور
 فلما قص الخبر على كسرى قال : إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمور؛ فلك
 منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقون الى زمن عثمان رضى الله عنه .

- ومن أخبارهم : أن سعدى بنت كرز بن ربيعة كانت قد تطزقت وتكهنّت
 وهى خالة عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ روى عنه أنه قال : لما زوّج النبي صلى
 الله عليه وسلم آفته رقية من عتبة بن أبي لهب وكانت ذات جمال رائع ، دخلتني
 الحسرة أو كالحسرة ألا أكون سبقت إليها ، ثم لم ألبث أن أنصرفت الى منزلي فألفيت
 خالتي فلما رأيته قالت :

- أبشر وحييت ثلاثا تترى * ثم ثلاثا وثلاثا أخرى
 ثم بأخرى كي نتمّ عشرا * أذاك خير ووقيت شرا
 نكحت والله حصانا زهرا * وأنت بكر وولقت بكرا
 وافتها بنت نفيس قدرا * بنت نبي قد أشاد ذكرا
 قال عثمان : فعجيت من قولها ؛ وقلت : ماذا تقولين ؟ فقالت :

- عثمان يابن أخت يا عثمان * لك الجمال ولك البيان
 هذا نبيّ معه البرهان * أرسله بحقه الديان
 وجاءه التنزيل والفرقان * فاتبعه لا تتجالك الأوثان^(١)

(١) اجتاله : حوله عن قصده ، ومنه اجتالهم الشياطين أى صرفهم عن هدام الى ضالتها .

فقلت : يا خالة ، إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدتسا فأثبتني لي ، فقلت :
 إن محمد بن عبد الله رسولٌ من عند الله ، جاء بتزئيل الله ، يدعو إلى الله ، مصباحه
 مصباح ، وقوله صلاح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقَرْنَه نطاح ، ذلت له البطاح ،
 ما ينفع الصباح ، لو وقع الذباح ، وسُلت الصَفاح ، ومدَّت الرماح ، قال : ثم قامت
 فأنصرفتُ ووقع كلامها في قلبي ، وجعلت أفكر فيه ، وذكر بعد ذلك إسلامه وترويحه
 رقية ، فكان يقال : أنهما أحسن زوجين اتفاقا وجمالا .

ومنها أن هنداً بنت عُتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المُغيرة ، وكان من فَيان
 قريش ، وكان له بيت الضيافة خارجا من البيوت ، تغشاها الناس من غير إذن ، فخلا
 البيت ذات يوم وأضطجع هو وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته ، وأقبل رجل ممن
 كان يغشى البيت فوجَّله ، فلما رآها ولَّى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها
 برجله وقال لها : من هذا الذي خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيت أحدا ،
 ولا أنتهتُ حتى أنهيتُ ! فقال لها : أرجعي إلى أبيك ، وتكلم الناس فيها ، فقال
 لها أبوها : يا بنية ، إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنبئني نبأك ، فإن يكن الرجل
 عليك صادقا دَسَسْتُ عليه من يقتله ، فتقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذبا حاكمته
 إلى بعض الكُهان ، فقالت : لا والله ! ما هو على بصادق ، فقال له : يافاكه ! إنك
 قد رميت أبنيتي بأمر عظيم ، فحاكمني إلى بعض كُهانِ إيمان ، فخرج الفاكه في جماعة
 من بني مخزوم ، وخرج عُتبة في جماعة من بني عبد مناف ، ومعهم هند ونسوة ، فلما
 شاربوا البلاد ، وقالوا : غدا نرد على الرجل ، تنكرتْ حال هند ، فقال لها عُتبة : إني أرى
 ما بك من تنكر الحال ، وما ذاك إلا لمكروه عندك ، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند
 الناس . سیرنا ! فقالت : لا والله ! ولكني أعرف أنكم تأتون بَشَرًا يخطئ ويصيب
 ولا آمنه أن يسمى ميسما يكون على سُبَّة فقال : إني سوف أختبره لك ، فصفر لفرسه

حتى أدلى ثم أدخل في إحليله حبة حنطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغتوا قال له عتبة: قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيثا أخبرك به، فانظر ما هو؟ فقال: ثمرة، في كمره. قال: إني أريد أئين من هذا، قال: حبة برّ، في إحليل مهر، قال: أنظر في أمر هؤلاء النسوة، بفعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، أنهضى، حتى دنا من هند فقال لها: أنهضى غير رسخاء ولا زانية، ولتلدن ملكا أسمه معاوية، فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده، وقالت: اليك عني فوالله لأحرصن أن يكون من غيرك؛ فتروجها أبو سفيان.

ومنها: أل أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم:

١. إني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق نخرها بمكة، أو الحلاء عن مكة عشر سنين، فرضى أمية وجعل بينهما الخزاعي الكاهن ونحرا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا نجبا له خبيثا فان أصابه تحاكننا اليه، وإن لم يصبه تحاكننا اليه غيره، فوجدا أبا همهمة وكان معهم أطباق جمجمة، أمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأنخوا ببابه وكان منزله بعسفان. فقالوا: إنا قد خبأنا لك خبيثا فأنبتنا عنه. قال: أحلف بالضوء والظلمة، وما بهامة من تهمة، وما بنجد من أكمة، لقد خبأت لي أطباق جمجمة، مع القلندح أبي همهمة فقالوا: صدقت أحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتا ونفسا، قال: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما أهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المائر، أولا منه وآخر، فأخذ هاشم

الإبل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين ؛
فيقال : إنها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبين بني أمية .

ومنها : أن بني كلاب وبني رباب من بني نضر خاصموا عبد المطلب في مال
قريب من الطائف فقال عبد المطلب : المال مالى فسلونى أعطكم ، قالوا : لا ،
قال : فأختاروا حاكماً ، قالوا : ربيعة بن حذار الأسدى فراضوا به وعقلوا مائة ناقة
في الوادى وقالوا : الإبل والمال لمن حُكِم له ، وخرجوا وخرج مع عبد المطلب
حرب بن أمية ، فلما نزلوا بريعة بعث اليهم بجائر ففتحها عبد المطلب ، وأمر فصنع
جزرا وأطعم من أناه ، ونحر الكلابيون والنضريون وشقوا ، ف قيل لربيعة فقال :
إنا عبد المطلب أمرؤ من ولد نخزيمة فتى يملق يصله بنو عمه ، وأرسل اليهم أن أخبروا
لى خبيثاً ، فقال عبد المطلب : قد خبأت كلباً اسمه سوار فى عنقه فلادة ، فى حرزة
مزادة ، وضممتها بعين جرادة ، فقالوا الآخرون : قد رضينا ما خبأت وأرسلوا إلى
ربيعة ، فقال : خبأ ثم خبيثاً حياً ، قالوا : زد ، قال : ذو برن أغبر ، وبطن أحمر ،
وظهر أنمر ، قالوا : قربت ، قال : سما فسَطع ، ثم هبط فقطع ، فترك الأرض بَلَقع ،
قالوا : قُربت فَطَبَّق ، قال : عين جرادة ، فى حرزة مزادة ، فى عنق سوار ذى الفلادة
قالوا : زه زه ! أصبت فاحكم لأشدنا طعانا ، وأوسعنا مكانا ، قال عبد المطلب :
أحكم لأولانا بالخيرات ، وأبعدنا عن السوءات ، وأكرمنا أمهات ؛ فقال ربيعة :
والغسق والشفق ، والخلق المتفق ، ما لبى كلاب وبني رباب من حق ، فانصرف
يا عبد المطلب على الصواب ، ولك فصل الخطاب ؛ فوهب عبد المطلب المال
لحرب بن أمية .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية جملةً تقف عليها في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السفر الرابع عشر من كتاب الأصل .

الزَّجَر

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في زجر الطير : إن العلماء بهذا الفن قالوا :
إذا خرجتَ من منزلك تطلب حاجةً ، أو تخطب امرأةً ، فنَعَبَ غرابٌ عن يمينك
وعن يسارك أو سَنَحَ أو برح فأمض فإنك مُدْرِكٌ حاجتك إن شاء الله تعالى ،
فإن نَعَبَ أمامك أو فوقك فأرجع ففيها تأخير .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنَعَبَ فوق رأسك فأمض فإنك مُدْرِكٌ حاجتك
إن شاء الله تعالى .

فإن خرجتَ تطلب دابةً فنَعَبَ عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع فامض
لحاجتك ، فإن نَعَبَ أمامك فأرجع .

وإن خرجتَ تطلب مالاً ضلّ عنك أو سُرق ، فنَعَبَ غرابٌ على شجرةٍ يابسة
فلا تطلبه فقد آسَتهك وقد يأتيك بعضُه ، فإن نَعَبَ على جدار جديد أو شجرة
خضراء فإنك تصيب مالك إن شاء الله تعالى .

فإن خرجتَ تريد الضَّالَّ فنَعَبَ من ورائك فأرجع فليس لك في ذلك خيرة ،
وإن نَعَبَ عن يسارك فإني خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

فإن خرجتَ تريد الصيد فنَعَبَ من فوقك فأرجع ، فإن نَعَبَ أمامك فامض
فإنك تدرك خيراً .

وإن خرجت تطلب سلطاناً في طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثم طار
ثم نعب أدركت منه طلبتك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالح، وإن نعب عن يسارك
فلا خير فيه .

وإن خرجت من منزلك فرأيت غراباً يمسح منقاره على الأرض فإنك تصيب
أو تأتيك هدية من مكان بعيد .

وإن خرجت تطلب حاجة فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق الى يسارك فنعب
فإنك تدرك حاجتك عجلًا إن شاء الله تعالى ، فإن نعب فوق رأسك فارجع فإني
أخاف عليك بعض أعدائك .

وإن خرجت تريد سلطاناً فنعب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك
فإني أخاف عليك .

فإن خرجت فرأيت غراباً ينفخ ريشه؛ فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجت تريد أرضاً بعيدة فرأيت غراباً يتنفض فامض لحاجتك ، فإنك تدرك
أملك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد السلطانَ فوق غرابٍ على شيء فنعب ثلاث مرات فامض
لحاجتك، فهو خيرٌ عاجل وتيسيرٌ للغواصم إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت فرأيت غراباً ناشراً جناحيه يريد الطيران فامض، فإن نعب فارجع
يومك .

وإن خرجت تريد خصومةً فنعب من فوقك فامض، وإن نعب فأجابه الآخر
فهو جيد صالح .

وإن خرجت تريد خصومةً فنعب من فوقك أو شحج فامض ، فإنك تلقى في يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .

وإن خرج جماعةً وفيهم رجل شريف فشحج غراب^(١) على رأس الشريف ، ثم أتوا ملكاً فإنهم يصيبون خيراً إن شاء الله تعالى .

وإن خرج يطلب حاجةً إلى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يمض في تلك الحاجة ، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثم وقع فهو يدرك حاجته .

وإن خرج يريد السلطان أو بعث إليه وهو لا يدري فرأى غراباً يطير قليلاً ثم يقع فيلقط من الأرض شيئاً فليمض فإنه يصيب سلطاناً وبل قوماً ، وإن رأى غراباً يبحث في الأرض فإن بعض أهله يموت سريعاً ، وإن رآه ينقر في الأرض فذلك ملك .

وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينبع ، فذلك غم يصيبه إلا أن يدفع الله عز وجل عنه .

وإن خرج فرآه يتفص ثم ينبع ثم يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج ، والعلم عند الله .

وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم يقع فذلك خير وسرور يأتيه .

وإن خرج فرأى غراباً يطير نحو عين الشمس فذلك هم يصيبه شديد .
وإن خرج فلقى بقراً فليرجع فإن لقي من البغال شيئاً لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لا بأس بها .

وإن خرج يعود مريضاً فتهق حمار عن يمينه أو عن يساره فالمريض صالح ، وإن نهق خلفه فقد آشتد بالمريض مرضه وأنا خائف عليه .

(١) في الأصلين الفتوغرافين : « سنج » بالحاء المهملة . وفي النسخة الراجية : « شنج » وما أثبتناه هو الأنسب بالمقام . وشحج الغراب : غلظ صوته .

وإن خرج يريد حاجةً فاستقبله غلامٌ يبكي وهو متلَطِّخٌ بِعَذْرَةٍ وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإن حاجته تقضى ، وإن استقبله غلامٌ يعدو ويتلهف فإن حاجته تسمر وتطول .

وإن خرج في حاجته فرأى ورشاً يطير، يرتفع ويهبط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته، وإن رآه يطير مستعلياً فليرجع، وإن رأى حمامةً مسرولةً تطير من فوق رأسه وتدور فإن حاجته مقضيةٌ بعد بطل، وإن رأى حمامةً هابطةً واقعةً تقع وتطير فإن ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فاستقبلته جنازةٌ وجماعةٌ فيرجع يومه ذلك، ولا يعود لحاجته فإنها غير مقضية ، فإن كانت الجنازة قد جاوزته مُدْرَةٍ فليذهب لحاجته ؛ فإن ذلك صالح . وإن رأى نسوةً إلى المقابر وهنّ مقبلات نحوه فليعد حتى يمضين عنه فإنه أنجح لحاجته، وإن رآهن مُدبرات فليمض في حاجته فإنها مقضية .

٣٩

وإن خرج من داره فرأى في أرضها نملاً كثيراً وفي حائطها فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى ذباباً كثيراً مجتمعا على حائط وهو يسمع لمن ديبا فذلك مرض يصيبه في بدنه أو يصيب بعض أهله . ومن رأى ذراً كثيراً وقرداً فذلك فرح ورزق عاجل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دجاجتين يقتتلان بنقر بعضهما فذلك يدل على أنه يقع بينه وبين أمراته كلامٌ وغضب .

وإن خرج من منزله فرأى ورشاً يقتتلان في جو السماء رافعين وهابطين فيأتيه ما يُسرّبه ، وإن رأى كلباً والكلاب تطوف حولها ويتبع بعضها بعضاً : فإن كان عليه دين قضاه الله عنه، وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك، وإن أراد شيئاً يسره الله له ، وإن أراد سفراً تيسراً له ورجع سالماً .

وإن خرج فرأى على رجل قربة ثم آنشت فليرجع الى منزله ويتعوذ بالله من شر ذلك اليوم فإنه مكروه جدا .

وإن خرج فرأى رجلاً وهو يريد أن يملأ قربة فليمض في حاجته فإنه فرح وسرور وخير يناله عاجلاً إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حمرا أو بغلا عليه راوية مملوءة فشأنه غير صالح وهو مكروه ، وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليمض لحاجته مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فرأى جملا عليه حطب أو بعض منافع الناس فهو من علامات النجاح في الخصومة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وعليه صاحبه فإن ذلك خير يأتيه وينبغي اليه بعض أهله من مكان بعيد .

قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه مُناخا يرغو فإن ذلك خير يأتيه ويُخبر عن شيء مما يحب من تزويج أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شرد ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدل على ظفوره بعدوه وانتقامه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره .

ومن خرج من منزله فرأى قرداً يتقلب والناس حوله فليمض لحاجته فإنها مقضية .

وإن خرج فرأى القرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه الى أن يتقلب ظهرا لبطن في الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلاما يلعبون بالأكرة ويتسابقون فليمض في وجهه ذلك فإنه يصيب رفعةً وشرفاً وتمكنا من السلطان ويصيب مالا عظيما .

وإن خرج فرأهم ياعبون بالصواب لجة فهو رفعة ويدل على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان، ويركب أمراً عظيماً من عمله فليتنق الله .

وإن رأى جوارى ياعين بالطرق كأنهن يزفن عمر وسافهوه خير وسرور ودخول في أمر شريف وأنه يريح ربها عظيماً، وهو خير الزجر .

وإن خرج فرأى عصفورين يلقتان الحب فهو صالح، وإن رآهما يتسافدان فهو

خير يناله في يومه، وإن رآهما مدبرين فليعض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فتعلق بشوبه شيء فليرجع، فإنى أكره له أن يذهب في حاجته تلك .

وإن خرج فرأى حداةً تسفد حداةً وهى نصيح فهو نجاح فليعض لحاجته .

وإن خرج فعثر فلا يذهبن في تلك الحاجة وليؤخرها .

ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكهانة .

فمن ذلك ما حكى أن أمية بن أبى الصّلت الثّقفى، بدا هو يشرب مع إخوان له

في قصر عيلان بالطائف إذ سقط غرابٌ على شُرْفَةِ القصر فنعب نعبه فقال أمية :

بفك الكنكك أى التراب فقال له أصحابه : ما يقول؟ قال يقول : إنك إذا شربت

الكأس التى بيدك متّ ، ثم نعب نعبه أخرى ، فقال أمية كقائله الأولى فقال

أصحابه : ما يقول؟ قال : يزعم أنه يقع على هذه المذبلّة فى أسفل القصر فيستثير عظماء

فينباعه فيشجى به فيموت ، فوقع الغرابُ على المذبلّة فأثار العظم وأبتله فشجى

فمات ، فانكر أمية ووضع الكأس من يده وتغيّر لونه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا

مثل هذا وكان باطلاً ، وألحوا عليه حتى شرب الكأس فما فاعمى عليه ثم أفاق فقال :

لا برىء فأعترد ، ولا قوى فانتصر ، ثم خرجت نفسه .

وزعموا أن رجلاً من كعب خرج في جماعة ومعهم سقاء من لبن فسار صدر يومه

فعطش فأناخ ليشرب ، فإذا غراب ينعب فأثار راحلته ، ثم سار فلما أظهر أناخ

ليشرب، فنعب الغراب وتمزغ في التراب فضرب الرجل السقاء بسيفه فاذا فيه أسود^(١) ضخَّم فقتله، ثم سار فاذا غراب وقع على سِدْرَةٍ، فصاح به فوقع على سَلَمَةٍ، فصاح به فوقع على صخرة، فأتتهى إليها فانار كَنْزاً، فلما رجع الى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟ قال : سِرْتُ صدر يومي، ثم انخْتُ لأشرب فنعب الغراب، قال أثره وإلا فلست بابي، قال : أثرته، ثم انخْتُ لأشرب فنعب الغراب وتمزغ في التراب، قال : أضرب السقاء وإلا فلست بابي، قال : فعلتُ، فاذا أسود ضخَّم، قال : ثم مه ! قال : ثم رأيتُ غراباً على سِدْرَةٍ، قال : أطره وإلا فلست بابي، قال : فعلتُ فوقع على سَلَمَةٍ، قال : أطره وإلا فلست بابي، قال : فعلتُ فوقع على صخرة^(٢)، قال : أحيد يا بني ! فأحذاه ومن الزجر : ما يروى أن كسرى أبرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجراً ومصوراً وقال للزاجر : أنظر ما ترى في طريقك وعنده، وقال للمصور : ائتنى بصورته، فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته، وقال للزاجر : ما رأيت ؟ فقال : لم أرمأ أزجره حتى الآن وأرى أمره يعلو عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك .

وقيل : إن كثيراً تعشق امرأة من خِزاعة يقال لها : أم الحويرث، فشَبَّ بها فكهت أن يفضحها كما فضح عزة فقالت له : إلك رجل فقير لا مال لك فابغع^(١)، الا ، ثم تعال فاحطبنى كما يخطبُ الكرام قال : فاحطنى لى ووثقْ أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك خلقت ووثقت له، فمدح عبد الرحمن بن [ابريق] الأزدي وخرج اليه، فأتى ظباءً سوانخ، ولقى غراباً يفحص التراب بوجهه، فتطير من ذلك حتى قدم على حى من لُهب فقال : أيتكم يزجر ؟ قالوا : كلنا، فمن تريد ؟ قال : أعلمكم بذلك ،

(١) الأسود : العظيم من الحيات . (٢) أحذاه من العنبة : أعطاه منها .

(٣) الزيادة عن الأغاني ، وفي الأصل بياض .

قالوا : ذلك الشيخ المنحني الصُّلب ، فأناه فقصَّ عليه القصَّة فكبره ذلك له وقال :
قد ماتت أو تزوجت رجلا من بنى عمِّها ، فقال كثير :

تيممتُ لِهَبَا أبتغى العِلْمَ عندهم * وقد رُدَّ علمُ العائفين ^(١) الى لِهَبِ
تيممتُ شيخا منهم ذا بَجالة ^(٢) * بصيرا بزجر الطير مُنحني الصُّلبِ
فقلتُ له ماذا ترى فى سوانح * وصوتِ غرابٍ يفحص الوجه بالترِبِ
فقال جرى الطير السذِجَ بينها * ونادى غرابٌ ^(٣) بالفراق وبالسايبِ
فإلا تكن ماتت فقدد حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كعبِ

قال : ثم مدح الرجل الأزدي فأصاب منه خيرا ، ثم قدِم عليها فوجدها قد تزوجت
رجلا من بنى عمِّها فأخذهُ الهلاس ^(٤) فكشَّح جنباه بالنار ، فلما آندمل من علته ووضع
يده على ظهره فاذا هو برقتين فقال : ما هذا؟ قالوا : أخذك الهلاس وزعم الأطباء
أنه لا علاج لك إلا بالكشَّح بالنار فكشَّحتَ بها ، فانشأ يقول :

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها * علام تعينى وتكجى دوائيا
ولو آدونى قبل أن يرقوا بها * لقلتُ لهم أم الحويرث دائيا

وحكى أن صاحب الروم بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له :
أنظر أين تراه جالسا ، ومن الى جانبه ، وأنظر ما بين كتفيه حتى انلتم والشامة ، فقدم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم على تَنَيز واضعا قدميه فى الماء ، وعن يمينه على عليه
السلام ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : ” تحوّل فانظر ما أمرتَ به ” فنظر

(١) كذا فى الأغاني وبلوغ الأرب ، وفى الأصول : « العاشقين » . وهو تحريف .

(٢) البجالة : الشرف والسيادة .

(٣) كذا فى بلوغ الأرب للألوسى . وفى الأصل والأغاني : . وقال غراب جد منهم السكب *

(٤) الهلاس : الدقة والضمور ومرض السل .

ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر، فقال : ليعلوت أمره وليملكن ما تحت قدمي وقال :
بالنشر : العلو، وبالماء الحياة .

ومن الزجر : ما روى عن أبي ذؤيب الهذلي قال : إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحى خيفةً عليه فبت ليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها حتى اذا قُرب السَّحَر غفوتُ فتهتفى لى هاف يقول :
• حَطْبُ أَجَلِ أَنَاخٍ بِالْإِسْلَامِ * بَيْنَ التَّخِيلِ وَمَعْقِدِ الْآطَامِ
فُقِضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعَيُونُنَا * تَذَرِي الدَّمْعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبتُ من نومي فزعاً، فمظرتُ الى السماء فلم أر إلا سعد الذابح، فنفأْتُ به ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو ميتٌ من علته . فركبتُ ناقتي وسرتُ حتى أصبْتُ ، فطلبتُ شيئاً أزجره، فعن لى^(١) شَيْهَمٌ^(٢) قد قبض على صِلٍ وهو يتأوى عليه والشيهم يقضمه حتى أكله ، فزجرتُ ذلك [وقلت : شيهم] شيء هم ، وتلوى الصِّل أنفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهم إياه : غَلَبَ القائم على الأمر ، فثنتُ ناقتي حتى اذا كنت بالعلية زجرتُ الطير فأخبرني بوفاته . ونعب غراب سانحاً بمثل ذلك فنعوذتُ من شر ما عَن لى في طريق . ثم قَدِمْتُ المدينةَ ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج أهلوا جميعاً بالإحرام ، فقلتُ : مه ! قالوا قُضِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخمسة المسجد فأصبته خالياً فأيتتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأصبْتُ بابه مُرتجاً وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ ف قيل : في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ صاروا الى الأنصار بخمسة السقيفة فوجدتُ أبا بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، وأبا عُبَيْدَةَ ، وسالمًا ،

(١) الشيهم : ذكر القنفذ . (٢) كذا في بلوغ الأرب (ج ٣ ص ٣٢١) . وفي الأصل : ٢٠ .

قد أرم . (٣) الزيادة عن بلوغ الأرب .

وجامعة من قريش، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة، ومعهم شعراؤهم، وأمامهم
 حسان بن ثابت، وكعب في ملائمتهم، فأويئت إلى الأنصار فتكلموا فاكثروا، وتكلم
 أبو بكر لله من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع الفصل ! والله لتكلم بكلام
 لم يسمعه سامعٌ إلا أنقاد له ومال إليه، وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون
 كلامه، ومد يده فبايعه، ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه، فشهدت
 الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدت دفنه . قال : ولقد بايع الناس
 من أبي بكر رجلا حل قدامها ولم يركب دناهاها، وأنصرف أبو ذؤيب إلى بادية
 وثبت على إسلامه .

ومنه : ما روى عن مصعب بن عبد الله الزبيري أنه حدث عن رجل قال :
 شردت لنا إبلى فأتيت حليسا الأسدي فسألته عنها، فقال ابنت له : خطي، فخطت
 ونظرت ثم أنقبضت وقامت مصرفة، فنظر حليس في خطها فضحك وقال :
 أندرى لم قامت ؟ قلت لا، قال : رأيت أنك تجد إبلك وأنتك تتزوجها فاستحييت
 فقامت، فخرجت فأصبحت إبلى ثم تزوجتها بعد .

الغالب والطيرة

حكى أنه لما ولد لسعيد بن العاص عنبسة قال سعيد لابنه يحيى : أى شئ
 تحب ؟ قال : دجاجة بفرار يحبها، وإنما أراد احتقاره بذلك لأن أمه كانت أمة،
 فقال سعيد : إن صدق الطير ليكونن أكثركم ولداً، فكان كذلك .

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد أعترضه بالقيوم قوم من العرب
 فسأل رجلاً : ما اسمك ؟ فقال : منصور بن سعد، وأنا من سعد العشيرة، فتبسم
 فتأولاً به وتيمناً، وأستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر، فقال : ليعلوت أمره وليملكن ما تحت قدمي وقال :
بالنشر : العلو، وبالماء الحياة .

ومن الزجر : ما روى عن أبي ذؤيب الهذلي قال : إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحى خيفةً عليه فبت ليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها حتى اذا قرب السحر غفوت فنهتلى هانف يقول :
• خَطْبُ أَجَلِ أَنَاخَ بِالإِسْلَامِ * بَيْنَ التَّخِيلِ وَمَعْقِدِ الآطَامِ
فُقِضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعَيُونُنَا * تَذَرِي الدَّمْعَ عَلَيْهِ بِاتِّسَاجِ

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فرعاً، فنظرت الى السماء فلم أر إلا سعد الذابح، فنفاءت به ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو ميت من علته، فركبت ناقتي وسرت حتى أصبت^(١)، فطلبت شيئاً أزجره، فمن لي^(٢) شميم^(٣) قد قبض على صل وهو يتأوى عليه والشميم بقضمه حتى أكله، فزجرت ذلك [وقلت : شميم] شىء هم، وتلوى الصل أنفثت الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أولت أكل الشميم إياه : علبة القائم على الأمر، فثنت ناقتي حتى اذا كنت بالعلية زجرت الطير فأخبرني بوفاته . ونعب غراب سانشا بمثل ذلك فتعوذت من شر ما عن لي طريق . ثم قدمت المدينة ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج أهلوا جميعاً بالإحرام، فقلت : مه ! قالوا فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت المسجد فأصبته خالياً فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبته بابه مرتجاً وقد خلا به أهله، فقلت : أين الناس ؟ فقليل : في سقيفة بني ساعدة صاروا الى الأنصار فجئت السقيفة فوجدت أبا بكر، وعمر رضى الله عنهما، وأنا عبدة، وسالم،

(١) الشميم : ذكر القنفذ . (٢) كذا في بلوغ الأرب (ج ٣ ص ٣٢١) . وفي الأصل : . ٢٠

قد أرم . (٣) الزيادة عن بلوغ الأرب .

وجامعة من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ، ومعهم شعراؤهم ، وأمامهم
 حسبان بن ثابت ، وكعب في ملائمتهم ، فأتيت إلى الأنصار فتكلموا فاكثروا ، وتكلم
 أبو بكر فله من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع الفصل ! والله لتكلم بكلام
 لم يسمعه سامعٌ إلا أنقاد له ومال إليه ؛ وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون
 كلامه ، ومد يده فبايعه ؛ ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه ، فشهدتُ
 الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدتُ دفنه . قال : ولقد بايع الناس
 من أبي بكر رجلا حل قدامها ولم يركب دُناها ، وأنصرف أبو ذؤيب إلى باديته
 وثبت على إسلامه .

ومنه : ما روى عن مُضْعَب بن عبد الله الزبيري أنه حدث عن رجل قال :
 شَرَدْتُ لَنَا إِبِلَ فَأَتَيْتُ حَلِيسَا الْأَسَدِيَّ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا ؛ فَقَالَ ابْنْتُ لَهُ : خُطَى ، نَخَطْتُ
 وَنَظَرْتُ ثُمَّ أَتَقَبَضْتُ وَقَامْتُ مُنْصَرِفَةً ، فَنَظَرَ حَلِيسٌ فِي خَطِّهَا فَضَحَكَ وَقَالَ :
 أَتَدْرِي لِمَ قَامْتُ ؟ قُلْتُ لَا ، قَالَ : رَأَيْتُ أَنَّكَ تَجِدُ إِبِلَكَ وَأَنَّكَ تَتَرَوُّجُهَا فَاسْتَحْيَيْتُ
 فَقَامْتُ ، فَخَرَجْتُ فَأَصْبَحْتُ إِلَى ثُمَّ تَرَوُّجُهَا بَعْدَ .

الفأل والطيرة

حكى أنه لما وُلِدَ لِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَنَسَةٌ قَالَ سَعِيدٌ لِابْنِهِ يَحْيَى : أَيْ شَيْءٍ
 تُحِلُّهُ ؟ قَالَ : دَجَاجَةٌ يَفْرَارُ بِحَيْهَا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَحْقَارُهُ بِذَلِكَ لِأَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ أُمَةً ،
 فَقَالَ سَعِيدٌ : إِنْ صَدَقَ الطَّيْرُ لِيَكُونَنَّ أَكْثَرُكُمْ وَلِدَاءً ؛ فَكَانَ كَذَلِكَ .

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد أعترضه بالقيوم قوم من العرب
 فسأل رجلاً : ما اسمك ؟ فقال : منصور بن سعد ، وأنا من سعد العشيرة ، فنسبم
 تفاؤلاً به وتيمناً ، وأستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

ومن الطَّيْرَةِ ما حكى عن بعضهم قال : حضرتُ الموقفَ مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاح به رجلٌ من خلقه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، فقال رجل من خلقه : دعاه بأسم ميت ، مات والله أمير المؤمنين ، ولا يَقِف هذا الموقف أبداً ، فالتفت إليه فاذا هو اللّهُيُّ ؛ فقتل عمر قبل الحول .

وحكى أن عمر رضى الله عنه ، خرج الى حَرَّةٍ واقم ، فلقى رجلاً من جُهيَّنة ، فقال له : ما أسمك ؟ قال : شهاب ، قال : آبن من ؟ قال : آبن بحسرة ، قال : ومن أنت ؟ قال : من الحرقة ، قال : ثم ممن ؟ قال : من بنى ضرام ، قال : وأين منزلك ؟ قال : بجزيرة ليلى ، قال : وأين تريد ؟ قال : لظى ! وهو وضع ؛ فقال عمر : أدرك أهلك ، فما أراك تُدركهم إلا وقد احترقوا . قال : فأدركهم ، وقد أحاطت بهم النار .

وقال المدائنى : وقع الطاعونُ بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هارباً منه فتلز قريةً من الصعيد يقال لها : سَكْرٌ^(١) ، فقدم عليه حين نزلها رسولُ لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما أسمك ؟ قال طالب بن مُدْرِك ! فقال : أوه ! ما أراى راجعاً الى القِسْطَاط أبداً ، ومات في تلك القرية

وقيل : بينا مروان بن محمد في إيوان له يُنفَّذُ الأُمُورَ ، فانصدعت زُجاجةُ الإيوان ، فوقعَت الشمسُ منها على منكب مروان وكان هناك عَيَاف فقال : صَدَعُ الزُّجَاجِ أمر منكر على أمير المؤمنين ، ثم قام فاتَّبعه ثوبان مولى مروان . فقال له : ويحك !

(١) كذا في أحد الأصولين المتوعرايين ومعهم ياقوت في إحدى روايته والأغانى (ج ١ ص ٣٦٠)

طبع دار الكتب المصرية . وفي رواية أخرى لياقوت وتاريخ الإسلام للذهبي والعموم الراهرة والكندى أنه نزل الى حلوان قرب مصر ومات بها . وفي الأصل الآخر المتوعراي : « شكر » بالشين المعجمة وهو تحريف .

ما قلت ؟ قال . قلت : صَدْعُ الزجاج صدع السلطان ، سذهب الشمسُ بملك مروان ، بقوم من الترك أو خراسان : ذلك عندي واضح البردان . قال : فما ورد لذلك شهران حتى ورد خبر أبي مُسلم .

وقال إبراهيم بن المَهْدِيُّ : أرسل إلى محمد الأمين في ليلة مُقَمَّرَةٍ من ليالى الصيف فقال : يا عمي ! إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت فِصرَ إلى فإني إليك مشتاق بِخَيْتِهِ وقد بَسِطَ له على سطح ، وعنده سليمان بن جعفر ، وعليه كِسَاءٌ رُوذْبَارِي ، وَقَلَنْسُوءَةٌ طويلة ، وجواريه بين يديه ، وضعف جاريته عنده . فقال لها : غَنَيْتِي فقد سُررتُ بعمومي ، فاندفعت تغنيه :

هُم قتلوه كي يَكُونُوا مكانَه * كما فعات يوما بِكسرى مَرَازِبُهُ

بنى هاشم كيف التَّوَأَصَّلَ بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه

هكذا غنَّته ، وإنما هو :

* وعند علي سيفه ونجائبه *

فغضب ونظير ، وقال : ما قَصَّيْتُكَ ؟ ويحك ! غَنَيْتِي ما يَسِّرُنِي ؛ فغَنَّت :

هَذَا مقام مُطَرِّدٍ * هُدِمَتْ منازلُه ودورُه

فازداد تطيُّراً ، ثم قال : ويحك ! أَتَتهى وَغَنَى غير هذا ، فغَنَّت :

كُلِّبَ لعمري كان أَكْثَرَ ناصراً * وأيسرُ جُرمًا منك ضُرِّجَ بالدم

فقال لها : قومي إلى لعنة الله ، فوثبت ، وكان بين يديه قَدَحٌ بَلُورٍ وكان لحبه

إِيَّاهُ يسميه محمداً باسمه ، فأصابه طَرْفٌ ذيلها فسقط على بعض الصواني فانكسر ؛

فأقبل على وقال : أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا ، فقلت : كَلَّا ! بل يبقيك الله

يا أمير المؤمنين ويسرك . قال : وَدِجَلَةٌ والله هادئة ما فيها صوتٌ بِمِجْدَافٍ ، ولا أحد

يتحرك ؛ فسمعتُ هاتفاً يهتف : (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال فقال لي :

سمعت يا عم؟ فقلت: وما هو؟ وقد والله سمعته، فاذا الصوت قد عاد، فقال: أنصرف
بیتك الله بغير فحال ألا تكون الآن قد سمعت ما سمعت، فأنصرفت وكان آخر العهد به.

(٤٢)

وشبه بهذا ما حكى عن علويه المغني قال: كنت مع المأمون لما خرج الى
الشام، فدخلنا دمشق فطفنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أمية، ويتبع
آثارهم، فدخلنا صحناً من صحونهم، مفروشا بالرخام الأخضر، وفيه بركة ماء فيها سمك،
وأمامها بستان، فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح ودعا بالطعام والشراب، وأقبل
على فقال: غني ونشطني، فكان الله تعالى أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت من
شعر عبد الله بن قيس الرقيات:

لو كان حولي بنو أمية لم * تنطق رجالاً أراهم نطقوا

١٠ من كل قريم محض ضرائبه * عن منكبيه القميص ينخرق

قال: فنظر الى مغضباً، وقال: عليك وعلى بني أمية لعنة الله، وبلك! أقلت
لك سُرني أو سُرني؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت
تعرض بي؟ فتجلدت عليه وعلمت أني قد أخطأت، فقلت: أتؤمنني على أن أذكر
بني أمية! هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له، ويملك
ثلثمائة ألف دينار [وهبوا له سوى الخليل والضياع^(١) والرقيق]: وأنا عندكم أموت
جوعاً، فقال: أو لم يكن لك شيء تذكرني به نفسك غير هذا؟ فقلت: هكذا
حضرتني حين ذكركم، فقال: أعرض وتنبه على إرادتي وغن فأنساني الله كل شيء
أحسنه إلا هذا الصوت:

الحين ساق الى دمشق وما * كانت دمشق لأهلنا بلدا

٢٠ قادتك نفسك فاستقدت لها * وأرتك أمر غواية رشدا

فرماني بالقدح فأخطأني وانكسر القدح ، وقال : قم الى لعنة الله وحرّسْ قَر !
فركب ؛ وكانت تلك الحال آخر عهدى به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثل ذلك ما حكى في قِثْلَةِ المتوكل ، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام خلون
من شوال سنة تسع وأربعين ومائتين ، وقال للفتح بن خاقان : أحب أن نصطحب ؛
فأحضّر المغنّين وفيهم أحمد بن أبي العلاء فقال له : غنّ ، فغنّى :

يا عاذلّي من الملام دعاني * إن البليّة فوق ما تصفان
زعمت بُشينة أن فرقنا غدا * لا مرحبا بغدٍ فقد أبكاني

فقطير المتوكل منه ، وقال : أحمد ، كيف وقع لك أن تغنّي بهذا الشعر ! قال :
فشغل قلبُ ابن أبي العلاء لما أنكر عليه ، ثم ذهب ليغنّي غيره ، فغناه ثانية ، فقال
المتوكل : نسأل الله خير هذا اليوم ، وصرف المغنّين وقام لصلاة الظهر ، فلما فرغ
قال له الفتح : يا سيّدى أتمّ يومك ، فدعا بالشراب وقال : أين ابن أبي العلاء ؟
فأحضّر فقال له : غنّ ، فاغنى عليه فأعاد البيتين فاغتم المتوكل غاية الغم ، وقُتِل
في الليلة الآتية من ذلك اليوم .

قال القاضي أبو علي الجويني : حضرتُ بين يدي سيف الدولة أبي الحسن
صدّقة بن منصور بن دُبَيْس ، وابنه أبو المكارم محمد اذ ذاك مريض مرضه الذي
مات فيه ، وقد أتى بديوان أبي نصر بن بُبَاة فتصفّحه فوقع بيده : وقال يعزّي
سيف الدولة أبا الحسن ويرثي ابنه أبا المكارم محمدا ، فأخذتُ المجلّد وأطبقته فعاد
فتصفّحه فخرج ذلك ، ومن القصيدة التي عنها قوله :

إنّ بيمًا فارقين حُفَيرة * تركنا عليها ناظر الجود داما
تضمّمها أيدي فتّى نكلتُ به * غداة نوى أماننا والأمانيا
ولما عدمتنا الصبر بعد محمد * أتينا أباه نستفيد التعازيا

وحكى أن أبا الشَّمَقْمَقِ شَخَّصَ مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد المَوْصِلَ ،
فلما أراد الدخول إليها أَدَقَّ لَوَاؤَهُ في أوَّلِ دربِ منها ، فتطيرُ من ذلك وعظُمَ عليه ،
فقال أبو الشَّمَقْمَقِ :

ما كَانِ مَنْدَقُ اللَوَاءِ لِرِيَّةٍ * تُخَشِّي وَلَا أَمْرٍ يَكُونُ مَبْدَلًا

لَكِنَّ هَذَا الرَّحْجَ ضَعْفُ مَتْنِهِ * صَغُرُ الْوَلَايَةِ فَاسْتَقَلَّ الْمَوْصِلَا

فَسُرِّيَ عن خالد . وكتب صاحبُ البريدِ بذلك الى المأمون ، فزاده ديارَ ربيعة
وكتب اليه : هذا التضعيفُ المَوْصِلَ متنِ رَحْمَك . فأعطى خالدُ أبا الشَّمَقْمَقِ عشرة
آلافِ درهم .

وقيل : لَمَّا تَوَجَّهَ الْمُسْتَرَشِدُ لِلِقَاءِ السُّلْطَانِ مسعود بن محمد بن مَلِكْشَاهِ
السلجوقي ، وقع على الشمسية التي تُرْفَعُ على رأسه طائرُ من الجوارح وألح ، كلما نُفِرَ
عاد ، فتفأَلُ الناسُ له بذلك وسُرُّهُ بِهِ ، فقال إنسانٌ يُعْرِفُ بِمَلِكْكَادَرِ : هذا جارح
ومنبضُ الكفِّ وليس فيه بُشْرَى بل ضِدُّهَا ، وأقبل السُّلْطَانُ في جيشه فكانت
الكسرة وقُبِضَ على المسترشد وقُتِلَ مِنْ بَعْدِ .

خرج بعضُ ملوكِ الفُرسِ الى الصيد ، فكان أوَّلُ مَنْ آسَقَبَلَهُ أَعُورٌ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ
وحبسهِ ، ثم خرج وتصيداً كبيراً ، فلَمَّا عاد آسَدَعَى الْأَعُورَ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ ،
فقال الأعور : لا حاجة لي في صلتك ، ولكن أأُذِنُ لِي فِي الْكَلَامِ ، فقال : تَكَلِّمْ ! قال :
لَقِيتُنِي فَضَرَبْتَنِي وَحَبَسْتَنِي ، وَلَقِيتَكَ فَصِدَّتْ وَسَلِمْتَ فَأَيُّنَا أَشَامُ ؟ فضحك وخلاه .

الفراصة والذكاء

يقولون : عَظُمَ الْجَبِينُ يَدَلُّ عَلَى الْبَلَاءِ ، وَعَرَضُهُ يَدَلُّ عَلَى قِلَّةِ الْعَقْلِ ، وَصِغَرُهُ عَلَى

لُطْفِ الْحَرَكَةِ ، وَالْحَاجِبَانِ إِذَا اتَّصَلَا عَلَى آسْتِقَامَةٍ دَلَّا عَلَى تَخْنِيثٍ وَاسْتِرْخَاءٍ ، وَإِذَا

ترجما نحو الصُدغين دَلّا على طَنَزٍ ^(١) وأستَهزاء؛ والعين اذا كانت صغيرة الموق دَلّت على سوء دِخْلَةٍ وخُبث شمائل، واذا وقع الحاحب على العين دَلّ على الحسد؛ والعين المتوسطة في حجمها دليل فطنة وحسن خُلُقٍ ومروءة، والناتئة على اختلاط عقل، والطائرة على حِدّة، والتي يطول تحديقها على خفة وحمق، والتي تكسر طرفُها على خفة وطيش؛ والشعر على الأذن يدلّ على جودة السمع؛ والأذن الكبيرة المنتصبّة تدلّ على حمق وهذيان.

وحكى أن أبا موسى الأشعري وجّه السائب بن الأفرع في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مِهْرَجَا نَقْدَقٍ ففتحها ودخل دار المُرْمَزَانِ بعد أن جمع السبي والغنائم، ورأى في بعض مجالس الدار نساوِيرَ فيها مثال ظبي وهو مشير بإحدى يديه الى الأرض، فقال السائب: لأمرٍ ما صُوِّرَ هذا الظبي هكذا، إن له لسانا، فأمر بحفر الموضع الذي الإشارة اليه فأفضى الى موضع فيه حوض من رخام، فيه سَفَطٌ جوهر فأخذه السائب وخرج به الى عمر رضى الله عنه.

وقيل: كان المعتضد يوما جالسا في بيت يُبنى له وهو يشاهد الصُّنَاعَ فرأى في جماتهم عبدا أسود منكر الخلق، شديد المَرَح، يصعد على السلالم مرفاتين مرفاتين ويحمل ضَعْفَ ما يحمل غيره، فانكر أمره، وأحضره وسأله عن سبب ذلك، فلجلج فقال لوزيره: قد تَمَحَّتُ في هذا تخميناً ما أحسبه باطلا، إما أن يكون معه دنائير قد ظفر بها من غير وجهها، أو لصاً يتستر بالعمل، ثم قال: على بالأسود فأحضره وضربه، وحلف إن لم يصدقه ليضربن عنقه، فقال الأسود: ولى الأمان يا أمير المؤمنين، قال: نعم! إلا ما كان من حدّ، فظن أنه قد أتمنه، فقال: كنت أعمل في أتون الآجر، منذ سنين فأنا منذ شهر جالس إذ مرت بي رجل في وسطه

(١) الطنز: السفرة. (٢) كورة ذات مدن وقرى عن عين القاصد من حلوان العراق الى المذنان.

كيس فتبعته وهو لا يعرف مكانى، فحلّ الهميان وأخرج منه دينارا فتألمته فإذا كله دنانير، فكشفته وسددت فاه وأخذت الهميان وحملت على كتفى وطرحته فى التور وطينت عليه، فلما كان بعد أيام أخرجت عظامه وطرحتها فى دجلة، والدنانير معى تقوى قلبى، قال : فأرسل المعتضد من أحضر الدنانير، وإذا على الكيس :

٥ لفلان بن فلان، فنادى فى المدينة، فحضرت امرأته وقالت : هذا زوجى وقد ترك طفلا صغيرا، خرج فى وقت كذا ومعه كيس فيه الف دينار، فغاب الى الآن، فسلم الدنانير اليها وأمرها أن تعتد، وضرب عنق الأسود وأمر أن يوضع فى الآتون.

وقيل : جلس المنصور فى إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفاً مهموماً يحول

فى الطرقات، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج فى تجارة فأفاد مالا

١٠ ورجع الى منزله به، فدفعه الى امرأته، فذكرت المرأة أن المال سرق ولم يرتقبا ولا تسلفا، فقال له المنصور : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة، قال : فبكراً أو ثيباً؟

قال : ثيباً، قال : فلها ولد من سواك؟ قال : لا، قال : شابة أم مسنة؟ قال :

شابة، فدعا المنصور بقارورة طيب، وقال : تطيب بهذا، فهو يذهب همك،

فأخذها وأقلب الى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من ثقاته : أقعدوا على أبواب

١٥ المدينة، فمن مرّ بكم وعليه شئ من هذا الطيب فاتوني به، وأشمهم من ذلك الطيب،

ومضى الرجل بالطيب، فدفعه الى امرأته وقال : وهبه لى أمير المؤمنين، فلما شمته

بعثت به الى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت اليه المال فطيب به، ومرّ بجنازة

ببعض الأبواب، فأخذ وأتى به الى المنصور، فقال له : من أين آستفدت هذا

الطيب؟ فلجلج لسانه، فسأله الى صاحب شرطته وقال : إن أحضر الدنانير وإلا

٢٠ فأضربه ألف سوط، فها هو إلا أن جرد وهُدّد، فأحضر الدنانير على حالتها فأعلم

المنصور بذلك، فدعا صاحب الدنانير وقال : أرايتك إن رددت عليك متاعك بعينه

أتحكى فى أمرتك؟ قال : نعم ! قال : خذ دنانيرك وقد طلقت أمرتك وخبره الخبر.

ودخل شريك بن عبد الله القاضي على المهديّ فأراد أن ينجّره فقال للخادم: ائتِ القاضي بعود، فذهب بجاء بالعود الذي يُلْهَى به، فوضعه في حجر شريك، فقال شريك: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: عود أخذه صاحبُ العَسَسِ البارحة فأحبينا أن يكون كسره على يد القاضي، فقال شريك: جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، ثم ضرب به الأرض فكسره ثم أفاضوا في حديث آخر حتى نُسِيَ الأمر، ثم قال المهديّ لشريك: ما تقول فيمن أمر ويكّلاه أن يأتي بشيء بجاء بغيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال: يضمن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم: أضمن ما تلف.

الباب الرابع

من القسم الثاني من القرن الثاني

في الكليات والتعريض

والكليات لها مواضع؛ فأحسنها المدول عن الكلام القبيح إلى ما يدلّ على معناه في لفظ أبهى منه. ومن ذلك أن يُعظّم الرجل فلا يدعى باسمه ويُكنى بكنيته، أو يكنى بأسم ابنه صيانةً لاسمه، وقد ورد في ذلك كثير من آي القرآن فمنها قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ أي كنيّه. وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه: بأبي تراب؛ وقال البهري: ١٥

يتشاعفن بالغرير المسمى * من تصاب دون الجليل المكنى^(١)

(١) كذا في ديوان البهري طبع الأستانة سنة ١٣٠٠ هـ (ص ٢٣١ ج ١) وفي الأصول:

يتشاعفن بالصغر المسمى * موضعات والكبير المكنى

وهذا يدل على أن المرلد بالكنية التبجيل ؛ وقول ابن الرومي :

بكت شجوها الدنيا فلما تبيّنت^(١) * مكانك منها آستبشرت وتذنت
وكان ضئيلا شخصها فتناولت * وكانت تسمى ذلة فتكنت

وقال أبو صخر الهذلي :

أبى القلب إلا حبه عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو

ومن عادة العرب وشأنهم ؛ استعمال الكنايات في الأشياء التي يستجيا من ذكرها ، قصدا للتعفف باللسان ، كما يتعفف بسائر الجوارح ، قال الله عز وجل تأديبا لعباده : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ فقرن غفة البصر بغفة الفرج ؛ وفي القرآن كناية عُدل بها عن التصريح تنزيها عن اللفظ المستهجن ،

كقوله تعالى : ﴿ نِسَاءُكُمْ حَرِّتْ لَكُمْ فَأْتُوا حُرْنَكُمْ أَنْتُمْ ﴾ وقال أبو عبيد : هو كناية ، شبه النساء بالحرث ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اجْلُودِيهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ ، قيل : هو كناية عن الفروج ، وفي موضع آخر : ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْسَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ قال المفسرون : هذا تنبيه بأكل الطعام على عاقبة ما بصير اليه ؛ وهو الحدّث ، لأن من أكل الطعام فلا بد أن يحدث . ثم قال :

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ﴾ وهذا من ألفة الكناية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ فالغائط : المطمئن من الأرض ، وكانوا يأتونه لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن المرتفعة . ومن لم ير الوضوء من لمس النساء جعل الملاسة هاهنا كناية عن الفعل .

(١) هذان البيتان لم يردا في ديوانه المطبوع في الأستانة والأجزاء المطبوعة منه في مصر ولا في النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية .

ومن الكتابات في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو وإن كان قد ورد في الأمثال أشبه بالكتابة — منها قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراء الدمن" يريد بها المرأة الحسنة في المنبت السوء، وتفسير ذلك: أن الريح تجمع الدمن، وهو البعر في البقعة من الأرض فإذا أصابه المطر نبت نباتا غضا يهتر وتحتنه الدمن الخبيث، يقول: فلا تتكحوا هذه المرأة الحسنة لجمالها، ومنبتها خبيث كالدمن؛ فإن أعراق السوء تنزع أولادها. وقال زفر بن الحارث:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى: وتبقى حزازات النفوس كما هيا
وقوله صلى الله عليه وسلم: "حجي الوطيس" قاله لما جال المسلمون يوم حنين، والوطيس: حفيرة تخفر في الأرض شبيهة بالتنور. وقال الحسن: لبث أيوب عليه السلام على المذلة سبع سنين، وما على الأرض يومئذ خلق أكرم على الله منه، فما سأل الله العافية إلا تعريضا في قوله: (إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) والعرب تكني عن الفضلة المستفدرة بالألفاظ كلها كتابات، منها: الرجيع والتجو والبراز والغائط والعذرة والحش، فبعض هذه الألفاظ يراد بها نفس الحدث، وبعضها يراد بها المواضع التي يأتي إليها المحدث، وكذلك استعملوا في إتيان النساء: المجامعة، والمواقعة، والمباضعة، والمباشرة، والملازمة، والمماسية، والخلوة، والإفضاء، والغشيان، والتغشي، وكل هذه الألفاظ مذكورة في القرآن.

وحكى: أن رجلا من بني العنبر كان أسيرا في بكر بن وائل، وعزموا على غزوه قومه، فسألهم رسولا إلى قومه، فقالوا: لا ترسل إلا بحضرتنا لثلا تذرهم، وحيء بعبء أسود، فقال له: أتعقل؟ قال: نعم إني لعاقل، قال: ما أراك عاقلا! ثم أشار بيده إلى الليل، فقال: ما هذا؟ قال: الليل! قال: أراك عاقلا. ثم ملا كفيه من الرمل فقال: كم هذا؟ قال: لا أدري وإنه لكثير، قال: أيما أكثر،

النجوم أم النيران؟ قال : كلٌ كثير، فقال : أبلغ قومي التحية، وقل لهم : ليُكرموا فلانا۔
 يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بكر۔ فإن قومه لى مكرمون وقل لهم : إن العرَجَ قد
 أدبى، وشكَّتِ النساء، وأمرهم أن يُغروا نافقَى الحمراء، فقد أطلوا ركوها، وأن
 يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلت معكم حَسِيسًا، وأسألوا عن خبرى أُنحى الحارث؛
 فلما أَدَى العبد الرسالة إليهم قالوا : قد جُنُّ الأعورُ، والله ما نعرف له ناقة حمراء،
 ولا جملا أصهبَ، ثم سَرَحوا العبدَ ودَعُوا الحارثَ فقَصَّوا عليه القِصَّةَ، فقال :
 قد أنذركم؛ أمّا قوله : قد أدبى العرَجُ؛ فإنه يريد : أن الرجال قد آسَتلُوا ولبسوا
 السلاح، وقوله : وشكَّتِ النساء، أى آتخذن الشَّكَاةَ للسفر، وقوله : الناقة الحمراء،
 أى آرتلوا عن الدهناء، وأركبوا الصَّيَّانَ وهو الجملى الأصهب، وقوله : بآية ما أكلت
 معكم حَسِيسًا، أى أخلاطاً من الناس قد غَزَّوْكُمْ؛ لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقِطَ؛
 فأمثلوا ما قال، وعرفوا الحن كلامه .

وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده الى مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن
 عُمر قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة، فأرسل الى عشرة أنا أحدهم من
 وجوه أهل الكوفة، فسمرنا عنده . ثم قال : ليحدثنى كل رجل منكم أحدوثه .
 وأبدأ أنت يا أبا عمرو، فقلت : أصلح الله الأمير، أحدث الحق أم حديث
 الباطل؟ قال : بل حديث الحق، قلت : إن أمرأ القيس آلى آلية
 ألا يتزوج آسراً حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين، بفعل يخطب النساء فاذا
 سألن عن هذا، قلن أربعة عشر، فينأ هو يسير فى جوف الليل اذا هو برجل يحمل
 ابنة له صغيرة، كأنها البدر لثمّه، فأعجبته فسألها : يا جارية ! ما ثمانية وأربعة واثنان؟
 فقالت : أما ثمانية فأطبأ الكابية، وأما أربعة فأخلاف الباقية، وأما آثنان

فنديا المرأة؛ فخطبها الى أبيها ، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله إيلة بنائها عن
ثلاث خصال ، بفعل لها ذلك ، على أن يسوق إليها مائة من الإبل ،
وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ؛ ففعل ذلك ، ثم إنه بعث عبدا له
الى المرأة ، وأهدى لها نحيّا من سمن ، ونحيّا من عسل ، وحلّة من قصب ، فنزل العبد
على بعض المياه ، فنشر الحلّة فلبسها فتعلقت بسمرة فأنشقت ، وفتح النّحين فأطعم أهل
الماء منهما فنقصا ، ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف فسالها عن أبيها وأما وأخيها ،
ودفع إليها هديتها ، فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيدا ، ويبعد قريبا ،
وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن أنى ذهب يراعى الشمس ، وأن سماءكم
أنشقت ، وأن وعاءكم نضبا ، فقدم الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أما قولها : أن
أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا : فإن أباهما ذهب يخالف قوما على قومه ، وأما
قولها : ذهبت أمى تشق النفس نفسين : فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نساء ؛ وأما
قولها : ذهب أنى يراعى الشمس : فإن أخاها فى سرج له يراعه ، فهو ينتظر وجوب
الشمس ليروح به ، وقولها : أن سماءكم أنشقت : فإن البرد الذى بعث به انشق ،
وأما قولها : أن وعاءكم نضبا : فإن النّحين نقصا ؛ فأصدقنى ؛ فقال : يا مولاي !
إنى نزلت بماء من مياه العرب ، فسألونى عن نسبي ، فأخبرتهم أنى ابن عمك ، ونشرت
الحلّة فلبستها وتجلت بها ، فتعلقت بسمرة فأنشقت ، وفتح النّحين فأطعمت منهما
أهل الماء . فقال : أولى لك ؛ ثم ساق مائة من الإبل ، وخرج ومعه الغلام ليسقى
الإبل ، فعجز ؛ فأعانه أمرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر ، وخرج حتى أتى المرأة
بالإبل فأخبرهم أنه زوجها ، فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى
أزوجى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛
فأكل ما أطعموه ، قالت : أسقوه إبننا حازرا (وهو الحامص) فسقوه فشرب ،

٥

١٠

١٥

٢٠

- فقالت : أفرشوا له عند الفَرثِ والدم ، ففرشوا له ؛ فنام . فلما أصبحت أرسلت اليه : أريد أن أسالك عن ثلاث ، قال : سلى عما بدا لك ، فقالت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : من تقبيل إِيَّاكَ ! قالت : لم تختلج نَفْذَاكَ ؟ قال : لتوركي إِيَّاكَ ! قالت : فلم يختلج كَشْحَاكَ ؟ قال : لآلتزأى إِيَّاكَ ! قالت : عليكم العبد ! فشدوا أيديكم به ؛ ففعلوا . قال : ومرة قوم فاستخرجوا أمراً القيس من البئر ، فرجع الى حيّه وآستاق مائةً من الابل وأقبل الى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛ فلما أتوه بذلك ، قال : وأين الكبد والسَّنام والملحاء ؟ فأبى أن يأكل ، فقالت : أسقوه لبنا حازرا ، فأبى به ، فأبى أن يشربه وقال : أين الصَّريف والرَّثِيثة ؟ فقالت : أفرشوا له عند الفَرثِ والدم ، ففرشوا له ؛ فأبى أن ينام وقال : أفرشوا لى ١٠ فوق التلعة الحمراء وأضربوا عليها خباء ، ثم أرسلت اليه : هلم شريطتى عليك فى المسائل الثلاث ، فأرسل اليها : سلىنى عما شئت ، فقالت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : لشرب المشعشات ؛ قالت : فلم يختلج كَشْحَاكَ ؟ قال : للبس الخبرات ؛ قالت : فلم يختلج نَفْذَاكَ ؟ قال : لركض المطهَّمات ؛ قالت : هذا زوجى لعمرى ! فعليكم به ، وأقتلوا العبد فقتلوه ، ودخل أمرؤ القيس بالجارية ؛ قال ابن هُبَيْرَة : حسبكم ! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينا أحدٌ بأعجب منه ، فقمنا فانصرفنا وأمر لى بجائزة .

وقيل : بعث بَسَامَة بن الأعور العبرى الى أهله بثلاثين شاةً ونَحِي صغير فيه سنن ، فسرق الرسول شاةً ، وأخذ من رأس النجى شيئا ، فقال لهم الرسول : ألكم

٤٦

(١) الملحاء : لحم فى الصلب من الكاهل الى العجز من البعير .

(٢) الصريف : اللبن ساعة الحلب .

(٣) الرثيثة : اللبن الحامض يخلط بالحلو ليحتر .

حاجة أخبره بها؟ فقالت أمرته : أخبره أن الشهر محاق، وأن جدينا الذي كان يطالنا وجدناه مرثوما، فارتجع منه الشاة والسمن .

وقيل : أسرت طيًّا غلاما، فقدم أبوه ليفديه، فأستطوا عليه . فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين يُمسيان ويصبحان على جبلٍ طيٍّ ! ما عندي غير ما بذلته، ثم أنصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خير فهمه كأنه قال : ائزم الفرقدين على جبلٍ طيٍّ، ففهم الابن تعريضه وطرده إبلا لهم من ليلته ونجا .

ومن التخلّص المتوصّل اليه بالكناية ما روى عن عدى بن حاتم بن عبد الله الطائي، أنه قال يوما في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ألا تعجبون لهذا؟ أشعر بركا يولّي مثل هذا المصر، والله ما يحسن أن يقضى في تمرتين . فبلغ ذلك الوليد فقال على المبر : أنشد الله رجلا سمانى أشعر بركا إلا قام ، فقام عدى بن حاتم فقال : أيها الأمير، إن الذي يقوم فيقول : أنا سميكتك أشعر بركا لجرى، فقال له : أجلس يا أبا طريف ! فقد برأك الله منها، بخلس وهو يقول : ما برأني الله منها .

وقيل : كان شريح عند زياد بن أبيه وهو مريض، فلما خرج من عنده أرسل اليه مسروق رسولا وقال : كيف تركت الأمير؟ فقال : تركته يأمر وينهى، قال مسروق : إنه صاحب تعريض^(٢)، فارجع اليه وأسأله ما يأمر وينهى، قال : يأمر بالوصية وينهى عن النوح .

خطب رجل الى قوم بجاءوا الى الشعبي يسألونه عنه، وكان به عارفا، فقال : هو والله ما علمت نافذ الطعنة، ركين الحلسة، فزوجه فاذا هو خياط فاتوه فقالوا : غررتنا فقال : ما فعلت وإنه لكما وصفت .

(١) أشعر بركا، لأنه كان أشعر الصدر .

(٢) كذا في العقد الفريد . وفي الأصول : « عرض » ولها : « عو يص » .

وخطب باقلاني الى قوم وذكر أن الشعبي يعرفه فسأله عنه فقال : إنه لعظيم الرماد، كثير الغاشية .

قيل : أخذ العسس رجلين فقال لهما : من أنتم؟ فقال أحدهما :

أنا آبن الذي لا ينزل الدهر قدرُهُ * وإن نزلت يوما فسوف تعودُ

ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره * فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ

وقال الآخر :

أنا ابن من تخضع الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالذل وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فظنوها من أولاد الأكابر، فلما أصبح سأل عنهما ؛ فاذا الأول ابن طبّاخ

والثاني ابن حجام .

١٠

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أىّ الطعام أحبّ اليك ؟

قال : الزُّبْدُ والكُمَاة . فقال : ما هما بأحبّ الطعام إليه ، ولكنه يحبّ الخصب للساميين .

وقال لقمان لابنه : كُلْ أطيب الطعام ، ونَمْ على أوطأ الفرش . كُنْ عن إكثار

الصيام وإطالة القيام .

١٥

ومن جيد التورية وغريبها مع توتى الصدق فى موطن الخوف : قولُ أبى بكر

الصدِّيق رضى الله عنه ، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رديفُهُ عامٌ

الحجرة ، فقيل له : من هذا يا أبا بكر؟ فقال : رجل يهدينى السبيل .

ورُفِعَ الى عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وصيةٌ لرجل بمال أمر أن يُتَّخَذَ به

حصون . فقال : اشتروا به خيلا للسبيل ، أما سمعتم قول النخعي .

٢٠

ولقد علمت على تجبى الردى * أن الحصون الخيلُ لا مدرُّ القُرى

قيل كان البراء بن قبيصة صاحب شراب ؛ فدخل على الوليد بن عبد الملك ،
وبوجه أثر ، فقال : ما هذا ؟ قال فرس لى أشقر ، ركبته فكبأ بى ، فقال : لوركت
الأثمب لَمَا كَبَا بك ؛ يريد الماء .

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير : ما ثابت من الأسماء ! ليس باسم
رجل ولا امرأة . قال : يا أمير المؤمنين لا ذنب لى لو كان اسمى الى لسميتُ
نفسى زينب ، يُعرضُ به ؛ فانه كان يعشق زينب بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها ؛
فقال : لا أوتخ نفسى بِأبى الذَّبان ^(١) .

قال مُيمرى لفقعسى : إنى أريد إتيانك فأجد على بابك خُراء ، فقال له الفقعسى :
اطرح عليه ترابا وادخل ؛ أراد الميمرى قول الشاعر :

ينام الفقعسى وما يُصلى * ويخرا فوق قارعة الطريق

١٠

وأراد الفقعسى قول الآخر :

ولو وِطئتُ نساءً بنى نمير * على تُربٍ نخبين التراباً

(٤٧)

قال عبد الله بن الزبير لأمرأة عبد الله بن حازم السلمى : أخرجى المَال الذى
وضعتِه تحت آستِكَ ، فقالت : ما ظننت أن أحدا يلى شيئاً من أمور المسلمين
يتكلم بهذا ! فقال بعض من حضر : أما ترون الخلع الخفى الذى أشارت اليه ؟ فلما
أخذ الجحاج أم عبد الرحمن بن الأشعث تجنب ما عيب على ابن الزبير فكفى عن
المعنى فقال لها : عمدت الى مال الله فوضعتِه تحت ذيلك .

١٥

ماتت للهدلى أم ولدٍ فأمر المنصورُ الربيعَ بأن يعزیه ويقول له : إن أمير
المؤمنين يوجه اليك بشارية نفيسة لها أدبٌ وظرفٌ تُسليك عنها ، وأمر لك بفرس

(١) كنية كان يكنى بها عبد الملك بن مروان لخره .

وكسوةٍ وصليةٍ ؛ فلم يزل الهذلي يتوقعها ونسيها المنصور ، ثم حجّ ومعه الهذلي فقال له وهو بالمدينة : أحبّ أن أطوف الليلة في المدينة ، وأطلب من يطوف بي ، فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين ؛ فطاف به حتى وصل الى بيت عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين ! وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص :

* يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزّل *

فانكر المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه ؛ فلما رجع أمر القصيدة على خاطره فاذا فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مدقّ الحديث يقول ما لا يفعل

فتذكر الموعد وأنجزه واعتذر اليه .

١٠ اجتمع الشعراء بباب أمير من أمراء العرب ، فمرّ رجل بياض فقال رجل من بني تميم لآخر من بني نمير : هذا البازي ! فقال النميري : إنه يصيد القطا ؛ عرض الأول بقول جرير :

أنا البازي المطل على نمير * أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد الآخر قول الطرمح :

١٥ تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا * ولو سلكت طرق المكارم ضلّت

قال عمر بن هبيرة الفزاري لأيوب بن طبيان النميري وهو يسايره : غصّ من بغلتك ! فقال : إنها مكتوبة ، أراد ابن هبيرة قول جرير :

فغصّ الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد النميري قول ابن دارة :

٢٠ لاتأهّننّ فزاراً حلوت به * على قلوبك واكتبها بأسيار

وقيل : كان العزيز بن المعز العيديّ أحد الخلفاء بمصر يلعب بالحمام ، فتسابق هو وخادم له فسبق طائر الخادم طائر الخليفة ، فبعث الى وزيره ابن كلّس اليهوديّ يستعلمه عن ذلك فاستجيا أن يقول : إن طائر الخليفة سُبِقَ ، فكتب إليه :

يا بن الذي طاعته عصمة * وحُبّه مقترَض واجب
طائرُك السابق لَكِنَّه * جاء وفي خدمته حاجِب

جاءت امرأة الى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليك زوجي ، خير أهل الأرض إلا رجلا سبقه لعمل ، أو عمل مثل عمله ، يقوم الليل حتى يُصبح ، ويصوم النهار حتى يُمسي ، ثم أخذها الحياء فقالت : أفقني يا أمير المؤمنين ، فقال : جزاك الله خيرا ! فقد أحسنتِ الثناء ، فلما ولّت قال كعب بن سور^(١) : يا أمير المؤمنين لقد أَبْلَغْتَ اليك في الشكوى ، فإنها كُنْتُ بذلك عن عدم المباضاة .

الباب الخامس

من القسم الثاني من الفن الثاني

في الألفاظ والأحاجي

قالوا : وأشتقاق الألف من أَلَفَ الْيَرْبُوعُ وَلَغَزَ ، إذا حفر لنفسه مستقيا ، ثم أخذ يَمْنَةً ويسرة ليورّي بذلك ويعمّي على طالبه . ولَغَزَ أَسْمَاءٌ ، فيها : المُعَايَاة ، والعويصُ ، والرمز ، والمحاجة ، وأبيات المعاني ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والكلاية ، والتعريض ، والإشارة ، والتوجيه ، والمعنى ، والمُتمثل ، ومعنى الجميع واحد ،

(١) كذا في أحد الأصلين الفوغرافيين والقاموس والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي . وفي باقي

الأصول : «شور» بالشين وهو تحريف :

- وآخلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته، فانك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعاينك، أى يُظهر إعياءك وهو التعب، سميته : معاياة؛ وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه وأعتياص استخراجه، سميته عَوِيصاً ؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب، سميته : لُغْزاً وفعلك له : إلغازاً ؛ وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه لم يفصح عنه قلت : رمز، وقريب منه الإشارة؛
- وإذا اعتبرته من حيث إن غيرك حاجاك أى استخرج مقدار عقلك، سميته : حاجة؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه استخرج كثرة معانيه سميته : أبيات المعاني؛ وإذا اعتبرته من حيث إن قائله قد يوهك شيئاً ويريد غيره، سميته : لحناً وسميت فعلك : الملاحن؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه ستر عنك ورؤس فهو : المرموس، والرسم : القبر؛ وإذا اعتبرته من أن معناه يؤول إليك، سميته : مؤولاً، وسميت فعلك :
١٠. تاويلاً؛ وإذا اعتبرته من حيث إن صاحبه لم يصرح بفرضه، سميته : تعريضاً وكناية؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه ذو وجوه، سميته : الموجه، وسميت فعلك : التوجيه؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه مغطى عليك، سميته : مُعْمَى .

قال الحكيم أمين الدولة المعروف بابن التلميذ في الميزان :

١٥. ما واحد مختلف الأسماء * يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يرى الرشاد كل رائي
أنحرس لا من علة وداء * يُغنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو أمراء * بالرفع والخفض عن النداء
* يُفصح إن علق في الهواء *



(١) في أحد الأصول : « أمير » . وهو تحريف . واسمه : « أبو الحسن بن صاعدة هبة الله الطيب » راجع الإعجاز في فنون الألفاظ للخطير .

قوله : مختلف الأسماء يعنى ميزان الشمس والأصطرلاب ، وسائر آلات الرصد ؛ وهو معنى قوله : يحكم فى السماء . وميزان الكلام النحو . وميزان الشعر : العروض . وميزان المعانى : المنطق . وهذه الميزان^(١) ، والذراع والمكيال .
وقال آخر فيه :

٥ ما تقولون ؟ : فىما نزل من السماء ، وعلّق فى الهواء ، له عين عيياء ، وكفّ شلاءً ، ليس له إن عدل ثواب ، ولا عليه إن جار عقاب ، خلّق من ثلاثة أجناس ، تضعضعه الأنفاس ، جسمه عارٍ من غير لباس ، أنحسّ اللسان ، فى أذنه حُرّصان ، مكرّر الذكر فى القرآن ، ينطوى إذا نام كالصلّ ، وفعله المستقبل معتلّ ، وله فى الآخرة أكبر محلّ .
وقال أبو نصر الكاتب فى الخاتم :

١٠ ومنكوج إذا ملكته كفّ * وليس يكون فى هذا مرأى
له عينٌ تخلّ لها ضياءٌ * فإن تحلّت فبالميل^(٢) العماء
يظلّ طليعةً للوصل هونا * وللجانى بزورته آحتاء
وقد أوضحته وأبنت عنه * ففسره فقد برح الخفاء
أراد بقوله : تخلّ لها ضياءٌ أى أنها مفتوحة ، وكلّها بالإصبع ؛ وقد يبعث المحبوب بخاتمه علامةً للزيارة أو رهنًا عليها ، وهو أمانٌ للجانى .

وقال ابن الرومى فى فتيلة السراج :
ما حيّة فى رأسها دُرّة * تسبح فى بحر قليل المدى
إن غيّبت كان العمى حاضرا * وإن بدت لاحت طريق الهدى

(١) كذا فى الأصول ، وهو غير ظاهر المعنى .

(٢) كذا فى أحد الأصول وفى كتاب الإنجاز فى فنون الألغاز . وفى باقى الأصول : « طليل » .

وقال السرى الرّفاء فى شبكة الصياد :

وكثيرة الأحداق إلا أنها * عمية ما لم تنغمس فى ماء
واذا هى انغمست أفادت ربها * ما لا يُنال بأعين البصراء
وقال آخر فى النوم :

وحاملي يجلسنى * وماله شخص يرى
إذا حصلت فوقه * وهو لذيد المتطى
سريت لا أدرى أفى * أرض سريت أم سما

وقال أبو العلاء المعرى فى ركابى السرج :

خليلان نيطا فى جوانب مجلس * جداراه قدّام له ووراء
مى يضع الرّجلين ماش عليهما * يزلّ عنه فى وشك حقاّ وحفاّ

قوله : خليلان لتشابههما، والمجلس : السرج، وجداراه : قربوسه ورادفته،
والحفا مقصور : وجعُ الرّجل، وممدود : من مشى الرجل حافيا بغير نعل .

وقال أبو القاسم عبد الصمد بن بابك فى القفل ^(١) :

مُجامعٌ يعقد عقَد الكلبة * إن رامه غيرك جرّ نكبة
ينام كالأمرد لا كالقعبه * حتى إذا شكّ القمد جنبه
وعالج الجذبة بعد الجذبة * وأنحلّ بالحقنة لا بالشربة
ألقى جنينا نتجتّه العزبة * ثم إذا عاد إليه أشبه
بعض حروف المعجم المنكبة * يُغض وهو صادق المحبة
يعتقد السّلم وينوى حربة * وهو على ذاك طويل الصبّة

(١) كذا فى أحد الأصول وكنا الإعراف فى فنون الألفاظ ونبذة الدهر ورفيات الأعيان

لابن حلكان . وفى باقى الأصول : « نائل » وهو تحريف .

شَبَّهَ بالمجامع : لدخول الفَرَّاشِ في بطنه ، وقوله : يعقد عقد الكلبة : في عُسر المفارقة ، وإن فتحه غيرك جرّ نكبة عليك لسرقة ما [أقفلت عليه] ، ينام كالأمرد لأنكابه . والقُمْدُ : الذكر وهو المفتاح ، والجنين : الفَرَّاشُ ، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف . وقال في اسم سعيد :

يسم عن أول اسمه جَيّ * ثم بثاني حروفه يسي
ثم بحرفين لو بدا بهما * أسدى يدا صورةُ اسمها تُبَي
أربعة نصفها بكلماتها * في العد لم تنتقص ولم تُزَي
هذا وفيه اسمُ يومٍ آتفت * مفاخرُ العُجم فيه والعُرب
فأعمل الفكر في تأمله * واركب به كلَّ مَرَكَبٍ صعبٍ

شَبَّهَ السين بالثغر ، وثانيه العين وهى تسي القلوب ، والحرفان يَد وهو أربعة في العدد وستة في الصورة ، وإذا أخذت السين والعين فهى أربعة وهى جملة العدد ، وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة والملبوس .

وقال ابن أبي البَغل الكاتب في القلم ^(٢) :

أصمّ عن المنادى لا يجيبُ * به تنجو وتشتعل الخطوبُ
ضائل الجسم أعلمُ ليس تخفى * عليه غيوبُ ما تخفى القلوبُ
تراه راجلاً لا رُوحَ فيه * ويُحييه ويُنطقه الزكوبُ
يبين لسانه ما كان سوداً ^(٣) * مفارقةً ويُخرسه المشيبُ

(١) التصحيح عن كتاب الإيجاز في فنون الألفاظ . وفي الأصل : « ما فيه » .

(٢) هو أحمد بن محمد بن يحيى ، كان أميراً على فارس لبنى العباس سنة ٣٠٠ هـ ؛ شاعر مشهور .

(٣) أنظر صلة تاريخ الطارى لعريب بن سعد القرطبي ص ٤٠ طبع ليدن) .

(٣) كذا في كتاب الإيجاز . وفي الأصل : « ما كن سودا * معارفه » وهو تحريف .

يَقْسَمُ فِي الْوَرَى بِؤْسَى وَنَعْمَى * وَيَحْكُمُ وَالْقَضَاءُ لَهُ مَجِيبُ
عَجِبْتُ لِسَطْوَةٍ فِيهِ وَضَعْفُ * وَكُلُّ أُمُورِهِ عَجَبٌ عَجِيبُ
أَرَادَ بِقَوْلِهِ «أَعْلَمُ» مَشْقُوقُ الشَّفَةِ .

وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ فِي الْمَلْحُحِ :

وَبِضَاءٍ مِنْ سَرِّ الْمِلَاحِ مَلَكْتُهَا * فَلَمَّا قَضَيْتُ إِرْبِي حَبِوتُهَا صَحْبِي ٥
فَبَاتُوا بِهَا مُسْتَمْتَعِينَ وَلَمْ تَزَلْ * تَحْتَمُّ بِعَدِّ الطَّعَامِ عَلَى الشَّرْبِ
قَوْلُهُ : سَرِّ أَيْ خَالِصَةِ، وَالْمِلَاحُ جَمْعُ مِلْحٍ، وَالْإِرْبُ : الْحَاجَةُ .

وَقَالَ آخَرُ فِي عَوْدَى الْغَنَاءِ وَالْبُخُورِ :

وَمَا شِئَانُ إِسْمِهِمَا سَوَاءٌ * وَأَصْلُهُمَا مَعًا عِنْدَ أَنْتَسَابِ
إِذَا حَضَرَكَ بَتْ قَرِيرِ عَيْنِ * بَلَا طَعْمَ يَلْدَ وَلَا شَرَابِ ١٠
وَمَا إِنْ يَوْجِدَانِ النَّفْعَ إِلَّا * بِضَرْبٍ أَوْ ضَرْبٍ مِنْ عَذَابِ
مَعْنَى إِسْمِهِمَا سَوَاءٌ ظَاهِرٌ ، وَأَصْلُهُمَا خَشَبٌ، وَالضَّرْبُ الْأَوَّلُ : ضَرْبُ الْعُودِ،
وَالثَّانِي : مِنَ الْعَذَابِ وَهُوَ الْإِحْرَاقُ .

وَقَالَ آخَرُ فِي الْحَرْبِ :

مَا ذَاتَ شَوْكِ لَهَا جَنَاحِ * يَخْتَلِفُ النَّاسُ عَنْ قَرِيبِ ١٥
وَهِيَ عَقِيمٌ تَرَى بَنِيهَا * مَا بَيْنَ مُرْدٍ وَبَيْنَ شَيْبِ
يَأْكُلُ بَعْضُ الْبَنِينَ بَعْضًا * طُلُوعَ شَمْسٍ إِلَى غُرُوبِ
تَصْحِيفُهَا الدَّاءَ غَيْرَ شَكِ * قَدْ يُحْسِمُ الدَّاءُ بِالطَّيِّبِ
وَالدَّاءُ مَعْكُوسُهُ مَكَانُ * يَصْلُحُ لِلطَّائِرِ الْجَنِيِّبِ
يَعْرِفُهَا مَنْ يَكُونُ طَبًّا * بِالشَّعْرِ وَالنَّحْوِ وَالغَرِيبِ ٢٠

هذا لغز معى فى الحرب ، وشوكها : السلاح ، وجناحاها : جانبها ، وعقيم :
لأنها لا تلد ، وبنوها : رجالها ، وأكلهم : قتلهم ، وتصحيفها : الحرب ،
وعكسه : برج .

وقال آخر فى الثدى :

وما أخوان مشتهان جدًّا * كما أشتبه الغراب والغرابُ
يَضْمَهُمَا على مرّ الليالى * وما أجمعوا ولا أفرقا إهابُ
لذلك وذا دموع هاملات * ولكن كلّ دمعهما شرابُ
يصونهما عن الأبصار دين * ويضرب دون نيلهما حجابُ
هما ثديا المرأة ، ويضمّهما إهاب وهو الجلد .

وقال آخر فى الفخ :

وما ميت كفتته ودفتته * فقام الى حى صحيح فأوثقه

وقال آخر وهو لغز :

حلف الحبيب على لا سميّه * فكنته ولطفت خوف تفاضيه
ظبي اذا ما زارنى حلّ أسمه * قلبى وذلك من عجيب عجائبه
ويكون إن رجمته ونحرمته * وقلبتّه ما تشهى من صاحبه
ويكون إن صحفت مبدأه الذى * أصبحت تهواه لعين مراقبه
وتراه بعد الجزم إن ميّرت فى التصحيف مقلوبا أشدّ معايبه
وحروفها فالنصف منها جذرها * وحساب ذلك غير متعب حاسيه
فاطلبه سادس سادس ثانيه ثا * نيه وثالثه كذاك لطالبه
وتمامه من بعد مثل حروفه * فى البيت صحّ أسم الحبيب لقاليه

هو لغز في فرحة ، والترخيم : حذف الآخر ، والحرم : حذف الأول ؛ فاذا رخم
ونحرم وقلب بقى : حر ، واذا قلبت الفاء قافا بقى : قرحة لعين المراقب ، واذا صحفته
مقلوبا ، وجزمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه آثنان ، وهما جذر جميع
حروفه ، وقوله : فأطلبه سادس سادس : يعنى البيت السادس .

وقال آخر في سلمى :

سَلِّ مَاهِرًا بِالْقَرِيضِ وَالْأَدَبِ * مَا أَسْمَ فَنَاسَةٍ قَعِيدَةِ النَّسَبِ
قَدْ صَرَّحَ الشَّعْرَ بِأَسْمَها فَتَى * فَكَّرَتْ فِيهَا ظَفَرَتْ بِالْعَجَبِ
الْأَسْمَ سَلَمَى ، وهو ظاهر في أول البيت .

وقال آخر في الكوة :

ومضروبة تحيا إذا ما ضربتها * وإن تُرِكَتْ مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ مَاتَتْ
وقال أبو عبد الله بن المغلس في السراج :
وداع الى نفسه في الظلام * وما سمعتُ أذنهُ صَوْتَهُ
إذا هو يَبْيَضُ وَجْهَ الطَّرِيقِ سَوْدَ فِي وَقْتِهِ يَبْتَهُ
وقال آخر في الصدى :

وساكين يسكن في الفلاة * ليس من الوحش ولا النبات
ولا من الحق ولا الحيات * ولا الخيام الشعر والأبيات
ولا بذى جسم ولا حياة * كَلَّا ولا يدرك بالصفات
بلى له صوت من الأصوات * يُسْمَعُ فِي الْأَحْيَانِ وَالْأَوْقَاتِ
وقال ابن المغلس في النخلة :

وقائمة أبدا لا تنام * وما قدمت قط مذامت
تعيش إذا غسلوا رجلها * وإن حلقوا رأسها ماتت

وقال آخر :

مايقول سيدنا الشيخ : في شيء نزل من السماء ، وركض في الهواء ، وخيم في البیداء ، نطق على نفسه فأفصح ، وتكلم فبين وأوضح ، أنقر وأغنى ، وأمات وأحيا ؛ له شوارق من غير غضب ، ورقصات على غير طرب ؛ يسبق الفرس السريع ، ويسبقه الطفل الرضيع ؛ يختلف الألوان ، يوجد في كل زمان ؛ ما أكثر لغاته ؛ وأعم في البشر ذكر صفاته ؛ وهو خفيف ثقل ، كثير قليل ، كبير صغير ، طويل قصير ؛ غال رخيص ، قوى ضعيف ، سريع بطيء ، بارد حار ، نافع ضار ، أبيض أسود أزرق ، قريب بعيد ، قديم جديد ؛ متحرك ساكن ، ظاهر باطن ؛ يتجسر ويتكسر ، ويتعوج ويتدور ؛ سلطانه في الشمال وبه يذل ، وضعفه في الجنوب وبه يعز ، نحيل يخنى جنة الفيل في طيه وعطفه ، ويتخلل جفن العين الزمدة برقته ولطفه ، يمشي على الحدق فلا يؤلمها ، ويطأ القلوب فلا يكلمها ؛ على أنه يقطع الطريق ، ويخيف الفريق ؛ كم أهلك من قوم وما أراق ولا سفك ! يحمل ألف قطار ، ويعجز عن حمل دينار ؛ وهو ليلى نهارى ، عربى عجمى ، برى بحرى ، مهلى جبلى ، رومى نوبى ، هندى حبشى صينى ؛ جاهل إسلامى ؛ كان مع آدم في الجنة ، وصحب نوحا في السفينة ، وتوسط النار مع إبراهيم ، كم له مع موسى من خبر ! ولموسى فيه من آية وأثر ! حمل المسيح على غير ظهره ، وما سار في بر ولا بحر ؛ أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم من جسده ، وفزقه على صحابته ؛ اسم هذا إذا نطقت به كان بعض أسم أحد خلفاء بنى العباس السبعة وهو ١٤٣١

وقال آخر :

ما شيء وجهه قمر ، وقلبه حجر ؛ إن علقت ضاع ، وإن أدخلته السوق أبى أن يساع ؛ وإن فككته دعا لك ، وإن ركبت نصفه هالك ، وربما كثر أموالك ؛ وإن



حذفت آخره، وشددت ثانيه، أوردك الألم عند الفجر، والضجر عند العصر؟ هو
الدملج الفضة .



ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

- ٥ فمن ذلك — أمر أن ألقنا برجلين قالتا لها: مرحبا بابنينا وزوجينا وأبني زوجينا ؛
وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأم الآخر، فهما أبناهما وزوجاهما وابنا زوجيهما .
رجلان كل واحد منهما عم الآخر وابن أخيه ؛ وذلك : أن كل واحد من
أبويهما تزوج بأم الآخر، فزرع كل واحد منهما ولدا، فكل من الولدين عم الآخر
وإن أخيه .

- ١٠ رجلان كل واحد منهما خال الآخر وابن أخته ؛ وذلك : أن كل واحد من
أبويهما تزوج بابنة الآخر، فزرع كل واحد منهما ولدا، فكل من ولديهما خال الآخر
وإن أخته .

- رجل وأمرأتان هو خال إحداهما وهي خالته، وعم الأخرى وهي عمته ؛
وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه، وأخته لأبيه تزوجت بأب أمه ،
١٥ فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها، وبنت جدته عمته وهو عمها، وهذا أصل
الآيات المنظومة في ذلك :

ولي خالة وأنا خالها * ولي عمّة وأنا عمّها

- رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته ؛ وذلك : أن كل واحد
من أبويهما تزوج بأخت الآخر، فزرع كل منهما ولدا، فكل من ولديهما ابن خال
الآخر وابن عمته .

رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر؛ وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بأم أب الآخر، فكل من أولادهما عم أب الآخر

رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر؛ وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بأبنة ابن الآخر، فكل من أولادهما عم أم الآخر .

• رجلان كل واحد منهما خال أم الآخر، وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بأبنة بنت الآخر، فكل من أولادهما خال أم الآخر .

رجلان أحدهما عم الآخر والآخر خاله؛ وذلك : أن رجلين تزوج أحدهما امرأة وتزوج الآخر ابنة أبها، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عم ابن الابن، وابن الابن من أم امرأة الأب؛ هو أخوها وخال أبها .

١٠ رجلان أحدهما عم الآخر وخاله، والآخر ابن أخيه وابن أخته؛ وذلك : أن رجلاً له أخ لأب وأخت لأم فزوج أخاه لأبيه بأخته لأمه فأولدها ولدا فهما كذلك .

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والملح، والنحر، والمعاقرة،

والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب

وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

في المدح، وفيه ثلاثة عشر فصلاً

حقيقة المدح وما قيل فيه، ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام، ما قيل

في الإعطاء قبل السؤال، ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام، ما قيل في وفور

العقل، ما قيل في الصدق، ما قيل في الوفاء والمحافظة، ما قيل في التواضع، ما قيل

في القناعة والزهادة، ما قيل في الشكر والثناء، ما قيل في الوعد والإنجاز، ما قيل

في الشفاعة، ما قيل في الاعتذار والاستعطاف.

فأما حقيقة المدح، فقد عبر عنها الحمدوني في "غاية الاختصار والإيجاز" بقوله

حقيقة المدح: وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبها عليها، ويكون نعتاً حميداً.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ

الْفُحْشِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ أَفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ وقال

عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ أَلْفَاظُهُمْ السَّائِحُونَ أَلَّا يَكُونُ السَّاجِدُونَ لِلْأَمْرِ أَلَّا يَكُونُوا

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيَةِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وروى

عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .
وقد أوتوا الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم المدّاحين
فأحثوا في وجوههم التراب » قال العُتْبِيُّ : هو المدح الباطل والكذب . وأما مدح
الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، ومما يعُضد هذا أنّ العباس بن عبد المطلب وكعب
ابن زهير ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد
أنه حنّ في وجه أحد منهم ترابا . وقيل في حنو التراب معنّيان : أحدهما التغايط
في الردّ عليه ، والثاني يقال له : بفيك التراب .

وللشعراء عادة في تجاوز قدر الممدوح فوق ما يستحقّه حتى إنّ ذلك أفضى
بكثير منهم إلى الكفر والخروج عن الحدّ أعاذنا الله من ذلك . وقال أنو شروان :
من أثنى عليك بما لم توله فغير بعيد أن يذمك بما لم تجنّه . وقال وهب بن منبه :
من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك .

وأشدّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قول زهير بن أبى سلمى في هيرم بن سنان :
دع ذا وعدّ القول في هيرم . خير الكهول وسيد الحُضُر^(١)
لو كنت من شيء سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر^(٢)
ولأنت أوصل من سمعت به * لنوائل الأرحام والصّهر
ولعم حشو الدرع أنت اذا * دُعيت نزال ولجّ في الدّعبر
فقال عمر رضى الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما حضر أبا بكر الصديق رضى الله عنه الوفاة قالت عائشة رضى الله عنها
وهو يغمض :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه * ثمّال اليتامى عصمة للأرامل

(١) في ديوان زهير : « خير البداة » أى خير أهل البدو . (٢) في ديوانه : « ليلة البدر » .

فنظر إليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخر :

ولو كنت أرضاً كنت مِثْءَ سهلة * ولو كنت ليلاً كنت صاحبة البدر
ولو كنت ماءً كنت ماء عمامة * ولو كنت يوماً كنت تعريسة الفجر

وقال محمد بن هاني :

أغير الذي قد خُط في اللوح أبتغي * مديحاً له إني إذا لعنود
وما يستوى وحى من الله منزل * وقافية في الغابرين شروء

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمُتَمِّم بن نويرة : صف لي أخاك فإني أراك
تمدحه ^(١) فقال : كان يركب الجمل الثقال في الليلة الباردة ، يرتبى لأهله بين المزداتين

المضرّجتين ، عليه الشملة القلوب ، يقود الفرس الحرون ثم يصبح ضاحكا .

وسأل عبد الله بن عباس صَعْصَعَةَ بن صُوحان العبدي عن إخوته فقال :

أما زيد فكما قال أخو غني ^(٢) :

فتي لا يبالي أن يكون وجهه * إذا نال خلان الكرام شحوب

ثم قال : كان والله يأبى عباس ، عظيم المروءة ، شريف الأئمة ، جليل القدر ،

بعيد الشر ^(٣) ، كَمِيشُ العُروءة ، زين البدوة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الفكر ،

(١) هذه عبارة الأديب ح ١٤ ص ٦٩ غير أنه ورد فيها لمظة الحرون محرفة الى الجرور ويصح

محرفة الى يصيح . وعارة الأصل : « كان أنى يجلس المزداتين الصوحين في الليلة القرة معتقلا للرخ الخطل

عليه الشملة القلوب يهوى الفرس الحرون ويصح ضاحكا مستبشرا . الخطل : الطويل المصطارب .

والقلوب : التي لا تصم على الرجل لقصرها » . والتعريف فيها واضح فلا محل هنا لذكر الصوحين وهما

حاجبا الوادي ولأنه يجلس المراد بينهما ، وكذلك القلوب محرفة عن القلوت وهو من الكساء . ألا يصم طرفاه

من صعره أو ضيقه فهو يتلث عنه كل ساعة ، والرجل محرفة عن الرجل .

(٢) كذا في الأصلين الفتنوعرافيين . وفي السبعة الرابعة : « أخو عبس » .

(٣) في أحد الأصلين : « بعيد الأشر » .

ذا كَرَّ الله تعالى طَرْفِي النَّهَارَ وَزَلَقًا مِنَ اللَّيْلِ ! الْجُوعَ وَالشَّجَّعَ عِنْدَهُ سَيَّانَ ، لَا مَنَافَسَ
فِي الدُّنْيَا ، وَلَا غَافِلَ عَنِ الْآخِرَةِ ؛ يَطِيلُ السَّكُوتُ ، وَيَدِيمُ الْفِكْرُ ، وَيَكْثُرُ الْإِعْتِبَارُ ،
وَيَقُولُ الْحَقُّ ، وَيُلْهَجُ الصَّدَقُ ؛ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ غَيْرُ رِيهِ ، وَلَا يَهْمُهُ غَيْرُ نَفْسِهِ . فَقَالَ
أَبْنُ عَبَّاسٍ : مَا ظَنُّكَ بِرَجُلٍ سَبَقَهُ عَضْوُ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ ؟ رَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا ! فَأَيْنَ كَانَ
عَبْدُ اللَّهِ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ سَيِّدًا شَجَاعًا ، شَيْخًا مُطَاعًا ، خَيْرَهُ وَسَاعَ ، وَشَرَهُ
دِفَاعَ ؛ أَيْنَ النَّجِيزَةُ ، أُحْوَذِي الدَّرِيْزَةَ ، لَا يُنْهِنُهُ مُنْهِنُهُ عَمَّا أَرَادَ ، وَلَا يَرْكَبُ إِلَّا
مَا أَعْتَادَ ؛ سِمَامَ الْعَدَى ، فَيَاضَ النَّدَى ؛ صَعْبَ الْمَقَادَةِ ، جَزَلَ الرَّفَادَةِ ؛ أَخُو إِخْوَانِ ،
وَفِي فَنِيَانٍ ؛ ثُمَّ أَتَشَدُّ شَعْرَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرَكَ مَقَالًا لِقَائِلٍ * مُبْلَتَقَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصَالًا
(١١)

قَضَى فِشْنِي مَا فِي النَّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ * لَذَى إِرَابَةٍ فِي الْقَوْلِ حَدًّا وَلَا هَزْلًا

وَدَخَلَ ضَرَّارُ بْنُ صَمْرَةَ الْكَلْبَانِيَّ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُ : صَفِّ لِي
عَلِيًّا ، فَقَالَ لَهُ : أَوْ تَعْفِينِي ؟ فَقَالَ : لَا أَغْفِيكَ ، قَالَ : أَمَا إِذْ لَا بَدَّ ، فَإِنَّهُ كَانَ
بَعِيدَ الْمَدَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ؛ يَقُولُ فَصْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ؛ يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ،
وَتَنْطَلِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ؛ يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَيَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلُمَتِهِ ؛
كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ؛ يَقْلَبُ كَفَيْهِ ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ ؛ يَعْجِبُهُ مِنْ
الْبَاسِ مَا قَصُرَ ، وَمِنْ الطَّعَامِ مَا خَشِنَ ؛ كَانَ وَاللَّهِ [فِينَا] كَأَحَدِنَا ، يَدِينُنَا إِذَا أَتَيْنَاهُ ،
وَيُحْيِينَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ؛ وَكَانَ مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نَكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ ، [وَلَا نَبْتَدِئُهُ
أَعْظَمَتِهِ] ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعِنَ مِثْلَ لَوْلُؤٍ مَنْظُومٍ ؛ يُعْظَمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ؛
لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ ، وَلَا يَبْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ .

(١) كَذَا فِي الْمَقْدُودِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢١٤) وَعَيُونَ الْأَحَارِ طَبْعُ دَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ (ج ٢ ص ١٧٠) .
وَفِي الْأَصْلِ : « الْقَوْمُ » . (٢) الزِّيَادَةُ عَنِ الْأَمَالِيِّ طَبْعُ دَارِ الْكُتُبِ (ج ٢ ص ١٤٧) .
(٣) وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْوَصْفُ لِسَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ الْأَمَالِيِّ زِيَادَةً عَمَّا هُنَا فَلْيَرِاجِعْ .

وذكر عمرو بن معد يكرب بن سليم فقال: بارك الله على حى بن سليم، ما أصدق في الهجاء لقاءها! وأثبت في النوازل بلاءها! وأجزل في النائبات عطاءها! والله لقد قاتلتهم فما أجبتهم، وهاجبتهم فما أخممتهم، وسالتهم فما أبلتتهم.

وقال بعض العرب: فلان حنط الأقران غداة النزال، وربيع الضيفان عشيّة

النزول.

وقال آخر: فلان ليث إذا غدا، وبدر إذا بدا، ونجم إذا هدى، وسُم إذا أُردي.

ودخل النابغة على النعمان بن المنذر بن أمية القيس بن عمرو بن عدى التميمي حياها بتحية المملوك، ثم قال: أيفانرك ذو فائش وأنت سائس العرب، وغمرة الحسب؛ واللات، لأمسك أيمن من يومه، وأعبذك أكرم من قومه، وللفاك أحسن من وجهه، وليسارك أجود من يديه، ولظنك أصدق من يقينه، ولوعدك أنلج من رفته، ولخالك أشرف من جدّه، ولنفسك^(١) أمنع من جُنده، وليومك أزهر من دهره، ولفترك أبسط من شهره، ثم قال:

أخلاقُ مجدك جلّت ما لها خطر * في البأس والحدود بين الحلم والخفير^(٢)

متّوِّج بالمعالى فوق مفرقه * وفي الوغى ضيغم في صورة القمر

رَبِّدَا

إذا دجا الخطب جلاه بصارمه * كما يُحِلُّ زمانُ المحل بالمطر

فهلّل وجه النعمان سروراً، ثم أمر أن يُحشى فوه دزاً، وكُمى أثواب الرضا، وكانت جباباً أطواقها الذهب بقصب الزمرد. ثم قال النعمان: هكنا فليمدح المملوك.

وذو فائش: هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يَحْصَب بن مالك وكان النابغة

(١) يقال: إبل أو غمّ نقش: ترى ليلاً لا راع. وفي الأصول: «لعمرك» وهو تحريف.

(٢) الخمر بالحريك: شدة الحياة. والدى في كتاب (التوضيح والبيان في شعر نابغة بن ذبيان):

«بي العلم والخبر».

متصلاً به قبل اتصاله بالنعمان، وله فيه مدائح كثيرة فأقتص الله تعالى من النعمان بن المنذر بعد ذلك لما حكي أنه دخل حسان بن ثابت على الحارث الجفني فقال: آنعم صباحاً أيها الملك! السماء غطاؤك، والأرض وطاؤك، ووالدي وولدي فداؤك، أي ينافسك ابن المنذر! فوالله لقدالك أحسن من وجهه، ولأتمك خير من أبيه، ولظلك خير من شخصه، ولصمتك أبلغ من كلامه، ولشمالك خير من يمينه، ثم قال:

قدالك أحسن من وجهه * وأتمك خير من المنذر

ويُسرى يدك إذا أعسرت * كيمنى يديه فلا تـمـتر

أخذ المعنى الحسن بن هاني فقال:

بأبي أنت من غزال غرير * بد حسن الوجوه حسن ففاكا

ونظر بعض الشعراء الى هذا المعنى فقال يمدح زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور أم الأئمين:

أزبيدة بنت جعفر * طوبى لرائك المثاب

تعطين من رجليك ما * تعطى الأكف من الرغاب

فلما أنشد ذلك تبادر العبيد ليقعوا به، فقالت زبيدة: كفوا عنه فلم يرد إلا خيراً، ومن أراد خيراً فأخطأ خير ممن أراد شراً فأصاب، إنه سمع الناس يقولون: ففاك أحسن من وجه غيرك، وشمالك أئدى من يمين سواك، فقدّر أن هذا مثل ذاك، أعطوه ما أمّل، وعرفوه ما جهل. ومثله: مدح شاعر أميراً فقال:

أنت الهام أبى الهما * م الواسع أبى الواسعة

فقال له: من أين عرفتها؟ قال: قد جربتها، فقال: أسوأ من شعرك ما أتيت

به من عذرك!

قال دخل خالد بن عبد الله القسرى على عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فأنت قد زيتها ، ومن يكن شرفه فقد شرفها ، وأنت كما قال الشاعر :

وإذا الدّر زان حسنَ وجوه * كان للدهر حسنٌ وجهك زِيناً

فقال عمر بن عبد العزيز : أُعْطِيَ صاحبكم مَقُولاً ، ولم يُعْطِ معقولاً . ولما دخل عبد الله المأمون بغدادَ تلقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، بارك الله لنا في مَقْدَمك ، وزادك في نعمتك ، وشكرك على رِعِيَتِكَ ، تقدّمت من قبلك ، وأتعت من بعدك ، وأياستَ أن نعاين مثلك ، أما فيمن مضى فلا نعرفه ، وأما فيمن بقى فلا نرجوه ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونُثْنِي عليك ، خَصِبْ لنا جنابك ، وعدُّبْ شرابك ، وحَسِّنْ نُصْرَتَكَ ، وكرِّمْ مقدرتك ، جبرتَ الفقيرَ ، وفككتَ الأسيرَ ، فأنت — يا أمير المؤمنين — كما قال الشاعر :

ما زلت في البذل للنوال وإط * للاق لعانَ بجرمه غَلِقَ

حتى تمسّى البراء أنهم * عندك أمسوا في القِدِّ والخلَقِ

وقال رجل للحسن بن سَهْل : لقد صرت لا أَسْتَكْثِرُ كثيرَكَ ، وإن قليلَكَ أكثر من كثير غيرك . وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثتَ فينا شيئاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ المديحُ كلّهُ دون قدرك ، والشُّعْرُ فِيكَ فوق قدرى ، ولكنى أَسْتَحْسِنُ قول العَتَّابِ :

ماذا عسى مادح يُثْنِي عليك وقد * ناذاك في الوحي تَقْدِيسٌ وتطهيرُ

فَتَّ المادح إلا أن ألسنا * مستنطقات بما تخفى الضمائرُ

وقال رجل في خالد بن صفوان : قريع المنطق ، جزل الألفاظ ، عريب اللسان ، قليل الحركات ، حسن الإشارات ، حلو الشائيل ، كثير الطلاوة صموتا قؤولا^(١) بها الجرب ، ويذاوى الدبر^(٢) ، ويقل المحز ، ويطبق المفصل ؛ لم يكن الزمر في مروءته ، ولا بالهذر في منطقته ، متبوعا غير تابع ؛ كأنه علم في رأسه نار .

وقيل لبعض الخلفاء : إن شبيب بن شبة يستعمل الكلام ليستعمل به ؛ فلو أمرت به أن يصعد المنبر فجأة لأنتضح ، قال : فأمر من أخذ بيده فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن لأمر المؤمنين أشباها أربعة ، منها : الأسد الخادر ، والبحر الزاهر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ؛ أما الأسد الخادر ، فأشبه منه صولته ومضاءه ؛ وأما البحر الزاهر ، فأشبه منه جوده وعطاءه ؛ وأما القمر الباهر ، فأشبه منه ثوره وضياه ؛ وأما الربيع الناضر ، فأشبه منه حسنه وبهائه ، ثم نزل .

وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلم بحاجتك ؛ فقال : يبيك الله تعالى يا أمير المؤمنين ، قال : تكلم بحاجتك ؛ فإنك لا تقدر على مثل هذا المقام في كل حين ؛ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما استقصر أجلك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغنم مالك ؛ وإن عطائك لشرف ، وإن سؤالك لزين ، وما بأمرئ بدّل اليك وجهه نقص ولا شين ؛ فأحسن جائزته وأكرمه .

(١) هنا الجرب ، الهنا : القطران أى أنه لا يتكلم إلا فيما يجب الكلام ، مثل الطال الرفيق الذى يضع الهنا . وضع الجرب .

(٢) يقل المحز ويطبق المفصل أى يقل الكلام ويصيب المعاني ، شبه بالجرار الرقيق يقل جرائم ويصيب مفاصله . وهذه أمثال تضرب في البلاغة . راجع عيون الأخبار طبع دار الكتب (ج ٢ ص ١٦٩ والعقد الفرید طبع بولاق (ج ١ ص ٢١٤) .

وقال محمد بن مالك القرطبي من رسالة: ما رأيتُ وجهها اسمح، ولا حلماً أرجح، ولا سبيجة أسبح، ولا بشراً أبدي، ولا كفاً أندى، ولا غرة أجمل، ولا فضيلة أكل، ولا خلقاً أصفى، ولا وعداً أوفى، ولا ثوباً أطهر، ولا ستماً أوفر، ولا أصلاً أطيب، ولا رأياً أصوب، ولا لفظاً أعذب، ولا عرضاً أنقى، ولا بناءً أنقى، مما خص الله به ثالث القمرين، وسراج الخافقين، وعماد الثقلين، المعتصم بالله .

وقال بعض الكتّاب : إن من النعمة على المثني عليك ألا يخاف الإفراط ، ولا يأمن التقصير ، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب ، ولا يتهمى به المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها ، ومن سعادة جدك أن الداعي لك لا يعدم كثرة المشايعين له ، والمؤمنين معه .

وقال آخر : إنى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذى لا يخفى على كل ناظر؛ وأيقنت أنى حيث أتتهى بى القول الى العجز مقصراً عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك؛ وولت الإخبار عنك الى علم الناس بك .

وقال أبو عبدالله محمد بن الخياط من رقعة طويلة في المظفر قال فى أولها: حجب الله عن الحاجب المظفر أعين البائبات، وقبض دونه أيدي الحاديات؛ فإنه مذ كان أنور من الشمس ضياءً، وأكمل من البدر بهاءً؛ وأندى من الغيث كفاً، وأحمى من الليث أنفاً؛ وأسمى من البحر بناها، وأمضى من النصل لساناً؛ وأنجبه المنصور بجرى على سننه، وأدبه فأخذ بسننه؛ وكانت الرياسة عليه موقوفة، والسياسة اليه مصروفة؛ قصرت الأوهام عن كنه فضله، وعجزت الأقلام عن وصف مثله؛ غير أن الفضائل لا بد من نشرها، والمكارم لا عذر فى ترك شكرها .

٢٠

فهذه نبذة كافية مما ورد فى المنشور فلندكر ما ورد من المنظوم فى ذلك .

(١)
قال أبو هلال العسكري : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول :
أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر :
ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذبُ
بأنك شمس والملوك كواكب * إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبُ

وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كندة يمدح عمرو بن هند :
تكاد تميم الأرض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غصبةً وهو عاتبُ
هو الشمس وافت يوم سعيد فافضلت * على كلِّ ضوء والملوك كواكبُ
وقال نصيب :

هو البدر والناس الكواكبُ حوله * وهل يشبه البدرَ المضيء كواكبُ
وقالوا : أبدع بيت قيل في المديح قول النابغة :
فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلتُ أن المتأني عنك واسعُ
وقوله : «أخلاقُ مجدك» — الأبيات وقد تقدمت — وقد تداول الناس معنى قول
النابغة :

« فإنك كالليل الذي هو مُدركي *
فقال الفرزدق :
فلو حملتني الريحُ ثم طلبتني * لكنتُ كشيءٍ أدركته مقادرةُ
وقول النابغة أبلغ ، لأن الليل أعم من الريح ، والريح يُمتنع منها بأشياء ، والليل
لا يمتنع منه شيء . وأخذ سلمُ الخاسرُ قول الفرزدق فقال :

(١) كذا في الأصول . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري نسخة خطية محفوظة بدار الكتب
المصرية تحت رقم (١٨٧٤ أدب) : « سعد » .

(١) فأت كالدهر مبتوتا حبائله * والدهر لا ملجأ منه ولا هرب
ولو ملكت عيانَ الريح أصرفه * في كل ناحية ما فأتك الطلب
وقالوا : أجد شئ قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين والمحدثين
قول أبي العتاهية يمدح الرشيد بن المهدي وولده :

٥ بنو المصطفى هارون حول سريره * نغير قيام حوله وقعود
تقلب الحاظ المهابة بينهم * عيون طباء في قلوب أسود
وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول أبي الطمّحان القيني :

(٢) أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبة
نجوم سماء كلما أنقض كوكب * بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
١٠ وما زال منهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت كائبه
وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بختيار بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، وكان
أسيرا في يده ، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جرّ ناصيته ، وأول القصيدة :
إذا قيل أى الناس خير قبيلة * وأصبر يوما لا توارى كواكبه
فإن بنى لأم بن عمرو أرومة : علت فوق صعب لا شال مراتبه
١٥ أضاءت لهم أحسابهم الأبيات .

(١) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي الأصول : « مثوتا » .

(٢) في ديوان المعاني : « بين » .

(٣) كذا في الأصول والأعاني والكمال للبرد وديوان المعاني . وقد ذكرت هذه الأبيات في الشعر
والشعراء لابن قتيبة في ترجمة لقيط بن زرارة حيث قال : « وبعض الرواة يجعل هذا الشعر أبا الطمّحان
القيني وليس كذلك إنما هو لقيط » .

٢٠

(٤) الجزء (فتح الجيم وسكون الراء) : الخرز اليماني والصيني ، وهو الذي فيه بياض وسواد .
(٥) كذا في أحد الأصول والأعاني وشرح القاموس . وفي باقي الأصول والمشتبه في أسماء الرجال
للذهبي « بختيار » بفتح الباء وبالخاء المهملة .

ومثله قول ابن أبي السَّمُط :

فَقِي لَا يَسَالَى الْمُدْبِلُونَ بَنُورَهُ * إِلَى بَابِهِ أَلَا تَضِيءُ الْكَوَاكِبُ
لَهُ حَاجِبٌ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ * وَلَيْسَ لَهُ عَنِ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ
ومثله قول الحُطَيْثَةِ :

نَمَشَى عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابِ أَضْأَانٍ لَنَا * كَمَا أَضَاءَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَّارِي
ومثله قول الآخر :

وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمُدْبِلِينَ آعَشَوْهَا * صَدَعْنَ الدَّبَجِي حَتَّى يَرَى اللَّيْلُ يُجَلِّي
وقال عيسى بن أوس يمدح الحُنَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

إِلَى مُسْتَنِيرِ الْوَجْهِ طَالِ بِسُودِدٍ * تَقَاصَّرَ عَنْهُ الشَّاهِقُ الْمُنْتَاطِلُ
مَدَحْتُكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ * وَمِنْ مِدْجِ الْأَقْوَامِ حَقٌّ وَبَاطِلُ
يَعِيشُ النَّدَى مَا دَمَتْ حَيًّا فَإِنْ تَمَتْ * فَلَيْسَ لِحَيٍّ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
وَمَا لِأَمْرِي عِنْدِي نَحِيلَةٌ نَعْمَةٌ * سَوَاكَ وَقَدْ جَادَتْ عَلَى نَحَائِلِ
وقالوا : أَمَدَحَ بَيْتَ قَالَتِهِ الْعَرَبُ قَوْلَ الْأَعَشَى :

فَقِي لَوْ يُنَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا * أَوِ الْقَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى الْمَقَالِدَا

وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

ومثله فِي الْغَلَوِ قَوْلُ طَرْجِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ :

لَوْ قُلْتُ لِلْسَّيْلِ دَعِ طَرِيقَكَ وَالْـ * مَوْجٌ عَلَيْهِ كَالْهَضْبِ يَتَلَجُّ
لَا كَرْتَدُّ أَوْ سَاخٌ أَوْ لَكَانَ لَهُ * فِي جَانِبِ الْأَرْضِ عَنْكَ مَنَعَرَجُ

(١) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي كتاب الشعر والشعراء : « في سائر الأرض » .

ومن الغلو قول أبي تمام في المعتصم بالله :

بَيْنَ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الْعِلَا * وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ ^(١)
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَىِّ النَّوَاحِي أُتَيْتَهُ * فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
تَعَوَّدَ بِسَطِّ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * أَرَادَ أَنْقِبَاضًا لَمْ تُطْعَمْهُ أَمَامِلُهُ ^(٢)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ * لِحَادِ بِهَا فَلَيْتَنِي اللَّهُ سَائِلُهُ

وقال العسكرى :

وَكَيْفَ يَبِيتُ الْجَارُ مِنْكَ عَلَى صَدَى * وَكَفُّكَ بِحَرْجَةِ الْجُودِ سَاحِلُهُ ^(٣)
وقال أبو هلال العسكرى يرفعه الى الأصمعى قال : سمعت أعرابياً يقول :
إنكم معاشر أهل الحضرة تخطئون المعنى ، إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول :
كأنه الأسد ، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كأنها الشمس ، ولم لا تجعلون
هذه الأشياء بهم أشبه ؟ ثم قال : والله لأنشدنك شعرا يكون لك إماما ،
ثم أنشدنى :

إِذَا سَأَلْتَ الْوَرَى عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ * لَمْ تُلَفِ نِسْبَتَهَا إِلَّا إِلَى الْهَوْلِ
فَقِيَ جَوَادُ أَعَارِ النَّيْلِ نَائِلُهُ * فَالْتَيْلُ يَشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةَ النَّيْلِ
وَالْمَوْتُ يَرْهَبُ أَنْ يَلْقَى نَيْتَهُ * فِي شِدَّةٍ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ
لَوْ عَارِضَ الشَّمْسِ أَلْفَى الشَّمْسَ مَظْلَمَةً * أَوْ زَا حِمَّ الثَّوَمِ أَلْجَاهَا إِلَى الْمَيْلِ
أَوْ بَارَزَ اللَّيْلَ غَطَّتْهُ قَوَادِمُهُ * دُونَ الْخَوَافِ كَيْتِلَ اللَّيْلِ فِي اللَّيْلِ
أَمْضَى مِنَ النِّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ * وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ

(١) في ديوانه طبع مصر : « قناة الملك » .

(٢) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي ديوانه : « شاها لقبض الخ » .

(٣) في ديوان المعاني : « بلجة البحر » .

ومثله قول الآخر :

عَلَّمَ الْغَيْثَ الْبُذْيَ حَتَّى إِذَا * مَا حَكَاهُ عِلْمُ الْبَاسِ الْأَسَدُ
فَلَهُ الْغَيْثُ مَقَرٌّ بِالْبُذْيِ * وَلَهُ الْبُذْيُ مَقَرٌّ بِالْجِلْدِ

وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ :

أَذْكَرَ حَاجَتِي أُمٌّ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ ^(١) ، إِنْ شِئْتِ الْخِيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يَغْيِرُهُ صَبَاحٌ ^(٢) * عَنْ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ أَرْضٌ مَكْرَمَةٌ بَنِيهَا * بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ ^(٣)

ونحوه قوله :

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ شَرَفٌ وَعِزٌّ * وَأَنْتَ الرَّأْسُ تَقْدُمُ كُلَّ هَادٍ

وقال آبَنُ الرُّومِيِّ :

قَوْمٌ يَحْلَتُونَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ شَرَفٍ * وَمِنْ غَنَاءٍ حُلٌّ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ
حَلُّوَا مَحَاهِمَا مِنْ كُلِّ جُحْمَةٍ * نَفْعًا وَدَفْعًا وَإِطْلَالًا عَلَى الرَّبِّ
قَوْمٌ هُمُ الرَّأْسُ إِذْ حَسَادُهُمْ ذَنْبٌ * وَمَنْ يَمَثُلُ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ

وقال أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ :

فَأَبْشُرْ فَإِنَّكَ رَأْسٌ وَالْعَلَا جَسَدٌ * وَالْمَجْدُ وَجْهٌ وَأَنْتَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
لَوْلَاكَ لَمْ تَكْ لِلْأَيَّامِ مَنَقِبَةٌ * تَسْمُو إِلَيْهَا وَلَا لِلدَّهْرِ مَفْتَحَرُ

(١) كذا في الأصاين وأكثر الكتب المطبوعة . وفي السبعة الراعية : « حباؤك ... الحباء » .

(٢) في شرح ديوان الحماسة طبع بمدينة بن شعراء النصرانية : « حليل ... » عن الخلق الجميل ...

(٣) في شرح الديوان المتقدم : « وأرضك كل مكربة ... الخ » .

(٤) كذا في الأصول وديوان ابن الرومي . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : « معا ورفعا » .

وقال علي بن جبلة :

لولا أبو ذؤيف لم تنحى عارفة * ولم ينؤ نوء مأمول بآمال
يابن الأكارم من عدنان قد علموا * ونالد المجد بين العم والحال
وناقل الناس من عديم الى جدوة * وصارف الدهر من حال الى حال
أنت الذى تنزل الأيام مترها * وتمسك الأرض عن خسف وزلزال
وما مددت مدى طرف الى أحد * إلا فضيت بآمال وآجال
تزور سخطا فتمسى البيض راضية * وتسهل فتبكي أوجه المال
وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول زهير :

تراه اذا ما جتته مهلا * كأنك تعطيه الذى أنت سائلة

وعاب بعضهم هذا البيت وقال : جعل المدوح يفرح بعرض يناله ، وليس هذا
صفة كبير الهمة . والجيد قول أبى نوفل عمرو بن محمد الثقفى :

ولئن فرحت بما يُنيلك إنه * لبما ينيلك من نداء أفرح
ما زال يطى ناطقا أو ساكنا * حتى ظننت أبا عقيل يمزح

ومثله قول أبى تمام :

أسألك نصير لا تسأله فإنه * أحن الى الإرفاد منك الى الرقد

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الحطيئة :

متى تأته تعشوا الى ضوء ناره * تجد خير ناره عندها خير موقد

وقال القاسم بن حنبل :

من البيض الوجوه بنى سنان * لو أنك تستضيء بهم أضاءوا
لهم شمس النهار اذا استقلت * ونور لا يغييه العماء

هم حلُّوا من الشرف المعلِّ * ومن حسب العشيّة حيث شاءوا
فلو أن السماء دنت لمجد * ومكرمة دنت لهم السماء

وقالوا أيضا أمدح بيت قيل قول الأول :

قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسبهم * طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
أو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قومٌ بعزهم أو مجدهم قدّوا
مُحسدون على ما كان من نعم * لا يزع الله عنهم ماله حسدوا

وقالوا : أمدح بيت قاله محدث ، قول مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة :

بنو مطير يوم اللقاء كأنهم * أسود لها في غيل خفان أشبل^(١)
هم المانعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
بهايل في الإسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهليّة أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

وقال العسكري : وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر وقال : لو استعمل

الإنصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدّم ومتأخّر ، وهو :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده * لم يُحمد الأجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار عُمرته * تضائل النيران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو جدّ عزّمته * تأخّر الماضيان السيف والقدّر
من لم يكن حذرًا من حدّ صولته * لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
حلّوا إذا أنت لم تبعث مرارته * فإن أمرت فخلو عنده الصير
سهل الخلائق إلا أنه خشن * لين المهزّة إلا أنه حجر

لَا حَيَّةٌ ذَكَرْتُ فِي مِثْلِ صَوْلَتِهِ * إِنَّ صَالَ يَوْمًا وَلَا الصَّمْصَامَةَ الذَّكَرُ
إِذَا الرِّجَالُ طَفَّتْ أَرَاؤُهُمْ وَعَمُّوا * بِالْأَمْرِ رُدَّ إِلَيْهِ الرَّأْيُ وَالنَّظَرُ
الْجُودُ مِنْهُ عَيْنٌ لَا أَرْتَابَ بِهِ * إِذْ جُودَ كُلِّ جَوَادٍ عِنْدَهُ خَبَرُ
وَقَالَ : وَمَنِ الْمَدِيحِ الْقَلِيلِ النَّظِيرُ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَفْوَهِ :

أَوْفُوا مِنَ الْحَمْدِ وَالْعِلَاءِ فِي قُلَيْلٍ * شَمُّ قَوَاعِدُهَا الْبَاسُ وَالْجُودُ
سُبُطُ اللَّقَاءِ إِذَا شِمْتَ مَخَايِلَهُمْ * بُسْلُ اللَّقَاءِ إِذَا صِيدَ الصَّنَادِيدُ
مُحْسَدُونَ وَمَنْ يَعْلَقُ بِجَلِيلِهِمْ * مِنَ الْبَرِيَّةِ يُضْبَحُ وَهُوَ مُحْسُودُ

وَقَالُوا : أَمْدَحُ بَيْتَ قَالِهِ مَحْدَثُ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ حَبَلَةَ فِي أَبِي دُلْفٍ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ * بَيْنَ بَادِيهِ وَمَحْتَضَرِهِ^(١)
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ * وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وَهِيَ مِنَ الْقَصَائِدِ الْمَشْهُورَةِ، وَأَوَّلُهَا :

ذَا دَرَدَ الْغَى عَنْ صَدْرِهِ * وَأَرْعَى وَاللَّهُ مِنْ وَطَرِهِ

جَاءَ مِنْهَا فِي مَدْحِهِ :

يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدْتُ * وَجَيْرَ الْيَسْرِ مِنْ عُسْرِهِ
كُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ * يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مَفْتَخَرِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ *

قَالَ الْعَسْكَرِيُّ : وَمَنِ الْمَدِيحِ الْبَارِعُ قَوْلُ بَشَارِ :

أَلَا أَيُّهَا الطَّالِبُ الْمُبْتَغَى * نَجُومَ السَّمَاءِ بِسَعْيِ أُمِّ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ : وَفِي دِيْوَانِ الْمَعَانِي : « مَبْدَاهُ » .

سَمِعَتْ بِمَكْرَمَةِ ابْنِ الْعَلَاءِ * فَانْشَأَتْ تَطْلُبُهَا لَسْتُ ثُمَّ
إِذَا عَرَّضَ الِهْمُّ فِي صَدْرِهِ * لَهَا بِالْعَطَاءِ وَضُرِبَ الْبُهِمُّ
فَقُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنْ جِئْتَهُ * نَصِيحًا وَلَا خَيْرَ فِي الْمَتَّهِمِ
إِذَا أَيْقَنْتُكَ^(١) جَسَامُ الْأُمُورِ * فَنَبَّهْ لَهَا عُمْرًا ثُمَّ نَمِّ
فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِهْنَةٍ * وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمِّ
يَحِبُّ الْعَطَاءَ وَسَفَكَ الدَّمَاءِ * فَيَغْدُو عَلَى نَعِيمٍ أَوْ نَقَمِ

قال ومن المديح القليل النظير : قول أُمَامَةَ بنت الجَلَّاحِ الكلبيَّة :

إِذَا شِئْتُ أَنْ تَلْقَى فَتَى لَوْ وَزَنْتَهُ * بِكُلِّ مَعْدِيٍّ وَكُلِّ يَمَانِي
وَفِي يَهُمِّ جُودًا وَحِلْمًا وَسُودَدًا * وَبِأَسَا فَهَذَا الْأَسُودُ بْنُ قَتَانِ
فَتَى كَالْفَتَاةِ الْبَكْرِ يُسْفِرُ وَجْهَهُ * كَأَنْ تَلَالِي وَجْهَهُ الْقَمَرَانِ
أَعَزُّ^(٢) أَبْرَأُ أَبِي زَرَارٍ وَيَعْرُبٍ * وَأَوْثَقُهُمْ عَقْدًا بِقَوْلِ لِسَانِ
وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا وَأَطْوَلُهُمْ يَدًا * وَأَعْلَاهُمْ فِعْلًا بِكُلِّ مَكَانِ
وَأَضْرَبُهُمُ بِالسِّيفِ مِنْ دُونِ جَارِهِ * وَأَطْعَمُهُمْ مِنْ دُونِهِ بَسَنَانِ
كَأَنَّ الْعَطَايَا وَالْمَنَائِيَا بِكَفِّهِ * سَحَابَانِ مَقْرُونَانِ مُؤْتَلِفَانِ

ومن المديح البارع قول أبي تمام :

رَأَيْتُ لِعَيَّاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ * لِتُكَلِّ إِلَّا فِي الْأَبَابِ الْمَهْدَبِ
لَهُ كَرَمٌ لَوْ كَانَ فِي الْمَاءِ لَمْ يَغْضُ * وَفِي الْبَرْقِ مَا شَامَ أَمْرُهُ بَرَقَ خُلْبِ
أَخُو عَزَمَاتٍ بِذَلِكَ بِذَلِكَ مُحْسِنٍ * أَيْنَا وَلَكِنْ عَذْرُهُ عَذْرُ مَذْنِبِ

(١) كذا في الأصول وديوان المعاني وفي تحباب الشعر والشعراء : * إِذَا أَيْقَنْتُكَ حُرُوبَ الْعَدَا *

وفي الأغانى : * إِذَا دَهَمَكَ عِظَامُ الْأُمُورِ *

(٢) في أحد الأصولين « أعز » .

يهولك أن تلقاه في صدر محفل * وفي نحر أعداء وفي قلب موكب^(١)
وما صبق أقطار البلاد أضافني * اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي
وهذي ثياب المدح فأجرز ذبولها * عليك وهذا مركب الحمد فأركب^(٢)
وقد أحسن التنويع في قوله :

وفتية من خمير حمر الطبا * بيض العطايا حين يسود الأمل
شموس مجيد في سموات علا * وأسند موت بين غابات أسل
وقالت الخنساء في أخيها صخر :

طويل النجاد رفيع العما . د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهم * إلى المجيد مد إليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مضعدا
فكلفه القوم ما عاظم * وإن كان أصفرهم مولدا
تري الحمد يهوى إلى بيته * يرى أفضل الكسب أن يُجدا
وقال آخر :

ومضعدهضبات المجد يطلها * كأنه لسكون الجاش منحدر
ما زال يسبق حتى قال حاسده * له طريق إلى العليا مختصر
وقال إبراهيم بن العباس :

تلج السنون بيوتهم وترى لها * عن بيت جارهم أزوار مناكب

(١) في ديوانه : يهولك أن تلقاه صدرا محفل * ونحرا لأعداء وقلبا لموكب

(٢) كذا في ديوانه وديوان المعاني . وفي الأصول : «وهذي ثياب المدح الخ» وهو تحريف .

وتراهم بسيفهم وشفارهم * مستشرفين لراغب أو راهب^(١)

حامين أو قارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونزهة للراغب

وقال أيضا :

إذا السنة الشهباء مدت سماءها * مدت سماء دونها فتجلت

وعادت بك الريح العقيم لدى القرى * لقاحا فدرت عن نذاك وطلت

وقال ابن الرومي :

كأن مواهبه في المحو * ل آراؤه عند ضيق الحيل

فلو كان غيثا اعم البلاد * ولو كان سيفا لكان الأجل

ولو كان يعطى على قدره * لأغنى النفوس وأفى الأمل

وقال أبو الحسن بن أبي البغل البغدادى يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدم

ذكر بعضها لأبن أبي طاهر :

إذا أبو قاسم جادت لنا يده * لم يجمد الأجودان البحر والمطر^(٢)

وإن أضاءت لنا أنوار غمرته * تضائل النيران الشمس والقمر

وإن بدا رأيه أوجد عزمته * تأخر الماضيان السيف والقدّر

ينال بالظن ما كان اليقين به * والشاهدان عليه العين والأثر

كانه وزمام الدهر في يده * يدرى عواقب ما يأتى وما يذر

وقال ذو الرمة :

يطيب تراب الأرض أن يزاولوا بها * وتختال أن تعلو عليها المنابر

(١) كذا في الأصول . وفي الأعان ج ٩ ص ٣٣ طبع بولاق : « نهزة » أى فرصة » يقال :

هو هزة المختلس أى صيد لكل أحد » .

(٢) الذى تقدم : « إذا أبو أحد » .

وما زات تسمو للعالي وتجتنى * جنى المجد مذ شُدَّتْ عليك المآزرُ
الى أن بلغت الأربعين فألقيت * اليك جماهير الأمور الأكابرُ
فأحكمتها لا أنت في الحكم عاجز * ولا أنت فيها عن هدى الحق جائزُ^(١)
وقال الشريف الرضي :

يا مُحْرِسَ الدهر عن مقالته * كل زمان عليك متهم
شخصك في وجه كل داجية * ضحى وفي كل مجهل علم
وقال أبو الحسن السلامي :

إذا زرتَه لم تلق من دون بابِه * حجابا ولم تدخل عليه بشافع
كجاء الفرات الجلم أعرض ورده * لكل أناس فهو سهل الشرائع
تراه إذا ما جئته مهتلا * تهلل أبكار الغيوث الهوامع^(٢)
وقال محمد بن الحسين الأرمدي :

من القوم لما استغرب المجد غيرهم * من الناس أمسوا فيه فوق الغرائب^(٣)
إذا سالموا كانوا صدور مراتب * وإن حاربوا كانوا قلوب مواكب
جواد متى ما رامت الريح شأوه * كبت دون مرمى خطوه المتقارب
وبجر ندى لو زاره البحر حدث * عجائبه عن فعله بالعجائب^(٤)
وقال الأصمعي : كنتُ بالبادية فرأيت امرأة على قبر تبكي وتقول :

فن للسؤال ومن للنوال * ومن للقال ومن للخطب
ومن للحمأة ومن للكأ * إذا ما الكأه جثوا للرئس

(١) كذا في السبعة الراعية . وفي الأصلين المتوعرايين : « حائر » .

(٢) في السبعة الراعية : « الأمدى » .

(٣) في السبعة الراعية : « منه » .

إذا قيل مات أبو مالك * فتي المكرمات قريع العرب
[فقد مات عزّ بنى آدم * وقد ظهر النكد بعد الطرب^(١)]
قال : فلتُ إليها، وسألها عنه، فقالت : فديتُك ! هذا أبو مالك المجّام، ختن
أبي منصور الحائك، [قلت : عليك لعنة الله^(١)] فما ظننتُ إلا أنه من سادات العرب.

وقال العباد الأصمّهاني :

حيّون يُخفون إحسانهم * ويعتذرون كأن قد أساءوا
إذا ظلم الدهر أعدوا عليه * وإن أظلم الخطب يوماً أضواء
بمثلكم قد أقرّ الرجال * فمثلكم لم تلده النساء
وللناس من حسن أيامكم * بدولتكم كل يوم هناء

وقال أيضا :

فلأطوين على أغرّ محجّل * عرض الفلاة الى أغرّ محبّب
ليث الوغى غوث الوري غيث الندى * بدر الندى نعم وصدر الموكب
وإذا استوى في دسسه مات له * أعناق كل متوجّ ومُعصّب
وميت رأفته حُقود عُداته * ويحلّ هيبته عقود المحبّي
إنّ الممالك ما تزال برأيه * في صائب ويبحوده في صيب
يجحوك معتذرا اليك فيأله * من محسن تعروه نخلة مُذبّ
يُزهي بأصيل في العلاء مُحيم * شرفا وفرع بالكرام مطنّب

وقال أحمد بن محمد النامي :

له سورة في البشر تُقرأ في العلا * وتثبت في صُحف العطاء وتُكتب
إذا ما على أمطرتك سماءه * رأيت العلا أنواؤها تتحلب

وأزهري يبيض الندى منه في الرضا * وتمهر أطراف القناحين يفضب
أمير الندى ما للندى عنك مذهب * ولا عنك يوما للوغائب مرغب

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي :

سيد شادت علاه له . في العلا آباؤه النجب
وله بيت تمتد له * فوق مجرى الأنجم الطنب
حسبه بالمصطفى شرفاً * وعلى حين يتنسب
رتبة في العز شائخة * قصرت عن مثلها الرتب

(٥٧)

وقال ابن نباتة السعدي :

يرى الشمس أما والكواكب إخوة * وينظر من بدر السماء الى ترب
غنيت عن الآمال حين رأيته * وأصبح من بين الوري كلهم حسبي
فلم أطب المعروف من غير كفه * وهل تطلب الأمطار إلا من السحب

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي :

لو تبيل بالمجد في العلياء منزلة * لنال بالمجد أعنان السموات
يرى الخطوب رأي يستضاء به * اذا دجا الرأي من أهل البصيرات
فليس يلقاه إلا عند عارفة * أو واقفا في صدور السمهرات

وقال أبو طالب المأموني :

قد وجدنا خطا الكلام فساداً * فجعلنا النسيب فيك أمتدادا
وأفضنا ما في الصدور ففاض الـ * مدح قبل النسيب فيك أنفسا
وعمدنا الى علاك فصفتنا * لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشعر من به * ض مساعيك بالندى أوضاحا

كم كسير جبرته وفقير * مستميج رددته مُستماحا
وأمان نخرس بسطت لها في ال * بقول حتى أعدتهن فصاحا
وبلاذ جواح رُضتها بال * عزم حتى أنسيتهن الجاحا
شهرت منك آل سامانَ عضبا * يُجج السعى غربه إنجاحا
لا يذوق الإغفاء إلا رجاء * أن يرى طيف مستميج رواحا

٥

وقال أحمد بن محمد النامي :

أمير العلا إن العوالي كواسب * علاءك في الدنيا وفي جنة الخلد
يمرُّ عليك الحول سيفك في الطلأ * وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضى عليك الدهر فعملك للعلا * وقولك للتقوى وكفك للرفد

وقال أيضا :

١٠

فتى قسم الأيام بين سيوفه * وبين طريفات المكارم والتلد
فسود يوما بالعجاج وبالردى * ويبيض يوما بالفضائل والمجد

وقال الصاحب بن عباد :

أيها الآملون خطوا سريعا * برفيع العماد وارى الزناد
فهو إن جاد دُتم حاتم طيء * وهو إن قال فل قس إباد
وإذا ما أرئني فأين زياد * من علاه وأين آل زياد

١٥

وقال أبو طالب المأموني من قصيدة :

فتى ملئت بردناه عُلا * ونُبلًا وفضلاً ومجدًا وخيرا
إذا ضمّه الدُست ألفيته * سحاباً مطيراً وبدراً مُنيرا

وإن أبرزته وعى خلته * حساما بتورا وليثا هصورا
 فطورا مفيدا وطورا مبيدا * وطورا مجيرا وطورا مبيرا^(١)
 ترى في ذراه لسان المنى * طويلا وباع الالبالي قصيرا
 تضم الأسرة منه ذكاء * وتحمل منه المذاكي ثبيرا

وقال أبو الطيب المتنبي :

يمشى الكرام على آثار غيرهم * وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع
 من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شيء ولا يضع

وقال أبو المعالي محمد بن مسعود الأصفهاني شاعر الخريدة :

قد حلّ في مدرج العلاء مرتبة * مطامح الشهب عن غاياتها تقف
 أغرى بوصف معاليه الوري شغفا * لكنه والمعالي فوق ما وصفوا
 إن ناصبته العدا فالدهر معتذر * أو أنكروا فضله فالجحد معترف

وقال السّلامي شاعر اليتيمة :

يزور نائلك العافي وصارمك الـ * عاصي فتحو بهما أيدي وأعناق
 في كل يوم لبيت المجد منك غنى * وثروة وليت المال إملاق
 كم خضت من لجة للنفع زانرة * ماء المنون بها - حاشاك - دفاق

وقال المتنبي :

أنت الجواد بلا من ولا كدير * ولا مطال ولا وعيد ولا مذل^(٢)

(١) كذا في يتيمة الدهر . وفي الأصول : « وطورا أميرا » والمير : المهلك .

(٢) كذا في الأصلين و يتيمة الدهر وديوانه . وفي النسخة الراجية : « مل » وهو تحريف .

والمذل : الفترة والضجر والقلق .

وقال أبو الفرج البغيا :
 لا غيثُ نهما في الوري خَلَبَ الـ * برق ولا وِرْدَ جوده وشَلُ
 جاد الى أن لم يُسِقِ نائله * مالا ولم يَسِقَ للسورى أملُ

وقال محمد بن الحسن الحاتمي شاعر اليتيمة :

وَمَنْ عَوَّدْتَهُ الْمَكْرَمَاتُ شِمَائِلًا * فليس له عنها - ولو شاء - ناقلُ
 وإن راسل الأعداء فالجردُ رُسُلُهُ ^(١) * اليهم وأطراف العوالى الرسائلُ
 عَظُمْتَ فهذا الدهرُ دونك همة * وَجُدْتَ فهذا القطرُ عندك باخلُ

وقال مؤيد الدين الطغرائي :

لو دبَّ رأيك في كهوبِ قَنَا * ما مَسَّهَا طَنْبٌ ولا خَطْلُ ^(٢)
 أو كان ضوءك للغزاة لم * يَحْجُبُ ضِيَاءَ جَبِينِهَا الطُّفْلُ ^(٣)
 أو كان لطفك في الحياة لما * طافت بها الأسقام والعللُ
 أنت الذي لولا علاه عَفَتْ * طُرُقُ الهدى وأستبهم السُّبُلُ
 في كلِّ شُعْبٍ من رويته * شُعْبٌ ومن آرائه شُعْلُ
 يرتدُّ عنه جفنٌ حاسده * فكأنه بالنار يكتحلُ
 وجهٌ كيوم الصحو مبسَّمٌ * ويدٌ كليل الدَّجَنِ تَهْمَلُ
 مَسَحَتْ على الأنواء راحته * فأنساق منها العارضُ الهطلُ
 إن ضنَّ غيثٌ أو خبا قَرٌّ * بجبينه ويمينه البدلُ

(١) كذا في أحد الأصلين و يتيمة الدهر . وفي الأصل الآخر والنسخة الراجية : « فابلود »

وهو تحريف .

(٢) الطب : العوج .

(٣) كذا في السعة الراجية وأحد الاصلين . وفي الاصل الآخر : « ولا خلل » .

وقال ابن الرومي :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجوت نجوم
فيها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والأخريات رجوم
وقال أبو الطيب المتنبي :

قومٌ بلوغُ الغلام عندهم * طعنٌ نحوِرِ الحكمة لا الحُلمُ
كأنما يولد الندى معهم * لا صَفَرٌ عاذِرٌ ولا هَرَمٌ
إذا تولّوا عداوةً كشفوا * وإن تولّوا صنيعةً كنتموا
تظن من فقدك اعتدادهم * أنهم أعموا وما علموا
إن برقوا فالحسوف حاضرة * أو نطقوا فالصواب والحكم
أوشهدوا الحربَ لاحاً أخذوا * من مَهَجِ الدارعين ما آحتكوا
أوركبوا الخيلَ غيرَ مُسرّجة * فإن أنفادهم لها حُزْمٌ
تُسرَقُ أعراضهم وأوجهُهم * كأنها في نفوسهم شِيمٌ
أعيذكُم من صروفِ دهركم * فإنه في الكرام مَنَمٌ
وقال أيضاً :

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا * وأيامه فيما يريد قيامٌ
وكل أناس يتفنون إمامهم * وأنت لأهل المكرمات إمامٌ

وقال أيضاً :

هم المحسنون الكرّ في حومة الوغى * وأحسنُ منه كُرمُ في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم

(١) كذا في ديوان المتنبي وبتيمة الدهر للعلاني . والمعنى : أنهم لا يعتدّون بصنيعهم وانعامهم
كانهم لم يعلموا بذلك . وفي الاصول : « تفلّح من كثرة إغثارهم ... الخ » .

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة :

يروح الى كسبِ الثناءِ ويقتدى * اذا كان همُّ الناس كسبَ الدراهم
وإن جلس الأقوامُ عن واجبِ الندى * وحقَّ العطايا كانت أول قائم
يزيد أبتهاجا كلما جاء قاصد * كأنَّ به شوقاً إلى كلِّ قادم

وقال السلامي شاعرها :

تُشبهه المداح في البأس والندى * بمن لو رآه كان أصغر خادم
ففى جيشه خمسون ألفا كعتر * وأمضى وفى خزانة ألف حاتم

وقال أبو طالب المامونى من قصيدة :

يُعَمُّ الهندى حين يسُله * أسودَ الوغى بالضرب فوق العاهم
فلا مُلكَ إلا ما أقت عروشه * ولا غيثَ إلا ما أفضت لشائم
ولا تاجَ إلا ما توليت عقده * على جبهة الملك المكنى بقاسم
فرايك نجمٌ فى دجى الليل ثاقبٌ * وعزمك عصبٌ فى طلى كلِّ ناجم

وقال المشوق الشامي :

ما زال يبنى كعبةً للعلا * ويحمل الجود لها ركناً
حتى أنى الناس فظافوا بها * وقبلوا راحته اليمنى

وقال المامونى من قصيدة :

همام يُسكى المشرفة ساخطا * ويضحك أبكار الأمانى راضيا
ولو أنَّ بحرا يستطيع ترقياً * إليه لأم البحرُ جدواه راجيا

(١) كذا فى السبعة الراغية و يتيمة الدهر . وفى الأملين الفتوغرافيين : « كلما زار قاصدا » .

وفى اليتيمة أن هذه الأيات من شعر عبد المحسن بن محمد العورى .

(٢) فى يتيمة الدهر : « الخطب » .

ذكر ما قيل في الافتخار

قالوا : أنخر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غَضِبْتُ عَلَيْكَ ^(١) بنو تميم ، حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا

قال : دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن

الرجل؟ قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بنو تميم * البيت .

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل :

يزيدُ بنو سعدٍ على عَدَدِ الحصى * وأثقلُ من وزن الجبالِ حُلومُها

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

ثيابُ بني عوفٍ طَهَارَى تَقِيَّةً * وأوجهُهم عند المشاهِدِ غُرَانُ ^(٢)

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وأبيكَ ما ظَلَمْتُ قُرَيْعٌ * بأن يبنوا المكارمَ حيث شاءوا

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم هم الأنف والأذنان غيرُهم * ومن يسوَّى بأنف الناقة الذنبا

قال : آجلس ، لا جَلَسْتُ ، والله لقد خفت أن تفخر على !

وقالوا : أنخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

تري الناس ما سِرنا يسعون خلفنا * وإن نحن أومأنا الى الناس وقَّفوا

(١) في ديوان الماني : « إذا غضبت على » .

(٢) في لسان العرب مادة « غر » : « يفض المسافر ... » في إحدى روايته .

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهل في الافتخار :
ونحن الحامون إذا أطعنا * ونحن العارمون إذا عَصِينَا^(١)
ونحن التاركون لما سَخَطْنَا : ونحن الآخذون لما رَضِينَا
وقال إبراهيم بن العباس :

٥
إما ترني أمام القوم متبعا * فقد أرى من وراء الخيل أتبع
يوما أبيع فلا أرى على نسب * وأستبيع فلا أبقي ولا أدع
لا تسأل القوم عن حى صبحهم * ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا

وقالوا : من أحسن ما مدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :
وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي * بمهتضم حتى ولا قارع سنى
ولا مسلم مولاى عند جنابة * ولا خائف مولاى من شر ما أجنى
وإن فؤادى بين جنبي عالم * بما أبصرت عيني وما سمعت أذن
وفضلتى في الشعر واللّب أنى * أقول على عليم وأعلم ما أعنى
فأصبحت إذ فضلت مروان وأبنه * على الناس قد فضلت خير أب وأبن
وقال أبو هقان :

١٥
لعمري لئن بيعت في دار غربة * ثيابي إذ ضاقت على الماكلى
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه * له حلية من نفسه وهو عاطل

قال أبو هلال العسكري : ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو :

فقل لزهير إن شتمت سراتنا * فلسنا بشتامين للثشم

(١) كذا في جهرة العرب . والعام : صاحب العرام وهو الشدة والقوة والشراسة . وفي السعة
الراغبة وشرح المعلقات : «المازمون» بالراى المعجمة . وفي باقى الأصول : «المافون» .

وَلَسْنَا نَأْبَى الظَّالِمَ وَنَقْتَضِي * بَكْلَ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مَصْمَمٌ
وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْمِلُ رَأْيُنَا * وَنَشْتُمُّ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلِيمِ

ومن الافتخار قول السموعل بن عادياء من كلمته التي أوقها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرْضَهُ * فكلَّ رداء يرتديه جميلُ
وإن هولم يحمل على النفس ضِمَمَهَا * فليس إلى حُسن الثناء سبيلُ
وقائِلَةٌ ما بالُ أُسرَةٍ عَادِيَا * تُتَادِي وفيها قِلَّةٌ وَحُمُولُ
تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا * فقلتُ لها إن الكرامَ قليلُ
وما قَلَّ من كانت بقاياها مثلنا * شَبَابٌ تَسَامَى للعَلَا وَكُهُولُ
وما ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا * عزيز وجار الأَكْثَرِينَ ذليلُ
وَأَنَا أَنَا لَا زَى الْقَتْلِ سُبَّةٌ * إذا ما رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا * وَتَكْرَهُهُ أَجَاهُكُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفَهُ * وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَاةِ نَفُوسُنَا * وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَاةِ تَسِيلُ^(١)
صَفُونَا فَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرُّنَا * إِنَاثُ أَطَابَتْ حَمَلَنَا وَغُفُولُ
عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحِطْنَا * لَوْ قَتَلَ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ زُفُولُ
فَنَحْنُ كَمَا الْمَزِينُ مَا فِي نِصَابِنَا * كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلُ
وَنُكْرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ * وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ
إِذَا سَيِّدُ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدُ * قَوُولُ لَمَّا قَالَ الْكَرَامُ فَعُولُ

(١) الظلام : العلم .

(٢) رواية الأماي : « وانا لقوم ما نرى ... » .

(٣) رواية الأماي : « السوف » .

وما أُمحِدت نَارُنا دونَ طارقٍ * ولا ذُمَّنا في النازلين نزيلُ
وأيا مَنّا مشهورة في عَدَوِّنا * لها غُرَرٌ معلومة ومُجَوِّلُ
وأسيافنا في كُلِّ شرق ومغربٍ * بها من قِرَاعِ الدِراعين فلولُ
مَعزُودة ألا تُسَلَّ نِصَالُها * فَنُغَمِّدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَيْلُ
سَلَى إِنْ جَهِلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنَهُمُ * وليس سَوَاءَ عَالَمٌ وَجَهْلُ
فَإِنْ بَنَى الدِّيَانَ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ * تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجَوِّلُ

وقال أبو هلال العسكري من قصيدة :

وما ضاع مثلي حيث حلت ركابُهُ * بل حيث ضاع المجد مثلي ضائعُ
ومِثْلِي مَخْضُوعٌ لَهُ غَيْرُ أَنَّهُ * إِذَا كَانَ بِمَجْهُولِ الْفَضَائِلِ خَاضِعُ
ومِثْلِي مُتَبَوِّعٌ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ * فَإِنْ يَنْقَلِبُ وَجْهَ الزَّمَانِ فَتَابِعُ

وقال عبد الله بن المعتز :

سَأَلْتُكَ يَا اللَّهُ هَلْ تُعَلِّمَانِي * وَلَا تَكْتُمَانِ شَيْئًا فَعِنْدَكَ خُبْرِي
أَأَرْفَعُ نِيرَانِ الْقِرَى لِعُفَاتِهَا * وَأَصْبِرُ يَوْمَ الرُّوعِ فِي ثَغْرِ الثَّغْرِ
وَأَسْأَلُ نَيْلًا لَا يُجَادُ بِمِثْلِهِ * فَيَفْتَحُهُ بِشَرِّ وَيَخْتُمُهُ عُذْرِي

ومن الاختصار قول بعض الشعراء، ويروى لحداد بن ثابت من قصيدة أولها :

أَنْسِيْمُ رِيحِكِ أَمْ خِيَارُ الْعَنْبَرِ * يَا هَذِهِ أَمْ رِيحُ مَسِيكِ أَذْفَرِ
قَوْلِي لَطِيفُكَ أَنْ يَصْدَّ عَنِ الْحَشَى * سَطَوَاتِ نِيرَانِ الْأَسَى ثُمَّ أَجْهَرِي
وَأَنْهَى رُمَاتِكَ أَنْ يُصْبَنَ مَقَاتِلِي * فَيُنَالَ قَوْمَكَ سَطَوَةٌ مِنْ مَعْشَرِي
إِنَّا مِنَ الْفَرِّ الَّذِينَ جِيَادُهُمْ * طَلَعَتْ عَلَى عَادِ بَرِيحِ صَرَّصِرِ

وَسَلَبْنِ تَابِجِي مُلْكَ قِصَرَ الْقَنَا * وَأَجْتَزْنِ بَابَ الدَّرْبِ لِابْنِ الْأَصْفَرِ
 كَمْ قَدْ وَلَدْنَا مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ * دَامِيَ الْأَطَافِرِ أَوْ رُبْعِ مُنْطَرِ
 خَلَقْتَ أَنْامَهُ لِقَائِمٍ مُرْهِفٍ * وَلِبْدَلِ مَكْرُمَةٍ وَذِرْوَةٍ مِنْبَرِ
 يَلْقَى الرَّمَاحَ بِوَجْهِهِ وَبَصْدَرِهِ * وَيُقِيمُ هَامَتِهِ مَقَامَ الْمَغْفَرِ
 وَيَقُولُ لِلطَّرَفِ أَصْطَبِرْ لِشَبَابِ الْقَنَا * فَهَدَمْتَ رَكْنَ الْمَجِيدِ إِنْ لَمْ تَصْبِرِ
 وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ * مُتَسَرِّبِلِ سِرْبَالِ ثَوْبٍ أَغْبِرِ
 أَوْ مَا إِلَى الْكُومَاءِ هَذَا طَارِقُ * نَحْرَتُنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِي

ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام

- حقيقة الجود بذل المال، قال الله عز وجل: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينا دينكم بهما" وقال صلى الله عليه وسلم: "تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله عز وجل أخذ بيده كلما عثر وفتح له كلما افتقر" وقال صلى الله عليه وسلم: "الجود من جود الله تعالى بفجودوا يجد الله عليكم". "ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدلية في الأرض فمن تعلق بنفس من أدخله الجنة". "ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة". وقال علي بن عبد الله بن عباس: سادة الناس في الدنيا الأشقياء. وقال بعض الحكماء: الجواد من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره. وقيل لعمر بن عبيد: ما الكرم؟ فقال: أن تكون بمالك متبرعا، وعن مال غيرك متورعا. ويقال: مراتب السخاء ثلاثة: سخاء وجود وإيثار، فالسخاء إعطاء

الأقل وإمساك الأكثر؛ والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل؛ والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك لشيء؛ وهو أشرف درجات الكرم، وبه استحقوا ثناء الله عز وجل عليهم في قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ . ومن كلام ينسب إلى جعفر بن محمد: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره، وسره. الجود زكاة السعادة، والإيثار على النفس موجب لأسم الكرم، وقال: لا يستحي من بذل القليل فإن الحرمان أقل منه. قال بعض الشعراء:



أعط القليل ولا يمنعك قتله . فكل ما سد فقراً فهو محمود
وقال علي بن الحسين: الكريم يتهج بفضل، والائم يفتخر بماله .

وقال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما: أيها الناس من جاد ساد، ومن بحل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . وقيل ليزيد بن معاوية: ما الجود؟ قال: أن تعطى المال من لا تعرف، فإنه لا يصير إليه حتى يتخطى من تعرف .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه: لو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها، فهو الكريم عز وجل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أناكم كريم قوم فأكرموه" . وقيل لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت في بذل المال، قال: إن الله عز وجل قد عودني عبادة أن يتفضل علي، وعودته أن أنفضل على عباده، وأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني . وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلب: إنك مثلاف، قال: منع الموجود، سوء ظن بالمعبود . قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ . وقال أكرم بن صيفي حكيم

(١) كذا في هامش أحد الأصولين المتوغراوين وكتب عليه كلمة «صواب» . وفي سائر الأصول والعقد المرید (ج ١ ص ٨٤) : «منع الجود» .

العرب : ذَلَّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلطَّالِبِ ، وَقَوِّدُوهَا إِلَى الْحَمَادِ ، وَعَلِّمُوهَا الْمَكَارِمَ ،
وَلَا تَقِيمُوا عَلَى خَلْقٍ تَذُمُّونَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ ، وَصَلُّوا مِنْ رَغْبِ الْيَكْمِ ، وَتَحَلَّوْا بِالْجُودِ يَكْسِبُكُمْ^(١)
الْحُبَّةُ ، وَلَا تَعْتَقِدُوا الْبَخْلَ تَتَعَجَّلُوا الْفَقْرَ . أَخَذَهُ شَاعِرٌ فَقَالَ :

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ ، وَأَتَرْتِ إِنْشَاقَ مَا تَجْمَعُ

فَصَرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنَى . وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأثرياء يأمره بالإنفاق على نفسه ويخوفه
الفقر، فأجابه : ﴿ الشَّيْطَانُ يَمَسُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً
مِنْهُ وَفَضْلًا ۖ وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَتْرِكَ أَمْرًا قَدْ وَقَعَ لِأَمْرِ لَعَلَّهُ لَا يَقَعُ .

وكان سعيد بن العاصي يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه
سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به ، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين :
إما لمُصْلِحٍ فلا يَبْقَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وإما لمُفْسِدٍ فلا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ . أَخَذَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

أَسْعَدَ بِمَالِكَ فِي الْحَيَاةِ فَإِنَّمَا : يَبْقَى خِلَافُكَ مُصْلِحٌ أَوْ مُفْسِدٌ

وَإِذَا جُمِعَتْ لِمُفْسِدٍ لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ . وَأَخُو الصَّلَاحِ قَلِيلُهُ يَتَرَدَّدُ

وقال أبو ذر رضي الله عنه : لك في مالك شريكان : الحَدَثَانِ ، والوَارِثُ ؛ فَإِنْ
أَسْتَطَعْتَ أَلَّا تَكُونَ أَبْجَسَ الشُّرَكَاءِ حَطًّا فَأَفْعَلْ . وَقَالَ بُزْرُجِمُوهَرُ الْعَاصِسِيُّ : إِذَا
أَقْبَلْتُ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَانْفِقْ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَقْبَلُ ، وَإِذَا أَدْبَرْتَ عَلَيْكَ فَانْفِقْ مِنْهَا ،
وَإِنَّهَا لَا تَبْقَى . أَخَذَ الشَّاعِرُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

(١) كذا في العقد الفريد وفي الأصول : « ولا تقيموها » .

(٢) كذا في النسخة الراجعية . وفي الأصلين المتنوعين والعقد الفريد : « يا بئسكم » .

(٣) في أحد الأصلين والعقد الفريد والنسخة الراجعية : « لا يبق » .

لا تَجَنَّ بُدْيَاً وهى مقبلةٌ * فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فإنهم أهل حسن ظن بالله ؛
واو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرب بخلهم ، ومذمة الناس لهم ، وإطباق
القلوب على بغضهم إلا سوء ظنهم برهم فى الخلف ، لكان عظيما . أخذه محمود
الوراق فقال :

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

وقيل لأبى عقيل البليغ العراقى : كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب
الحاجة اليه ؟ قال : رأيت رغبته فى الإنعام فوق رغبته فى الشكر ، وحاجته الى
قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحبا .

وقال زياد : كفى بالبخيل عارا أن اسمه لم يقع فى حمد قط ، وكفى بالجود
مجدا أن اسمه لم يقع فى ذم قط .

وقال أسماء بن خارجة : ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها ، لأنه لا يخلو
أن يكون كريما فأصون له عرضه ، أو لثيا فأصون عرضي منه .

وقال إبراهيم بن المهدي : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان
لا يحيف بيده قلم ، ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال ،
وإدخال المرافق على الضعفاء : أخبرني عن الحالة التى خففت عنك النصيب ،
وهونت عليك التعب فى القيام بحوائج الناس ، ما هى ؟ قال : قد والله سمعتُ
تفريد الطير بالأشجار ، فى فروع الأشجار ، وسمعتُ خفق أوتار العيdan وترجيع
أصوات القيان ، فما طربت من صوت قط ، طرت من شئ حسن ، بلسان حسن ،

على رجل قد أحسن، ومن شُكر حزن لم نعيم حزن؛ ومن شفاعة محتسب، لطالب شاكر؛ قال إبراهيم : فقلت ، لله أبوك ! لغد حشيت كرما .

وكان طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى من أجود قریش في زمانه ، فقالت له امرأته : ما رأيت قوما ألام من إخوانك ! فقال لها : له ؟ وأنى قلت ذاك ؟ فقالت : أراهم إذا أسبرت أنوك ، وإذا أعسرت تركوك ، قال : هذا والله من كرمهم ، يأتوننا في حال القوة عليهم ، ويتركوننا في حال العجز عنهم .

وحكى أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم ، وكتبه في حاجة وما شاء ، فوضع الشيخ زُحَّ عصاه التي يتوكأ عليها ، على رجل سعيد حتى أدماها ، فما تأوه لذلك ، وما نهاه ؛ فلما فارق ، قيل له : كيف صبرت على هذا مه ؟ فقال : خفتُ أن يعلم جنائتيه ، فيقطع عن ذكر حاجته .

١٠

ذكر من أتتهى اليهم الجود في الجاهلية

وذكر شئ من أخبارهم

﴿١﴾

والذى أتتهى اليهم الجود في الجاهلية : حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ، وهريم ابن سنان المُرِّي ، وكعب بن مامة الإيادي ؛ وضرب المثل بحاتم وكعب ، والمشهور حاتم . وكعب هذا : هو الذى جاد بنفسه ، وآثر رقيقة بالماء في المفازة ، ولم يشهر له خبر غير هذا . وأما حاتم فأخباره مشهورة

١٥

منها : أنه كان إذا أشد البرد ، أمر غلامه يسارا ، فأوقد نارا في يفاع من الأرض ، لينظر إليها من ضلَّ عن الطريق [إيلا] ، وفي ذلك يقول :

أوقدْ فإن الليلَ ليلٌ قَرُّ والريحُ يا واقِدْ رِيحٌ صَرُّ

٢٠

عسى يرى ناركَ من يمرُّ إن جلتُ ضيفا فانتَ حرُّ

قالوا : ولم يك حاتم يُسك غير سلاحه وفرسه ، ثم جاد بفرسه في سنة أزيمة .
 قالت النوار امرأة حاتم : أصابتنا سنة أفسحرت لها الأرض ، وأغبر أفق السماء ،
 وضنت المراضع عن أولادها ، لا تبض بقطرة ، وأيقنا بالهلاك ب فوالله ، إني لفي ليلة
 صبرة^(١) ، بعيدة ما بين الطرفين ، إذ تصاغى صبيئنا جوعا : عبد الله ، وعدى^(٢) ، وسفانة ب
 فقام حاتم الى الصبيين ، وقت الى الصبية ب فوالله ما سكتوا إلا بعد هذاة من الليل ب
 وأقبل يعلني ، فعرفت ما يريد ، فتناومت ب فلما تهورت النجوم ، إذا بشيء قد رفع كسر^(٣)
 البيت ، فقلت : من هذا ؟ فوئى ، ثم عاد آخر الليل ب فقال من هذا ؟ فقالت : جارتك
 فلانة ، أتيتك من عند صبية يتعاون عواء الذئاب ، فما وجدت معولا إلا عليك
 أبا عدى^(٤) ، فقال : أعجلهم ، فقد أشبعك الله وإياهم ب فاقبلت المرأة تحمل آئين ب
 ويمشى بجانبها أربعة كأنها نعامه حولها رثاها ب فقام الى فرسه ب فوجأ لبته بمدية^(٥) ،
 نخر ب ثم كشط عن جلده ، ودفع المدية الى المرأة ، وقال : شاك ب فأجته منا على اللحم
 تشوي ونأكل ثم جعل [يمشى في الحى] يأتهم بيتا بيتا ، فيقول : هبوا ، عليكم
 بالنار ، وألتفع بشوبه ناحية ينظر البنا ، لا والله إن ذاق منه مضغة ، وإنه لأحوج اليه
 منا ! فأصبحنا وما في الأرض إلا عظم أو حافر .

وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم في الجود ، أنه لما ترعرع ، جعل يُخرج طعامه
 فإن وجد من يأكله معه أكله ، وإن لم يجد طرحه ب فلما رأى أبوه أنه يهلك
 طعامه ، قال له : ألحق بالإبل ، نخرج إليها ، فوهب له جارية وفرسا وفلواها .

(١) ليلة صبرة أى شديدة البرد .

(٢) تصاغى الصبيان : تضوروا من الجوع .

(٣) تهورت النجوم : أدبرت .

(٤) وجأ لته أى ضربه في منخره .

(٥) الزيادة عن العقد الفريد .

٥

١٠

١٥

٢٠

- وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير ، وهذه القصة كانت مع جدّه سعد بن الحشرج ، فلما أتى حاتم الإبل طفقَ يبتغي الناس فلا يجدهم ، ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحداً ؛ فبينما هو كذلك ، إذ بَصُرَ برَكْبٍ على الطريق فأتاهم ، فقالوا : يافتي ، هل من قرى ؟ فقال : تسألونني عن القرى وقد ترون الإبل ! وكان الذي بَصُرَ بهم : عبيدَ ابن الأبرص وبِشْر بن أبي خازم والتابغة الذبياني وكانوا يريدون النعمان ، فنجح لهم ثلاثة من الإبل ، فقال عبيد : إنما أردنا اللبن ، وكانت تكفيننا بكرة إن كنت لا بدّ متكلّفاً لنا شيئاً ؛ فقال حاتم : قد عرفتُ ، ولكني رأيت وجوهاً مختلفة وألواناً متفرقة ، فظننت أن البلدان غير واحدة ، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه ؛ فقالوا أشعاراً آمندحوه بها وذكروا فضله ؛ فقال حاتم : أردت أن أحسن اليكم ، فصار لكم الفضل علىّ ، وإني أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلٍ عن آخرها أو تقوموا إليها فتقتسموها ؛ ففعلوا ، فأصاب كل واحد تسعة وثلاثين بعيراً ، وهضوا على سفرهم إلى النعمان ؛ وإن أبا حاتم أو جدّه سمع بما فعل ، فقال : أين الإبل ؟ فقال : يا أبت طوقتُك بها طوق الحمامة مجداً وكرماً ، لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضاً من إبلك ؛ فلما سمع أبوه ذلك ، قال : أبايلى فعلتَ ذلك ؟ قال : نعم ، قال : والله لا أسألك أبداً ، فخرج ١٥ أبوه بأهله ، وترك حاتماً ومعه جاريته وفرسه وفِلهوا . قال : فبينما حاتم يوماً نائم إذ أنتبه وحوله نحو مائتي بعير تجول ويحيطُ بعضها بعضاً ، فساقها إلى قومه ، فقالوا : يا حاتم ، أبقى على نفسك فقد رزقتَ مالا ، ولا تعودتَ إلى ما كنت فيه من الإسراف ، قال : فإنها تُنهي بينكم ^(١) ، فأتُهِيت . ثم أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتماً فقالوا له : إنا تركنا قومنا يُتُّنون عليك خيراً ، وقد

أرسلوا اليك برسالة، قال : وما هي ؟ فأنشده الأسدَيون شعرا لعبيد، وأنشده القيسَيون شعرا للنابعة، ثم قالوا : إنا لنستحي أن نسألك شيئا وإن لنا حاجة، قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا راجل، فقال حاتم : خذوا فرسي هذه، فاحملوا عليها صاحبكم، فاخذوها، ورَبَطَتِ الجاريةُ فِلَوها بنوبها، فأفلت فأتبعته الجارية لترده، فقال حاتم : ما لحقكم من شيء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفِلو والجارية .



وأما هريم بن سنان، فن أخباره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه فقل مال هريم، وكان زهير يمز بالنادى وفيه هريم فيقول : أنعموا صباحا ما خلا هريما، وخير القوم تركت .

قالوا : وكان عبد الله بن جُدعان، حين كبر، أخذت بنو تميم على يده، ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال له : آدن مئى . فإذا دنا منه لطمه، ثم قال : أذهب فاطلب لطمتك أو تُرضى، فترضيه بنو تميم من ماله، وفيه يقول الشاعر :

والذى إن أشار نحوك لَطْمًا * تبع اللطم نائلٌ وعطاءُ

ومن أخبار الكرام : ما حكى أن خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق كان يكثر الجلوس ثم يدعو بالبدر ويقول : إنما هذه الأموال ودائع لا بد من تفرقتها، فقال : ذلك مرة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من حُرسان، فقام فقال : أيها الأمير إن الودائع تُجمع لا تُفترق، فقال : ويحك ! إنما ودائع المكارم، وأيدينا وكلاؤها، فإذا أنا المُلِقُ فأغنيناه، والظمان فأروينا، فقد أدبنا فيها الأمانة .

ومرّ يزيد بن المهلب بأعرابية في هروبه من سجن عمر بن عبد العزيز وهو يريد البصرة، فقدمت له عتراً فقبلها، ثم قال لابنه معاوية: ما معك من النفقة؟ قال ثمانمائة دينار، قال: أدفعها إليها! فقال له آبنه: إلك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعد لا تعرفك، فقال: إن كانت ترضى باليسير، فاني لا أرضى إلا بالكثير؛ وإن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي، أدفعها إليها، فدفعها إليها.

قال الأحنف: كثرت على الديّات بالبصرة، لما قُتِل مسعود، فلم أجدها في حاضرة تميم، فخرجت نحو يبرين، فسألت: من المقصود هناك؟ فأرسلت إلى قبة، فإذا شيخ جالس يفئأها، مؤزر بشملة، مُحْتَبٍ بجبل، فسلمت عليه، وأنشبت له، فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: توفّي، قال: فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها؟ قلت: مات، قال: فأخبرني في حاضرتمكم بعدهما؟ قال: فذكرت الديّات التي لزمنا للأزد وربيعة، قال: أقم، فإذا راج قد أراح عليه بألف بعير، فقال: خذها، ثم أراح عليه آخر بمنائها، فقال: خذها، قلت: لا أحتاج إليها، فانصرفت بالألف، ووالله ما أدرى من هو إلى الساعة.

١٥

وروى عن معن بن زائدة، قال: لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب،^(١) بعد أن أقمت في الشمس أياماً، وخففتُ لحيتي وعارضني، ولبست جبةً صوف غليظة،^(٢) وركبت جملاً، وخرجت عليه لأمضي إلى البادية؛ قال: فتبعني

(١) باب حرب: أحد أبواب بغداد (وينسب لحرب بن عبد الملك) أحد قواد أبي جعفر المنصور.

٢٠ وعده مقبرة ضمت كثيراً من أعلام المسلمين منهم: الامام الجليل أحمد بن حنبل وبشر الحافي رضى عنهما. راجع باقوت.

(٢) كذا في أحد الأصولين والنسعة الراغبة: وفي الأصل الآخر: «عريضة».

أسود متقلد سيفاً ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قَبَضَ على خِطامِ الجمل فأناخه ، وقبض على- ، فقلت : ما شأنك ؟ فقال : أنت بغية أمير المؤمنين ، فقلت له : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ فقال مَعَن بن زائدة ، فقلت : يا هذا آتق الله ! وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا عنك ، فأنا والله أعرف بك ، فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، ٥
نخذه ولا تَسْفِك دمي ، فقال : هاته ، فأخرجته إليه ، فنظر إليه ساعة ، وقال : صدقت في قيمته ، لستُ قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقتك ، فقلت : قل ، فقال : إن الناس قد وصفوك بالحدود ، فأخبرني هل وهبتَ قطَ مالك كله ؟ قلت : لا ، قال : فنصفه ؟ قلت : لا ، قال : فثلثه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت : إني أظن قد فعلت هذا ، فقال : ما ذاك بعظيم ، أنا والله راجل ، ورزق على أبي جعفر كل شهر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار ، وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ، لجودك الماثور بين الناس ، ولتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك ، ولا تعجبك نفسك ، ولتُحَقِّق بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكُرمَةٍ ، ثم رمى بالعقد إلى- : وخلى خِطامِ الجمل وانصرف ، فقلت : يا هذا قد والله فضحتني ! ولَسَفْكُ دمي أهوُّ عليَّ مما فعلت ، فخذ ما دفعته إليك ، فإني عنه في غنى ، فَضَحِكَ ، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، فوالله لا آخذه ، ولا آخذ لمعروف ثمناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد طلبته بعد أن أمنتُ ، وبذلت لمن جاءني به ما شاء ، فما عرفت له خبراً ، وكأن الأرض ابتلعتة . وكان سبب غضب المنصور على مَعَن بن زائدة أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمر بن هبيرة وأبلى في حربه بلاءً حسناً . ٢٠



ويقال : إن شاعرا أتى وهب بن وهب ، وكان جوادا ، فمدحه فهش له وبش ،
وشى له الوسادة وأضافه ورفده وحمله ؛ فلما أراد الرجل الرحلة لم يخدمه أحد من
غلمان وهب ، فأنكر الرجل ذلك مع جميل فعله ، فعاتب بعضهم ، فقال له
الغلام : إنا أنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين الراحل على الفراق .

- وكان الحارث بن هشام المخزومي في وقعة اليرموك ، وبها أصيب فأثبتته الجراح ،
فاستسقى ماء ، فأقّى به ، فلما تناوله ، نظر الى عِكرمة بن أبي جهل صريعا في مثل
حاله ، فردّ الإناء على الساق ، وقال : أمض الى عِكرمة بن أبي جهل ، ففضي اليه ،
فأبى أن يشرب قبله ، فرجع الى الحارث ، فوجده ميتا ، فرجع الى عِكرمة ، فوجده
قد مات ، فلم يشرب واحد منهما .

- وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح ، سندكر ما أستجدونه منها .
فمن ذلك ما حكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ، قال : كان
ببغداد قتي يُجَنّ ستة أشهر ، فاستقبلته ببعض السكك ذات يوم ، فقال : ثعلب ؟
قلت : نعم ، قال : فأُنشدني فأنشدته :

وإذا مررت بقبـره فاعـقر به * كـوم المـجـان وكلّ طـرف سـابـح

- وأنضـح جوانـب قـبره بدمائـها * فلفـد يـكـون أخـادم وذبـابـح

ففضاحك ، ثم سكت ساعة ، وقال : ألا قال :

أذهبـا بي إن لم يـكن لكـا عـقـد * رُ على تـرب قـبره فاعـقـرائي

وأنضـحـا من دمـي علـيه فقـد كا * نـ دمـي من نـذاه لو تـعلمـان

ثم رآني يوما بعد ذلك فأتأملتني ، وقال : ثعلب ! قلت : نعم ، قال : أنشدني

فأنشدته :

أعار الجَوْدَ نَائِلَهُ * إذا ما مَالُهُ نَفِدَا

وإن لَيْثًا شَكَا جُبْنًا * أعار فَوَادَهُ الأسدَا

فضحك، وقال : ألا قال :

عَلَّمَ الجَوْدَ النَّدى حَتَّى إذا * ما حَكَاهُ عِلْمُ البَاسِ الأَسَدِ

فَلَهُ الجَوْدُ مَقَرُّ بالنَدَى * وَلَهُ اللَّيْثُ مَقَرُّ بِالْجَلْدِ

وقال مسلم بن الوليد وهو مما يجوز إيراده في الشجاعة والكرم :

يجود بالنفس إن ضَنَّ الجَوَادُ بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

وأول من أتى بهذا المعنى علقمة بن عبدة حيث قال :

تجود بنفس لا يُجَادُ بمثلها * فأنتَ بها يوم اللِّقَاءِ خَصِيبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني : من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله عند

العطاء، فقد جاد بنفسه كليهما .

قالوا : وأجود ما قيل في ذلك قول أبي العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيل للعباس يا بنَ محمد * قل لا وأنتَ مَخْلَدٌ ما قَالَهَا

إنَّ السَّامِحَةَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً * حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عَقَالَهَا

وإذا الملوك تسارِتُ في بلدة * كانوا كواكِبهَا وَكَتَتْ هِلاَهَا^(٢)

فلم يثبه العباس، فقال :

هَزَزْتُكَ هِزَّةَ السِّيفِ المَحَلِّ^(٣) * فلما أن ضربت بك آنثيتُ

فهبها مِدْحَةً ذَهَبَتْ ضِياعَا * كَذَبْتُ عَلَيْكَ فِيهَا وَأَفْتَرْتُ

(١) سبروى المؤلف عن الأعاني أن هذه الأبيات لربيعه الرق .

(٢) كذا في الأعاني . وفي الأصول «وأنت» . وفيه مخالفة لروى الشعروى يأتي بعده

(٣) سيذكر المؤلف في ص ٢١٣ هذا البيت برواية أخرى تقل عن الأعاني .

فلما سمع العباس الأبيات غضب ، وقال : والله لأجهدن في حثفه . قال : فمز أبو العتاهية بإسحاق بن العباس ، وقال له إسحاق : أنشدني شيئا من شعرك فأنشده

ألا أيها الطالبُ المستغيثُ * بمن لا يُفيدُ ولا يَرفدُ

ألا تسأل الله من فضله * فإن عطاياه لا تتفدُ

إذا جئت أفضلهم للسؤا * ل رد وأحشاؤه تُرعدُ

كأنك من خشية للسؤا * ل في عينه الحية الأسودُ

ففيّر إلى الله من لؤمهم * فإني أرى الناس قد أصلدوا

وإني أرى الناس قد أبرقوا * بلؤم الفعّال وقد أرعدوا

ثم مضى ، فقبل لإسحاق : إن هذا الشعر له في أبيك ، فقال إسحاق : أول له ،

لم عرض نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته ! .

وقد أورد أبو الفرج الأصفهانيّ خبر هذه الأبيات ، فقال : امتدح ربعة الرقيّ

العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يُسبق إليها حسنا ، وهي

طويلة يقول فيها :

لو قيل للعباس يّا بن محمّد * قل لا وأنت مخلّد ما قالها

ما إن أعتد من المكارم خصلة * إلا وجدتك عمها أو خالها

وإذا الملوك تسايرت في بلدة * كانوا كواكبها وكنّت هلالها

إن المكارم لم تزل معقولة * حتّى حالت براحتك عقالها

قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين ،

كاد أن يُخجّ غضبا ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ إليّ الرقعة ،

من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربعة ، وأمر من كتب

في ظهرها :

مدحتك مِدحة السيف المحلَّى^(١) : لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مِدحة ذهب ضياعا * كذبتُ عليك فيها وأقريتُ
فأنت المرء ليس له وقاءٌ * كأني إذ مدحتك قد زنتُ

④

ثم دفعها الى الرسول وقال : ضعها في الموضع الذي أخذتها منه . ففعل ، فلما كان
من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ،
فركب إلى الرشيد ، وكان أثرا عنده يبجله ويقدمه ، وكان قد هم أن يخطب إليه
أبنته ، فرأى الرشيد الكراهة في وجهه ، فقال ما شأنك ؟ قال : هجاني ربيعة الرقي ،
فأحضره الرشيد ، وقال له : يا ماص كذا وكذا من أمه ! أنهجو عمي ، وأثر خلق الله
عندي ! لقد هممت أن أضرب عنقك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد أمتدحتة
بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء ،
وأكثر الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل ؛ فلما سمع
الرشيد ذلك ، سكن غضبه ، وأحب أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس بإحضارها
فتلکأ عليه ؛ فقال له الرشيد : سالتك بحق أمير المؤمنين ، إلا أمرت بإحضارها ؛
فأحضرت ، فإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها ، وقال :
والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ! ولقد صدق ربيعة فبر ،
ثم قال للعباس : كم أثبتت عليها ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وجرض^(٢) بريقه ؛ فقال
ربيعة : أثناني عنها يا أمير المؤمنين دينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموحدة
عليه ، فقال : بحياتي يا رقي كم أتابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثناني

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « لتجري في الكرام فاجريت » .

(٢) كذا في الأغاني والأصلين . وجرض بريقه أى ابتلعه بجهد على هم وحزن . وفي النسخة الراجية :

« وغص بريقه » .

إلا بدينارين، فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر في وجه العباس ، وقال : سوء لك ! أية حال قعدت بك عن إنايته ! أقلّة مال ؟ فوالله لقد تولّك جهدي ، أم انقطاع المادّة عنك ؟ فوالله ما أنقطعتُ بك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل الذي لا يدانيه شيء ، أم نفسك ؟ فلا ذنب لي ، بل نفسك والله فعلت بك ذلك ، حتى فضحت آباءك وأجدادك وفضحتني ، وفضحت نفسك ، فنكس العباس رأسه ، ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم ، وخلعة ، وأحمله على بغلة ، ثم قال له : بحياتي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضا ولا تصرّحا ، وفتر الرشيد عما كان قد هم به من أن يتزوج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحا .

وقال محمد بن هاني :

١٠ الواهب الألف إلا أنها بدرٌ * والطاعن الألف إلا أنها نسقُ
تأني عطاياه شئني غير واحدة * كما تدافع موج البحر بصطفقُ

وقال الرضيّ الموسوي :

ريّان والأيام ظمآنه * من الندى نشوان بالبشر
لا يمسك العذل يديه ولا * تأخذ منه نشوة الخمر

وقال أيضا :

ذخائرُ المرف في أهله * وخرّاب أمواله السائلونا

وقال أمية بن أبي الصلت الثقف - يمدح عبد الله بن جعدان :

أذكر حاجتي أم قد كفاني * حيّاوك إن شمتك الحياءُ
وعلمك بالأمور وأنت قرّم * لك الحسب المهذب والسناءُ

كَرِيمٌ لَا يَغْيِرُهُ صَبَاحٌ * عَنْ الْخُلُقِ السَّنَى وَلَا مَسَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّنَاءُ

وَقَالَ الشَّمَاخُ بْنُ ضَرَّارٍ ^(١) :

تَرَوُرُ أَمْرًا يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ * وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْحَمَامَةِ يُجَدِّدِ

وَأَنْتَ أَمْرٌ مَنْ يُعْطِيهِ الْيَوْمَ نَائِلًا * بِكَفِّكَ لَا يَمْنَعُكَ مِنْ نَائِلِ الْغَدِ

تَرَى الْجُودَ لَا يُدْنِي مِنَ الْمَرْءِ حَتْفَهُ * كَمَا الْبِخْلُ وَالْإِمْسَاكُ لَيْسَ بِجُلْدِ ^(٢)

مُفِيدٌ وَمِتْلَأٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ * تَهَلَّلَ وَاهْتَرَأَ هَتَّازُ الْمُهَنْدِ

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشَوَالِي ضَوْءِ نَارِهِ * تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ

قَالَ : وَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : كَذَبَ ، تِلْكَ نَارُ مُوسَى عَلَيْهِ

السَّلَام .

وَقَالَ السَّرِيُّ الرَّفَاءُ :

كَالْفَيْثِ وَاللَيْثِ وَالْهَلَالِ إِذَا * أَقْمَرُ بَأْسًا وَبِهَجَّةً وَنَدَى

نَائِسٍ مِنَ الْجُودِ مَا يَجُودُ بِهِ * وَذَاكِرٌ مِنْهُ كَلْمًا وَعَدَا

وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْوَأْوَاءُ :

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالْغَمَامِ فَمَا * أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْأَشْيَيْنِ

أَنْتَ إِذَا جَدْتَ ضَاحِكًا أَبَدًا * وَهُوَ إِذَا جَادَ بِأَكْبَى الْعَيْنِ

وَقَالَ آبَنُ نَبَاتَةَ السَّعْدِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

لَمْ يَبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَؤْمَلُهُ * تَرَكْتَنِي أَصْحَبَ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي زَهْرِ الْأَدَبِ لِأَبِي اسْمَاعِيلَ الْخَصْرِيِّ الْفَرَسِيِّ طَبْعُ مِصْرَ (ح ٤ ص ٥٠)

وَنَزَائِمُ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ (ج ٣ ص ٦٦٢) : أَنَّ الشَّعْرَ لِلْحَطِيطَةِ .

(٢) الَّذِي فِي زَهْرِ الْأَدَبِ وَنَزَائِمِ الْأَدَبِ :

يَرَى الْبِخْلَ لَا يَبْقَى عَلَى الْمَرْءِ مَالُهُ * وَيَعْلَمُ أَنَّ الشَّعْرَ غَيْرُ مُخْلَدٍ

ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال

قال سعيد بن العاصي : قبح الله المعروف ، اذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ،
 فالمعروف عوضٌ من مسألة الرجل ، اذا بذل وجهه ، فقبله خائفاً ، وفرائضه تُرعد ،
 وجبينه يرشح ، لا يدري أيرجع بنجح الطالب ، أم بسوء المتقلب ؛ قد بات ليلته
 يتمل على فراشه ، يعاقب بين شقيه ، مرة هكذا ، ومرة هكذا ؛ مَنْ لحاجته ٥
 فخطرتُ بباله أنا وغيري ، فثُسل أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من حاجته ؛ ثم عزم
 على ، وترك غيري ، قد انتقع لونه ، وزهد دُم وجهه ؛ فلو خرجتُ له مما أملك
 لم أكافئه ، وهو على أمنٍ متى عليه ؛ اللهم فإن كانت الدنيا لها عندي حظ فلا تجعل
 لي حظاً في الآخرة .

وقال أكرم بن صيفي : كل سؤال وإن قل أكثر من كل نوال وإن جل .
 وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : من كانت له إلى منكم حاجة
 فليرفعها في كتاب ، لأصون وجوهكم عن المسألة .
 وقال عبد العزيز بن مروان : ما تأملني رجل قط إلا سألته عن حاجته ،
 ثم كنت من ورائها .
 وقال حبيب :

عطاؤك لا يفتني ويستغرقني المني * وتبقى وجوه الراغبين بمائها

وقال أيضاً :

ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت * من ماء وجهي إذا أفنيت عوص

(١) كذا في العقد الفريد (ح ١ ص ٨٨) وهو الأنسب . وفي الأصول : « فالمعروف » .

وقالوا : مَنْ بَذَلَ إِلَيْكَ وَجْهَهُ فَقَدْ وَقَاكَ حَقٌّ نَعِمْتَكَ .

وفال معاوية لَصَّعَصَةَ بْنِ صُوحَانَ : مَا الْجُودُ؟ فَقَالَ : التَّبَرُّعُ بِالْمَالِ ،
والعطاء قبل السؤال .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

كَرِيمٌ عَلَى الْعِلَاقِ بَزَلٌ عَطَاؤُهُ * يُنِيلُ وَإِنْ لَمْ يُعْتَمَدْ لِنَوَالِ
وَمَا الْجُودُ مَنْ يُعْطَى إِذَا مَا سَأَلْتَهُ * وَلَكِنَّ مَنْ يُعْطَى بِغَيْرِ سَأَالِ

وقال حبيب الطائي :

لئن جَحَدْتُكَ مَا أَوَّلَيْتَ مِنْ كَرَمٍ * إِنْ لَمْ يَلْهُمِ الْوَأْمُ أَمْضَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ^(٢)
أَنْسَى أَبْتَسَامُكَ وَالْأَلْوَانُ كَاسِفَةٌ * تَبَسَّمَ الصَّبِيحُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ^(٣)
رَدَدْتَ رَوْقَ وَجْهِهِ فِي صَحِيفَتِهِ * رَدَّ الصَّقَالِ صَفَاءَ الصَّارِمِ الْخَلِيمِ^(٤)
وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدُقُهُ * حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِهِ أَمْ حَقَنْتَ دِمِي^(٥)

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”الشجاعة غريزة يضعها الله
فيمن شاء من عباده إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية“ .

وقالوا : حَدَّ الشَّجَاعَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ بِالْإِقْدَامِ عَلَى الْأُمُورِ الْمُتَلَفَةِ .

(١) في ديوان أبي تمام : « من حسن » . وفي العقد الفريد : « من نعم » .

(٢) في ديوان أبي تمام : « أحظى » .

(٣) في ديوان أبي تمام : « أسمى » .

(٤) كذا في ديوان أبي تمام والعقد الفريد وفي الأصول : « صفحته » .

(٥) الخدم : السيف القاطع .

وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال : جِلَّةُ نفس أبية ، قيل له : فما النجدة ؟
قال : ثقة النفس عند آتسرها الى الموت ، حتى تحمد بفعلها دون خوف .

وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة . وقال بعض أهل التجارب :
الرجال ثلاثة : فارس ، وشجاع ، وبطل ؛ فالفارس : الذي يَشُدُّ إذا شَدَّوا ، والشجاع :
الداعي الى البراز والمجيب داعيهِ ، والبطل : الحامى لظهور القوم إذا ولَّوْا .

قال يعقوب بن السَّكِّيت في كتاب الألفاظ : العرب تجعل الشجاعة في أربع
طبقات ، تقول : رجلٌ شجاعٌ ، فإذا كان فوق ذلك ، قالوا : بطلٌ ، فإذا كان فوق
ذلك ، قالوا : بهيمةٌ ^(١) ، فإذا كان فوق ذلك ، قالوا : أليس .

وقال بعض الحكماء : جسمُ الحرب : الشجاعة ، وقلها : التدبير ، ولسانها :
المكيدة ، وجناحها : الطاعة ، وقائدها : الرفق ، وسائقها : النصر .

قالوا : لما ظفر المهلب بن أبي صفرة بالخوارج ، وجه كعب بن معدان الى
الاحتجاج ، فسأله عن بنى المهلب ، فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى يزيد
فارسا شجاعا ، وجوادهم وبخيتهم : قبيصة ، ولا يستحيي الشجاع أن يفز من
مدرك ، وعبدُ الملك : سم نافع ، وجيب : موت زعاف ، ومحمد : ليث غاب ،
وكفالك بالمفضل نجدة ، قال : فكيف خلقت جماعة الناس ؟ قال : خلقتهم بخير ،
قد أدركوا ما أملوا ، وأمنوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال :

(١) البهمة : الفارس الذي لا يدري من أين يؤتى له من شدة بأسه . والأليس : الشجاع الذي
لا يبالي هولا .

(٢) ورد هذا الخبر في الكامل للبرد مطابقا لما هنا في نسق الجمل وترتيبها اللهم إلا زيادة بعض
فترات رأينا ضرورة إثباتها فأضفناها ونهنا عليها . وورد أيضا في الجزء الثاني من تذكرة الصفي المحفوظة
بدار الكتب تحت رقم ٤٢٠ أدب : باطناب في كثير من المواضع مع تقديم وتأخير عما هنا .

كانوا حُماة السَّرجِ نهاراً، فإذا أَلِيلُوا فُرسان البيات، قال : فأيتهم كان أنجَد؟ قال :
كانوا كالحلقة المفرغة، لا يُدرى أين طَرَفُها، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟
قال : كما إذا أخذنا عفونا ، [وإذا أخذوا يُلْسنا منهم ^(١)] وإذا آجَتهدوا وآجَتهدنا ،
[طمعنا ^(١)] فيهم ؛ فقال التجاج : إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ .

وقالوا : أَسْجَعُ بيت قالته العرب قول العباس بن مُرداس السُّلَمي :

أَشْدُّ عَلَى الْكِتَبَةِ لَا أَبَالِي * أَحْتَنِي كَانَ فِيهَا أُم سَوَاهَا

وقد مدح الشعراءُ الشجاعةَ وأهلها، وأوسعوا في ذلك، فمن ذلك قول المتنبي :

شَجَاعٌ كَأَنَّ الْحَرْبَ عَاشِقَةٌ لَهُ * إِذَا زَارَهَا فَدَّتْهُ بِالْخَلِيلِ وَالرَّجُلِ

وقال أيضاً :

وَكَمْ رَجَالٍ بَلَا أَرْضٍ لَكَثَرَتِهِمْ * تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بَلَا رَجُلٍ

مَا زَالَ طَرَفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ * حَتَّى مَشَى بِكَ مَشَى الشَّارِبِ الثَّمَلِ

وقال العماد الإصهاني :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ إِلَى الْوَغَى * لَيْسَ الْحِدَادُ عَدُوَّهُمْ فِي الْمَهْرَبِ

الْمُصْدِرُونَ الدِّهْمَ عَنْ وَرْدِ الْوَغَى * شُقْرًا تُجَلَّلُ بِالْعَاجِجِ الْأَشْهَبِ

وقال أبو الفرج الببغاء :

وَالْيَوْمُ مِنْ غَسَقِ الْعَاجِجَةِ لَيْلَةٌ * وَالْكُرْ يُخْرِقُ سَجَفَهَا الْمُدُودَا

وَعَلَى الصَّفَاحِ مِنَ الْكِفَاجِ وَصِدْقُهُ * رَذَعُ ^(٢) أَحَالَ بِيَاضَهَا تَوْرِيدَا

(١) الزيادة عن الكامل للبرد .

(٢) الرذع : أثر الدم

والطعنُ يفتصبُ الجيَادَ شَبَاتَهَا ^(١) * والضربُ يقدحُ في التريكِ وقودا ^(٢)
وعلى النفوسِ من الحِمَامِ طلائعُ * والخوفُ يَنشُدُ صبرَهَا المفقودا
وقد استحالَ البرُّ بحراً والضحا ^(٣) * ليلًا ومنخَرِقُ الفضاءِ حديدا
وأجلُ ما عندَ الفوارسِ حُبُّهَا * في طاعةِ الحربِ الجيَادَ القُودا
حتى إذا ما فارقَ الرأى الهوى . وغدا اليقينُ على الظنونِ شهيدا
لم يُغَيِّرْ غيرَ أبى شجاعٍ والعلا * عنه تُسَاحِى النصرَ والتأييدا
وقال أيضا ورؤى للبحترى ^(٤) :

مِنَ كُلِّ مَنِّيعٍ الأخلاقُ مَبْتَسِمٌ * للخطبِ إن ضاقتِ الأخلاقُ والحِجْلُ
يسعى به السبرُ إلا أَنه فَرسٌ : في صورةِ الموتِ إلا أَنه رجلُ
يلتقى الرماحَ بصديرٍ منه ليس له * ظَهَرٌ وهادى جوادٍ ما له كَفْلُ
وقال البحترى :

معشرُ أمسكتِ حلومُهُمُ الأَر * صَ وَكادتِ لولاهُم أن تَمِيدَا ^(٥)
فإذا الجَدْبُ جاء كانوا غِيوثًا * وإذا النقعُ نارَ ناروا أَسودَا ^(٦)
وكانَ الإلهَ قالَ لَهُمُ في الـ ^(٧) * حَرِبَ كونوا حجارةً أو حديدا

- ١٥ (١) في أحد الأصلين : « شياتها »
(٢) كذا في يتيمة الدهر . والتريك جمع للريكة وهي بيضة الحديد . وفي الأصول : « التليل » وهو العنق .
(٣) كذا في الأصلين و يتيمة الدهر . ولم يوجد هذا البيت في باقي الأصول .
(٤) نسبت هذه الأبيات في يتيمة الدهر لأبي الفرج البغاه . ولم توجد في ديوان البحترى طبع
الأسنانة ولا في ترجمته في الأغاني .
٢٠ (٥) في ديوان البحترى : « وكادت من عزمهم ... الخ » .
(٦) رواية الديوان : « فاذا المحل جاء جاءوا سيولا ... الخ » .
(٧) رواية الديوان : « ... قال لنا ... الخ » .

وقال مُسلم :

لو أُنْتُ قوماً يَخْلُقُونَ مِيتَةً * من بأسهم كانوا بنى جبريلاً
قوم إذا حَمَى الوطيسُ لَدِيهِمْ^(١) * جعلوا الجماجمَ للسيوفِ مَقِيلًا

وقال آخر :

عِقبَانُ رَوْعٍ والسروجُ وكورها * وليوثُ حربٍ والقنبا آجامُ
وبدورتُم والشواثك في الوغَى * هالائِهَا والسابري^(٢) غَمَامُ
جادوا بممنوع التلادِ وجؤدوا * ضرباً تُحَدُّ به الطُّلَا والهَامُ
وتجاورت أسيافُهم وجيادُهم * فالأرضُ تُمَطِّرُ والسماءُ تُغَامُ

وقال آخر :

قوم شرابُ سيوفِهم ورماحِهم * في كلِّ معتركٍ دُمُ الأشرافِ
رَجَعَتْ إليهم خيلُهم بمعاشر * كلُّ لِكَلٍّ جسيمٍ أمرٍ كافٍ
يَتَحَنَّنُونَ إلى لقاءِ عدوِّهم * كَتَحَنَّنَ الأُلُفُ للأُلُفِ
ويأشرونَ طُبابًا السيوفِ بأنفيس * أَمْضَى وأَقْطَعُ من طُبابِ الأسيافِ

وقال ابن حَيَّوس :

إن تُرْدُ خُبْرَ حَالِمْ عن قَرِيبِ^(٣) * فَأَنْتِهِمْ يَوْمَ نَائِلٍ أو نَزَالٍ
تَلْقَى بِيضَ الوجوه سودَ مَثَارِ السَّقْعِ خُضْرَ الأَكْفِ حُمْرَ النِّصَالِ^(٤)

(١) رواية ديوان مسلم بن الوليد طبع مصر ص ٩١ : « قوم إذا حَمَى الهَجِير من الوغَى ... الخ » .

(٢) السابري : الدروع السابرية المنسوبة الى سابور .

(٣) رواية ديوان ابن حيوس (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩١ أدب) :

٢٠ « ... علم حَالِمْ عن يقين » فالقهم في مكارم أو قتال .

(٤) في ديوانه : « ... بِيضُ الاعراض ... الخ » .

ومما قيل في الصبر والإقدام :

قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَابْتُئُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا تَمْتَنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَابْتُئُوا وَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِنْ جَلَبُوا وَضَجُّوا فَعَلَيْكُمْ بِالصَّحْتِ» .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه : ربِّ حياةٍ سُبُها التعرُّضُ للوت ، وربُّ منيةٍ سُبُها طلبُ الحياة .

وقالوا : أجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم : الصبر مطيعة النصر .

وقال آخر : الصبر مطيعةٌ لا تكبو وإن عَنَفَ عليه الزمان .
وقال آخر : الصبر شريفةٌ تمرُّ أريةً .^(٢)

وقيل للهلب بن أبي صفرة : إناك لتلقى نفسك في المهالك ، فقال : إن لم آت الموت مسترسلا أتاى مستعجلا ، إني لست آتى الموت من حُبِّه ، وإعما آتية من بغضه ، وتمثل بقول الحصين بن الحُمام :

تأخرتُ أَسْتَبِقُ الحَيَاةَ فلم أجِدْ * لنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدِّمًا
وهى قصيدة مشهورة منها :

فلسنا على الأعقابِ نَدْمَى كُلُّوْمُنَا * ولكن على أقدامنا نَقْطُرُ الدِّمَاءَ
نَفْلَقُ هَامًا مِنْ كَرَامِ أَعَزَّةٍ * علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلمًا^(٤)

(١) ورد هذا الحديث في صحيح البخارى ومسلم برواية تختلف عما هنا في شطره الأخير .

(٢) الشريفة : الحنطةلة . (٣) الأرية : العسل .

(٤) في تذكرة الصفدى والشعر والشعراء لابن قتيبة وشرح ديوان حماسة أبي تمام : « من

رجال ... » .

ولما رأينا الصبر قد حِيلَ دونه * وإن كان يوماً ذا كواكبٍ مُظلمها
صبرنا وكان الصبرُ منا سجيّةً * بأسيفنا يقطعن كفاً ومِعصماً
ولما رأيت الودَّ ليس بِنافعي * عمدتُ إلى الأمر الذي كان أحزنا
فلستُ بمبتاع الحياة بسبّةٍ * ولا مرتقٍ من خشية الموت سُلماً

وقالت العرب: الشجاعة وقاية، والجبن مقتلة. وكذلك: إن مَنْ يَقْتُل مدبراً
أكثر ممن يقتل مقبلاً.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد: أحرص على الموت،
توهب لك الحياة.

وقالت الحكماء: استقبال الموت خير من استدباره.

وقال العلوي:

محترمة أكفأ خيل على القنا * ودامية لبائها ونحوها
حرام على أرمأحنا طعن مدبر * وتندق منها في الصدور صدورها
وقال أبو تمام:

قلوا ولكتهم طابوا فأنجدهم * جيش من الصبر لا يحصى له عدد
إذا رأوا للنايا عارضاً ليسوا * من اليقين دروعاً ما لها زرد
ناوا عن المصير^(١) الأدنى فليس لهم * إلا السيوف على أعدائهم مدد
وما زالت العرب يتماذحون الموت قعصاً، ويتسابقون بالموت على الفراش،
ويقولون فيه: مات فلان حتف أنفه، وأقول من قال ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم.

ومدح أعرابي قوما فقال: يقتحمون الحرب كما يلقونها بنفوس أعدائهم.

(١) كذا في ديوان أبي تمام. وفي الأصول: «عن المصريح» بالحاء المهملة وهو تحريف.

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مُصعب : إن يُقتل فقد ذل أخوه وأبوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتفًا^(١) ولكن قَعَصًا بأطراف الرماح ، وموتًا تحت ظلال السيوف .

وقال السمّوئل بن عاديا :

وما مات منا سيد في فراشه * ولا طُلّ منا حيث كان قتيلُ^(٢)
تسيل على حدّ الطُّبأة نفوسنا * وليست على غير الطُّبأة تسيلُ
وقال آخر :

وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا * وتترك أخرى مُرّةً مانذوقها

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صِفّين ، وقد قيل له : أتقاتل أهل

(٢٧)

الشام بالفسدة ، وتظهر بالعشي في إزار ورداء ؟ : أبا الموت تخوفوني ! فوالله
ما أبالي ، أسقطت على الموت ، أم سقط الموت علي . وقال لأبنيه الحسن : لا دعون
أحدًا إلى المبارزة ، وإن دعيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغ ، وللباغى مصرع .
وقال رضي الله عنه : بقية السيف أنمي عددًا [وأطيب ولدًا]^(٣) يريد أن السيف إذا
أسرع في أهل بيتٍ كثر عددهم ونمي [ولدهم]^(٣) .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : عَقِمَت النساء أن تأتي بمثل علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ، لَعَهْدِي به يوم صِفّين ، وعلى رأسه عِمامة بيضاء ، وهو يقف على

(١) في عيون الأخبار طبع دار الكتب (ص ٢٤٠) من المجلد الثاني : « إنا والله ما نموت حبيبا
ولا نموت الا قتلا قصا ... الخ » والحج : أن يأكل البعير لحاء العرعر يوم يطنه سمار وربما قتله
ذلك . وفي لسان العرب بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : « يعرض بني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم
في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالثخمة » وقصه . (من باب قطع) : قتله مكانه .

(٢) الرواية المشهورة : « وما مات منا سيد حتف أنه » .

(٣) الزيادة عن المقد الفريد لأن عبد ربه (ج ١ ص ٣٨) .

شَرِذْمَةٍ شَرِذْمَةٍ مِنَ النَّاسِ ، يَحْضُمُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، حَتَّى آتَنِي إِلَى ^(١) ، وَأَنَا فِي كَيْفٍ
 مِنَ النَّاسِ ، وَفِي أَغْيَابِهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، تَجْلِبُوا
 السَّكِينَةَ ، وَأَكْلُوا اللَّامَةَ ^(٢) ، وَأَقْلِقُوا السُّيُوفَ فِي الْأَعْمَادِ ، وَكَافُوا بِالطُّبَا ، وَصَلُوا السُّيُوفَ
 بِالْخُطَا ، فَإِنَّكُمْ بَعَيْنَ اللَّهِ ، وَمَعَ آبْنِ عَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَاودُوا الْكُرَى ،
 وَاسْتَجِبُوا مِنَ الْفَرِّ ، فَإِنَّهُ عَارٍ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ فِي الْحِسَابِ ، وَطِيبُوا عَلَى الْحَيَاةِ
 أَنْفُسًا ، وَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا يُجْجَأُ ^(٣) ، وَدُونَكُمْ هَذَا الرُّوَاقُ الْأَعْظَمُ ، فَاصْبِرُوا ، فَإِنَّ
 الشَّيْطَانَ رَاكِبَ صَعْدَتِهِ ، قَدَّمُوا لِلْوُثْبَةِ رِجْلًا . وَأَخْرُوا لِلنَّكَوْصِ أُخْرَى ، فَصَحْمًا
 صَحْمًا ، حَتَّى يَبْلُغَ الْحَقُّ أَجْلَهُ . وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتْرَكَ أَعْمَالَكُمْ ، ثُمَّ صَدَرَ عَنَّا ، وَهُوَ يَقْرَأُ :
 « قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ صُدُورِهِمْ وَيُصْخِرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُؤْمِنُ » .
 وَكَانَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ يَمْتَلِئُ يَوْمَ صَقَيْنَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أَبْتُ لِي شِمْتِي وَأَبَى بِلَائِي . وَأَخَذَنِي الْحَمْدُ بِالْثَمَنِ الرَّيِيحِ
 وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطِيلِ الْمُشْبِيعِ
 وَقَوْلِي كَلَّمَا جَشَّاتُ لِنَفْسِي ^(٥) * مَكَانِكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرْجِي
 لِأَدْفَعُ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ * وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ عَرِضٍ صَحِيحٍ

- ٢٠ (١) وردت هذه الخطبة في نهج البلاعة لسيدنا علي رضي الله عنه طبع (بروت مع بعض الاختلاف :
 بزيادة أو تنكير في بعض الكلمات .
 (٢) اللامة : الدرع ، وإكلها أن يراد عليها البيضة والسواعد .
 (٣) السجج بضم السين : اللين السهل .
 (٤) كذا في الأصول . وفي نهج البلاعة : « فأن الشيطان كامس في كسره » .
 (٥) الرواية المشهورة : « وقول كَلَّمَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ » كما في العقد الفريد وعبون الأخبار أنجلد
 الثاني ص ١٩٣

وقال قَطْرِيُّ بْنُ الْقُجَّاءَةِ أمير الخوارج :
(١)

وقولى كلما جشأت لنفسي * من الأبطال ويحك لا تُراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم * على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا * فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى * وداعيه لأهل الأرض داعى

وقال عبد الله بن رواحة الأنصارى :

يا نفس إن لم تُقتلى تموتى * إن تسلمى اليوم فلا تفوتى
أو تُبتلى فطالما عوفيت * هذى حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت * إن تفعل فعلهما هديت
* وإن توليت فقد شقيت *

يريد بقوله :

* إن تفعل فعلهما هديت *

فعل زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب رضى الله عنهما ، وكانا قُتلا فى ذلك
اليوم بمؤتة .

وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه ، يخرج كل يوم بصفين حتى يقف
بين الصفين ويُشد :

من أى يومى من الموت أفر * أيوم لا يُقدر أم يوم يُقدر
فيوم لا يُقدر لا أرهبه * ثم من المقدور لا ينجو الحذر

(١) روى هذا المصراع فى حاشية أبي تمام وتذكرة الصمدى هكذا :

أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ... الخ

(٢) فى العقد الفرید : « ... حياة ... * سوى الأهل ... الخ » .

ومثله قول جرير من قصيدة أولها :

* هاج الفراق لقلبك المهتاج *^(١)

منها :

قل للجان إذا تأخر سرجه * ما أنت من شرك المنية ناج

وقالت امرأة من عبد القيس :

أبوا أن يقرؤا والقفا في نحورهم * ولم يتغوا من خشية الموت سلما
ولو أنهم قرؤوا لكانوا أعزّة * ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

وقال حبيب بن أوس الطائي :

فأثبتت في مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أتمحصك الحشر
وقد كان فوت الموت سهلا فردّه * عليه الحفاظ المرث والخلق الوعر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه * فلم ينصرف إلا واكفائه الأجر
تردى ثياب الموت حمرا فأتى^(٢) * لها الليل إلا وهى من سندس خضر

وقال :

قوم^(٣) إذا لبسوا الحديد حسبتهم * لم يحسبوا أن المنية تُخلق
أنظر بحيث ترى السيوف لوامعاً * أبداً وفوق رؤوسهم تتألق

وقال البتاء :

يسعى الى الموت والقنا قصد * وخيله بالراء وس تتعل
كأنه واثق بأن له * عمرا مقيا وما له أجل

(١) رواية الشعر والشعراء لابن قتيبة : « هاج الهوى بفؤادك ... الخ » .

(٢) كذا في الأصول وفي ديوان أبي تمام : « فادجى » .

(٣) في العقد الفريد وديوان أبي تمام : « بله اذا ... الخ » .

وقال كعب بن مالك :

نَصَلُ السُّيُوفَ إِذَا قُصِرْنَ بِمُخْطَوْنَا * قُدِّمْنَا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ
ومثله لبعض بني قيس بن ثعلبة :

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا * مَرَبُّ فَارَسٍ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا
إِذَا الْكَيْفَاةُ تَعَوَّا أَنْ يُصِيبَهُمْ * حَدُّ الطَّلِبَةِ وَصَانُهَا بِأَيْدِينَا
ومثله قول الآخر :

إِذَا قُصِرْتُ أَسِيفُنَا كَانَ وَصْلُهَا * خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَقَارِبُ^(١)
ومثله قول ودَّك بن ثُميل المازني :

مَقَادِيمُ وَصَالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطَوَهُمْ * بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِي
إِذَا أَسْتَجْدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ * لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بَأَى مَكَانِ
وقال أبو تمام في سعة الخطو :

خَطْوَتَرَى الصَّارِمَ الْهِنْدِيَّ مُتَصَرًّا * بِهِ مِنْ الْمَازِنِ الْخَطَى مُتَصَفًّا^(٢)
وقال آخر :

كَأَنَّ سَيْوْفَهُ صِيغَتْ عَقُودًا : تَجُولُ عَلَى التَّرَائِبِ وَالنَّحُورِ
وَسُمْرَ رِمَاحِهِ جُعِلَتْ هُمُومًا * فَمَا يَخْطُرَنَّ إِلَّا فِي ضَمِيرِ

وأجود ما قاله محدث في الصبر قول ابن الرومي :

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَفِيهِ مَذَاهِبُ^(٣) * فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبُ
هَنَّاكَ يَحِقُّ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ * وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجِبُ

(١) في تذكرة الصفي : « مضارب » بالصاد المعجمة .

(٢) رواية ديوان أبي تمام : « خطوا ... » فيه من المازن الخ .

(٣) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري وديوان ابن الرومي . وفي الأصول : « عنه » .

فشدَّ امرؤ بالصبر كفاً فإنه * له عصمةٌ أسبابها لا تَقْضُبُ
هو المهرَّبُ المنجى لمن أهدتْ به * مكارهُ دهرٍ ليس عنقُ مهرَبٍ^(١)
لبوس جمالِ جنةٍ من شِمانية * شفاء أسي يُثْنِي به ويثوبُ
فيا عجباً للشيء هذى خلاله * وتارك ما فيه من الحظ أعجبُ
وقد يتظنَّى الناس أن أساهمُ * وصبرهم فيهم طباعُ مرَّكبُ
فإنهما ليسا كشيءٍ مُصرِّفٍ * يصرفه ذو نكبة حين يُكَبُّ
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسي * وإن شاء صبرا جاءه الصبر يُجلبُ
وليسا كما ظنَّهما بل كلاهما * لكلِّ لبيب مستطاعٌ مسببُ
يصرفه المختارُ من فتارة * يُراد فيأتى، أو يُزاد فيذهبُ
إذا احتجَّ محتجٌّ على النفس لم تكد * على قدرٍ يُمْنَى لها تُتَعَبُ^(٢)
وساءَ لها الصبرُ الجميلُ فأقبلتْ * إليها له طوعاً جنائبُ مُجَنَّبُ
وإن دوماً ماها الأباطيلُ لم تزل * تقاتل بالعب القضاء وتُغلبُ
فتضحى جزوعاً إن أصابت مصيبةً * وتسمى هلوفاً إن تعدَّرت مطابُ
فلا يعذرُنَّ التاركُ الصبرَ نَفْسُهُ * بأن قيل إن الصبرَ لا يُتَكَسَّبُ

٥

١٠

ذكر ما قيل في وفور العقل

١٥

قال الله تعالى : (إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)
قال المفسرون : عبَّر عن العقل بالقلب ، لأنه محلُّه وسكنه ، وقال تعالى : (وَلْيَذَكِّرْ)

(١) كذا في ديوان المعاني والأصول . وفي ديوان ابن الرومي : « منهن » .

(٢) كذا في ديوان ابن الرومي . وفي الأصول وديوان المعاني : « ... لم يكده » : على قدر ما يعنى

أُولُو الْأَلْبَابِ)، وقال تعالى : (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ أَقْبَلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَىٰ مِنْكَ بَكَ آخِذٌ بِكَ وَأَعْطَىٰ بِكَ أَتَيْبٌ بِكَ وَأَعَاقِبٌ “ .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ الْعَقْلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كُلُّ عَقْلُهُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ جُزْءٌ مِنْهَا فَلَا عَقْلَ لَهُ “ ، قيل : يا رسول الله ، ما أجزاء العقل ؟ قال : ” حَسَنُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَحَسَنُ الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَحَسَنُ الصَّبْرِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ “ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” مَا أَكْتَسَبَ رَجُلٌ مِثْلَ فَضْلِ عَقْلٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى وَيُرْذِي عَنْ رَذًى وَمَا تَمَّ إِيْمَانُ عَبْدٍ وَلَا اسْتِقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَكْمَلَ عَقْلُهُ “ .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لَتَمِيمِ الدَّارِيّ : ما السُّؤْدُودُ فيكم ؟ قال : العقل ، قال : صدقت ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك ، فقال كما قلت ، ثم قال : ” سألت جبريل ما السُّؤْدُودُ فقال العقل “ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، بأي شيء يفاضل الناس في الدنيا ؟ قال : ” بالعقل “ قلت : وفي الآخرة ؟ قال : ” بالعقل “ قلت : أليس إنما يُجْزَوْنَ بأعمالهم ! فقال : ” يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل ، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يُجْزَوْنَ “ .

وعن سعيد بن المسيّب : أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، مَنْ أعلم الناس ؟ قال : ” العاقل “ قالوا : ٢٠

فمن أعبد الناس ؟ قال : "العاقل" قالوا : فمن أفضّل الناس ؟ قال : "العاقل"
قالوا : أليس العاقل من تمت مروءته ، وظهرت فصاحته ، وجادت كفته ،
وعظمت منزلته ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ . إن العاقل هو التقى وإن كان في الدنيا خسيسا
دينيا .

وورد في الأثر : «أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقل والدين والحياة
فاختار العقل ، فقبل للدين والحياة أرتفعوا ، قالوا : لا ؛ قال : أنقصيتا أمر ربكما ؟ قالوا :
ما عَصَيْنَا أَمْرَ رَبِّنَا وَلَكِنَّا أَمَرْنَا أَنْ نَتَّبِعَ الْعَقْلَ حَيْثُ كَانَ » .

وقال لقمان لابنه : إن غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة حسنُ العقل ،
لأن العبد إذا حسن عقله غطى ذلك عيوبه ، وأصلح مساوئه ، ورضى عنه خالقه ،
وكفى بالمرء عقلا أن يسلم الناس من شره .

وقيل : مكتوبٌ في حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالما
بأهل زمانه ، مالكا للسانه ، مقبلا على شأنه .

وقال بعض الحكماء : كل شيء يعز إذا قل ، والعقل كلما كان أكثر كان أعز
وأعلى ، ولو بيع لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بنفسه ؛ وأول شرف العقل أنه
لا يُسْتَرَى بِالْمَالِ .

قال أبو عطاء السندی :

فإن العقل ليس له إذا ما * تذكّرت الفضائل من كفاء

وقالوا : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس بينهما حرون ، فاذا كان قائدٌ
بلا سائق هلكَتْ ، وإن كان سائق بلا قائد أخذَتْ يَمِيا وشمالا ، فاذا آجتماعا
أجابَتْ طوعا أو كَرْها .^(٢)

ذكر ما قيل في حدّ العقل وماهيته وما وصف به

- وقد اختلف الحكماء في حدّ العقل ، فقيل : حدّه الوقوف عند مقادير
الاشياء قولاً وفعلاً . وقيل : النظر في العواقب . وقال المتكلمون : هو اسم لعلوم
إذا حصلت للإنسان صحّ تكليفه . وقيل : العاقل من له رقيب على شهواته .
وقيل : هو مَنْ عقل نفسه عن المحارم . وقال عمرو بن العاص : أن يَعْرِفَ خَيْرَ
الخيرين ، وشرّ الشرّين .

- قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تملّت في جميع الخصال ، بأقوام
جعلوهم أعلاماً فيها . فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة ، فقالوا : أحلم من الأحنف
ومن قيس بن عاصم ؛ وأجود من حاتم ومن كعب بن مامة ؛ وأشجع من بسطام ،
وأبين من سحبان ، وأرمي من ابن يقين ، وأعلم من دُعقل ؛ ولم يقولوا : أعقل من
فلان ؛ فلعلهم لم يستكملوا عقل أحدٍ ، على حسب ما قال الأعرابي ، وقد قيل له :
حدّ لنا العقل ، فقال : كيف أحُدّه ولم أره كاملاً في أحدٍ قط ؟ ! .
وقيل للحكيم : ما جماعُ العقل ؟ فقال : ما رأيته مجتمعاً في أحدٍ فأصِفّه ،
وما لا يوجد كاملاً فلا حدّ له .

وقالوا : لكلّ شيء غاية وحدّ ، والعقل لا غاية له ولا حدّ ، ولكن الناس
يتفاوتون فيه كمتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب .

وآختلفوا في ماهية العقل، كما آختلفوا في حده، فقال بعضهم : هو نور وضعه الله تعالى طبعاً وغريزة في القلب، كالنور في العين وهو البصر؛ فالعقل نور في القلب، والبصر نور في العين؛ وهو ينقص ويزيد، ويذهب ويعود؛ وكما يدرك بالبصر شواهد الأمور، كذلك يدرك بالعقل كثير من المحجوب والمستور؛ وعمى القلب كعمى البصر، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” ليس الأعمى من عمى بصره ولكن من عميت بصيرته “ .

وقال عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة المعروف بالعتي : العقل عقلان : عقل تفرد الله تعالى بصنعه ، وهو الأصل ، وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع ؛ فاذا اجتمعما قوى كل واحد منهما صاحبه ، تقوية النار في الظلمة للبصر . ١٠
نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال — ويروى لعل — بن أبي طالب رضى الله عنه — :

رأيتُ العقلَ عقابين * فطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفع مسموعٌ * اذا لم يك مطبوعٌ

كما لا تنفع الشمسُ * وضوءُ العين ممنوعٌ

وأكثر الناس على أنَّ العقل في القلب، ودليله قوله عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ . ١٥

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” العقل في القلب يفرق به بين الحق والباطل “ .

وقال بعضهم : هو في الدماغ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه . ٢٠

وأما ما وُصف به، فقيل : العقلُ وزير رشيد، وظهير سعيد، من عصاه
أرداه، ومن أطاعه أنجاه .

وقال سَعيد بن جُبَيْر : لم تر عيناى أَجَل من فضيل عقلٍ يتردَّى به الرجلُ، إن
أنكسر جَبَرَه، وإن تصدَّع أنعشَه، وإن ذلَّ أعزَّه، وإن أعوجَّ أقامه، وإن عثر
أقاله، وإن أفترق أغناه، وإن عيرى كساه، وإن غوى أرشده، وإن خاف أتمنه،
وإن حزن أفرحه، وإن تكلم صدقه، وإن أقام بين أظهر قومٍ أغبطوا به، وإن
غاب عنهم أسفوا عليه، وإن بسط يده قالوا : جوادٌ، وإن قبضها قالوا : مقتصدٌ،
وإن أشار قالوا : عالم، وإن صام قالوا : مجتهد، وإن أفطر قالوا : معذور . قال
بعض الشعراء :

- ١٠ بعدُ رفيع القوم من كان عاقلا * وإن لم يكن في قومه بحسبٍ
وإن حلَّ أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقلٌ في بلدةٍ بغريبٍ
- وقال بعض الحكماء : إذا غلب العقلُ الهوى ، صرف المساوى الى المحاسن ،
لجعل البلادة حِلما، والحدة ذكاءً، والمكر فطنةً، والهدر بلاغةً، والعي صمتاً، والدة وبةً
أدبا، والخبث حذرا، والإسراف جودا .
- ١٥ وقيل : لو صوِّر العقلُ لأضاء معه الليلُ، ولو صوِّر الجهلُ لأظلم معه النهارُ .
قال المتنبي :

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرفٍ من الإنسان
وقد ندبَ الى صحبة العقلاء .

- قال الزُّهرى : إذا أنكرتَ عقلك، فاقدحْه بعاقيل . وقال ابن زُرارة : جالس
العقلاء أعداء كانوا أم أصدقاء، فإنَّ العقلَ يقع على العقل . قال بعض الشعراء :
- ٢٠ عدوك ذو العقل أبقي عليك * وأبقى من الوامقِ الأحمق

وقال آخر :

لله دُرُّ العقل من راشِد * وصاحب في اليسر واليسر
وحاكم يقضى على غائب * قضية الشاهد للأمر
وإن شيئاً بعض أحواله * أن يفصل الخير من الشر
له قوَى قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر

وقال آخر :

إذا لم يكن للراء عقل فإنه * وإن كان ذا قدر على الناس — هين
وإن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل من يابن

وقال آخر :

العقل حلة خير من تسربها * كانت له نسبا يغني عن النسب
والعقل أفضل ما في الناس كلهم * بالعقل ينجو الفتي من حومة العطب

وقال ابن دُرَيْد :

وأفضل قسم الله للراء عقله * فليس من الخيرات شيء يقاربه
فزين الفتي في الناس صحة عقله * وإن كان محظورا عليه مكاسبه
ويزري به في الناس قلة عقله * وإن كرمتم أعرافه ومناسبه
إذا أكل الرحمن للراء عقله * فقد كُت أخلاقه ومآربه

(١) كذا في أحد الأصول الفتوغر امين . وفي الأصل الآخر : « ... نسبا يغني عن النسب » .

وفي الراغبية : « ... نسبا يغني عن النسب » .

(٢) كذا في الأصول . وفي أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري ص : طبع بولاق : أن هذه

الآيات من شعر إبراهيم بن حسان ، مع اختلاف يسير في بعض كلماتها . ٢٠

وقال آخر :

ما وهب الله لأمرئ هبة * أشرف من عقله ومن أدبه
هما جمال الفقى فإن عُدْمًا * فإن فقد الحياة أنفع به

وقال آخر :

ولم أرَ مثل الفقر أوضع للفقى * ولم أرَ مثل المال أرفع للنذل
ولم أرَ من عُدِمَ أضرَّ على الفقى * إذا عاش بين الناس من عُدِمَ العقل

ذكر ما قيل فى الصدق

قال الله عز وجل مبشرا للصادقين : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” تحروا الصدق فإن الصدق يهذى إلى البر والبر يهذى إلى الجنة ، وإن المرء ليتجرى الصدق حتى يكتب صديقا “ .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، ما عمل أهل الجنة ؟ قال : ” الصدق إذا صدق العبد برًا وإذا برًا أمينًا وإذا آمن دخل الجنة “ . قال : يا رسول الله ، ما عمل أهل النار ؟ قال : ” الكذب إذا كذب العبدُ بغيره وإذا بغيره كفرًا وإذا كفر دخل النار “ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بم يعرف المؤمن ؟ قال : ” بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه “ . ومن كلام علي

(١) فى الإحباط للقرائى : « ... وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » .

رضى الله عنه : [علامة] الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك ، على الكذب حيث ينفعك .

وقال بعض الحكماء : الصدق أزين حلية ، والمعروف أريح تجارة ، والشكر أدوم نعمة . وقال بعضهم : رأيت أرسطاطاليس في المنام ، فقلت : أى الكلام أحسن ؟ فقال : ما صدق قائله ، قلت : ثم ما ذا ؟ قال : ما أستحسنه سامعه ، قلت : ثم ما ذا ؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونهيق الحمار بمنزلة .

وقال الأحنف لابنه : يا بني ، يكفيك من شرف الصدق ، أن الصادق يُقبل قوله في عدوه ، ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا عدوه ؛ لكل شيء حلية ، وحلية المنطق الصدق . الصدق يدل على اعتدال وزن العقل .

قال عامر بن الظرب العدواني في وصيته : إني وجدتُ صدق الحديث طرفاً من الغيب فأصدقوا . من لزم الصدق وعوّده لسانه ، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنه ، إلا جاء على ظنه .

وقالوا : ما السيف الصارم في كف الشجاع بأعز من الصدق .

وقيل : مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بمجوز تبع اللبن [في سوق الليل] ، فقال لها : يا عجوز ، لا تَغشّي المسلمين ، ولا تشوّبي لبنك بالماء ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ ثم مرّ بها بعد ذلك ، فقال : يا عجوز ، ألم أعهد إليك ألا تشوّبي لبنك بالماء ؟ فقالت : والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، فتكلّمتُ بنتُ لها من داخل الخباء ، فقالت : يا أمّاه ، أغشّا وحتّنا جمعيت على نفسك ! فسمعها عمر

فأعجبته، فقال لولده : أيكم يترجىها ؟ ففعل الله أن يخرج منها نَسَمَةً طَيِّبَةً ، فقال ابنه عاصم : أنا أترجىها يا أمير المؤمنين ، فزوجها منه ، فأولدها أم عاصم ، تزوجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر بن عبد العزيز .

وَرَوَى أَنَّ بِلَالَ لَمْ يَكْذِبْ مِنْذُ أَسْلَمَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ يَحْسُدُهُ [فَأَرَادَ أَنْ يُعْتَبَهُ] ^(١) ، فَقَالَ : الْيَوْمَ أَكْذَبَهُ ، فَسَايَرَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا بِلَالُ مَا سَنُ فَرَسُكَ ؟ قَالَ : عَظْمٌ ، قَالَ : فَمَا جَرِيهِ ؟ قَالَ : يُحْضِرُ مَا اسْتَطَاعَ ؛ قَالَ : فَأَيْنَ تَنْزِلُ ؟ قَالَ : حَيْثُ أَضْعُ قَدَمِي ؛ قَالَ : آيْنَ مِنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : آيْنَ أَبِي وَأُمِّي ؛ قَالَ : فَكَمْ أَتَى عَلَيْكَ ؟ قَالَ : لِبَالٍ وَأَيَّامٌ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بَعْدَهَا ؛ قَالَ : هِيَهَاتَ ، أُعِيتُ فَيْكَ حَيْلِي ، مَا أَتَعْنَتُ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا .

(٧١)

١٠ ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة

قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ .

وروى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

١٥ "عليك بصدق الحديث ووفاء العهد وحفظ الأمانة فإنها وصية الأنبياء" .

كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، حَتَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى آبَتِهِ زَيْنَبَ تَاجِرًا تُضَارِبُهُ قَرِيضٌ بِأَمْوَالِهِمْ ، فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ

(١) زيادة عن تذكرة الصعدي تناسب المقام .

(٢) كذا في تذكرة الصندي . وفي الأصول : « ما أتعب ... » وهو مخريف .

(٣) الحنف : الصبر أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

سنة الهجرة، فلما قَدِمَ عَرَضَ له المسلمون فأسروه، وأخذوا ما معه، وقدموا به
 المدينة ليلاً، فلما وصلوا الفجر، قامت زيدب على باب المسجد، فقالت :
 يا رسول الله، قد أجرتُ أبا العاص وما معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ”قد أجرتنا من أجرت“ ودفع إليه ما أخذوه منه، وعرضَ عليه الإسلام، فأبى، ونُحِجَ
 إلى مكة، ودعا قريشاً، فاطعمهم، ثم دفع إليهم أموالهم، ثم قال : هل وقيتُ ؟
 قالوا : نعم، قد أذيت الأمانةَ ووَقِيتَ، قال : أشهدوا جميعاً أنى أشهد أن لا إله
 إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وما منعنى أن أسلم إلا أن تقولوا : أخذ أموالنا، ثم
 هاجر، فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكاح، وتوفي في سنة اثنتي عشرة .

وقيل لما قوى أمرُ بنى العباس وظهر قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيى
 كاتبه : إنا نريد في الكتب، أن هذا الأمرَ زائل عنا لاهالة، وسيظهر اليك هؤلاء
 القوم، يعنى ولد العباس، فصر إليهم، فإني لأرجو أن نتمكن منهم، فتنفعنى في مخفى
 وفى كثير من أمورى، فقال : وكيف لى بعلم الناس جميعاً أن هذا عن رأيك، وكلهم
 يقول : إني غدرت بك، وصرت إلى عدوك ؟ وأنشد :

أُسْرَ وفاءً ثم أَظْهَرُ غَدْرَةَ * فَمَنْ لِي بِغَدْرِ يَوْسَعَ النَّاسِ ظَاهِرُهُ

ثم قال : ١٥

ولو لمَّ ظاهراً لا شكَّ فيه * للأئمة وعذرى بالمغيبِ

فلما سمع مروان ذلك، علم أنه لا يفعل، ثم قال له عبد الحميد : إن الذى
 أمرتني به، لأنفعُ الأمرين لك وأقبحهما بى، ولك على الصبر معك، الى أن
 يفتح الله عليك، أو أقتل معك .

والعرب تضرب المثل فى الوفاء بالسموع بن عادىاء الأزدى، وقيل : إنه من
 ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان من خبره، أن أمراً القيس بن حُجْر أودعه

أدراعا مائة، فأتاه الحارث بن ظالم، ويقال الحارث بن أبي شمر الغساني، ليأخذها منه، فتحصن منه السموعل، فأخذ أبناه غلاما وناداه : إما أن أسلمت إلى الأدرع، وإما أن قتلت أبنك، فأبى أن يسلمها، فقتل أبنه بالسيف، ففي ذلك يقول :

وَقَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِندِيِّ إِنِّي * إِذَا مَا الْقَوْمُ قَدَّغَدَرُوا وَقَيْتُ

وَأَوْصَى عَادِيًا يَوْمًا بِأَلَا * تُهْدَمُ يَا سَمُوعْلُ مَا بَنَيْتُ

٥

وفيه يقول الأعشى :

كُنْ كَالسَمُوعْلِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ * فِي بَحْمَقِلِ كَسَّوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ مِنْ تَيْمَاءٍ مَزَلُهُ * حِصْنٍ حَصْبَنٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَّارِ

قَدْ سَامَهُ خُطْقَى خَسِيفٍ فَقَالَ لَهُ * قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ إِنِّي سَامِعٌ حَارِ

فَقَالَ ثُكُلٌ وَغَدَرَ أَنْتَ بَيْنَهُمَا * فَأَخْتَرَ وَمَا فِيهِمَا حِظٌّ لِمُخْتَارِ

فَشَكَّ غَيْرَ طُويلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ * اقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي

١٠

ومن وفاء العرب ما فعله هاني بن مسعود الشيباني، حتى جرد ذلك يوم ذي قار، وكان من خبره : أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى، وعلم أنه لا منجى منه ولا ملجأ، رأى أن يضع يده في يده، فأودع ماله وأهله عند هاني، ثم أتى كسرى فقتله، وأرسل إلى هاني يطالبه بوديعة النعمان، وقال له : إن النعمان كان عاملي، فأبعثت إلى بوديعة، وإلا بعثت إليك بجنود تقتل المقاتلة وتسبي الذرية، فبعث إليه هاني : إن الذي بلغك باطل، وإن يكن الأمر كما قيل، فأنا أحد رجلين : إما رجل

١٥

(١) في الكامل المبرد ص ٣٤١ طبع ليزج : « إذا عاهدت أقواما ... الخ ». وفي المحاسن والأضداد لمحاظ والمحاسن والمساوي للبيهقي : « إذا ما حان أقوم .. الخ ». وفي تذكرة الصفدي : « إذا ما ذم أقوام ... الخ ».

٢٠

(٢) في الشعر والشعراء لابن قتيبة : « حيره ... الخ ».

(٣) كذا في الشعر والشعراء . وفي جميع الأصول : « فكثر ... الخ ».

استودع أمانة، فهو حقيق أن يردها على من استودعه إياها، ولن يسلم الخزانة،
أو رجل مكذوب عليه، وليس ينبغي لللك أن يأخذه بقول عدو؛ فبعث كسرى اليه
الجنود، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، وبعث معه الكتيبة الشهباء
والأساورة^(١)، فلما ألتقوا، قام هاني بن مسعود، وحرّض قومه على القتال، وجرى
بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وسندكرها إن شاء الله في وقائع العرب،
فانتصر هاني وأنهزمت الفرس، وكانت وقعة مشهورة.

(٧٢)

قيل : وكان مرداس في سجن عبيد الله بن زياد بن أبيه، فقال له السّجان :
أنا أحب أن أوليك حسنة، فإن أذنت لك في الانصراف الى دارك أفتدّج على ؟
قال : نعم، فكان يفعل ذلك به؛ فلما كان ذات يوم، قتل بعض الخوارج صاحب
شرطة ابن زياد، فأمر أن يقتل من في السجن من الخوارج، وكان مرداس
إذ ذاك خارجا، فقال له أهله : آتق الله في نفسك، فإنك مقتول إن رجعت،
فقال : ما كنت لألقى الله غادرا، وهذا جبار، ولا آمن أن يقتل السّجان؛ فرجع
وقال للسّجان : قد بلغني ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا، فبادرت لئلا
يلحقك منه مكروه؛ فقال له السّجان : خذ أيّ طريق شئت، فأنج نفسك.

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب الى بعض جبايين الشام، وإذا
بامرأة جالسة عند قبر تبكي، فجاء سليمان ينظر اليها، فقال لها يزيد، وقد عجب
سليمان من حسنها : يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت
الى القبر، وقالت :

(١) الأساورة جمع اسوار بالهم والكسر : وهو قائد الفرس. وفي تذكرة الصفدى : «ومعه كتيبة

الشهباء والدوسر» . والدوسر : كتيبة النعمان .

فإن تسألاني عن هوايَ فَإِنَّهُ * بِحَمَوَاءِ هَذَا الْقَبْرِ يَا فِتْيَانِ
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيهِ وَالتُّرْبُ بَيْنَنَا * كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ يَرَانِي

ومن أحسن الوفاء ما حكى عن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بن عفان رضي الله عنه : أن معاوية خطبها فردته ، وقالت : ما يُعجب الرجال مني ؟ قالوا : ثناياك ، فَكَسَرْتُ ثَنَائَهَا ، وبعثت بها الى معاوية ، فكان ذلك مما رَغِبَ قريشا في نكاح نساء كلب . وأمراة هُذَبة لما قُتِل زوجها قَطَعَتْ أَنْفَهَا وَشَفَتَيْهَا ، وكانت جميلة الوجه ، لثلا يَرُغِبَ فيها .

وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة فلنذكر بيعة خليفة ويمين ، ذكرها بعض أهل الأدب في تصنيفه ، وهي : تُبَاجِعَ عَبْدَ اللَّهِ الإمام أمير المؤمنين ، بيعة طوع وإيثار ، ورضا واختيار ، واعتقاد وإضمار ، وإعلان وإسرار ، وإخلاص من طويتك ، وصدق من نيتك ، وأنشراح من صدرك ، وصحة من عزيمتك ، طائفا غير مكره ، ومنقادا غير مجبر ، مقرا بفضلها ، مُدْعِنَا بِحَقِّهَا ، ومعتزفا ببركتها ، ومُعْتَدًّا بِحَسَنِ عَائِدَتِهَا ، وعالميا بما فيها ، وفي توكيدها من صلاح الكافة ، واجتماع كلمة الخاصة والعامة ، ولم الشعث ، وأمين العواقب ، وسكون الذهماء ، وعِزَّ الأولياء ، وقمع الأعداء ؛ على أن فلانا عبد الله وخليفته المفترض عليك طاعته ، الواجبة على الأمة لإمامته وولايته ، اللازم لهم القيام بحقه والوفاء بهده ؛ لَا تَشْكُ فِيهِ ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ ، وَلَا تُدَاهِنُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَا تَمِيلُ (١) [إلى غيره] ، وابكك ولئ أوليائه . وعدو أعدائه ، من خاص وعام ، وقريب وبعيد ، وحاضر وغائب . متمسك في بيعته بوفاء العهد ، وذمة العقد ؛ سريرتك مثل علانيتك ، وضميرك فيه وفق ظاهرك ، على أن إعطائك هذه البيعة من نفسك ، وتوكيدك إيادها في عنقك ، لفلان أمير المؤمنين ، على سلامة من قلبك ، وأستقامة من عزمك ،

(١) الكلمة من تذكرة الصمدى .

وأستمرار من هواك ورأيك ؛ على ألا تناول عليه فيها ، ولا تسعى في نقض شيء منها ، ولا تقعد عن نصرته له في الرخاء والشدة ، ولا تدع النصيح له في كل حال راهته وحادثه ؛ حتى تلقى الله مؤفيا بها ، مؤديا للأمانة فيها ، إذ كان الذين يبايعون ولاة الأمر وخلفاء الله في الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . عليك بهذه البيعة التي طوقتها عنقك ، وبسطت لها يدك ، وأعطيت ما شرط عليك فيها : من وفاء ونصح وموالة ومشايعة ، وطاعة وموافقة ، واجتهاد ومبالغة ؛ عهد الله إن عهده كان مستولا ، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام ، وعلى من أخذ من عبادته من مؤكدات موثيقه ، ومحككات عهوده ، وعلى أن تنمك بها فلا تبدل ، وتستقيم فلا تميل . وإن نكثت هذه البيعة ، وبطلت شرطا من شروطها ، أو عقيت رسما من رسومها ، أو غيرت حكما من أحكامها ، معلما أو مسررا ، محتالا أو متاولا ، أو زغت عن السبيل التي يسلكها من لا يخفر الأمانة ، ولا يستحل الغدر والخيانة ، ولا يستجيز حل العقود و [ختر] ^(٢) العهد ، فكل ما تملكه من عين أو ورق ، أو آنية أو عقار ، أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقدة ، والأموال المدخرة ، صدقة على المساكين ، يحترم عليك أن ترجع شيئا من ذلك الى مالك بحيلة من الحيل على وجه من الوجوه ، أو سبب من الأسباب ، أو مخرج من مخارج الإيمان ؛ فكل ما تنفذه عمرك من مال يقل خطره أو يحل فلك سبيله الى أن تتوفك [منيتك] ، أو يأتيك

(١) كذا في تذكرة الصمدى . وفي الأصول : « من وكدا » .

(٢) كذا في تذكرة الصمدى . وفي الأصول : « من لا يخفر الأمانة » وهو خطأ .

(٣) زيادة عن تذكرة الصمدى .

(٤) الكلام الذى يبنى بهذا المربع ينتهى فى صحيفة ٢٥٠ بمربع مثله هو ساقط بالأصل الفروع فى

و يقع فى صحيفتى (٧٣ و ٧٤) وقد قلناه من السخة الراغبة والأصل الفروع فى الآخر .

فإن تسألاني عن هواي فإنه * يحوماء هذا القبر يا فتیان
وإني لأستحييه والتربُّ بيننا * كما كنتُ أستحييه وهو يراني

ومن أحسن الوفاء ما حكى عن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بن عفان رضى الله عنه : أن معاوية خطبها فردته، وقالت : ما يُعجب الرجال مني؟ قالوا : ثناياك، فكسرت ثناياها، وبعثت بها الى معاوية، فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء كلب . وأمراة هذبة لما قُتِل زوجها قَطعت أنفها وشفَتَيها، وكانت جميلة الوجه، لثلا يُرغبَ فيها .

وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة فلندكر بيعة خليفة ويمين، ذكرها بعض أهل الأدب في تصنيفه، وهي : تُتابع عبدالله الإمام أمير المؤمنين، بيعة طوع وإيثار، ورضا واختيار، واعتقاد وإضمار، وإعلان وإسرار، وإخلاص من طويتك، وصدق من نيتك، وأنشراح من صدرك، وصحة من عزيمتك، طائما غير مكره، ومتقادا غير مجبر، مقرا بفضلها، مدعنا بحقها، ومعترفا ببركتها، ومُعْتداً بحسن عائدتها، وعالم بما فيها، وفي توكيدها من صلاح الكافة، واجتماع كلمة الخاصة والعامة، ولم الشعث، وأمين العواقب، وسكون الدهماء، وعز الأولياء، وقمع الأعداء؛ على أن فلانا عبد الله وخليفته المفترض عليك طاعته، الواجبة على الأمة لإمامته وولايته، اللازم لهم القيام بحقه والوفاء بعهده؛ لا تشك فيه، ولا ترتاب به، ولا تُداهن من أمره، ولا تميل (الى غيره)؛ وليلتك ولي أوليائه، وعدو أعدائه، من خاص وعام، وقريب وبعيد، وحاضر وغائب؛ متمسك في بيعته بوفاء العهد، وذمة العقد؛ سريرتك مثل علانيتك، وضميرك فيه وفق ظاهره، على أن إعطائك هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك إيادها في عنقك، لفلان أمير المؤمنين، على سلامة من قلبك، وأستقامة من عزمك،

وأستمرار من هواك ورأيك ، على ألا تتأول عليه فيها ، ولا تسعى في نقض شيء منها ، ولا تقعد عن نصرته له في الرضاء والشدة ، ولا تدع النصيح له في كل حال راهنة وحادثه ؛ حتى تلقى الله مؤفياً بها ، مؤدياً للأمانة فيها ، إذ كان الذين يبايعون ولاة الأمر وخلفاء الله في الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . عليك بهذه البيعة التي طوقتها عنقك ، وبسطت لها يدك ، وأعطيت ما شرط عليك فيها : من وفاء ونصح وموالة ومشايعة ، وطاعة وموافقة ، واجتهاد ومبالغة ؛ عهد الله إن عهده كان مسئولاً ، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام ، وعلى من أخذ من عبادته من مؤكدات موثيقه ، ومُحْكَمَاتِ عهوده ، وعلى أن تُمسك بها فلا تُبدل ، وتستقيم فلا تميل . وإن نكثت هذه البيعة ، وبطلت شرطاً من شروطها ، أو عقيت رسماً من رسومها ، أو غيرت حكماً من أحكامها ، ملئنا أو مسراً ، محتالاً أو متأولاً ، أو زُغْتَ عن السبيل التي يسلكها من لا يخفر الأمانة ، ولا يستحل الغدر والخيانة ، ولا يستجيز حل العقود و [ختر] ^(٢) العهد ، فكل ما تملكه من عين أو ورق ، أو آنية أو عقار ، أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتمدة ، والأموال المدخرة ، صدقة على المساكين ، يحترق عليك أن ترجع شيئاً من ذلك الى مالك بحيلة من الحيل على وجه من الوجوه ، أو سبب من الأسباب ، أو مخرج من مخارج الإيمان ؛ فكل ما نفيدته عمرك من مال يقل خطره أو يحل فلك سبيله الى أن تتوفك [منيتك] ، أو يأتيك

(١) كذا في تذكرة الصمدى . وفي الأصول : « من وكدا » .

(٢) كذا في تذكرة الصمدى . وفي الأصول : « من لا يخفر الأمانة » وهو خطأ .

(٣) زيادة عن تذكرة الصمدى .

(٤) الكلام الذى ينتدى بهذا المربع ينتهى في صحيفة ٢٥٠ بمربع مثله هو ساقط بالأصل المتوعرافى

و يقع في صحيفتى (٧٣ و ٧٤) وقد قلناه من السخة الراغبة والأصل المتوعرافى الآخر .

أجلك ؛ وكل مملوك لك اليوم من ذكر أو أنثى أو تملكه الى آخر أيامك ؛ أحرار سائبون لوجه الله تعالى ، ونساؤك يوم يلزمك الحنث ^(١) ومن تترج بعدهن مدة بقاءك طوالق ثلاثا ، طلاق الحرج والسنة لا مثنوية فيها ولا رجعة ؛ عليك المشي الى بيت الله الحرام ، ثلاثين حجة حافيا راجلا ، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها ، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا ، وحَدِّك يوم تحتاج اليه ، وبرأك من حوله وقوته ، وأجلك الى حولك وقوتك ؛ والله عز وجل بذلك شهيد . وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، والله على ما نقول وكيل .

ذكر ما قيل في التواضع

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخَضِّبِينَ ﴾ قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل ١٠ على الأرض تواضعا .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويحجب دعوة المملوك ويركب الحمار ، ولقد رأيته يوم حُين على حمار خُطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : "إن العفو لا يزيد العبد إلا عزًا فاعفوا عنكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وإن الصدقة ١٥ لا تزيد المال إلا نماء فتصدقوا يزدكم الله " . وقال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصايد الشرف ، وفي لفظ : التواضع سلم الشرف . وقال جعفر بن محمد :

(١) كذا في تذكرة الصمدى . وفي الأصول : « ما يروح » .

(٢) كذا في الأصول . وفي تذكرة الصمدى : « قال عمرو بن الربير ... الخ » . وفي المعارف

كبير قنبة : أن عروة وعمرا كلاهما من ولد الزبير .

رأس الخير التواضع ، فقليل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك ، وأن تُسَلِّمَ على من لَقِيتَ ، وأن تترك المراءَ وإن كنت مُحِقًّا . وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه ولم يذكر المراءَ فيه ، وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقيل : التواضع نعمة لا يفتن لها الحاسد . وقيل : التواضع كالوَهْدَةِ يجتمع فيها قَطْرُهَا وقَطْرُ غَيْرِهَا . وقال عبد الله بن المعتز : متواضع العلماء أكثرهم علما . كما أن المكان المنخفض أكثر الأماكن ماءً . وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحدا تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع الماثور ما روى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرَّ ويدهُ على المُعَلَّى بن الجارود ، فلقيته امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر ، فوقف لها ، فقالت له : كنا نعرفك مرةً مُهمِّرا ثم صرتَ بعدَ مُهمِّرٍ عُمرَهم صرتَ بعد عمر أمير المؤمنين . فأتى الله يابن الخطاب ، وأنظر في أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيد ، قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي القوات ؛ فقال لها المعلَّى : إِيهًا ! إِلَيْكَ يَا أَمَّةَ اللَّهِ لَقَدْ أَبَكَيْتِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فقال له عمر : أتدرى من هذه ؟ ويحك ! هذه خَوْلَةُ بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه ، فعمرُ أخرى أن يسمع قولها ويقتدى به .

وقال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية ؛ قال : ذلك أبعد من الكبر وأسرع إلى الحاجة .

وقال عمر رضى الله عنه — وقد قيل له مثل هذا — : هو أنجح للحاجة وأبعد من الكبر ، أما سمعت قوله عز وجل : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ .

وقد مدح الشعراء أهل التواضع ، فمن ذلك قول أبي تمام حبيب :

مُتَبَدِّلٌ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ مُبْجَلٌ * مُتَوَاضِعٌ فِي الْحَيِّ وَهُوَ مُعْظَمٌ

أجلك ؛ وكل مملوك لك اليوم من ذكر أو أنثى أو تملكه الى آخر أيامك ؛ أحرار سائبون لوجه الله تعالى ، ونساؤك يوم يلزمك الحنث ^(١) ومن تترجع بعدهن مدة بقاءك طوالق ثلاثا ، طلاق الحرج والسنة لا مثنوية فيها ولا رجعة ؛ وعليك المشي الى بيت الله الحرام ، ثلاثين حجة حافيا راجلا ، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها ، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا ، وخذلك يوم تحتاج اليه ، وبرأك من حوله وقوته ، وألحاك الى حولك وقوتك ؛ والله عز وجل بذلك شهيد . وكفى بالله شهيدا ، والله على ما نقول وكيل .

ذكر ما قيل في التواضع

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال الله تعالى لنبه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل ١٠ على الأرض تواضعا .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويحجب دعوة المملوك ويركب الحمار ، ولقد رأيته يوم حنين على حمار خطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : "إن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يُعزِّمكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وإن الصدقة ١٥ لا تزيد المال إلا نماء فتصدقوا يزدكم الله " . وقال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصايد الشرف ، وفي لفظ : التواضع سلم الشرف . وقال جعفر بن محمد :

(١) كذا في تذكرة الصمدى . وفي الأصول : « ما يترجح » .

(٢) كذا في الأصول . وفي تذكرة الصمدى : « قال عمرو بن الربير... الخ » . وفي المعارف

رأس الخير التواضع، فقليل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك، وأن تُسَلِّمَ على من لَقِيتَ، وأن تترك المرءَ وإن كنت مُحِقًّا . وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه ولم يذكر المرءَ فيه، وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقيل : التواضع نعمة لا يفتن لها الحاسد . وقيل : التواضع كالوَهْدَةِ يجتمع فيها قَطْرُهَا وقَطْرُ غَيْرِهَا . وقال عبد الله بن المعتز : متواضع العلماء أكثرهم علما . كما أن المكان المنخفض أكثر الأماكن ماء . وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحدا تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع الماثور ما روى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرَّ ويدهُ على المُعَلَّى بن الجارود، فلقيته امرأة من قريش، فقالت له : يا عمر، فوقف لها، فقالت له : كنا نعرفك مرةً عُثْمِرًا ثم صرتَ بعد عُثْمِرٍ عُثْرَمَ ثم صرتَ بعد عمر أمير المؤمنين . فأتق الله يا بن الخطاب، وأنظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت ؛ فقال لها المُعَلَّى : إيها ! إليك يا أمة الله لقد أبكيت أمير المؤمنين ! فقال له عمر : أتدرى من هذه ؟ ويحك ! هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعمرُ أخرى أن يسمع قولها ويقنطدَى به .

وقال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية ؛ قال : ذلك أبعد من الكبر وأسرع إلى الحاجة .

وقال عمر رضى الله عنه - وقد قيل له مثل هذا - : هو أنجح للحاجة وأبعد من الكبر، أما سمعت قوله عز وجل : (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ) .

• قد مدح الشعراء أهل التواضع، فمن ذلك قول أبي تمام حبيب :

مُتَبَدِّلٌ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ مُبْجَلٌ * مُتَوَاضِعٌ فِي الْحَيِّ وَهُوَ مُعْظَمٌ

وقال آخر :

متواضع والنُّبْلُ يَحْرُسُ قَدْرَهُ * وأخو النباهة بالنباهة يَنْبُلُ

وقال البحتري :

دَنَوْتُ تَوَاضِعًا وَعَلَوْتُ مَجْدًا * فشأنك آنحدارٌ وآرتِفاعُ
كذلك الشمسُ تبعد أن تُسامي * ويدنو الضوء منها والشُّعاعُ

وقال أبو محمد التيمي :

تواضع لما زاده الله رِفْعَةً * وكلُّ رفيع قدره متواضعٌ

وقال آخر :

دَنَوْتُ تَوَاضِعًا وَعَلَوْتُ قَدْرًا * ففيك تواضعٌ وعُلُوٌّ شانٍ

ذكر ما قيل في القناعة والتزاهة

١٠

جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” القناعة مَالٌ لَا يَنْفَدُ “ . وقال عليه
السلام : ” مَا عَالَ مِنْ أَقْتَصَدَ “ .

١٥

ومن كلام علي رضي الله عنه : كفى بالقناعة مُلْكًا ، وبحسن الخلق نعيمًا .

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال علي بن موسى : القناعة تجمع الى صيانة النفس وعز القدره ، طَرَحَ مُؤْنُ
الاستكثار والتعبد لأهل الدنيا ، ولا يسلك طريقَ القناعة إلا رجلان : إما متقلِّلٌ
يريد أجر الآخرة ، أو كريمٌ يتزَهَّى عن آثام الدنيا .

(١) كذا في تذكرة الصفيدي وهو الأنسب بالمقام : وفي الأصول : « ولا ملك » .

(٢) في تذكرة الصفيدي : « عن لثام » .

وقال : الراضى القانع يعيش آمناً مطمئناً مستريحاً مريحاً ، والشَّيرُ^(١) [الخريص]
لا يعيش إلاَّ تعباً نصَباً في خوف وأذى .

وقال بعض الحكماء : عَنَ الزَّاهَةِ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ فَرْحِ الْفَائِدَةِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْعُسْرَةِ
أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ آحْتِمَالِ الْمِنَّةِ . وقال أبو ذؤيب الهذلي :
وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
وقال سالم بن وابصة^(٢) :

غَنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ فِي سَدِّ فَاقَةٍ * فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغَنَى فَقَرَا
وقال أبو هلال العسكري :

أَلَا إِنَّ الْقِنَاعَةَ خَيْرُ مَالٍ * لِذِي كَرَمٍ بِرُوحٍ بِغَيْرِ مَالٍ
وَأَنْ يَصْبِرَ فَإِنَّ الصَّبْرَ أَوْلَى * بِمَنْ عَثَرَ بِهِ نُوبُ اللَّيَالِي
تَجَمَّلُ إِنْ بُلِيَتْ بِسُوءِ حَالٍ * فَإِنَّ مِنَ التَّجَمُّلِ حَسَنَ حَالٍ

ذكر ما قيل في الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) فالشكر مما
يوجب الزيادة .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لَا يُزْعَدُّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُكَ
عَلَيْهِ ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، وَقَدْ يُدْرِكُكَ مَنْ شَكَرَ الشَّاكِرَ
أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

(٢) كذا في شرح القاموس وتهذيب التهذيب وتذكرة الصفدى . وفي الأصول : « وامضة » وهو

ومما تَعَزَّوهُ الفرس الى إسفنديار : الشكر أفضل من النعمة ، لأنه يبقى وتلك تنفَى .

وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يَفُكُّه إلا المكافأة أو الشكر . وقال : قلة الشكر تُزهِد في أصطناع المعروف .

وقيل : إذا قصُرت يدك عن المكافأة فليُطَلِّ لسانك بالشكر . وقيل : للشكر ثلاث منازل : ضمير القلب ، ونشر اللسان ، ومكافأة اليد . قال الشاعر :

أفادتكمُ النِّعماءُ مِنِّي ثلاثةٌ * يدى ولسانى والضميرُ المحجَّبَا

وقال يحيى بن زياد الحارثي بن كعب :

حلفتُ ربَّ العِيسِ تهوَى بِرَبِّهَا * الى حَرَمٍ ما عنه للناسِ مَعْدِلُ
لَمَّا يَبْلُغُ الإِنْعَامُ في النِّفعِ غَايَةً * على المرءِ ألا مَبْلَغُ الشُّكرِ أَفْضَلُ
ولا بلغتُ أيدى المُنيلينَ بَسْطَةً * من الطَّوْلِ إلا بَسْطَةُ الشُّكرِ أَطْوَلُ
ولا ثَقُلْتُ في الوزنِ أعباءُ مِنَّةٍ * على المرءِ إلا مِنَّةُ الشُّكرِ أَثْقَلُ
مَنْ شَكَرَ المَعْرُوفَ يوما فَقَدَ أَتَى * أخا العرفِ من حُسْنِ المِكَافَاةِ مِنْ عَلٍ

وقال رجل من غَطَفَانَ :

الشُّكرُ أَفْضَلُ ما حَاولَتْ مَلَمَسًا * به الزيادةُ عِنْدَ الله والناسِ

وقال أبو نُحَيْلَةَ ^(١) :

شَكَرْتُكَ إِنِ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ الثَّقَى * وما كُلُّ من أَوَّلِيتهِ نِعْمَةٌ يَقْضَى
وَنَهَيْتُ لِي ذِكْرِي وما كانَ خَامِلًا * ولكنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ

(١) كذا في الأغاني طبع بولاق (ج ١٨ ص ١٤٠) والقاموس . وفي الأصول : «أبو بجيلة»

وقال آخر :

سأشكر عَمْرًا ما تراخت مِنِّي * أبَادِي لم تُنَمِّنْ وإن هِيَ جَلَّتْ
فَتَى ^(١) غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عن صَدِيقِهِ * وَلَا مُظْهِرُ الشُّكُوى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ
رَأَى خَلَّتِي من حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا * فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

وقال أبو تمام :

كَمْ نِعْمَةٍ مِنْكَ تَسْرِبْلَتْهَا * كَأَنَّهَا طُورَةٌ بُرِدَ فَنَشِيبُ
من اللواتي إن وَنَى شَاكِر * قَامَتْ لِمُسْنِدِهَا مَقَامَ الْخَطِيبِ

وقال أبو عِيْنَةَ بن محمد بن أبي عِيْنَةَ الْمُهَلَّبِي :

يَا ذَا الْيَمِينِ قَدْ أُولَيْتَنِي مَنًّا * تَتَرَى هِيَ الْغَايَةُ الْقُصُوى من الْمَنِّ
وَلَسْتُ أَطِيعُ من شُكْرِ أَجَىءٍ بِهِ * إِلَّا أَطَاعَتُهُ ذِي جِئَمٍ وَذِي بَدَنِ
لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَزْلَةً * أَوْفَى من الشُّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَّمَنِ
أَخْلَصْتُهَا لَكَ من قَلْبِي مُهْدَبَةً * حَذَّوْا عَلَى مِثْلِ مَا أُولَيْتَ من حَسَنِ
قَالُوا : وَأَجُودَ مَا قِيلَ فِي عِظَمِ النِّعْمَةِ وَقُصُورِ الشُّكْرِ من قَدِيمِ الشُّعْرِ ، قَوْلَ طَرِيحٍ

ابن إسماعيل :

سَعَيْتُ أَبْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا صَنَعْتُ لِي * فَقَصُرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لِشَاكِرٍ
لَأَنَّكَ تَوَلَّيْتَنِي الْجَمِيلَ بَدَاهَةً * وَأَنْتَ لِمَا أَتَكَثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرٌ
فَارْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بَالَتِي * لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرَمَاتِ وَآخِرُ

وقال دُعَيْل :

هَجَرْتُكَ لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ * وَلَا لِقَلِّ أَبْطَأْتُ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ

(١) في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : * فتى غير مفراح إذا الخير مسه *

(٢) كذا في الشعر والشعراء لابن قتيبة والاعاني (ح ٥ ص ٩) طبع بولاق . وفي الاصول : « عتبة » .

ولكنني لما أتيتك راغباً * فأفرطت في برى عجزت عن الشكر
فَلَانٌ^(١) لَا آتِيكَ إِلَّا تَعْدُراً * أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر
فإن زدت في برى ترايدت جفوة * فلا نلتقي حتى القيامة والحشر
وقال البحرى :

• هاتيك أخلاقُ إسماعيل في تعيب * من العُلَا والعُلَا منهن في تعيب
أدأبت شكرى فأُمسى منك في نصيب * أَقْصِرْ^(٢) فإلى جَدْوَاكَ مِنْ أَرْبِ
لَا أَقْبِلُ الدهرَ نَيْلاً لَا يَقُومُ لَهُ * شكرى ولو كان يُسديه إلى أبى
لما سألتك وأفانى نَدَاكَ عَلَى * أضعافِ شكرى فلم أطفروا ولم أخِيب^(٣)
وقال أيضا :

١٠ إلى هجرتك إذ هجرتك وَحْشَةً * لَا الْعُودُ يَذْهَبُهَا وَلَا الْإِبْدَاءُ
أَنْجَلَنِي بِنْدَى يَدَيْكَ فَسَوَدَتْ * مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
وقطعتنى بالحدود حتى إِنِّي * مُتَخَوِّفٌ أَلَّا يَكُونَ لِقَاءُ
صِلَةً غَدَتْ لِلنَّاسِ وَهِيَ أَقْطَعِيَّةٌ * عَجَبًا وَرِزَاحٌ وَهُوَ جَفَاءُ
لِيُؤَاصِلَنَّكَ رُكْبُ شَعِيرٍ سَائِرٍ * يَرْوِيهِ فَيْكَ لِحْسَنَهُ الْأَعْدَاءُ
حتى يَتِمَّ لَكَ التَّنَاءُ مُحَلِّدًا * أَبْدَا كَمَا تَمَّتْ لَكَ^(٤) النَّعْمَاءُ
١٥ فَنَظَّلَ تَحْسُدُكَ الْمُلُوكُ الصَّيْدُبَى * وَنَظَّلَ تَحْسُدُنِي بَكَ الشُّعْرَاءُ



(١) فلان، أى فى الآن .

(٢) فى ديوان البحرى (ج ٢ ص ٦٤) طبع الاسنانة : « أتعبت »

(٣) فى ديوان البحرى : « فاذهب ... الخ » .

(٤) فى ديوان البحرى : « ... ظنى فلم أخفق ... الخ » .

(٥) فى ديوان البحرى : « لى » .

وقال الحسن بن هانئ :

قد قلت للعباس معتذراً * من ضَعِيفٍ شكريهِ ومعترياً
أنتَ أمرؤ جَلَّتَنِي نِعْمًا * أوْهَتْ قُوَى شكري فقد ضَعُفًا
لا تُسَدِّينِ إلَيَّ عَارِفَةً * حتَّى أقومَ بِشكر ما سَلَفًا

وقال الحسين بن الضحاك للوائق من أبيات :

إذا كنتُ من جَدِّواك في كلِّ نعمةٍ * فلا كنتُ إن لم أفنِ عُمرى بِشكرِكا

وقال البحتري :

إذا أنا لم أشكر لنُعماك جَاهِدًا * فلانلتُ نِعْمى بعدها تُوجب الشُكرا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

إني لَشَاكِرُ أَمْسِهِ وَوَلِيَّهُ * في يومه ومُؤْمِلٌ فيه غَدًا^(٢)

وقال آخر :

وكيف أنساك لا نُعماك واحدةً * عندى ولا بالذى أوليت من قَدَم

وقال عبد الأعلى بن حماد : دخلتُ على المتوكل ، فقال لى : قد هممنا أن نَصِلَكَ ،

فندافعت الأمور ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد بلغنى عن جعفر بن محمد الصادق أنه

قال : من لم يشكر للهمةً ، لم يشكر للنعمة ، وأنشدته قول الباهل :

لأشكركَ معروفًا هممتَ به * إن اهتمَّكَ بالمعروف معروفٌ

ولا ألومك إن لم يُمِضْه قَدَرٌ * فالشئُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفٌ

(١) كذا في ديوان المعاني ، وفي الأصل : « من عظم ... » وهو غير المناسب .

(٢) في الأصول : « عته » .

وقال ابن الرومي :

كَمْ مِنْ يَدٍ بِيضَاءَ قَدِ اسْدَيْتَهَا * تَنْثِي إِلَيْكَ عَنَانَ كُلِّ وِدَادٍ
شَكَرَ إِلَهُهُ صَنَائِعًا أَوْلَيْتَهَا * سُلِّكَتْ مَعَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ

وقال آخر :

وأحسن ما قال أمرؤفיק مِدْحَةً * تَلَقَّتْ عَلَيْهَا مِنْهُ وَقَبُولُ
وَشَكَرُكَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تُعْفَى بِنَشْرِهِ * فَفِي كُلِّ أَرْضٍ مُخْبِرٌ وَرَسُولُ

ومن كلام الحسن بن وهب : من شكر لك على درجة رفعتك إليها ، أو ثروة أفدته إياها ، فإن شكرى لك على مَهْجَةٍ أحييتك ، وحُشاشة أبقيتك ، ورمق أمسكتك وقت بين التلّف وبينه ؛ ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌ ينتهى إليه ، ومدى يوقف عليه ، وغاية من الشكر يسمو إليها الطرف ، خلا هذه النعمة التي فانت الوصف ، وطالت الشكر ، وتجاوزت كل قدر ، وأنت من وراء كل غاية ، وردت عنّا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ؛ نلجأ منها إلى ظلّ ظليل ، وكفّ كريم ؛ فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهد المجهود !

وقال الشريف الرضى :

أَلْبَسْتَنِي نِعَمًا عَلَى نَعِيمٍ * وَرَفَعْتَ لِي عَالَمًا عَلَى عَالَمٍ
وَعُلَوْتَ بِي حَتَّى مَشَيْتُ عَلَى * بُسُطٍ مِنَ الْأَعْنَاقِ وَالْقِمَمِ
فَلَا تُشْكِرُنَّ نَدَاكَ مَا شَكَرْتُ * خُضِرُ الرِّيَاضِ صَنَائِعِ الدِّيمِ
فَالْحَمْدُ يُبْقِي ذِكْرَ كُلِّ قَتَى * وَيُبَيِّنُ قَدْرَ مَوَاقِعِ الْكَرَمِ
وَالشُّكْرُ مَهْرٌ لِلصَّنِيعَةِ إِنَّ * طُلَيْتُ مُهُورَ عَقَائِلِ النَّعَمِ

وقال أبو الحسن الكاتب المغربي :

سَأَشْكُرُ نِعْمَاكَ الَّتِي أَنْبَسَطْتَ بِهَا * يَدِي وَإِسَانِي فَهُوَ بِالْمَجْدِ يَنْطِقُ

وأخني بما أوليتني من صنيعة * ومن مينة تفسدو على وتطرؤ
وكل أمرئ يرجو نذاك موقف * وكل أمرئ يثني عليك مصدق
وقال ابن رشيح القيرواني :

خُذْ ثَاءً عَلَيْكَ غِبَّ الْأَيْدَى * كَثَاءَ الرَّبِّ عَلَى الْأَمْطَارِ
سَقَطَ الشُّكْرُ وَهُوَ مُوجِبٌ نَعْمًا * كَسُقُوطِ الْأَنْوَاءِ بِالْأَثْمَارِ

ومن المتعجبين من رأى أن الشكر بإظهار النعمة أبلغ منه بالنطق باللسان،
وعاقب على ذلك بالحِرمان .

فمن ذلك ما رواه أبو هلال العسكري بسنده إلى القتي^(١) قال : أراد جعفر بن
يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأَصْمَعِيِّ ، فدفع إلى خادم له كيسا فيه ألف
دينار وقال : إني سأزِلُ في رَجْعِي إلى الأَصْمَعِيِّ ، ثم سيحدثني ويضحكني ، فإذا
ضحكتُ ، فضع الكيس بين يدي ، فلما رجع ودخل إليه ، رأى حبا مكسورا
الرأس ، وجرّة مكسورة العنق ، وقصعة مشعبة ، وجفنة أعشارا ، ورآه على مُصَلًّى
بال ، وعليه برنكان أجرد ، فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه ، فلم يدع
الأصمعي شيئا مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أوردته عليه فلم يتبسّم ، ثم خرج ؛
فقال لرجل يسيره : من آسترعى الذئب ظلم ، ومن زرع سبخة حصده الفقر ؛
إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ، ما حَفَلْتُ بنشره له باللسان ،

(١) كذا في الأصل . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : « أحبرنا أبو جعفر بن القتي عن

القتي قال : أراد جعفر بن يحيى ... الخ » .

(٢) الحب : الجرة الضخمة .

(٣) البرنكان على وزن زعفران : ضرب من الأكسية ويقال له أيضا بركان .

وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ! إن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب ،
ولله دَرْ نَصَبٍ حيث يقول :

فما جُؤا فَاثَنُوا بالذى أنتَ أهله * ولو سَكَنُوا أثنتُ عليك الحَقائِبُ

ثم قال : أعلمت أن ناووس أبرويز، أمدح لأبرويز، من [شعر] ^(٢) زهير لآل سنان !

وقالت الحكماء : لسان الحال أصدق من لسان الشكوى . وقد أجاد ابن

٧٦

الرومى في هذا المعنى فقال :

حالى تَبُوح بما أُوليتَ من حَسَنِ * فكلُّ ما تَدَّعيه غيرُ مردودِ

كلِّ هجاءٍ وقَتلى لا يَحِلُّ لكَ * فما يداويكُم منى سوى الجُودِ

وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ذكر ما قيل فى الوعد والإنجاز

١٠

رَوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "وعد المؤمن كأخذ
باليَد" . وقال الحسن بن على رضى الله عنهما : الوعد مرض فى الجود، والإنجاز
دواؤه . ومن كلامه : المسئولُ حُرْحَتِي يَعد، ومُسْتَرْقٌ بالوعد حتى يُنَجِّزَ . وقال
الزُّهرى : حقيق على من أزهى بالوعد أن يُثْمَرَ بالفعل ^(٤) .

وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال : سألت الفضل بن سهل حاجة ، فقال :
١٥ أَشْرَفَكَ اليوم بالوعد، وأحبوك غدا بالإنجاز؛ فإني سمعتُ يحيى بن خالد يقول :

(١) الناووس والثاموس : مقبرة الصارى معرب ، ويطلق على الحجر المنقور نجعل فيه جنة الميت .

(٢) الكلمة عن ديوان المغانى لأبي هلال العسكري .

(٣) فى ديوان ابن الرومى : * حالى تصيح بما أوليت معلقة *

(٤) فى العقد الفريد : «على من أورد بوعد ... الخ» .

٢٠

المواعيد شبكة من شباك الكرام، يصيدون بها محامد الأحرار؛ ولو كان المعطى لا يعد لأرتفعت مفاحر إنجاز الوعد، ونقص فضل صدق المقال .

وقال الأبرش الكلبي لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لا تصنع إلى معروف حتى تعدني ، فإنه لم يأتني منك سبب على غير وعد إلا هان على قدره ، وقل منى شكره ؛ فقال له هشام : لئن قلت ذلك لقد قال سيد أهلك أبو مسلم الخولاني : أنجع المعروف في القلوب وأبرده على الأبداء معروف منتظر بوعده لا يكدر بالمطل . وكان يحيى بن خالد لا يقضى حاجة إلا بوعده .

وقالت أعرابية لرجل : مالك تُعطى ولا تعد ؟ فقال : مالك والوعد ؟ قالت ينفسح به البصر ، وينشر فيه الأمل ، وتطيب بذكره النفس ، ويرتجى به العيش ، وترجى أنت به المدح بالوفاء .

قيل : كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال : عده عني قضاءها ، قال : وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود القدرة ؟ فقال يحيى : هذا قول من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ؛ إن الحاجة إن لم تتقدمها بوعده ينتظر به تجحها ، لم تتجاذب الأنفس بسرورها ، ولم تتلذذ بتأملها ؛ وإن الوعد تطعم ، والإنجاز طعام ، وليس من فاجأه طعام ، كن وجد راحته ، وتمطق له وتطعمه ، ثم طعمه ؛ فدع الحاجة تتخمر بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع إليه حسن موقع ، ولطف محل .

وقال عيسى بن ماهان : إني أحب أن أهب بلا وعد ، وأحب أن أعد ، لأنرج من جملة المخلفين ، وأدخل في عدد الوافين ، ويؤثر عني كرم المنجزين ؛ فإن من سبق فعله وعده ووصف بكرم فرد ، وسقط عنه جميع ما ذكرت .

قال : ذكر العباس المأمون فقال : إنه ألقح معروفه عندى بالوعد ، وتجه^(١) بالنجح ، وأرضعه بالزيادة ، وشبّه بالتعهد ، وهرمه باستقامه من جهاته ، وهناه بترك الأمتان به .

وشكا رجل جعفر بن يحيى لأبيه : أنه وعده وعدا ومطله به ، فوقع : يا بني ، أتم معائل الأحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى ، فكونوا سواء في الأقوال والأفعال ؛ فإن الحر يزخر وعد الحر ويعتقه وينفقه قبل ملكته ، فإن أخفق أمله كان سببا لذمه وأتاهمه وسوء ظنه ، حتى يوارى قبح ذلك حسن يقينه ؛ فأنجز الوعد ، وإلا فأقصر القول ، فإنه أعذر ، والسلام .

قال : كَلَّمَ المأمون في الحسين بن الضحاك الخليع أن يرّد عليه رزقه ؛ فقال : أليس هو القائل في الأمين :

فلا فِرَحَ المأمونُ بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً

فما زالوا يتلطفون معه في القول ، إلى أن أذن له أن يُنشدَه فأنشده :

أين لي فإني قد ظممتُ الى الوعد * متى تُجيز الوعد المؤكّد بالمعهد^(٢)
أعيدك من صدّ الملوك وقد ترى * تفتّح أنفاسي عليك من الوجيد^(٣)
فما لي شفيعٌ عند حسنك غيره * ولا سببٌ إلا التمسك بالودّ^(٤)
أيتخلّ فردُ الحسَن فردُ صفاته * على وقد أفردته بهوى فرد
رأى الله عبد الله خير عباده * فملّكه والله أعلم بالعبد

(١) هناء : طلاه بالهاء ، وهو القطران .

(٢) رواية الأغاني طبع بولاق (ح ٦ ص ١٨٠) : « أجري ... الخ » .

(٣) في الأغاني : « من خلف الملوك وقد بدا » .

(٤) كذا في الأغاني . وفي الأصلين : « بهوى وحدي » .

فقال له المأمون : هذه بتلك ، وقد عفونا عنك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فأتبع عفوك إحسانك ، فأمر برد أرزاقه عليه ، وكانت في كل شهر تَحْسِينَانِ دينار . فقال المأمون : لولا أني نويتُ عفوا عنه ، وجعلت ذلك وعدا له من قبل ، ما فعلته ، وإنما ذِكرُ الوعد في تشبيهه يذكركه .

وقال بعض ملوك العجم : البخل بعد الوعد ، يُضَعِفُ قبحه على البخل قبله ، فما قولك في أمير ، البخل أحسن منه ؟

وقال بعض الشعراء :

ولى منك مَوْعُودٌ طَلَبْتُ نَجَاحَهُ * وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا تُخْلِفُ الدَّهْرَ مَوْعِدَا
وَعُودَتْنِي أَلَا تَزَالُ تُطِلُّنِي * يَدُّ مِنْكَ قَدْ قَدَّمْتَ مِنْ قَبْلِهَا يَدَا
فَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَوْ نَدَى أَوْ فَضِيلَةً * تَخَلَّدَ شَيْئًا كُنْتَ أَنْتَ الْمُخَلَّدَا

١٠

وقال بشار :

وَعَدَ الْكَرِيمُ يَحُثُّ نَائِلَهُ * كَالْغَيْثِ يَسْبِقُ رَعْدُهُ مَطَرَهُ

وقال ابن الرومي :

يَتَخَطَّى الْعِدَاتِ عَمْدًا إِلَى الْبَدْءِ . لِ كَسَحَ الْحَيَا بِلَا إِيْمَاضِ

ذكر ما قيل في الشفاعة

١٥

قال الله عز وجل : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلتُ لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو وقعت به ظالما أو أعنت به مكروبا “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” أفضل الصدقة أن تعين

يجاهك من لا جاء له“ وقال : ”الخلق عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله“ .
وقال : ”الشفيع جناح الطلب“ .

وقيل : قصد ابن السَّامِكِ الواعظ رجلا في حاجةٍ لرجلٍ سألَه الشفاعة فيها ،
فقال ابن السَّامِكِ : إني أتيتك في حاجةٍ ، وإن الطالب والمطلوبَ اليه عزيزان إن
قُضيت الحاجةُ ، وذليلان إن لم تُقَضَّ ؛ فاختر لنفسك عزَّ البذل على ذلِّ المنع ،
وأختر لي عزَّ التَّجَعُّع على ذلِّ الرَّدِّ ؛ فقضى حاجته .
قال أبو تمام :

وإذا أمرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله
وقال رجل لبعض الملوك : إن الناس يتوسلون اليك بغيرك ، يسألون معروفك
ويشكرون غيرك ؛ وأنا أتوسل اليك بك ، ليكون شكرى لك لا لغيرك . قال بعض
الشعراء :

إذا أنت لم تعطفك إلا شفاءً * فلا خير في ودِّ يكون بشافع

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

رأيت جماعةً من أهل الأدب قد ألحقوا الاعتذار والاستعطاف بالمدح ،
كالحمدي في تذكرته ؛ وغيره ؛ فلذلك أضفته اليه ، وجعلته من فصوله . قال الله
عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” من آتذر اليه أخوه
المسلم فلم يقبل لم يرد على الخوض“ .

(١) في الجامع الصغير : « الخلق كلهم » ... الى الله ... الخ .

وقال عليّ رضي الله عنه : أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . وقال :
العفو زكاة الظُّفْرِ . وقال : إِذَا قَدَّرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلْ عَفْوَكَ عَنْهُ شُكْرَ الْمَقْدَرَةِ
عَلَيْهِ .

وقال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما : لَا تُعَاجِلِ الذَّنْبَ بِالْعُقُوبَةِ ، وَاجْعَلْ
بَيْنَهُمَا لِلْإِعْتِذَارِ طَرِيقًا . وقال : أَوْسَعُ مَا يَكُونُ الْكَرَمُ بِالْمَغْفِرَةِ ، إِذَا ضَاقَتْ بِالذَّنْبِ
الْمَعْذِرَةُ .

وقال جعفر بن محمد الصادق : شَفِيعُ الْمَذْنِبِ إِقْرَارُهُ ، وَتَوْبَةُ الْمَجْرِمِ الْإِعْتِذَارُ .
وقالوا : مَا أَذْنِبَ مِنْ أَعْتَذَرَ ، وَلَا أُسِيءَ مِنْ أَسْتَغْفِرَ .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يَا بُنَيَّ لَا يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، كَانَتْ
مِنْ كَانَ ، فِي أَى جَرَمٍ كَانَ ، صَادِقًا كَانَ أَوْ كَاذِبًا ، إِلَّا قَبِلْتَ عَذْرَهُ ، فَكُفَّاكَ
بِالْإِعْتِذَارِ بَرًّا مِنْ صَدِيقِكَ ، وَذَلًّا مِنْ عَدُوِّكَ .

قال بعض الشعراء :

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو فِي الْعَفْوَةِ رَاحَةً * فَلَا تَرْهَدَنَّ عِنْدَ التَّجَاوُزِ فِي الْأَجْرِ

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : الْإِعْتِذَارُ ذِلَّةٌ ، وَلَا يَذُ
مِنْهُ ، لِأَنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الذَّنْبِ ، فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَالِقِكَ هَالِكَةٌ ، وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
صَدِيقِكَ فُرْقَةٌ ، وَعِنْدَ سَائِرِ النَّاسِ مِثْلَةُ وَجْهَةٍ ، فَعَلَيْكَ بِهِ إِذَا وَقَعْتَ الذَّنْبَ
وَقَارَفْتَ الْجَرَمَ ، وَلَا تَسْتَكْفُفْ مِنْ خُضُوعِكَ وَتَذَلُّكَ فِيهِ ، فَرُبَّمَا أَسْتَتِيرَ الْعِزُّ مِنْ
تَحْتِ الذِّلَّةِ ، وَاجْتَنَيْ الشَّرْفَ مِنَ الشَّجَرَةِ النَّذْلَةِ ، وَرَبِّ مَحْبُوبٍ فِي مَكْرُوهٍ ، وَالْمَجْدُ شَهْدٌ
يُجْتَنَى مِنْ حَنْظَلٍ .

قال : وَمِمَّا خُصَّ بِهِ الْإِعْتِذَارُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَثْبِتُ لِبَاطِلِهِ ، وَالْحَقِيقَةَ لَا تَقُومُ
مَعَ تَخْيِيلِهِ وَتَعْوِيهِهِ ، وَأَنْ رَدَّهُ لَا يَسْعُ مَعَ الْكَذْبِ اللَّائِخِ فِي صَفْحَاتِهِ .

وقالوا : لا عذر في ردِّ الاعتذار ، والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره .

(١١) قال بعضهم : كنت بحضرة عبيد الله بن سليمان ، فوردت عليه رقعة من جعفر ابن نوبة ، نسخها : قد فتحت للظلم بابك ، ورفعت عنه حجابك ؛ فانا أحاكم الأيام الى عدلك ، وأشكو صروفها الى عطفك ، وأستجير من أوم غلبتها بكرم قدرتك وحسن ملكك ؛ فإنها تؤخرني اذا قدّمت ، وتحرمني اذا قسّمت ؛ فإن أعطت أعطت يسيرا ، وإن أرتجعت أرتجعت كثيرا ؛ ولم أشكها الى أحد قبلك ، ولا أعددت للإنصاف منها إلا فضلك ؛ ولي مع ذمام المسألة لك ، وحق الظلّامة اليك ، حق تأمليك ، وقدم صديق في طاعتك . والذي يملأ من النصّة يدى ، ويبرغ الحق على ، حتى تكون لي محسنا وأكون بك الى الأيام مقربا ، أن تحاطبني بخواص خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ الى الشغل ، ومن الخمول الى البهاة والذكور . فإن رأيت أن تعيدني فقد استعديت اليك ، وتنصرتني فقد عذت بك ، وتوسع لي كنفك فقد أويت اليه ، وتسمني بإحسانك فقد عولت عليه ، وتستعمل يدى ولساني فيما يصلحان له من خدمتك ، فقد درست كتب أسلافك وهم القدوة في البيان ، وأستضأت بآرائهم ، وأقتفيت آثارهم آفتاء جعلني بين وحشي الكلام وأنيسه ، ووقفني منه على جاذبة متوسطة ، يرجع اليها العالى ، ويسمو نحوها المقصر التالى ، فعلت إن شاء الله . بجعل عبيد الله يرددها ويستحسنها ؛ ثم قال : هذا أحق بديوان الرسائل .

(١) وردت هذه الرقعة في معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ١٧٤) لجعفر بن محمد بن خالد بن نوبة ،

وهي تختلف بسبب بعض كلماتها عما في الاصول ، وقد أثبتنا منها ما يناسب المقام مع تصويب كلمة «نوبة» بالناء المثلثة التي وردت في الاصول : «نوبة» بالناء محذوفة .

ومن الاستعطاف : ما حكى أن محمد بن الحنفية ، جرى بينه وبين أخيه الحسين كلام آتقفا بسببه متفاضلين ؛ فلما وصل محمد الى منزله ، كتب الى الحسين رقعة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن لك شرفا لا أبلغه ، وفضلا لا أدركه ، أبونا على ، لا أفضلك فيه ولا تفضلني ، وأمي امرأة من بنى حنيفة ، وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمي ما وقين بأمك .
 ٥ فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وتعال لترضاني ، وإياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني ، والسلام . فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء الى محمد وترضاه .

وقيل : وقع جعفر بن يحيى في رقعة معتذر : قد تقدمت طاعتك ونصيحتك ، فإن نبت منك هفوة فلن تغلب سيئة حسنتين .
 ١٠ وقال شاعر :

إرض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنباً مدلة الإعذار
 قال أبو هلال العسكري : لم يرو عن أحد قبل النابتة الديباني في الاعتذار شعره ؛ فمن أجود ما روى له فيه ، قوله حين سعى به المنخل الشكرى الى النعمان ، وزعم أنه غشي المتجردة حظية النعمان ، وذلك حين وصفها النابتة في شعره فقال :
 ١٥

واذا لمست أختم^(١) جائما * متحيراً بمكانه ملء اليد
 واذا طعنت طعنت في مستهدف * رابى المجسة بالعبير مكرميد
 واذا نزع نزع من مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

(١) كذا في اللسان في إحدى روايته مادة « ختم » . وفي الاصول وديوان النابتة الديباني طبع بـ « ختم » .
 ٢٠ واللسان في روايته الاخرى مادة « ختم » : « أجم » .

(٢) كذا في الاصلين الفتورايين واللسان في إحدى روايته مادة « حير » وديوان المعاني لابن هلال العسكري . وفي النسخة الراعية وديوان النابتة المتقدم واللسان في روايته الاخرى مادة « ختم » : « متحزرا » .

فقال المنخل للنعمان : هذا وصف من ذاقها ، فوقّر ذلك في نفس النعمان ، ثم وفد عليه رهط من بنى سعد بن زيد مناة من بنى قُرَيْع ، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها ويصف منها ، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة ، فعرفه بذلك عصام حاجب النعمان ، وهو الذي قيل فيه :

* نفسِ عصامٍ سودتِ عصاما *

فانطلق النابغة الى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر والد النعمان ، فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ؛ ثم اتصلت بالنعمان كثرة مدائح النابغة لهم ، فحسدهم عليه وأمنه وراسله في المصير اليه ، فاتاه وجعل يعتذر مما قُرِفَ به ومن مدحه لآل غسان ؛ فقال :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيَّةً * وليس وراء الله للراء مذهبُ

لئن كنت قد بلغت عني جنايةً * لمبلغك الواشي أعشُّ وأكذبُ

ولست بمستيقٍ أخا لا تلّه * على شعثٍ أي الرجال المهذبُ

فإن أكره مظلوماً فعبد ظلمته * وإن تك ذا عتبٍ فثلك يُعتبُ

يقول : مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتبا ، وفي كرمك ما يفعل ذلك ؛ ولك العتبى

والرجوع الى ما تحب . ومنه قوله أيضا للنعمان :

أناي أبنت الأعرَب أنك لمتني * وتلك النى تستك منها المسامعُ

مقاله أن قد قلت سوف أناله * وذلك من تلقاء مثلك رائعُ

فبت كأتى ساورتنى ضئيلةٌ * من الرقيش في أنيابها السم نافعُ

لكلقتني ذنب أمرئ وتركته * كذى العر يكوى غيره وهو رائعُ

(١) كذا في ديوان المعاني ، وقرف : اتهم . وفي الأصل : « مما قذف به » .

(٢) في ديوان النابغة وديوان المعاني : « خيانة » .

(٣) كذا في الاصول . ولعلها أولك ... الخ .

الى أن قال :

فإن كنتُ لاذوا الضَّغْنُ غنى مكذَّبٌ * ولا حَلْفِي على البراءةِ نافع
ولا أنا مأمونٌ بشيء أقوله * وأنتَ بأمرٍ لا محالة واقعُ
فإنك كالليل الذي هو مدرِكى * وإن خلتُ أن المتأى عنك واسعُ

وقال أيضا :

أنبتتُ أن أبا قابوس أوعدنى * ولا قرارَ على زارٍ من الأسدِ
مهلاً فداءً لك الأقوام كلهم * وما أُمَرُّ من ماٍ ومن ولدِ
لا تقذِفْنِي بركن لا كفأ به * وإن تأففك^(١) الأعداءُ بالرفدِ
ما قلتُ من سيِّئ مما أتيت به * إذا فلا رفعتُ سوطى الى يدي
قال : نفلح عليه النعمان خلع الرضا ، وكُن حَبْرَاتٍ خُضْرًا مَطْرُفَةً بِالْجَوْهَرِ .

قال العسكري : ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحترى ، فمن
اعتذاراته قوله في قصيدته التي أولها :

* لَوْتُ بِالسَّلامِ بَنَانًا خَضِيًّا *

قال منها :

فدينالك من أئى خطيبٍ عَرَى * ونائبٍ أوشكتُ أن تنوبا
وإن كان رأيك قد حَالَ في * وأوليتنى بعدَ بُشْرِ قُطُوبَا

(٧٩)

(١) تأففوه : تكفوه ، أى لا ترمى منك بركن لا مثل له وإن اجتمع حولك الأعداء متأذين متألين
على . والرفد : جمع رفة بكسر الراء .

(٢) قد تقدم في صفحة (١٧٢) من هذا الجزء : « وكفى أثواب الرضا وكانت جباباً أطواقها الذهب
بقصب الزمرد » .

(٣) كذا في ديوان البحترى طبع الاسنائة (ج ١ ص ٥٨) والنسعة الراحية . وفي أحد الاصلين
الفتوغرافيين وديوان المعاني لابن هلال العسكري : « قد جال » بالجم . وفي الاصل الآخر فتوغرافى :
« قد خال » بالخاء المعجمة وكلاهما تحريف .

يُرِيْنِي الشَّيْءُ نَاتِي بِهِ * وَأَكْبَرُ قَدْرَكَ أَنْ أُسْتَرِيَا
وَأُكْرِهَ أَنْ أْتَمَادِيَ عَلَى * سَبِيلِ اغْتِرَارٍ فَالْتَقِ شَعْمُوبَا
أَكْذَبَ نَفْسِي بِأَنْ قَدْ سَخِطْتُ ^(١) * وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ظَنِّي كَذُوبَا
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ * أَذَمُّ الزَّمَانَ وَأَشْكَو الْخَطُوبَا
أَيُّصْبِحُ وَرَدِي فِي سَاحَتِي * كَ طَرَفًا وَمِرْعَايَ مَحَلًّا جَدِيَا
وَمَا كَانَ يَنْخَطُكُ إِلَّا الْفِرَاقُ * أَفَاضَ الدَّمُوعَ وَأَشْجَى الْقُلُوبَا
وَلَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذَنْبًا لَمَّا كَا ^(٢) * نَ خَالِجِي الشُّكَّ فِي أَنْ أُتُوبَا
سَاصْبِرُ حَتَّى أَلَاقِي رِضَا * كَ إِمَّا بَعِيدَا وَإِمَّا قَرِيبَا
أَرَأَيْتَ رَأْيَكَ حَتَّى يَصَحَّ * وَأَنْظَرُ عَطْفَكَ حَتَّى يَثُوبَا

وقوله

عَذِيرِي مِنَ الْإِيَّامِ رَتَقَنَ مَشْرَبِي * وَلَقَبْتَنِي نَحْسًا مِنَ الطَّيْرِ أَشْمَا ^(٣)
وَأَلْبَسْتَنِي سَخَطَ أَمْرِي بَثُّ مَوْهَا * أَرَى سَخَطَهُ لَيْلًا مَعَ الصَّبْحِ مَظْلَمَا
تَبْلُجُ عَنْ بَعْضِ الرِّضَا وَأَنْطَوَى عَلَى * بَقِيَّةِ عَتَبٍ شَارَفَتْ أَنْ تَصْرَمَا
إِذَا قَاتَ يَوْمًا قَدْ تَجَاوَزَ حَدُّهَا * تَلَبَّتْ فِي أَعْقَابِهَا وَتَلَوَّمَا
وَأُصِيدَ إِنْ نَازَعَتْهُ الطَّرْفَ رَدَّهُ * كَلِيلًا وَإِنْ رَاجَعَتْهُ الْقَوْلُ جَمْعَا
شَاهَ الْعِدَا عَنِّي فَأَصْبَحَ مُعْرِضَا * وَوَهْمُهُ الْوَاشُونَ حَتَّى تَوَهَّمَا

(١) كذا في ديوان البعري . وفي الأصول وديوان المعاني : « بأن قد جئت » .

(٢) كذا في ديوان البحري والنسخة الراحية وديوان المعاني والورد : الماء الذي يورد . وفي الأصلين

الفتوح عرافين : « ودي » وهو تحريف .

(٣) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل وبولت فيه .

(٤) كذا في الديوان . وفي الأصول وديوان المعاني لأب هلال المعسكي : لما « تخالجي » .

(٥) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي ديوان البحري : « أكستني » .

وقد كان سهلا وانحوا فتوَعَّرت * رَبَاهِ وَطَلَّقَا ضاحكا فنجَّهَما
أَمْتَحَدُ عِنْدِي الإِسَاءَةَ مُحَسَّنٌ * وَمَنْتَقِمٌ مِنِّي أَمْرُهُ كَانَ مُنْعِمًا
وَمَكْتَسِبٌ فِي الْمَلَامَةِ مَاجِدٌ * يَرَى الْحَمْدَ غُنًى وَالْمَلَامَةَ مَغْرَمًا
يَخَوْفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعْشَرٌ * وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلِمًا
أُعِيذُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ * تَبَيَّنَ أَوْ جُرِمَ إِلَيْكَ تَقْدِمًا
أَلَسْتُ الْمَوْلَى فِيكَ نَظَمَ قِصَائِدٍ * هِيَ الْأَنْجُمُ أَقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجِمًا
أَعِدْ نَظْرًا فِيمَا تَسَخَّطْتَ هَلْ تَرَى * مَقَالًا ذَنْبًا أَوْ فَعَالًا مَذْمُومًا
وَكَانَ رَجَائِي أَنْ أَوْوَبَ مَمْلُوكًا * فَصَارَ رَجَائِي أَنْ أَوْوَبَ مُسْلِمًا
حَيَاءٌ فَلَمْ يَذْهَبْ بِي النَّيُّ مَذْهَبًا * بَعِيدًا وَلَمْ أَرْكَبْ مِنَ الْأَمْرِ مُعْظَمًا
وَلَمْ أَعْرِفِ الذَّنْبَ الَّذِي سَوَّيْتُ لَهُ ^(١) * فَأَقْتُلَ نَفْسِي حَسْرَةً وَتَسَدَّمَا
وَلَوْ كَانَ مَا خُبَّرْتَهُ أَوْ ظَنَنْتُهُ * لِمَا كَانَ غُرْوًا أَنْ أُلُومَ وَتَكْرُمًا
أَذْكُرُكَ الْعَهْدَ الَّذِي لَيْسَ سُوْدُدًا * تَنَاسِيهِ وَالْوَدَّ الصَّحِيحَ الْمُسْلِمًا
وَمَا حَمَلَ الرِّكَانَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا * وَأُنْجِدُ فِي أَعْلَى الْبِلَادِ وَأَتَمُّمَا
أَقْرَبًا لَمْ أَجْنِهْ مُتَنَصِّلًا * إِلَيْكَ عَلَى أَنِّي إِخَالِكُ أُلُومًا
لِيَ الذَّنْبِ مَعْرُوفًا إِنْ كُنْتُ جَاهِلًا * بِهِ فَلِكِ الْعُتْبَى عَلَى وَأَنْعِمًا
وَمِثْلِكَ إِنْ أَبْدَى الْفَعَالُ أَعَادَهُ * وَإِنْ صَنَعَ الْمَعْرُوفُ زَادَ وَتَمَّمَا
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ :

لَمْ أَتْ ذَنْبًا إِنْ زَعَمْتَ بِأَنْ * أَتَيْتُ ذَنْبًا فَغَيْرُ مَعْتَمِدٍ
قَدْ تَطَرَّفَ الْكَفِّ عَيْنَ صَاحِبِهَا * فَلَا يَرَى قَطْعَهَا مِنَ الرُّشْدِ

(١) كذا في ديوان البعري وأحد الأصليين المتوَعَّرين وديوان المعاني وفي الأصل الآخر والسحة

وقال آخر :

وكنْتُ اذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ
فمن لي بالعين التي كنتَ مرَّةً * الى بها في سالف الدهر تنظرُ

وقال آخر :

٥ اغتفرَ لتي تُحرز فضل ال * عفوَني ولا يفوتك أجرى
لأنك لى الى التوسل بالعذ * ر لى ألا أقوم بعذرى

وقال بعض فضلاء الأندلس :

١٠ إني جنيتُ ولم يزل أهلُ النهى * يهبون للجائز ما يحنونه
ولقد جمعتُ من الذنوب فنونها * فاجمع من الصفح الجميل فنونه
من كان يرجو عفوَ من هو فوقه * فليعفُ عن ذنب الذى هو دونه

الباب الثانى

من القسم الثالث من القرن الثانى

فى الهجاء وفيه أربعة عشر فصلا

ما قيل فى الهجاء ومن يستحقّه .

ما قيل فى الحسد .

ما قيل فى السعاية والبنى .

ما قيل فى الغيبة والنميمة .

ما قيل فى البخل واللؤم وأخبار البخل وأحتجاجهم .

ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمواكلة .

ما قيل في الجبن والفرار .

ما قيل في الحق والجهل .

ما قيل في الكذب .

ما قيل في الغدر والخيانة .

ما قيل في الكبر والمعجب .

ما قيل في الحرص والطمع .

ما قيل في الوعد والمطل .

ما قيل في العي والحصر .

ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه

١٠

قال الله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَاهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ . فهذه رخصة لمن ظلم في الانتصار .

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يرد على أبي سفيان بن الحارث :

١٥

ألا أبلغ أبا سفيان^(١) غنى * مغلفةً فقد برح الخفاء

هجوت عهداً فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء * فشرُّكم لخيركم الفداء

لنا في كل يوم من معد * سبابٌ أو قتالٌ أو هجاء



(١) يقال رسالة مغلفة : أي محمولة من بلد إلى بلد .

لسانى صارم لا عيب فيه * وبحرى لا تكدره الدلاء

فان أبى ووالدتي وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

ويستحق الهجاء من أتصف بسوء الخصال، وآتسم باخلاق الأرذال والأندال، وجعل المؤمن جلبابه وشعاره، والبخل وطاءه ودثاره. وسأذكر جماع ما أتصفوا به من سوء الفعل، وأسسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال .

قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر، واعتقاد الغدر، وغيبة الأحرار، وإساءة الحوار .

وسأل عبد الملك بن مروان المحجاج بن يوسف عن خُلُقِه، فتلكأ عليه وأبى أن يخبره، فأقدم عليه. فقال : حسود، كنود، حقود؛ فقال عبد الملك : ما في إبليس شر من هذه الخلال ؛ فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشر بحذافيره، ومرق من جميع خلال الخير، وتأنق في ذم نفسه، وتجزد في الدلالة على لؤم طبعه، وأفرط في إقامة الحجّة على كفره، وخرج من الخلال الموجبة رضا ربّه .

قال أبو تمام :

تأنست بذيّم الفعلِ طلعتُه * تأنس المقلّة الرمداء بالظلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ^(١) "أربعة من كن فيه فهو منافق من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا آوتمن خان" .

وقالوا : اللئيم كذوب الوعد، خؤون العهد، قليل الرشد . وقالوا : اللئيم اذا استغنى بطر، واذا افتقر قنط، واذا قال أخش، واذا سئل يُجل، وإن سأل

(١) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير بصيغة تختلف عما هنا ونصها : "أربع من كن فيه كان منافقا

حاصا ومن كانت فيه حصة . انتهى كانت فيه حصة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم بجر" .

أَلْحُ ، وَإِنْ أَسِيدَى إِلَيْهِ صَنِيعَ أَخْفَاهُ ، وَإِنْ أَسْتُكُم سَرَأُ أَنْشَاهُ ؛ فَصَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ ، وَعَدْوُهُ مِنْهُ عَلَى غَرَرٍ .

وَإِنَّ لِلشُّعْرَاءِ وَالْبُلَغَاءِ فِي الدَّمِّ وَالْهَجَاءِ نِظَامًا وَثَرًا سَنُورِدُ مِنْهُ طَرَفًا ، وَنُشْرِحُ مَا يَجْعَلُ ضَوْءَ النَّهَارِ عَلَى الْمَقُولِ فِيهِ سَدْفًا ^(٢) .

فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْكَاتِبُ فِي بَنِي سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ قَتَيْبَةَ :
مَحَاسِنُهُمْ مَسَاوِي السَّقَلِ ، وَمَسَاوِيهِمْ فَضَائِحُ الْأَثَمِ ؛ وَأَلَسْتُهُمْ مَعْقُودَةٌ بِالْعِيَّةِ ،
وَأَيَّدِيهِمْ مَعْقُولَةٌ بِالْبُخْلِ ، وَأَعْرَاضُهُمْ أَعْرَاضُ الدَّمِّ ؛ فَهَمُّ كَمَا قِيلَ :
لَا يَكْثُرُونَ وَإِنْ طَالَتْ حَيَاتُهُمْ * وَلَا تَيْبَسُ مَخَازِيهِمْ وَإِنْ بَادُوا
وَذَمُّ أَعْرَابِي قَوْمًا فَقَالَ :

هَمْ أَقَلُّ النَّاسِ ذُنُوبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ ، وَأَكْثَرُهُمْ تَجَرُّمًا عَلَى أَصْدِقَائِهِمْ ^(٣) ، يَصُومُونَ
عَنِ الْمَعْرُوفِ ، وَيُفْطِرُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ .

وَذَمُّ أَعْرَابِي قَوْمًا فَقَالَ : قَوْمٌ سُلِخَتْ أَفْقَاؤُهُمْ بِالْهَجَاءِ ، وَدُبَّتْ جُلُودُهُمْ ^(٤)
بِاللُّؤْمِ ، فَلَبَّاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَفِي الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ .

وَكَانَ عَيْسَى بْنُ فَرْحَانَ شَاهَ يَتَبَسَّ عَلَى أَبِي الْعَيْنَاءِ حَالَ زَارَتِهِ ، فَلَمَّا صُرِفَ عَنْ
الْوِزَارَةِ لَقِيَ أَبَا الْعَيْنَاءِ فِي بَعْضِ السُّكُكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامًا خَفِيفًا ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ
لِقَائِهِ : مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبُو مُوسَى ، فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِنَتَانِ بَنَاتِهِ وَقَالَ : لَقَدْ
كَنتُ أَفْنَعُ بِإِيْمَانِكَ دُونَ بَنَاتِكَ ، وَبِلِحْظِكَ دُونَ لَفْظِكَ ؛ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا آلَتْ إِلَيْهِ
حَالُكَ ، فَلَمَّا كَانَتْ أَخْطَاؤُكَ فِيكَ النِّعْمَةُ ، لَقَدْ أَصَابَتْ فِيكَ النَّقْمَةُ ؛ وَلَمَّا كَانَتْ

(١) الفر: التعرض للهلكة . (٢) السدف: الظلمة . (٣) في النسخة الراغية:

« تجرأ » . (٤) في المقد الفريد (ج ٢ ص ١٠٩) : « دبنت وجوههم » .

(٥) كذا في الأصول . وفي المقد الفريد : « وزادهم في الآخرة ... الخ » .

الدنيا أبدت صفحاتها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالإدبار عنك؛ والله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك، ونزهنا عن قول الزور فيك؛ فقد والله أسأت حمل النعمة، وما شكرت حق المنعم؛ ثم أطلق يده من عنايه، ورجع الى مكانه. فقبل له: يا أبا عبد الله! لقد بالغت في السب، فما كان الذنب؟ قال: سألته في حاجة أقل من قيمته، فردني عنها بأقبح من خلقته.

قال بعض الأعراب: نزلت بذلك الوادي، فإذا ثياب أحرار على أجسام عبيد، إقبال حظهم إدبار حظ الكرام. ألم بهذا المعنى شاعر فقال:

أرى حُللاً تُصَانُ على رجال * وأعراضاً تُدَالُ ولا تُصَانُ
يقولون الزمانُ به فسادٌ * وهم فسدوا وما فسَدَ الزمانُ

وسئل بعضُ البلغاء عن رجل فقال: هو صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر، لئيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر.

وذم أعرابي رجلاً فقال: هو عبد البدن؛ حُرُّ الثياب، عظيم الزواق، صغير الأخلاق؛ الدهر يُرفعه، ونفسه تَضَعُهُ.

وقال آخر: فلان غث في دينه، قدير في دنياه، رث في مروءته، سمج في هيئته،

منقطع الى نفسه، راض عن عقله؛ بخيل بما أنعم الله عليه، كتوم لما آتاه الله من فضله؛ حلاف لجو، إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف؛ لا ينصف الأصاغر، ولا يعرف حق الأكابر.

(١) في المقدم الفريد (ج ٢ ص ١١٠) « قال أعرابي دخلت البصرة... الخ ».

(٢) النجر: الأصل.

(٣) في المقدم الفريد: « عبد العمال حرام المال عظيم الزواق دنيء الأخلاق الخ ».

وترجم الفتح بن عبد الله القيسى صاحبُ فَلَائِدِ الْعِيقَانِ في كتابه عن أبي بكر بن
 ماجه المعروف بابن الصائغ فقال : هو رَمَدُ جَفْنِ الدِّينِ ، وَكَدُّ نَفُوسِ الْمُهْتَدِينَ ؛
 أَشْتَهَرَ سَخْفًا وَجَنُونًا ، وَهَجَرَ مَقْرُوضًا وَمَسْنُونًا ؛ فَمَا يَتَشَرَّعْ ، وَلَا يَأْخُذُ فِي غَيْرِ الْأَضَالِيلِ
 وَلَا يَشْرَعْ ؛ نَاهِيكَ بِهِ مِنْ رَجُلٍ مَا تَطْهَرُ مِنْ جَنَابَةٍ ، وَلَا أَظْهَرَ مَحِيلَةً إِيَابَةً ؛ وَلَا أَسْتَنْجِي
 مِنْ حَدَثٍ ، وَلَا أَتُحْبِي نِفَادَهُ مُوَارِي فِي جَدَثٍ ؛ وَلَا أَقْرِبَ بَارِيَهُ وَمُصَوَّرَهُ ، وَلَا فَرْعُ
 تَبَارِيهِ فِي مِيدَانِ تَهْوَرِهِ ؛ الإِسَاءَةُ إِلَيْهِ أَجْدَى مِنَ الْإِحْسَانِ ، وَالْهَيْمَةُ أَهْدَى عَنْده
 مِنَ الْإِنْسَانِ ؛ نَظَرُ فِي تِلْكَ الْعَالَمِ ، وَفَكَّرَ فِي أَجْرَامِ الْأَفْلَاكِ وَحُدُودِ الْأَقَالِيمِ ، وَرَفَضَ
 كِتَابَ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ ؛ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ثَانِي عِطْفِهِ ، وَأَرَادَ إِبْطَالَ مَا لَا يَأْتِيهِ
 الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ؛ وَاقْتَصَرَ عَلَى الْهَيْئَةِ ، وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ
 تِبَارُكٌ وَتَعَالَى فِيئَةً ؛ وَحَكَّمَ لِلْكَوَاكِبِ بِالتَّدْيِيرِ ، وَأَجْتَرَمَ عَلَى اللَّهِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ ؛
 وَاجْتَرَأَ عِنْدَ سَمَاعِ النَّهْيِ وَالْإِعْبَادِ ، وَأَسْتَهْزَأَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ أَلَدَى فَرَضَ عَلَيْكَ
 الْقُرْآنَ لَرَأَدَكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ ؛ فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الزَّمَانَ دَوْرٌ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ نَبَاتٌ لَهُ نَوْرٌ
 حِمَامُهُ تَمَامُهُ ، وَاخْتِلَافُهُ فِطَامُهُ ؛ قَدْ حُيِيَ الْإِيمَانُ مِنْ قَلْبِهِ فَالَهُ فِيهِ رَسْمٌ ، وَنَسِيَ
 الرَّحْمَنُ لِسَانَهُ فَمَا يَمِزُّهُ عَلَيْهِ أَسْمٌ ؛ وَأَتَمَّتْ نَفْسُهُ لِلضَّلَالِ وَأَتَسَبَّتْ ، وَنَفَتْ يَوْمًا
 تُجْزَى فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ؛ فَقَصَّرَ عَمْرَهُ عَلَى طَرَبٍ وَلَهْوٍ ، وَأَسْتَشْعَرَ كُلَّ كِبَرٍ
 وَزَهْوٍ ؛ وَهُوَ يَعْكُفُ عَلَى سَمَاعِ التَّلَاحِينِ ، وَيَقِفُ عَلَيْهَا كُلَّ حِينٍ ؛ يَبْلُغُ بِذَلِكَ
 الْإِعْتِقَادَ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِشَيْءٍ قَادِمًا إِلَى اللَّهِ فِي أَسْلَسٍ مَقَادٍ مَعَ مَنْشَأٍ وَخِيمٍ ، وَلَوْ لَمْ أَصِلْ
 وَخِيمٌ ؛ وَصُورَةٌ شَوَّهَهَا اللَّهُ وَقَبَّحَهَا ، وَطَلَعَتْ لَوْرَاهَا كَلْبٌ لِنَبْحِهَا ؛ وَقَذَارَةٌ يَوْئِي

(١) كَذَا فِي فَلَائِدِ الْعِيقَانِ لِلْفَتْحِ بْنِ خَافَانَ طَبِيعٌ بُولَاقِي (ص ٣٠٠) وَفِي الْأَصُولِ : « وَلَا أُسْجِي ... الخ »

بِالسِّنِّ الْمَهْمَلَةِ . (٢) فِي فَلَائِدِ الْعِيقَانِ : « وَارْتِخَاطُهُ اقْتِطَافُهُ » .

(٣) الْخَلِيمُ : السَّجِيَّةُ .

(٤) يَوْئِي : يَكْتَرِفُهَا الْوَبَاءُ . وَفِي فَلَائِدِ الْعِيقَانِ : « يَوْئِي الْبِلَادِ ... الخ » .

البلادَ نَفْسُهَا، ووضارَةً يحكى الحدادَ دَنَسُهَا، وَقَنَدٍ لَا يَعْمُرُ إِلَّا كَنَفَهُ، وَلَا دِي لَا يُقَوِّمُ
إِلَّا الصَّفَادُ جَنَفَهُ^(٢).

وكتب أحمد بن يوسف : أما بعد، فإنى لا أعرف للمعروف طريقاً أوعى من
طريقه إليك ؛ لأنه يحصل منك بين حسب ذىء، ولسان بذىء، وجهل قد ملك
عليك طباعك ؛ فالمعروف لديك ضائعٌ، والشكر عندك مهجورٌ، وإنما غايتك فى المعروف
أن تُحْرِزَهُ، وفى وليه أن تَكْفُرَهُ^(٣).



ومما قيل فى الهجاء من النظم

فمن ذلك قول جرير وهو أهجى بيت قاله العرب :

فَقَصَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ * فَلَا كَمْبًا بَلَفَتْ وَلَا كِلَابًا
لَوْ وَضَعْتَ فِقَاحَ بَنَى مُنْمِرٍ * عَلَى خَبَثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابًا

وقال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم
شعرٌ ودوا أنهم آفتدوا منه بأموالهم، وشعرٌ لم يسرهم به حُرُّ النعم؟ فقال أسماء بن
خارجة : نحن يا أمير المؤمنين ؛ قال : وما قيل فيكم ؟ قال : قول الحارث بن ظالم :
وما قومي بشعلة بن سعد * ولا بفزارة الشعرِ الرقابا^(٤)

فوالله يا أمير المؤمنين ! إنى لَأَلْبَسُ العِامةَ الصفيقةَ فيخيلُ إلى أن شعر قفاى قد
بدا منها ؛ وقول قيس بن الخطيم :

هَمَمْنَا بِالْإِقَامَةِ يَوْمَ سِرْنَا * مَسِيرَ حَذِيفَةَ الْخَيْرِ بْنِ بَدْرِ

(١) الحداد : ثياب سود تلبس فى المآتم . (٢) الجنف : الميل . (٣) فى الأصول :
« تحوزره » وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٠) : « تحقره » وكلاهما محرف عما أثبتناه وقد رويت هذه الحكاية
فى الأمالى ج ٢ ص ١٩٢ طبع دار الكتب ببعض مخالصة عما هنا وضعت الى محمد بن مكرم كنى بها
الى أبى العينا . (٤) الشعر الرقاب : يريد الشعر رقابا ، فلما أدخل الألف واللام نصب على
التشبيه بالضارب الرجل (راجع شرح الحماسة للبربرى طبع مدينة بن ص ٢٧٣) .

فما يسرنا أن لنا بها أويه حمر النعم . فقال هاني بن قبيصة النميري : أولئك نحن

يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

* فغُصَّ الطرف إنك من مُمَيِّر *

والله لو ددنا أننا آفديناه بأملا كنا ، وقول زياد الأعجم :

لعمرك ما رِمَاح بني نمير * بطائشة الصدور ولا قصار

فوالله ما يسرنا به حمر النعم .

قال العسكري : وذِكر أن جريرا لما قال :

والتغلبُ إذا تَخَنَّحَ لِلْقَرَى * حَكَّ أَسْنَهُ وَمَثَلَ الْأَمْثَالَا

قال : قلت فيهم بيتا لو طعن أحدهم في أسنته لم يحكما . وقالوا : مرت امرأة

بني نمير فتغامزوا إليها ، فقالت : يا بني نمير ، لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر ،

يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ويقول الشاعر :

* فغُصَّ الطَّرَفُ إِنْكَ مِنْ مُمَيِّر *

نفجِلوا . وكان النميري إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من مُمَيِّر ، فصار يقول :

من بني عامر بن صعصعة .

قال العسكري : ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد ، وهو :

ولو تُرْمَى بِلُؤْمِ بَنِي كُليب * نُجْومُ اللَّيْلِ ما وَصَحَتْ لِسَارِي

ولو يُرْمَى بِلُؤْمِهِمْ نَهَار * لَدُنْ لُؤْمُهُمْ وَضَعَ النَّهَارِ ^(١)

وما يَغْدُو عَزِيزُ بَنِي كُليب * لِيَطْلُبَ حَاجَةً إِلَّا يَجَار

(١) كذا في الأصول وديوان المعاني لابي هلال العسكري . وفي القانض طبع ليدن ص ٢٣٣ :

«ولو لبس النهار بنو كليب» .

ومثله قول الآخر :

وَلَوْ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ تَرَى بِأَوْمِهَا * عَلَى اللَّيْلِ لَمْ تَبْدُ النُّجُومُ لِمَنْ يَسْرِى

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

يَبْتَثِرُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءً بَطُونُكُمْ * وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتْنِي يَتَنَ نَحَائِصًا

- وهذا البيت من أبيات ، ولها سبب نذكره الآن في هذا الموضع وإن كان خارجا
عن مكانه ، وذلك : أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة تنازعا الزعامة ،
فقال عامر : أنا أفضل منك ، وهى لعنى ولم يمت ، وعمه عامر بن مالك بن جعفر
ابن كلاب وكان قد أهرق وسقط ؛ وقال علقمة : أنا أفضل منك ، أنا عفيف وأنت
عاهر ، وأنا وفى وأنت غادر ، وأنا ولود وأنت عاقر ، وأما أدنى الى ربيعة ؛ فداعيا الى
هَرَمِ بن قُطَبة ^(١) ليحكم بينهما ، فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من الإبل : مائة
يطعمها من تبعه ، ومائة يُعْطِيهَا لِلْحَاكِمِ ، ومائة تُعْقَرُ إِذَا حَكَمَ ؛ فأبى هَرَمِ بن قُطَبة
أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرتحلا ؛ فخلا هَرَمِ بعلقمة وقال له : أترجو أن
ينفرك رجل من العرب على عامر فارس مضر ، أندى الناس كفا ، وأشجعهم لقاء ^(٢) !
لِسَانُ رِجْحِ عامر أذكرك في العرب من الأخوص ؛ وعمه مُلَاعِبُ الأَسِنَّة ، وأمه كبشة
بنت عروة الرحال ، وجَدَّتُهُ أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء ، وأمك من
النخع ؛ وكانت أُمُّ مَهْيَةِ ، وأم علاثة أخيدة من النخع ؛ ثم خلا بعامر فقال له :
أعلى علقمة نفخر ! أنت تساونه ! أعلى ابن عوف بن الأخوص أعف بنى عامر
وأيمنهم نقيبة ، وأحلمهم وأسودهم ، وأنت أعور عاقر مشنوم ! أما كان لك رأى يزَعُك

(١) كذا في الأغاني وديوان المهاني والقاموس والمعارف لابن نقيبة . وفي الأصول : « هَرَمِ بن

قطنة » بالتون وهو منحرف .

(٢) قر عليه : قضى له بالقلب عليه .

عن هذا! أَكُنْتَ تظنّ أن أحدا من العرب يُنفرك عليه! فلما اجتمعا وحضر الناس للقضاء قال: أتما كركيتي الجمل فتراجعا راضيين.

قال العسكري: والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما، ولو قال: أنما كركيتي الجمل لقال كل واحد منهما: أنا اليمّنى، فكان الشرّ حاضرا— قال: وسأله عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بعد ذلك بحين: لمن كنتَ حاكما لو حكمت؟ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين! فلو قلتها لعادت جَذعة. فقال عمر: صدقت! مثلك فليُحكَمْ— قال: فارتحلوا عن هَيرم لما أعياهم نحو عُكاظ، فلقبهم الأعشى من حدرا من اليمن— وكان لما أرادها قال للعقمة: أعقد لى حَبْلا، فقال: أعقد لك من بنى عامر؟ قال: لا يغني عني، قال: فمن قيس؟ قال: لا، قال: فما أنا بزائدك؟ فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض، فقبل له: كيف تجيره من أهل السماء؟ قال: إن مات ودَيْتُهُ— فقال الأعشى لعامر: أظهِرْ أنكما حَكَمْتَانِي ففعل— فقام الأعشى فرفع عَقِيرَتَهُ (أى صوته) في الناس فقال:

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ * أبلغ مثل القَمَرِ الزَاهِرِ
لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ * وَلَا يَسَالِي خُسْرَ الْخَاسِرِ
عَلِمَ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرِ السَّنَاقِضِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ
وَاللَّائِسِ الْخَلِيلِ بَخِيلِ إِذَا * ثَارَ عِجَاجُ الْكَبْكِ الثَّائِرِ
إِنْ تَسُدُّ الْحَوْصَ فَلَمْ تَعُدْهُمْ * وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ
سَادَ وَأَلْفَى رَهْطَهُ سَادَةً * وَكَارِبًا سَادُوكَ عَنْ كَارِبِ

(١) كذا في الأغاني طبع بولاق (ج ١٥ ص ٥٢) وفي الأصول: «لأست... الخ».

(٢) كذا في الأصول. وفي الأغاني ودبوان المعاني: «الناقص» بالصاد المهملة.

(٣) في دبوان المعاني: «واللامس الخليل... الخ».

(٤) الكبة: الحملة في الحرب، يقال كانت لهم كبة في الحرب أى صرخة.

قال : وشدّ القوم في أعراض الإبل المائة فمقروها وقالوا : نُفّر عامر، وذُهِبت بها الغوغواء، وجهد علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك، بفعل يتهدّد الأعشى ؛ فقال :

أتانى وعيد الحوص من آل عامر * فبا عبد عمرو لو نهيت الأحوصا
فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمك * وبحرك ساچ لا يوارى الدعامصا^(١)
كلا أبويكم كان فرع دعامية^(٢) * ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
تيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرّتى ييتن نجائصا
يراقبن من جوع خلّال خفافه * نجوم العشاء العائيات القوامصا
رمى بك في أنحرام تركك الندى^(٣) * وفضل أقواما عليك مراهمصا
فقص حديد الأرض إن كنت ساخطا * بفيك وأحجار الكلاب الرواهمصا

قال فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر، وكان بكأؤه زيادة عليه في العار، والعرب
تعيّر بالبكاء؛ قال مهلهل^(٤) :

يبيكى علينا ولا نبكى على أحد * لنحن أغلظ أكبدا من الإبل

وقال جرير :

بكى دؤبل لا يُرقى الله دمعته * ألا إنما يبكى من الذلّ دؤبل

قال عبد الملك بن مروان لأمية^(٥) : مالك وللشاعر^(٦) إذ يقول :

إذا هتف المصفور طار فؤاده * وليتّ حديد الناب عند التراث

(١) الدعامص : جمع دعووص وهى دوية صغيرة فى مستنقع الماء، وقيل نفوص فيه .

(٢) كذا فى شعراء النصرانية . وفى الأصول : « كان فرعا ... الخ » .

(٣) فى اللسان مادة « رمص » : « ... العلا * وفضل أقوام ... الخ » . والمرامص : الدرج

(٤) كذا فى الأصول، وفى عيون الأخبار (مجلد ثان ص ١٩٢) : أن هذا البيت من قول المخيل .

(٥) فى الأمالى طبع دار الكتب المصرية (ج ٢ ص ١٥٧) : أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

(٦) هو حنّان بن عمرو كما فى الأمالى . وقد ورد فيه هذا الخبر كما هنا مع اختلاف فى بعض الكلمات .

فقال : أصابه حُذٌّ من حدود الله فأقنته عليه ؛ قال : فهلَا دَرَّأَتَه عنه بالشُّبُهَات ؟
قال : كان أهونَ علٍّ من أن أُعْطِلَ حدًّا من حدود الله ؛ فقال : يا بنى أمية ! أحسابكم
أحسابكم ، أنسابكم أنسابكم ، لا تعرضوا [ها] للفصحاء ، فإن للشعر مواسم لا يزيدها الليل
والنهار إلا جِدَّةً ، والله ما يسرنى أنى هُجِيت بيت الأعشى حيث يقول : تيتوب
في المشقى الخ ولى الدنيا بمخافيرها ، ولو أن رجلا خرج من عَرَض الدنيا كان قد أخذ
عوضا لقول ابن حُرثان :

على مكثريهم حق من يعترهم ^(١) * وعند المقلين السباحة والبذل

وهذا البيت لزهير .

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في الزَّريقان بن بدر :

دَعِ المكارمَ لا ترحل لبُغْيَتِها * وأقعدُ فإنك أنت الطاعِمُ الكاسِي

ولهذا الشعر حكاية نذكرها في أخبار الخطيئة في البخلاء . وقيل : أنفق جماعة

من الشعراء على أن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق في جرير :

أتم قرارة كلِّ معدنِ سَوَّةٍ ^(٢) * ولكلِّ سائلة تسيل قرَارُ

أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم أطمأنت ^(٣) * كذاك لكل سائلة قرَارُ

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير :

ما زال فينا رِباط الخيل مُعَلِّمة * وفي كليب رِباطُ اللؤمِ والعَارِ

قوم إذا استنجح الأضيافُ كآبَهُمْ * قالوا لأهمهم بُولَى على النَّارِ

(١) في الأغاني طبع بولاق (ج ٩ ص ١٥٤) في ترجمة زهير وفي الأمالي : (... رزق ... الخ » .

(٢) رواية قلائص جرير والفرزدق ص ٨٧٠ قصيدة رقم ٩٣ : « .. كل مدفع ... » ولكل دافعة تسيل الخ » .

(٣) في ديوان أبي تمام طبع مصر ص ٧٠ : « وكانت لوعة ... الخ » .

قالت بنو تميم : ما هيجنا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت ، وهو يتضمن وجوها شتى من اللؤم : جعلهم بخلاء بالقرى ، وجعل أمهم خادمهم ، يأمرونها بكشف فرجها ، وجعلهم يخلون بالماء أن يطفئوا به النار ، وجعل نارهم من قاتها تطفأ ببولة ، وأغرى بينهم وبين المحوس ، لتعظيم المحوس النار ، وإهانتهم لها إلى غير ذلك .

٥

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :

تميمٌ بطُرق اللؤمِ أهدى من القَطَا * ولو سلكتُ طُرقَ المكارمِ ضَلَّتِ

وقيل : أهجى بيت قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤمُ أكرمُ من وَبَرٍ والديه * واللؤمُ أكرمُ من وَبَرٍ وما وَلَدَا

قوم إذا ما جَنَى جانِبَهُمُ أَمِنُوا * من لؤمِ أحسابِهِمُ أن يُقتلُوا قَوْدَا

١٠

وقال مسلم بن الوليد يهجو دُعَيْلًا انْخِرَاعِي :

أما الهجاءُ فدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ * والمدحُ عنك كما علمتَ جَلِيلُ

فأذهبْ فانتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ * عرضُ عِزَّتْ به وأنتَ ذَلِيلُ

وكان سبب ذلك أنه كان بخراسان عند الفضل بن سهل ، فبلغ دُعَيْلًا ما هو فيه من

الحظوة عنده ، فصار إلى مرو ، وكتب إلى الفضل بن سهل :

١٥

لا تعانَ بآبن الوليد فإنه * يرميك بعد ثلاثةِ مِمالٍ

إن الملول إذا تقادمَ عهده * كانت مودته كَفَىءِ ظلال

فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم ، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دُعَيْل وهو

غلام أمرد يُقَسَّقُ به ؟ فقال : لا ، قال : كان يُلقَّبُ بِمَيَّاس ، وكتب إليه :

مَيَّاسُ قل لي أين أنتَ من الوري * لا أنتَ معلوم ولا مجهول

٢٠

أما الهجاء الخ . ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال :

فكن كيف شئت وقُلْ ما تَسَاء * وأبرق يمينا وأرعِدْ شِمَالَا
نجا بك لؤمك منجى الدُّباب * حمتُه مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُنَالَا
وأنشد الجاحظ :

وَوَيْفَتَ أَنْكَ لَا تُسَ * بَحَاكَ لُؤْمُكَ أَنْ تُسَبَا^(١)

وقال آخر :

بِذَلَّةٍ وَالذِّكِّ كُيِّتَ عِزًّا * وباللؤم آجرتأت على الجوابِ

وقال آخر :

دَنَاءَةٌ عِرْضُكَ حِصْنٌ مَنِيْعٌ * يَقيكَ إِذَا سَاءَ مِنْكَ الصَّنِيْعُ
فَقُلْ لِعَدُوِّكَ مَا تَشْتَهِي * فَانْتَ الْمَنِيْعُ الرَّفِيْعُ الْوَضِيْعُ

وقال أبو نُوَّاس :

مَا كَانَ لَوْلَمْ أَهْجُهُ غَالِبٌ * قَامَ لَهُ هَجْوَى مَقَامَ الشَّرَفِ
يَقُولُ قَدْ أَسْرَفَ فِي هَجْوَانَا * وَإِنَّمَا سَادَ بِذَاكَ السَّرَفُ
غَالِبٌ لَا تَسْعَ لِبَنِي الْعَلَا * بَلَغْتَ مَجْدًا بِهِ جَائِ فِيفُ
قَدْ كُنْتَ مَجْهُولًا وَلَكِنِّي * تَوَهْتُ بِالْمَجْهُولِ حَتَّى عُرِفُ

وقال أبو هلال العسكري :

أَهْنَتْ هَجَانِي يَا بْنَ عُرْوَةٍ فَأَتَحْيَى * عَلَى مَلَامِ النَّاسِ فِي الْبَعْدِ وَالْقَرَبِ
وَقَالُوا أَتَمَجُّوْا مِثْلَهُ فِي سَقْوَطِهِ * فَقُلْتُ لِمَ جَرَّبْتُ^(٢) سَيْفِي فِي كَلْبِ

(١) كذا في ديوان المعاني وفي الأصول : « أن تنالا » .

(٢) في هامش ديوان المعاني : « جردت سيفي على الخ » .

وقال آبن لَنَنكَ :

وَعَصْبِي لَمَّا تَوَسَّطْتُهُمْ * صَارَتْ عَلَى الْأَرْضِ كَالْخَاتِمِ
كَأَنَّهُمْ مِنْ سُوءِ أَفْهَامِهِمْ * لَمْ يَخْرُجُوا بَعْدُ إِلَى الْعَالَمِ
يَضْحَكُ إِبْلِيسُ سُرُورًا بِهِمْ * لَأَنْهُمْ عَارٌ عَلَى آدَمِ

وقالوا : أهى بيت قاله محدث قول الآخر :

قَبَحَتْ مَنَاظِرُهُمْ فَمِنْ خَبَرْتُهُمْ * حُسْنَتْ مَنَاظِرُهُمْ لَقَبِجِ الْخَبَرِ

وقال العسكري : ولست أعرف في الهجاء أبلغ من قول الأول :

إِنْ يَفْجُرُوا أَوْ يَغْدُرُوا * أَوْ يَخْلُوا لَمْ يَحْفَلُوا
وَعَدُوا عَلَيْكَ مُرَحَلًا * يَنْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

ومن البايع قول حسان :

أَبْنَاءُ حَارِ فَلَسٍ تَلَقَى لَهُمْ شَبَاهُ * إِلَّا التَّيُوسَ عَلَى أَكْثَافِهَا الشَّعْرُ^(٤)
إِنْ نَافَرُوا نَفَرُوا أَوْ كَاثَرُوا كَثَرُوا * أَوْ قَامَرُوا الزَّيْجَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قُرُوا^(٥)
كَأَنَّ رِيحَهُمْ فِي النَّاسِ إِنْ خَرَجُوا * رِيحُ الْكَلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

(١) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي يتيمة الدهر (ج ٢ ص ١٢٦) : « إذ زارهم الخ »

(٢) كذا في الراغبة وأحد الأصلين الفتوغرافين . وفي الأصل الآخر وديوان المعاني ١٥ « مرجلين » بالجمع المعجمة .

(٣) في ديوان حسان طبع ليدن ص ٨١ : « حام » .

(٤) في النسخة الراغبة وأحد الأصلين وديوان المعاني : « على أكفائها » .

(٥) رواية الديوان :

٢٠ ان سابقوا سبقوا أو نافروا نفروا * أو كاثروا أحدا من غيرهم كثروا
شبه الإماء فلا دين ولا حسب * لو قامروا الزيج عن أحسابهم قروا

وقال أيضا :

أبوك أبو سؤي وخالك مثله * ولست بخير من أبيك وخالك
وان أحق الناس ألا تلومه * على اللوم من ألقى أباه كذلكا

وقال آخر :

سلي الله ذا المن من فضله * ولا تسألن أباء وإياله
فما سأل الله عبدا له * نخاب ولو كان من بابه

وقال آخر :

ولو قيل للكلب يا باهلي * لأعول من قُبِح هذا النسب

وقال زياد : ما هُجيتُ بيت قط أشدَّ عليَّ من قول الشاعر :

فكُفِّرْ في ذاك إن فكرت معتبرا * هل نلت مكُرمَةً إلا بتأمير
عاشت سُمِيَّة ما عاشت وما علمت * أن أبنها من قریش في الجماهير

وقال إبراهيم بن العباس ^(١) :

ولما رأيتك لا فاسقا ^(٢) * تُهابُ ولا أنت بالزاهد

وليس عدوك بالمتقى ^(٣) * وليس صديقك بالحامد

أتيت بك السوق سوق الهوان ^(٤) * فناديت هل فيك من زائد

على رجلٍ غادر بالصديق * ككفورٍ لنعمائه جاحد

فما جاءني رجلٌ واحد * يزيد على درهم واحد

(١) ذكرت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٢ ص ١١٠) منسوبة لأعرابي ويختلف في بعض الألفاظ عما هنا .

(٢) في العقد الفريد : « ... لافجرا * قويا ... الخ » .

(٣) رواية العقد الفريد : ولا أنت بالرجل المقي * ولا أنت بالرجل العابد

(٤) كذا في الأصول . وفي العقد الفريد وديوان المعاني : « ... سوق الزبقي ... الخ » .

سوى رجلٍ حان منه الشقاء ^(١) * وحلت به دعوة الوالدِ
فبعثك منه بلا شاهدٍ * مخافةً ردّك بالشاهدِ
وأبّت الى منزلٍ سالماً * وحلّ البلاء على الناقدِ
وقال العسكري :

• إن كان شكك غير متّفيٍ * فكذا خلالك غير مؤتلفٍ
صورت من نطفٍ قد اختلفت * فانت خلالك وهي مختلفة
من عصبية شتى اذا اجتمعوا * شبهت داركم بهم عرفه
فورثت من ذا قبح منظره * وورثت ذاك خناه أو صلفه

(٨٤)

وقال الحسن بن مطران شاعر اليتيم :

١٠ كم غصت في مدحك فكرا على * درّ نقيس غير منقوب
ولم يقص رأيك يوما على * يرى ولا رأى لمكذوب
إن كان موعودك في الجود لي * أكذب من موعود عرقوب
فإنّ أخبارك في مدحتي * أكذب من ذنب ابن يعقوب

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الحريرة :

١٥ بُليت بقوم مالم في العلايد * ولا قدم تسمى لبذل الصنائع
اذا نظرت عيني اليهم تجبست * برؤيتهم طهرتها بالمدايع

وقال المتنبي :

إن أوحشتك المعالي * فإنها دار غربة
أو أنستك المخازي * فإنها بك أشبه ^(٢)

(١) رواية العقد الفريد : ... زادني دافعا * ولم ألك في ذاك بالجاهد

(٢) في ديوان المتنبي ص ٤٣٣ طبع مصر : * فانها لك نسيه *

(١١)

وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن المجاج :

ولقد عهدتك تشبهي * قربي وتستدعي حضوري
وأرى الجلفا بعد الوفا * مثل الفسا بعد البخور
يا خريّة العدس الصبح * يبع النّير والخبز الفطير
في جوف منحلّ الطيب * عة والقوى شيخ كبير
يخرّأ فيخرجُ سرْمه * شبرين من وجع الزحير
يا فسوة بعد العشا * بالبيض والالبن الكثير
وفطائر تُجَنّت بِلال * حُلج الحريش ولا الحمير
يا تَنَ رأة الطيب * يخ إذا تغيّر في القدور
يا عُش بيض القمل فرّخ في السوالف والشعور
يا بول صبيان الفطا * يم ويا خراهم في المحجور
يا بغض تدخين الجشا * في الصوم من تُخَم السحور
يا حرّ قَوْلنج البطو * ن وبرد أعصاب الظهور
يا ذلّة المظلوم أصد * يبع وهو معدوم النصير
يا سوء عاقبة التعقّد عند تمشية الأمور
يا كلّ شيء مُتعب * متعبّد صعب عسير
يا حيرة الشيخ الأصمّ * وحسرة الحدّث الضمير
يا قعدة في دجلة * والريح تلعّب بالجسور

(١) في يتيمة الدهر (٢ ص ٢١١) : « الحسن » .

(٢) كذا في يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٢١٦) . وفي الأصول : يا بغض تدخين الجشا » .

(٣) كذا في يتيمة الدهر وفي الأصول : «... التفقّد عند تشبيه الخ » .

يا قَرَحَةَ السِّلِّ التي * هَدَتْ شَراسِيْفَ الصَّدُورِ
يا أَرْبِءَاءَ لَا تَدُو * رَبِّهِ مَخَافَاتُ الشُّهُورِ^(١)
يا هَذَّةَ الحِيطَانِ تُتْ * قَفْضَ بالمَعَاوِلِ والمُرُورِ
يا قَرَحَةَ فِي نَاطِرٍ * غَلْظُوا عَلَيْهَا بِالذُّرُورِ^(٢)
فَتَسَلَّخَتْ مَعَ مَا يَلِي * هَمَا فِي الجُفُونِ مِنَ البُثُورِ
يا خَيْبَةَ الأَمَلِ الذِي * أَمْسَى يَعْأَلُ بِالغُرُورِ
يا غُلْمَةَ المُنْتَخَذِ * تِ وَرَاءَ أَبْوَابِ القُصُورِ
يا وَحْشَةَ المَوْتِ إِذَا * صَارُوا إِلَى طُلَمِ القُبُورِ
يا ضَجْرَةَ المَحْمُومِ بِالْ * غَدَوَاتِ مِنْ مَاءِ الشَّعِيرِ
يا شَوْمَ إِبْقَالِ الشِّتَا * ءِ أَضَرَّ بِالشَّيْخِ الفَقِيرِ
يا دَوْلَةَ الحُزْنِ الَّتِي * خَسَفَتْ بِأَيَّامِ السَّرُورِ^(٣)
يا ضَجَّةَ الصَّيْحِ المَصْدَعِ^(٤) بِالتَّنَازُعِ وَالشُّرُورِ
يا عَثْرَةَ القَلَمِ المُرْشَشِ بَيْنَ أَثْنَاءِ السُّطُورِ
يا لَيْلَةَ العُرْيَانِ غِيبَتْ عَشِيَّةَ اليَوْمِ المَطِيرِ
يا نَوْمَةً فِي شَمْسِ آ * بَ عَلَى التَّرَابِ بِلا حَاصِرِ
يا بَغَاةَ المَكْرُوهِ فِي الـ * يَوْمِ العَبُوسِ القَمْطِيرِ
يَا نَهْشَةَ^(٥) الكَتَابِ الرَضِي * عَ وَنَكْمَةَ اللَّيْلِ المَحْصُورِ

(١) كَذَا فِي يَتِيْمَةِ الدَّهْرِ . وَفِي الْأَصُولِ : « مَخَافَاتِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الذُّرُورُ : مَا يَذُرُّ فِي الْعَيْنِ وَعَلَى الْجِرْحِ مِنَ الْأَدْوِيَةِ .

(٣) كَذَا فِي يَتِيْمَةِ الدَّهْرِ . وَفِي الْأَصُولِ « يَا دَوْلَةَ الْحَسَنِ » .

(٤) كَذَا فِي يَتِيْمَةِ . وَفِي الْأَصُولِ : « ... الضَّجْرُ المَصْدَعُ * مَدَّعٌ بِالتَّنَازُعِ ... الخ .

(٥) كَذَا فِي يَتِيْمَةِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « يَا هَمَةَ » . وَفِي النُّسخَةِ الرَّاعِيَةِ : « يَا نَهْمَةَ » .

٥

١٠

١٥

٢٠

يا عَيْشَ عَيْنٍ مَوْثِقٍ * فِي الْقَيْدِ مَغْلُولٍ أُسِيرِ
 يَا حِدَّةَ الرَّمْدِ الَّذِي * لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الْقُطُورِ
 يَا عَيْشَةَ الْكَئَسِ مِنْ * شَمِّ الذَّرَائِرِ وَالْعَبِيرِ^(١)
 يَا حَيْرَةَ الْعَطْشَانِ وَقَدْ * بَتَ الظُّهْرُ فِي وَسْطِ الْمَجِيرِ
 مَنْ لِي بَأَنٍ تَلْقَاكَ خِيَةً * لِي بَنِي كَلَابٍ بِلَا خَفِيرِ^(٢)
 وَأُرَى بِعَيْنِي لَحْمَكَ الشَّمْطُ بُوخَ فِي نَارِ السَّعِيرِ
 فِي الْأَرْضِ مَا بَيْنَ السَّبَا * عَوْفِي السَّمَاءِ بَيْنَ النَّسُورِ

وقال المتنبي :

يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ * تَحْتَ الْمُلُوحِ وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجِمُ
 وَجْفُونُهُ مَا تَسْتَفْتِرُ كَأَنَّمَا * مَطْرُوفَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حِصْرُ
 وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا * وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ
 وَإِذَا أَشَارَ مَكَلَّمًا فَكَأَنَّهُ * قَرْدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلَطِّمُ^(٣)
 يَقِلُّ مُفَارَقَةً الْإِكْفَ قَدَالَهُ * حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدَيْهِ يَتَعَمَّمُ



ومما يذم به الرجل أن يكون ثقيلاً . فأبلغ ما قيل في ذلك قول بعضهم :

وَتَقِيلُ أَشَدَّ مِنْ غُصَصِ الْمَوْتِ * وَمِنْ زَقَرَةِ الْمَذَابِ الْأَلِيمِ
 لَوْ عَصَتْ رَبُّهَا الْجَحِيمُ لَمَّا كَانَتْ * سِرَاحَ عَقُوبَةٍ لِلْجَحِيمِ

(١) كذا في البيعة . وفي الأصول : « في وسط المجير » .

(٢) كذا في البيعة . وفي الأصول : « في حرا المجير » .

(٣) كذا في ديوان المتنبي والنسخة الراجية . وفي الأصلين : « يلق » وهو تحريف .

وأبلغ ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ولقد قلتُ حينَ وَتَدَ في الأرْ * ض ثَقِيلٌ أرْبَى على شَهْلانِ
كيف لم تَحْمِلِ الأمانةَ أرْضُ * حَمَلَتْ فوقها أبا سَفْيانِ



ومما هجى به أهلُ الوقتِ على الإطلاق ! فن ذلك قول أبي هلال
العسكري :

كم حاجةً أنزلْتُها * بكريم قومٍ أو لئيمٍ
فإذا الكريمُ من اللئيمِ * أم أو اللئيمُ من الكريمِ
سبحان ربِّ قادرٍ * قدَّ البريةَ من أديمِ
فشرِيفُهُم ووضيعُهُم * سيَّان في سَفَهٍ ولُومِ
قد قلَّ خيرٌ غنيَّهُم * فغنيَّهُم مثلُ العديمِ
وإذا آخَبتَ حميدَهُم * ألفتَهُ مثلُ الذِّمِ



ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم : فن ذلك

قول أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه :

أبوك لنا غَيْثٌ نعيشُ بفضله * وأنتَ جَرادٌ ليس يَبْقَى ولا يَدْرُ^(١)
له أثرٌ في المَكْرُماتِ يَسُرُّنا * وأنتَ تُعَفِّي دأبنا ذلك الأَثَرُ
لقد قُتِعَتْ حُطَّانُ خَزْيًا بخالدٍ * فهل لك فيه يُخْزِكَ اللهُ يا مُضَرُ^(٢)

(١) في الشعر والشعراء لابن قتيبة : « ... لست تبق ولا تذر »

(٢) في الشعر والشعراء : « لقد نزيت حطان طرا الخ »

وله في قَيْصَة بن رَوْح ، يُفَضِّل عليه أَبْن عمَّه دَاوُد بن يَزِيد بن حاتم :
 أَقْبِصْ لَسْتَ وَإِنْ جَهَدْتَ بِبَالِغ * سَعَى أَبْنِ عمِّكَ ذِي النَّدَى دَاوُدِ
 شَتَانُ بَيْنِكَ يَا قَبِيصُ وَبَيْنَهُ * إِنْ المَذْمُومُ لَيْسَ كَالْمَحْمُودِ
 دَاوُدُ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُذْمَمٌ * عَجَبًا لَذَاكَ وَأَنْتَمَا مِنْ عُوْدِ
 وَلَرْبُ عُوْدٍ قَدْ يُسْقُ لِمَسْجِدٍ * نَصْفًا وَسَائِرُهُ لَحْشٌ يَهُودِي
 وقال حَسَّانُ في أَبِي سُفْيَانَ بنِ الحَارِثِ :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ * وَقَدْ يَلِدُ الحُرَّانَ غَيْرَ نَجِيبِ
 فَلَا تَعْجَبَنَّ النَّاسُ مِنْكَ وَمِنْهَا * فَمَا حَبَّتْ مِنْ فِضَّةٍ بِعَجِيبِ

ذكر ما قيل في الحسد

١٠. ومما يذمُّ به الرجلُ ، أَنْ يَكُونَ حَسُودًا . وقد أمر الله تعالى نبيَّه
 عليه الصلاة والسلام ، أَنْ يَتَعَوَّذَ مِنْ شَرِّ الحَاسِدِ إِذَا حَسَدَ .
 قال ابن السَّيِّك :
 ١٥.

أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى سُورَةَ جَمَلِهَا عُودَةٌ لَخَلَقَهُ مِنْ صَنِيفِ الشَّرِّ ، فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى
 الحَسَدِ جَمَلَهُ خَاتَمًا ، إِذْ لَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ فِي الشَّرِّ نَهَايَةٌ . والحسدُ أَوَّلُ ذَنْبِ عُصَى اللهِ
 تَعَالَى بِهِ فِي السَّمَاءِ ، وَأَوَّلُ ذَنْبِ عُصَى بِهِ فِي الْأَرْضِ ؛ أَمَا فِي السَّمَاءِ . فحسدُ إِبْلِيسَ
 لآدَمَ ، وَأَمَا فِي الْأَرْضِ فحسدُ قَابِيلَ لِهَابِيلَ . وَذهبَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ
 عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَارًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ : (رَبَّنَا ارِنَا الَّذِينَ أَضَلَّاهُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْمَلَهُمَا
 تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أَنَّ الْمُرَادَ بِالْجِنِّ إِبْلِيسَ ، وَبِالْإِنْسِ قَابِيلَ ؛
 وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْكُفْرَ ، وَقَابِيلَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ . وَأَصْلُ ذَلِكَ
 ٢٠. كُلُّهُ الحَسَدُ .

وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعَادُوا نِعَمَ اللَّهِ . فقليل له : ومن يُعَادِي نِعَمَ اللَّهِ؟ قال : الذين يُحْسِدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . يقول الله تعالى في بعض الكتب : « الْحَسُودُ عَدُوٌّ نِعَمَتِي ، مُسَخِّطٌ لِقَضَائِي ، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمَتِي » .

وقالت الحكماء : إذا أراد الله أن يُسَاطَ على عبد عدواً لا يرحمه سَاطَ عليه حاسداً .

وكان يقال في الدعاء على الرجل : طلبك من لا يَقْصِرُ دون الظفر . وحسدك من لا ينام دون الشفاء^(٢) .

وقالوا : ما ظنك بعداوة الحاسد، وهو يرى زوال نعمتك نعمته عليه !

قال أبو الطيب المتنبي :

سوى وجع الحساد داوٍ فإنه * إذا حلَّ في قلبٍ فليس يحولُ^(٣)
ولا تظمَعَنَّ من حاسِدٍ في مودَّةٍ * وإن كنت تُبديها له وتُبيلُ
وقال البيهقي :

ومن البلية أن تُدَاوِيَ حَقْدَ مَنْ * نِعِمُ الْإِلَهِ عَلَيْكَ مِنْ أَحْقَادِهِ

وقال علي رضي الله عنه : لا راحةَ لحسود، ولا أخَ لمَلُول، ولا حُبَّ لسيِّئ الخُلُق .

وقال الحسن : ما رأيت ظالماً أشبهَ بمظلوم من حاسد؛ نفس دائم، وحنن لازم، وغيرة لا تتفد . ثم قال : لله دَرُّ الحسد ما أعدله ! يقتل الحاسد قبل أن يَصِلَ إلى المحسود .

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣١) من تسخط الشيء : لم يرضه وتكرهه، وفي الأصل :

« مسخط » .

(٢) كذا في هيون الأخبار (المجلد الثاني ص ٢١٦، ١٠) . وفي الأصل الشفاء وهو تخريف .

(٣) كذا في ديوان المتنبي (ص ٢٧٣) . وفي الأصول : « دا » وهو تخريف .

وقال الجاحظ : من العدل الخِصُ والإِنصاف الصحيح ، أن تَحُطَّ عن الحاسد
نِصْفَ عِقَابِهِ ؛ لأنَّ أَلَمَ جِسْمِهِ قَدْ كَفَاكَ مَوْوَنَةُ شَطْرِ غِيظِكَ عَلَيْهِ .
وقيل : الحسد أن تُتَمَّى زوال نعمة غيرك ، والغبطة أن تُتَمَّى مثل حال صاحبك .
وفي الحديث : ” الْمُؤْمِنُ يَغِيظُ وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ ” .

وقال أرسطوطاليس : الحسد حسدان : محمود ومذموم ، فالمحمود : أن ترى
علما قستهي أن تكون مثله ، وزاهدا قستهي مثل فعله ؛ والمذموم أن ترى علما
وفاضلا قستهي أن يموتا . وقيل : الحسود غضبان على القدر ، والقدر لا يُعْتَبَرُ .
قال منصور الفقيه :

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا * أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاتَ الْأَدَبُ
أَسَاتَ عَلَى اللَّهِ فِي فَضْلِهِ * إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ مَا قَدْ وَهَبَ

وقال المتنبي :

وَأَظْلَمَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ بَاتِ حَاسِدًا * لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

ومن أخبار الحسدة : ما حكى أنه اجتمع ثلاثة نفر منهم ، فقال أحدهم
لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما أشتيت أن أفعل بأحد خيرا قط ؛ فقال
الثاني : أنت رجل صالح ، أنا ما أشتيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط ؛ فقال
الثالث : ما في الأرض أفضل منكما ، أنا ما أشتيت أن يفعل بي أحد خيرا قط .



ومما قيل من الشعر في تفضيل المحسود ومدحه ، وهجاء الحاسد وذمّه :

قال بعض الشعراء :

إِنْ يَحْسُدُونِي فَلَا تَنْيُ غَيْرُ لَائِمِهِمْ * قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
قَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ * وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَمًّا بِمَا يَحْسُدُ

وقال آخر :

إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشْيَةً * فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْوَالِ
حَسَدَ الْقَطَاةِ وَرَامَ يَمْشِي مَشْيَهَا * فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ^(١)

وقال آخر :

حَسَدُوا لِقَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ * فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ
كَضُرَائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لَوَجْهِهَا * حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَذَمِيمٌ^(٢)

وقال البحترى :

لَا تَحْسُدُوهُ فَضَّلَ رُبَّتَهُ الَّتِي * أَغَيْتَ عَلَيْكُمْ وَأَفْعَلُوا كِفَعَالَهُ

وقال البرى الرفاء :

نَالَتْ يَدَاهُ أَفَاصِيَ الْمَجْدِ الَّذِي * بَسَطَ الْحَسُودُ إِلَيْهِ بَاعًا ضَيْقًا
أَعْدُوهُ هَلْ لِلسَّمَاءِ جَرِيرَةٌ * فِي أَنَّ دَنَوْتَ مِنَ الْحَضِيضِ وَحَلَقًا
أَمْ هَلْ لِمَنْ مَلَأَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعَلَا * ذَنْبٌ إِذَا مَا كُنْتَ مِنْهَا مُمْلِقًا
وقال أبو تمام الطائي :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ^(٣) * يَوْمَا أَنَا حَاسِدُ لِسَانِ حَسُودٍ
لَوْلَا أَشْتَعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرْتُ * مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عُرْفِ الْعُودِ

وقال البحترى :

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ * إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ

(١) العقال : ظلع يأخذ في قوائم الدابة .

(٢) كذا في الأصول ، وهى رواية ثعلب ، قال صاحب اللسان : وقد رد ذلك عليه ، والأصح رواية

(إنه لذميم) بالبدال المهملة .

(٣) أثبتنا فيما تقدم ص ٩٢ من هذا الجزء أن رواية الديوان : « طويت » .

وقال محمد بن مُنَازِد :

يَا أَيُّهَا الْعَاجِي وَمَا بِي مِنْ * عَيْبٍ إِلَّا تَرَعَوِي وَتَرَدِّجِي
 هل لك عندي وَتَرَفْطَلْبِي * أم أنتِ مِمَّا أُتَيْتِ مُعْتَذِرُ
 إن يك قَسَمُ الإِلَهِ فَضَّلِي * وأنتِ صَلَدٌ مَا فِيكَ مُعْتَصِرُ
 فالحمد والشكر والثناء له * وللحسود الترابُ والحجرُ
 ماذا الذي يَحْتَنِي جَلِيسُكَ أَوْ * يَبْدُو له مِنْكَ حينَ يَحْتَرُ
 اقْرَأْ لَنَا سُورَةَ تَذَكَّرْنَا * فَإِنَّ خَيْرَ الْمَوَاعِظِ السُّورُ
 أَوْصِفْ لَنَا الْحُكْمَ فِي فَرَائِضِنَا * مَا تَسْتَحِقُّ الْأُنْثَى أَوْ الذَّكَرُ
 أَوْ أَرُوْقَقْهَا تَرَوِي الْقُلُوبَ بِهِ * جَاءَ بِهِ عَنْ نَيْبِ الْأَثَرِ
 أَوْ مِنْ أَحَادِيثِ جَاهِلِيَّتِنَا * فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ وَمُفْتَخَرُ
 أَوْ أَرَوْعَ فَارِسٍ لَنَا مَثَلًا * فَإِنَّ أَمْنَالَهَا لَنَا عِبْرُ
 أَوْ غَنَّ صَوْتًا تُسْجِي النُّفُوسَ بِهِ * وَذَنْبٌ مَا قَدْ أُتِيَتْ مُعْتَفَرُ
 فَإِنْ تَكُنْ قَدْ جَهِلْتَ ذَاكَ وَذَا * فَفِيكَ لِلنَّاطِرِينَ مُعْتَبَرُ

ذَكَرَ مَا قِيلَ فِي السَّعَايَةِ وَالْبَغْيِ وَالْغِيْبَةِ وَالنِّمِيمَةِ

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) . وقال تعالى : (ثُمَّ
 بَغِيَ عَلَيْهِ لَيِّنُصْرَتُهُ اللَّهُ) . وقال تعالى : (هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ مَنَاجٍ لِّخَيْرٍ مُّعْتَدٍ أَثِيمٍ عُنْ
 بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٣ ، وفي الأصل : « يَا أَيُّهَا الْعَاجِي ... * عَيْبٌ ... » .

(٢) رواية العقد الفريد : « ... تحيا ... الخ » .

(٣) رواية العقد الفريد : « أَوْ مِنْ أَعَاجِيبٍ ... ومعتبر » .

الآخر فلا يرفعن إلينا عورة أخيه المؤمن“ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” لا يُرَاحُ القَتَاتُ رَأِيحَةَ الْجَنَّةِ “ . وفي لفظ : ” لا يدخل الجنة قتاتٌ “ . والقَتَاتُ : التَّمَام .

قال بعض الشعراء :

فلا تسع على أحدٍ ^(١)بِغْيٍ * فإنَّ البَغْيَ مَصْرَعُهُ وَخِيمٌ

وقال العتّابي :

بَغَيْتَ فلم تقع إلا صريعاً * كذاك البغى مَصْرَعُ كُلِّ بَاغِي

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوّة، فقال لأصحابه : إذا شئتم فقوموا .^(٢)
فلما تهيأ الرجل للكلام قال له : إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسى منك ،
أو تكذبني فإنه لا رأى ليكذوب ، أو تسعى إلى بأحد ، وإن شئت أفلك ؛ قال :
أفلىنى .

قال : ولما ولي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دِمَشْقَ ، ولم يكن فى بنى
أُمَيَّةَ ألب منه ،^(٣) مع حدائنه سنّه ، قال أهل دمشق : هذا غلام شاب ، ولا علم له
بالأمور ، وسيسمع منا ؛ فقام إليه رجل فقال : أصلح الله الأمير ، عندى نصيحةٌ بـ
فقال له : ياليت شعرى ما هذه النصيحة التى ابتدأتني بها من غير يدٍ سبقت مني
إليك ؟ فقال : جارئى عاص متخلف عن ثغره ؛ فقال له : ما آتيت الله ، ولا أكرمت
أميرك ، ولا حفيظ جوارك ؛ إن شئت نظرنا فيما تقول ، فإن كنت صادقا
لم ينفعك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذبا عاقبتك ، وإن شئت أفلناك ؛ قال :
أفلىنى ؛ قال : أذهب حيث شئت ، لا صحبك الله ! ثم قال : يا أهل دِمَشْقَ ،
أما أعظمت ما جاء به الفاسق ! إن السّعاية أحسب منه سجيّة . ولولا أنه لا ينبغي

(١) دخل فى هذا البيت الكف وهو حذف السابغ الساكن . (٢) كذا فى المقد الفريديج ١ ص ٢٣٦ ، وفى الأصول : « إذا شئتم فقاموا » . (٣) كذا فى تذكرة الصفدى . وفى الأصول : « فى » .

للوالى أن يعاقب قبل أن يعاتب ، كان لى فيه رأى . فلا يأتى أحد منكم بسعاية على أحد ؛ فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذب بهأت .

وسمى رجل برجل إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ؛ فقال : إن شئت نظرنا فى أمرك ، فإن كنت كاذبا فانت من هذه الآية : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) وإن كنت صادقا فانت من هذه الآية : (هَمَّازٌ مَشَاءٌ نَجِيمٌ) وإن شئت عفونا عنك ؛ قال : العفو يا أمير المؤمنين ؛ قال : تلى ألا تعود .

وكتب محمد بن خالد إلى ابن الزيات أن قوما صاروا إليه مُتَصَحِّحِينَ ، فذكروا أن رُسُوما للسلطان قد عَفَّتْ ودرست ، وأنه تَوَقَّفَ عن كشفها إلى أن يعرف موقع رأيه فيها ؛ فوقع على رُفْعَتِهِ : قرأت هذه الرُقعة المذمومة ، وسُوق السَّعَاة مُكْسِدٌ عندنا ، وأَسْنَتُهُمْ تَكِلُ فى أيامنا ؛ فاحمل الناس على قانونك ، وخذهم بما فى ديوانك ؛ فلم ترد للناحية لكشف الرسوم العافية ، ولا لِتُحْيِي الأعلام الدائرة ، وجئتنى وتجنَّب قول جرير :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ * رَحَلْتَ يَخْزِيَةً وَتَرَكْتَ عَارًا

قالوا : وكان الفضل بن يحيى يكره السَّعَاة ، فاذا أتاه ساع قال له : إن صدقنا أبغضناك ، وإن كذبتنا عاقبناك ، وإن آستقلتنا أقولناك .

وحكى صاحب العقد قال : قال العُتْبِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدِ الْقَصْرِىِّ قَالَ : نظر إلى عمرو بن عُتْبَةَ ورجل يشتم بين يدي رجلا ، فقال لى : وَيْلَكَ ! — وما قال لى ويملك قبلها — نَرَهُ سَمْعَكَ عَنْ أَسْتِمَاعِ الْخَلَا ، كما تَنَرَهُ لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ؛ فإن السامع شريك القائل ، وإنه عمد إلى شَرِّ ما فى وعائه فأفرغته فى وعائك ؛ ولو

رَدَّتْ كَلِمَةً جَاهِلٌ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهَا ، كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا ؛ وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى شَرِيكَ الْقَائِلِ ، فَقَالَ : ﴿ سَمَاعُونَ لِكَذِبٍ أَكَّالُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ .



وَمَا قِيلَ فِي الْغِيْبَةِ وَالنِّمِیَّةِ : رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : "إِذَا قُلْتَ فِي الرَّجُلِ مَا فِيهِ فَقَدْ آغْتَبْتَهُ ، وَإِذَا قُلْتَ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ" .
إِغْتَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ تَلَمَّظْتَ بِمُضْغَةٍ طَالَمَا لَفَظَتْهَا الْكَرَامُ .
وَذُكِرَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ ، فَنَالَ مِنْهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، أَوْحَشْتَنَا مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَيَّامَنَا مِنْ مَوَدَّتِكَ ، وَدَلَلْتَنَا عَلَى عَوْرَتِكَ .

وَأَغْتَابَ رَجُلٌ عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ آسَدَلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عَيُوبِكَ بَمَا تَذَكَّرُ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ؛ لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعَيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدَرِ مَا فِيهِ مِنْهَا ؛ أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَا تَهْتَكُنْ مِنْ مَسَاوِي الْبَاسِ مَا سَتَرُوا * فَيَهْتِكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِّرُوا * وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَدْكَرُ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ ، وَدَعَّ مِنْهُ مَا تُحِبُّ أَنْ يَدَعَّ مِنْكَ .

(١) كَذَا فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٧ ، وَفِي الْأَصُولِ : «عَلَيْهِ» .

(٢) فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ ج ٢ ص ١٤ وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ ج ١ ص ٢٣٧ : «عَابَ رَجُلًا» .

(٣) فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ : «بِمَا تَكْثُرُ» .

(٤) فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ (مَجْلَدُ ثَانٍ ص ١٨) : «لَا تَلْتَمِسُ ... * فَيَكْشِفُ ... الخ» .



وقال بعض الملوك لولده وهو وليّ عهده : يا بُنَيَّ ، ليكنْ أبغضْ رعيّتك إليك أشدّهم كشفًا لمعايب الناس عندك ، فإنّ في الناس معائب وأنت أحقّ إسْتِرها ، وإنما تحكّم فيها ظهر لك ، والله يحكّم فيها غاب عنك ؛ وآكره للناس ما تكرهه لنفسك ، وآستُر العورة يَسْتُر الله عليك ما تُحِبُّ ستره ؛ ولا تعجلْ الى تصديق ساع ، فإن الساعي غاشٌّ وإن قال قَوْلُ نُصح .

وَوَشَى وِاش رجل الى الإسكندر ؛ فقال له : أُتِحِبُّ أن نقبلَ منك ما قلتَ فيه ، على أن نقبلَ منه ما يقولُ فيك ؟ قال : لا ، قال : فَكُفَّ عن الشريكف عنك . وقال ذو الرّياستين ^(١) : قُبُول النِّمَّةِ شَرٌّ مِنَ النِّمَّةِ ، لأن النِّمَّةَ دَلالة ، والقَبُول إجازة ، وليس من دَلَّ على شيء كمن قَبِلَه وأجازَه .

قال أبو الأسود الدؤليّ :

لَا تَقْبَلْ نِمْمَةً بُلْغَتْهَا * وَتَحْفَظْ مِنَ الذِّى أَنْبَاكَهَا

إِنْ الذِّى أَهْدَى إِلَيْكَ نِمْمَةً * سَنِمُّ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا ^(٢)

وقال رجل لعمر بن عبّيد : إن الأسواريّ لم يزل يذكرُ ويقول : الضالّ ، فقال عمرو : يا هذا ! والله ما راعيتَ حقَّ مجالستِه حين تَقَلَّتْ إليّا حديثُه ، ولا راعيتَ حقَّ حين أبلغتني عن أخى ، آكرهُه ؛ اعلم أن الموت يعمّنَا ، والبعث يَحْشُرُنَا ، والقيامة تجعّنَا ، والله يُحكّم بيننا [وهو خير الحاكمين] ^(٣) .

(١) وردت هذه العبارة في عيون الأخبار المجلد الثاني ص ٢٣ بتأثير في بعض كتابتها مع زيادة عما ها .

(٢) رواية العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧

إن الذى أنبأك عنه نيمّة * سيدب عنك بمثلها قد حاكها

(٣) كذا في تذكرة الصفى وإحياء العلوم للزلى ج ٣ ص ١١٩ ، وقد ضبطه في المشتبه للذهبي بضم الحمة نسبة الى الأساورة من تميم ، وفتحها نسبة الى قرية بأصبهان . وفي الأصول : « الأسواريّ » وهو مخجريف . (٤) كذا في تذكرة الصفى وإحياء العلوم للزلى ، وفي الأصول : « حتى » .

(٥) زيادة عن الإحياء .

وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه، فأنكره الأحنف : بلغني عنك الثقة؛ فقال الأحنف : إن الثقة لا يُبلغ .

قال بعض الشعراء :

لعمرك ما سبَّ الأميرَ عدوُّه * وليكنَّا سبَّ الأميرِ المُبلغِ

وقال ابن المعتز^(١) : الساعي كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه .

وقالوا : النّام شرٌّ من الساحر؛ فإن النّام يُفْسِد في الساعة الواحدة ما لا يفْسده الساحر في المدة الطويلة .

وقالوا : النّيمة من الخلال الذميمة ، تدلُّ على نفس سقيمة ، وطبيعة ليّمة ؛ مشغوفة بهتك الأستار ، وإفشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء : الأشرار يتبعون مساوى الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتبع الذبابُ المواضع المألّمة من الجسد ، ويترك الصحيحة .

وقالوا : لم يَمْشِ ماش ، شرٌّ من واش . والساعي بالنيمة كشاهد الزور ، يهلك نفسه ، ومن سعى به ، ومن سعى إليه .

وقالوا : "حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ" . وقد لهج الشعراء بدم النّام ، وجعلوه

من أهاجهم . قال بعض الشعراء :

من تَمَّ في الناس لم تُؤْمَنْ عقاربُه * على الصديق ولم تُؤْمَنْ أَقَاعِيهِ
كالسَّيل بالليل لا يدرى به أَحَدٌ * من أين جاء ولا من أين يأتيه

وقال السري الرفاء :

أَتَمَّ بما أسْتُوْدِعْتَهُ من زُجاجة * تَرَى الشَّيْءَ فيها ظاهراً وهو باطِنٌ

(١) في تذكرة الصنفى : « قال على كرم الله وجهه : الساعي ظالم لمن سعى به خائن لمن سعى اليه » .

وقال محمد بن شرف :

وناصب نحو أفواه الورى أذناً * كالفعب يلقط فيها كل ما سقطاً
يطلُّ يلقط الأخبار مجتهداً * حتى إذا ما وعها زق ما لقطاً
وقال ابن وكيع :

يُنم بسرُّ مسترعيه لئوما * كما تم الظلام بسرَّ نارِ
أنم من النصول على مَشيب * ومن صافى الزجاج على عذارِ

وقال الحسن البصري : لا غيبة في ثلاثة : فاسق مجاهر ، وإمام جائر ،
وصاحب بدعة [لم يدع بدعته] .^(١)

وكتب الكسائي الى الرقاشي :

تركت المسجد الجامع * مع والترك له ريبه
[فلا نافلة تقضى * ولا تقضى لمكتوبه]
وأخبارك تأتينا * على الأعلام منصوبة
فإن زدت من الغيب * زدت من الغيبه

ذكر ما قيل في البخل واللؤم

والبخل : منع الحقوق ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ دُو
خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ" .

وقال بعض السلف : منع الجود سوء ظن بالمعبود ، وتلا : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

- وروى أبو بكر الخطيب في كتاب البخل بإسناده عن أبي هريرة ^(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزييني فترينت ، ثم قال لها أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسيل وعين الكافور وعين التسنيم ونهر الجمر ونهر العسل ونهر اللبن ، ثم قال لها أظهري حورك وحالك وسورك وحمالك ، ثم قال لها تكلمي فقات طوبى لمن دخلني ، فقال الله عز وجل أنت حرام على كل بخيل" .

١٠

وقال سقراط : الأغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمر ، تحمل الذهب والفضة ، وتعتف التبن والشعير .

وقالوا : البخل من سوء الظن ، ونحول الهمة ، وضعف الروية ، وسوء الاختيار ، والزهد في الخيرات .

- وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : البخل جامع للساوئ والعيوب ، وقاطع للودات من القلوب .

(٩)

وقالوا : حد البخل . منع المسترشد مع القدرة على رفقده .

(١) ورد هذا الحديث في إحياء العلوم للقرطبي (ج ٣ ص ١٩١) مرويا عن ابن عباس ويختلف

عما هنا بزيادة بعض كلمات .

(١١) وكان أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخيل ، ويقول محتجاً لذلك : إن البخيل يحمله بخله على أن يأخذ فوق حقه مخافة أن يُغبن ؛ ومن كان هكذا لا يكون مأمونا .

وقال بشر بن الحارث الحافي : لا رغبة لبخيل ، ولشروطي سخي أحب إلى من عابد لبخيل .

وقالوا : البخيل لا يستحق أسم الحرية ، فإن ماله يملكه .

ويقال : لا مال للبخيل ، وإنما هو لماله .

وقال الحسن البصري : لم أر أشقى بماله من البخيل ؛ لأنه في الدنيا يهتم بجمعه ، وفي الآخرة يحاسب على منعه ؛ غير آمن في الدنيا من هسه ، ولا ناج في الآخرة من إثمه ؛ عيشه في الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء . ودخل رحمه الله على عبد الله بن الأهمم يعود في مرضه ، فراه يصعد بصره ويصوبه إلى صندوق في بيته ، ثم ألقت إليه ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول في مائة ألف دينار في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل بها رحماً ؟ فقال له : نكثك أملك ! ولم كنت تجمعها ؟ قال : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، وتكاثر العشيرة . ثم مات فشهدته الحسن ؛ فلما فرغ من دفنه ، ضرب بيده على القبر ، ثم قال : انظروا إلى هذا ، أتاه شيطانه نخوفه روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، بما استودعه الله إياه ، وعمره فيه ، انظروا إليه كيف خرج مذموماً مدحوراً ! ثم ألقت إلى وارثه ، فقال : أيها الوارث لا تخدعن كما خدع صويحبك بالأمس ، أتاك هذا المال حلالاً ، فلا يكونن عليك وبالأب ؛ أتاك عفوا صفوا ، ممن كان له جموعاً منوعاً ؛ من باطل جمعه ، ومن حق منعه ؛ قطع فيه بلج البحار ، ومفاوز القفار ؛ ولم تكذب لك فيه عين ولم يعرق لك

فيه جبين، إن يوم القيامة يوم ذو حَسَرَات، وإن من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك في ميران غيرك، فيا لها حسرة لا تُقال، وتوبة لا تُتال ! .

ومن أخبار البخلاء : قيل : بخلاء العرب أربعة : الخطيئة، وحُميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان، وتُقلت عنهم أمور دلت على بخلهم .

- أما الخطيئة : فقد حكى عنه : أنه مرَّ به ابن الحمامة، وهو جالس بفناء بيته، فقال له : السلام عليكم، فقال : قلت ما لا يُنكر، فقال : إني خرجتُ من [عند] أهلي بغير زاد، قال : ما ضمنتُ لأهلك قِراك، قال : أفأذن لي أن آتي ظلَّ بيتك فاتقياً به؟ قال : دونك الجبل يغيء عليك، قال : أنا ابن الحمامة، قال : آنصرف وكن ابن أوى طائر شئت . قال : وآعترضه رجل وهو يرعى غنماً، فقال له : يا راعي الغنم، وكان بيد الخطيئة عصاً فرفعها، وقال : عجراً من سلم، فقال الرجل : إنما أنا ضيف، فقال : للأضياف أعددتها [فآنصرف عنه] . وكان الخطيئة أحد الحمقى، أوصى عند موته أن يُحمل على حمار، وقال : لعلَّ إن حُملتُ عليه لا أموت، فإني ما رأيت كريماً مات عليه قط . وقال : لكلَّ جديد لذة، إلا جديد الموت، فإني رأيت غير لذيذ . وقيل له : أوص، فقال : أوصي أن مالى للذكور دون الإناث، قالوا : فإن الله ليس يقول كذلك، قال : لكني أقوله . وقالوا له : قل لا إله إلا الله، فقال : أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .

(١) زيادة عن الأعاني ج ٢ ص ١٧١ طبع دار الكتب .

(٢) وردت هذه العادة في الأعاني ج ٢ ص ١٩٧ برواية تختلف عما هنا .

(٣) رواية الأعاني : قال أبلغوا أهل ضابي أنه شاعر حيث يقول :

ومن أخباره : أن الزُّبرقان^(١) بن بدر بَقِيَه في سفرٍ ، فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟
فقال : أَنَا حَسَبٌ مَوْضُوعٌ ، أَنَا أَبُو مُلَيْكَةَ ، فقال له الزُّبرقان : إِنِّي أُرِيدُ وَجْهًا ،
فَصِرْ إِلَى مَتَلَى ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَرْجِعَ ؛ فَصَارَ الْحَطِيطَةُ إِلَى أَمْرَأَةِ الزُّبْرِاقَانِ ،
فَأَنزَلَتْهُ وَأَكْرَمَتْهُ ، فَخَسَدَهُ بَنُو عَمِّهِ ، وَهُمْ بَنُو لَأَيٍّ ، فَقَالُوا لِلْحَطِيطَةِ : إِنْ تَحُولَتْ إِلَيْنَا ،
أَعْطَيْنَاكَ مِائَةَ نَاقَةٍ ، وَتَشُدُّ إِلَى كُلِّ طَنْبٍ مِنْ أَطْنَابِ بَيْتِكَ جُلَّةً هَجْرِيَّةً ، وَقَالُوا
لَأَمْرَأَةِ الزُّبْرِاقَانِ : إِنْ الزُّبْرِاقَانِ إِنَّمَا قَدِمَ هَذَا الشَّيْخُ لِيَتَرَوَّجَ بَنَتُهُ ، فَقَدَحَ ذَلِكَ
فِي نَفْسِهَا ؛ فَلَمَّا أَرَادَ الْقَوْمُ النُّجْمَةَ تَخَلَّفَ الْحَطِيطَةُ ، فَتَغَافَلَتْ عَنْهُ أَمْرَأَةُ الزُّبْرِاقَانِ ،
فَاحْتَمَلَهُ الْقُرَيْعِيُّونَ وَوَقَفُوا لَهُ بِمَا قَالُوا ؛ فَمَدَحَهُمْ وَهَجَا الزُّبْرِاقَانِ ، فَقَالَ :

أَزْمَعْتُ بِأَسَا مُبِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ * وَلَا يُرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْبَاسِ

دَجِ الْمَكَارِمِ لَا تَرَحَّلْ لُبْغِيهَا * وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ * لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فَاسْتَعْدَى الزُّبْرِاقَانُ عَلَيْهِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَحُكِّمَ عُمَرُ حَسَانَ
ابْنَ ثَابِتٍ ، فَقَالَ حَسَانٌ : مَا هِجَاءٌ وَلَكِنْ سَلَحَ عَلَيْهِ ، فَخَبَسَ عُمَرُ الْحَطِيطَةَ فَقَالَ
يَسْتَعْطِفُهُ :

(١) ذَكَرَ هَذَا الْخَبْرُ فِي الْأَعْنَى (ج ٢ ص ١٨٠) بِتَبْطِطِ عَمَّا هَا .

(٢) أَى جَهَةٍ ، وَالْمَرَادُ بِهَا الْعِرَاقُ كَمَا فِي الْأَعْنَى .

(٣) كَذَا فِي الْأَعْنَى . وَالْجُلَّةُ : وَعَاءٌ يُخْذُ مِنَ الْخُوصِ يُوَضَّعُ فِيهِ التَّمْرُ يَكْثُرُ فِيهِ . وَفِي الْأَصْلِ :

«حَلَّةٌ» تَحْوِيهِ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٤) رَوَايَةُ الْأَعْنَى : «فَقَالَ عُمَرُ لِحَسَانَ : أَتَرَاهُ هِجَاءً ؟ قَالَ : نَعَمْ وَسَلَحَ عَلَيْهِ فَخَبَسَهُ عُمَرُ» .

ماذا تقول لأفراخ يَدِي مَرِيخ ^(١) * حَمْرِ الحواصل لا ماء ولا شَجَرُ ^(٢)
أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ * فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامَ اللَّهِ يا عَمْرُ ^(٣)
ما أَثْرُوكَ بها إِذْ قَدَّمُوكَ لها * لَكِنْ لأنفُسَهُمْ كانتْ بِكَ الأَثَرُ ^(٤)

فأخرجه عمر وجلس على كرسى، وأخذ بيده شفرة، وأوهم أنه يريد قطع لسانه،
فضج وقال : إني والله يا أمير المؤمنين قد هجوتُ أبي وأُمِّي وأمرأتي ونفسي، فتبسم
عمر ثم قال : ما الذى قلت ؟ قال : قلتُ لأبي وأُمِّي :

٩٢

ولقد رأيتك فى النساء فسؤيتنى * وأبأ بنبك فسأنى فى المجلس
وقلتُ لأبى خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم * وبئس الشيخ أنت لدى المعالى

وقلت لأُمى خاصة :

تَحَيَّ وَأَجْلِسْ مَنى بعبدا * أراح الله منك العالمينا
أَغْرِبْ بالآلِ إِذا اسْتُدْعِيَ سِيراً * وَكأنونا ^(٥) على المتحدِّثينا ^(٦)

وقلت لأمرأتى :

أطوف ما أطوف ثم آتى ^(٧) * إلى بيت قعيدته لكاع

- ١٥ (١) يروى «بذى أمر» . وذكر صاحب القاموس فى مادة «مرخ» أن ذا مرخ بالتحريك :
واد بالحجاز . وقال ياقوت : هو واد بن فذك والوابشية كثير الشجر، وأورد هذا البيت ، ثم قال :
والرواية المشهورة «بذى أمر» . وذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان .

(٢) فى الأغانى : «زغب الحواصل» .

(٣) رواية الأغانى : «لم يأثروك» .

(٤) الأثر : جمع أثرة وهى المكربة المتوارثة .

(٥) الغريال : يريد به التمام .

(٦) الكانون : يريد به الثقل الوخم من الناس .

(٧) الرواية المشهورة فى هذا البيت : «ثم آوى» .

وقلت لنفسى :

أبث شفتائى اليومَ إلا تَكَلَّمَا * بسوء فما أدرى لمن أنا قائِلُهُ ^(١)
أرى لى وَجْها شَوْهَ الله خَلَقَهُ * فَفَجَّحَ من وَجْهِهِ وَقُبَّحَ حَامِلُهُ

نفلى عمر سبيله ، وأخذ عليه ألا يهجو أحدا ، وجعل له ثلاثة آلاف اشترى بها منه
أعراض المسلمين ؛ فقال يذكر نهيَه إياه عن الهجاء ويتأسف :

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع * شَتْمًا يَضُرُّ ولا مِدِيحًا يَنْفَعُ
ومنتعني عَرَضَ البخيل فلم يخف * شَتْمِي وَأَصْبَحَ آمِنًا لا يَحْزَعُ ^(٢)

وأما حميد الأرقط : فكان هجاء للضيف ، فحاشا عليه ، فَنَزَلَ به ضيف ذات
ليلة ، فقال لأمراته : نزل بك البلاء ، قومي فأعدى لنا شيئا ، ففعلت ؛ فجعل
الضيف يأكل ويقول : ما فعل الحجاج بالناس ؟ فلما فرغ قال حميد :

يمر على الأطناب من جذل بيتنا * هَجَفَ لمخزون التَّحِيَّةِ بِأَذِلُّ ^(٣)
يقول وقد أَلْقَى المراسي لِلْقَرَى * أَيْنَ لى ما المَحْجَاجُ بالناس فاعِلُ
فقلت لعمري ما لهذا أتينا * فكلُّ ودع الأخبار ما أنت آكلُ
تَدْبِرُ كَفَاهُ وَيُحْدِرُ حَلْقَهُ * الى الصدر ما حازت عليه الأنايِلُ ^(٤)
أنا ولم يَعِدْهُ سَجْبَانُ وائِلِ * بيانا وَعَلَمًا بالذى هو قائلُ
فا زال عنه اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ * من العيِّ لَمَّا أَنَّ تَكَلَّمَ بِأَقِلُّ

(١) رواية الأغاني : « بشر » .

(٢) رواية الأغاني : « وحيثي ... اللثم ... ذى ... فزع » .

(٣) لعله : « يحل » . والمهجع : الجافى الثقليل .

(٤) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٧) :

« يجهز ... الى الزور باضمت ... الخ »

ونزل به أضياف، فأطعمهم تمرا وهجاء، وادعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال :
 باتوا وجلستنا^(١) الصهباء حوله^١م * كأن أظفارهم فيها السكاكين^١
 فأصبحوا والنوى^(٢) على^٢ معرسيهم * وليس كل النوى^٢ تلقى المساكين^٢

وأما خالد بن صفوان : فكان إذا أخذ جائزته، قال للدرهم : طالما سرت
 في البلاد ، أما والله لأطيلن حبسك ، ولأدينن^٣ بئتك . وقيل له : مالك لا تنفق ،
 فإن مالك عريض ؟ فقال : الدهر أعرض منه ، قيل : كأنك تؤمل أن تعيش
 الدهر كله ، قال : ولا أخاف^(٣) أن أموت في أوله .

وأما أبو الأسود الدؤلي : فعمل دكانا عاليا يجلس عليه ، فكان ربما أكل
 عليه فلا يتاله المجاز ، فتربه أعرابي على جمل فعرض عليه أن يأكل معه ، وظن
 أنه لا يتاله ، فأناخ الأعرابي بعيره حتى وازى الدكان ، وأكل معه ، فما جلس
 بعد ذلك على الدكان . وكان يقول : لو أطينا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا
 منهم . وقال لبنيه : لا تطمعوا المساكين في أموالكم ، فإنهم لا يقنعون منكم حتى
 يروكم في مثل حالهم . ووقف عليه أعرابي وهو يتغدى ، فسلم عليه ، فردّ عليه ، ثم
 أقبل على الأكل ولم يعرض عليه ، فقال الأعرابي : أما إني قد مررت بأهلك ،
 قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون ، قال : كذلك فارتقتهم ، قال :
 وأمرأتك حبلى ، قال : كذلك كان عهدى بها ، قال : ولدت ، قال : ما كان بدّها
 أن تلد ، قال : ولدت غلامين ، قال : كذلك كانت أمها ، قال : مات أحدهما ،
 قال : ما كانت تقوى على رضاع اثنين ، قال : ثم مات الآخر ، قال : ما كان

(١) الجلة : ففة كبيرة للتمر .

(٢) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « ... ملق ... النى ... الخ » .

(٣) في العقد الفريد : « قال : لا ، ولكن أخاف ألا أموت في أوله » .

لَبِثَ بَعْدَ أَخِيهِ ، قَالَ : وَمَاتَ الْأُمُّ ، قَالَ : جَزَا عَلَى وَلَدَيْهَا ، قَالَ : مَا أَطِيبَ طَعَامَكَ ! قَالَ : ذَلِكَ جَزَائِي عَلَى أَهْلِهِ ، قَالَ : أَفَّ لَكَ مَا الْأَمَلَكُ ! قَالَ : مِنْ شَاءَ سَبِّ صَاحِبِهِ .

ونظير هذه الحكاية : مَا حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا مَرَّ بِأَخْرَ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بَنَ عَمِّ ؟ قَالَ : مِنَ النَّبِيَّةِ ، قَالَ : فَهَلْ أَتَيْتَنَا مِنْهَا بِخَبَرٍ ؟ قَالَ : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ، قَالَ : كَيْفَ عِلْمُكَ بِبَحْيٍ ؟ قَالَ : أَحْسَنَ الْعِلْمِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِكَلْبِي نَفَّاعٍ ؟ قَالَ : حَارِسَ الْحَيِّ : قَالَ : فَبِأَمِّ عُثْمَانَ ؟ قَالَ : نَجَّ نَجَّ ! وَمَنْ مِثْلَ أُمِّ عُثْمَانَ ! لَا تَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَّا مَنْحَرَفَةً بِالشَّيَابِ الْمُعْصَفَرَاتِ ، قَالَ : فَبِعُثْمَانَ ؟ قَالَ : وَأَبِيكَ فَإِنَّهُ جَرَّوْا الْأَسَدَ وَيَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ وَبِيَدِهِ الْكِسْرَةُ ، قَالَ : فَجِئْتُمَا السَّقَاءَ ؟ قَالَ :

إِنْ سَنَامُهُ لَيَخْرُجُ مِنَ الْغَيْطِ ، قَالَ : فَبِالِدَارِ ؟ قَالَ : وَأَبِيكَ ، إِنَّهَا لَخَصِيْبَةُ الْجَنَابِ ، عَامِرَةُ الْفَنَاءِ ، ثُمَّ قَامَ عَنْهُ وَقَعَدَ نَاحِيَةً يَا كُلَّ فُلَا يَدْعُوهُ ، فَمَزَّ كَلْبَ فَصَّاحٍ بِهِ وَقَالَ : يَا بَنَ عَمِّ ، أَيْنَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ نَفَّاعٍ ؟ قَالَ : يَا أَسْفَا عَلَى نَفَّاعٍ ! مَاتَ ، قَالَ : وَمَا أَمَاتَهُ ؟ قَالَ : أَكَلْتُ مِنَ لَحْمِ الْجَلِ السَّقَاءَ ، فُغْضَ بَعْظُمٌ مِنْهُ فَمَاتَ ، قَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ ، أَوْ قَدْ مَاتَ الْجَلُ ! فَمَا أَمَاتَهُ ؟ قَالَ : عَثَرَ بِقَبْرِ أُمِّ عُثْمَانَ ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ ، قَالَ : وَيَلْمُكَ ! أَمَاتَتْ أُمُّ عُثْمَانَ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، أَمَاتَهَا الْأُسْفُ عَلَى عُثْمَانَ ، قَالَ :

وَيْلَكَ ! أَمَاتَ عُثْمَانَ ؟ قَالَ : إِي وَعَهْدُ اللَّهِ ! سَقَطَتِ الدَّارُ عَلَيْهِ ، فَرَمَى الْأَعْرَابِيَّ بِطَعَامِهِ وَنَثَرَهُ وَأَقْبَلَ يَنْتَفِ حَيْتَهُ وَيَقُولُ : إِي أَيْنَ أَذْهَبُ ! فَيَقُولُ الْآخَرُ : إِلَى النَّارِ . وَأَقْبَلَ يَلْتَقِطُ الطَّعَامَ وَيَأْكُلُهُ وَهَزَأَ بِهِ وَيَضْحَكُ ، وَيَقُولُ : لَا أَرْغَمُ اللَّهَ إِلَّا أَنْفَ اللَّثَامِ .

وَكَانَ أَحْيَعُ بْنُ الْجُلَّاحِ مِنَ الْبُحْلَاءِ ، وَكَانَ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا طَلَعَ أَطْمَةً ، يَنْظُرُ إِلَى نَاحِيَةِ هُبُوبِهَا ثُمَّ يَقُولُ : هُبِّيْ هُبُوبَكَ ، فَقَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ ثَلَاثِينَ وَسْتِينَ صَاعًا مِنْ

(١) فِي الْأَصُولِ : « فَاغْنِص » وَلَمْ يَرِدْ فِي كُتُبِ اللَّغَةِ إِلَّا مَا أُثْبِتَ .

نَجْوَة ، أدفع الى الوليد منها خمس تمرات ، فيردّ علىّ منها ثلاثا ، أى لصلابتها بعد جهد ما يُلوكُ منها .

والعرب تضرب المثل في اللؤم بِمَادِرٍ ، تقول : هو أَجَلٌ من مَادِرٍ ، ويزعمون أنه بنى حوضا وسقى إبله ، فلما أصدرها سَلَحَ في الحوض ، لئلا يَسْقَى غَيْرُهُ فيه .

- وكان عُمر بن يزيد الأسدي مَبْخَلًا جدًا ، فأصابه القَوْلُجُ فحَفَنه الطيب بذهن .
كثير ، فَأَنخَلَ ما في بطنه ، فلما أبرزه قال للغلام : ما تصنع به ؟ قال أَصَبُّه ، قال : لا ، ولكن مِيزَ الدَّهْن منه وآستصبح به .

- وقال سلم بن أبي المعافى : كان أبي متنجياً عن المدينة ، وكان الى جنبه مزرعة فيها قَتَاء ، وكنت صبياً بغاءني صبيان أقران لي ، فكلمتُ أبي ليهب لي درهما اشتري لهم به قَتَاء ، فقال لي : أتعرف حال الدرهم ؟ كان في جَمَر في جبل ، فَضْرِب بالمعاول ، حتى أَسْتُخْرِج ، ثم طَحِن ثم أَدَخِل القِدْرَ وَصَبَّ عليه الماء ، وَجُمِع بالزُّبْق ، ثم صَفَّي من رَق ، ثم أَدَخِل البار فُسْبَك ، ثم أُنْجِر فَضْرِب ، وَكُنِب في أحد شِقَيْهِ : لا إله إلا الله ، وفي الآخر : محمد رسول الله ، ثم حُمِل الى أمير المؤمنين ، فأمر بإدخاله بيت ماله ، ووَكَّل به عُوَج القلائس صُهب السَّبال ، ثم وهبه لجارية حسناء جميلة وأنت والله أقبح من قِرْدٍ ! أو رَزَقه رجلا شجاعا وأنت والله أجبن من صُرْدٍ ! فهل ينبغي لك أن تَمْس الدرهم إلا بشوب ! .

ومثله قول سهل بن هارون ، وقد قال له رجل : هبني مالا مَرَزِيَّةً عليك فيه ، قال : وما ذاك ؟ قال : درهما واحدا ، قال : يابن أخى لقد هَوَّنَ الدرهم ، وهو طابع

(١) كذا في المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٨٧) وجمع الأمثال لابن أبي (ج ١ ص ٩٧) وفي الأصول :

« الأم » .

الله في أرضه، والدرهم ويحك ! عُشْر العشرة، والعشرة عشر المائة، والمائة عشر الألف، والألف عشريّة المسلم، ألا ترى يابن أخى كيف انتهى الدرهم الذى هو نَتَه ؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ؟ .

وقال سليمان بن مزاحم وقد وقع بيده درهم، بفعل يقبله، ويقول : في شق، لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ وفي شق، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ما ينبغي لهذا إلا أن يكون تعويذاً أو رُقِيَّة، ويرمى به في الصندوق .

كان بعضهم إذا صار الدرهم في يده يخاطبه ويقول : أبى وأُمى أنت، كم من أرضٍ قطعْتَ، وكيس خرقْتَ، وكم من حامل رفعتَ، ومن رفيع أنحلتَ ؛ لك عندى ألا تعرَى ولا تضحى، ثم يلقيه في كيسه فيقول : آسكن على اسم الله في مكان لا تزول عنه، ولا تُزج منه .

ومن البخلاء "مُرَبِّد" وله حكايةٌ نذكرها، قيل : كان بالمدينة جارية جميلة مَغْنِيَّة، يقال لها : "بَصْبُصُ" وكانت الأشراف تجتمع عند مولاهما، فاجتمع يوماً عنده محمد بن عيسى الجعفرى وعبد الله بن مُصعب الزبيرى في جماعة من الأشراف، فنذاكروا أمر مزبد وبخله؛ فقالت الجارية : أنا أخذ لكم منه درهما، فقال لها مولاهما : أنت حرة إن فعلتِ إن لم أشتريك مخنقة بمائة دينار وثوب وشئ بمائة دينار، وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر فيه بدنةً، فقالت : حى به ! وأرفع [عنى] الغيرة حتى أفعل، فقال : أنت حرة إن منعك منه، ولأعاونته عليك إن حصلت منه الدرهم؛ فقال عبد الله بن مُصعب : أنا آتيكم به، قال عبد الله : فصليتُ الغداة في المسجد، فإذا أنا به قد أقبل، فقلتُ : يا أبا إسحاق، أما تُحب أن ترى

بصبص ؟ قال : بلى والله ، وأمرأته طالق إن لم تكن له سنة يشتهى أن يلقاها ، فقلت له : إذا صليت العصر ، فأتني هاهنا ، فقال : أمرأته طالق إن برح من هاهنا الى العصر قال : فانصرف في حوائجي ؛ فلما كان العصر جئت فوجدته فاخذت بيده وأيتهم به ، فأكل القوم وشربوا حتى صليت العتمة ، ثم تساكروا وتناوموا ؛ فاقبلت بصبص على مريد ، فقالت له : يا أبا إسحاق ، كأن^(١) والله في نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة :

لقد حنوا الجمال لهم ربوا منا فلم يثلوا

فقال لها : أمرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ ؛ فغته إياه ، ثم قالت له : كأنني بك تشتهى أن أقوم من مجلسي فأجلس إلى جنبك فتدخل يدك في جلبابى ؟ فقال : أمرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام ، وما تكسب الأنفس غدا ، قالت : فقم ، فقام وجلس إلى جانبها وغنت له ، ثم قالت : أعلم أنك تشتهى أن أغنيك :

أنا أبصرت بالليل * غلاما حسن الدل

كفصن البان قد أصب * يح مسقيا من الطل

فقال لها : أمرأته طالق إن لم تكوني نية مرسلة ، فغته وقبلها ، ثم قالت : يا أبا إسحاق ، هل رأيت قط أنزل من هؤلاء ؟ يدعونك ، ويخرجونني اليك ولا يشترتون قنلا ولا ريحانا ، كأنني بك وفي جيبي درهم وأنت تقول : الساعة أخرجه

(٩٤)

(١) كذا في الأغاني : ج ١٣ ص ١١٧ . وفي الأصول : « كأن » .

(٢) رواية الأغاني : « كأن في نفسك تشتهى أن تقوم من مجلسك لتجلس الى جاني » .

(٣) كذا في الأغاني : وفي الأصول : « يدعوتني ويدعونك ... الخ » .

واعطيها لياها ، وتشترى به ما تريد ؛ فقام من جنبها وقال : ^(١) أخطأت أستك الحفرة ،
وأنقطع عنك الوحى ، ووثب وجلس ناحية ، فآتبه القوم وعطّطوا عليها ^(٢) وعلموا
أن حيلتها لم تتم ، ونخرج من عندهم ولم يعد إليهم .

وقال بعضهم : بُتُّ عند رجل من اهل الكوفة من الموسرين وله صبيان نيام ،
فرايته فى الليل يقوم فيقلبهم من جنب الى جنب ، فلما أصبحنا سألته عن ذلك ،
فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار ، فيمرّهم الطعام ، ويصبحون
جوعا ، فانا أقلبهم من اليسار الى اليمين لئلا ينضمّ ما أكلوه سريعا .

وكان زياد بن عبد الله الحارثي واليا على المدينة ، وكان فيه بُخلٌ وجفاء ،
فأهدى اليه كاتب له سِلَالًا فيها أطعمةٌ ، وقد تنوّق ^(٣) فيها ، فوافته وقد تغدّى فقال :
ما هذه ؟ قالوا : غداء بعثه فلان الكاتب ، فغضب وقال : يبعث أحدهم الشيء
فى غير وقته ، يا خَيْثَمُ بن مالك — يريد كاتبُ شرطته — ادع لى أهل الصّفّة يا كلون
هذا ، فبعث خيثم الحرس يدعونهم ، فقال الرسول الذى جاء بالسّلال : أصالح
الله الأمير ، لو أمرت بهذه السلال تُفتح ويُنظر ما فيها ، قال : أكشفوها ، فإذا طعام
حسن من دجاج وفراخ وجداءٍ وسمكٍ وأخيصّة وحلّواء ، فقال : أرفعوا هذه السّلال ؛
وجاء أهل الصّفّة فأخبرهم ، فأمر بإحضارهم وقال : يا خَيْثَمُ ! أضرّ بهم عشرة
أسواط ، فإنه بلغنى أنهم يفسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) هذا مثل يضرب لمن أراد شيئاً فلم يله .

(٢) الطعملة : حكاية أصوات الحبان اذا قالوا : عيط عيط .

(٣) وردت هذه الحكاية فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) والأغانى (ج ١٧ ص ١٠٢)

باختلاف فى العبارة مع اتفاق فى المعنى .

(٤) تنوّق : فى الأمر تجوّد وبالغ فيه كتنوّق .

ومن الخلفاء من يُنسب الى البخل، فمنهم عبد الملك بن مروان كان يلقب برثخ الحجر، ولبن الطير، لبخله .

ومنهم هشام آبنه، وكان ينظر في بيع الهدايا التي تُهدى اليه . حكي عنه أن أعرابياً أكل عنده فرفع اللقمة الى فيه، فقال له هشام: في لقمتك شعرة يا أعرابي؛ فقال : وإنك تلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة ، والله لا أكلتُ عندك أبداً ، ثم قام وأنصرف .

ومنهم أبو جعفر المنصور كان يلقب بأبي الدوانيق، لُقّب بذلك لأنه لما بنى مدينة بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصّناع ، فيقول لهذا : أنت نمتَ القائلة، ولهذا: لم تُبكر، ولهذا : أنصرفتَ قبل أن تُكملَ اليوم، فيسقط لهذا دانقا، ولهذا دافقين، فلا يكاد يعطى لأحد أجرة كاملة؛ وكان يقول : يزعمون أنّي بخيل، وما أنا بخيل، ولكن رأيتُ الناس عبيدَ المال، فمنعتُهم عنه ، ليكونوا عبيداً لي . ويُحكى عنه أنه قال لطباخه : لكم ثلاثة وعليكم آثنتان، لكم : الروس والأكارع والجلود، وعليكم ؛ الحبوب والتوابل . ومن حكاياته الدالة على بخله : أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يوما : يا أمير المؤمنين، إن الشعراء يبالبك وهم كثير، وقد طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم، فقال : اخرج إليهم وسلم عليهم، وقل : لهم من مدحنا منكم فلا يصف الأسد فإنما هو كلب من الكلاب، ولا الحية فإنما هي دويبة متنتة تأكل التراب ، ولا الجبل فإنه حجر أصم، ولا البحر فإنه عطن بضّ لُحِب، فمن ليس في شعره شيء من هذا فليُدخل ، ومن كان في شعره شيءٌ منه فليُصَرَف، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة فإنه قال : أنا له ياربيع، فأدخلني عليه فأدخله ، فلما مثل بين يديه، قال له : ياربيع قد علمت أنه لا يجيبك غيره، فأنشده قصيدته التي منها :

له لَحَظَاتٌ فِي حِفَافٍ سِريره * إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ
فَأَمَّ الذِي أَمَّنْتَ آمِنَةً الردى * وَأَمَّ الذِي خَوَّفْتَ بِالْثُكُلِ نَائِلٌ^(٢)

فرفع له السَّتر وأقبل عليه وأصغى إليه ؛ فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : يا إبراهيم ، لا تلتفها طمعا في نيل مثلها منّا ، فما كلَّ وقت تصل إلينا ؛ فقال إبراهيم : ألقاك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجَهْدُ^(٣) .
ودخل المؤمِّل بن أميل على المهديّ وكان بالرّى ، وهو إذ ذاك وليّ عهد أبيه المنصور ، فامتدحه بأبيات يقول فيها :

هو المهديُّ إِلَّا أَنْ فِيهِ * مَشَابَهَ صُورَةِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
تَشَابَهَ ذَا وَذَا فَهُمَا إِذَا مَا * أَنَارَا يُشْكِلَانِ عَلَى الْبَصِيرِ
فهَذَا فِي الضِّيَاءِ سِرَاجٌ عَدْل * وَهَذَا فِي الظَّلَامِ سِرَاجٌ نُورِ
وَلَكِنْ فَضْلُ الرَّحْمَنِ هَذَا * عَلَى ذَا الْمَنَابِرِ وَالسَّيْرِ
وبعض الشَّهْرِ يَخْفَى ذَا وَهَذَا * مِنْبِرٌ عِنْدَ نَقْصَانِ الشُّهُورِ^(٤)

وجاء منها :

فإن سبق الكبيرُ فأهلُ سَبَقٍ * له فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مَدَى كَبِيرٍ * فَقَدْ خُلِقَ الصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ

فأعطاه عشرين ألف درهم . فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو ببغداد ، فكتب الى المهديّ يلومه ويقول له : إنما كان ينبغي أن تعطى الشاعر إذا

(١) في ذيل الأملالى ص ٤٠ طبع دار الكتب المصرية : « عن » .

(٢) رواية ذيل الأملالى : « حاولت » .

(٣) الجهد : كاتب رسم استخراج المال وقبضه .

(٤) في الأغاني (ج ١٩ ص ١٤٨) :

وبعض الشهر يقص ذا وهذا * منير ... الخ » وإن كان قد ورد فيه محزما

- أقام ببابك سنة أربعة آلاف درهم ، وأمره أن يوجهه إليه ، فطُلب فلم يوجد ،
وتوجه الى بغداد فكتب الى المنصور بذلك ، فأمر بإرصاده فمُسك ، وقيل له : أنت
بغية أمير المؤمنين وطلبت به ، قال المؤمل : فكاد قلبي ينحليع خوفاً وفرقاً ، ثم أخذ بيدي
وأنتقلت بي الى الربيع ، فادخلني على المنصور ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا المؤمل
ابن أميل قد طُفِر به ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، فسكن جاشي وأطمأن قلبي
وزال روعي ، ثم قال لي : أتيت غلاماً غراً نخدعته فأنخدع ، فقلت : يا أمير المؤمنين ،
إنما أتيت ملكاً جواداً كريماً ، فمدحتُه فحملته أريحته على أن وصلني وبرني ، فأعجبه
ذلك ، ثم قال : أنشدني ما قلت فيه ، فأنشدته ، فقال : والله لقد أحسنت ، لكن
ما يساوي عشرين ألفاً ، ياربيع خذ المال منه ، وأعطه منه أربعة آلاف درهم .
فلبس ولي المهدي الخلافة ، قدم عليه المؤمل فأخبره بما كان بينه وبين أبيه ، فضحك
ورّد عليه ما أخذ منه .

وحكى ابن حمدون في كتابه المترجم بالتذكرة : أن المنصور حجّ في بعض السنين
لخدا به سالم الحادي يوماً بقول الشاعر :

- أبلغ بين حاجبيه نُورُهُ * إذا تغدّى رُفِعَتْ ستورُهُ
يزينه حياؤه وخيره * ومُسْكُهُ يَسُوبُهُ كافورُهُ

- فطرب المنصور حتى ضرب برجله الحَمَل ، ثم قال : ياربيع ، أعطه نصف
درهم ، فقال سالم : لا غير يا أمير المؤمنين ! والله لقد حدثتُ بهشام بن عبد الملك
فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، فقال المنصور : ما كان له أن يعطيك من بيت المال
ما ذكرت ، ياربيع وكلّ به من يستخرج منه هذا المال ، قال الربيع : فما زلت
أسفّر بينهما حتى شَرَطَ عليه أن يحدّو به في خروجه ورجوعه بغير مؤونة . وكان سالم

هذا يُورد الإبل ثمان ولتسع ولعشر، فيحدوها فيلُيها حدوه عن ورود الماء .
ومن طريف ما حكي عنه : أن عبيد الله بن زياد الحارثي، كتب إليه رقعة بليغة
يستميحه فيها، فوقع عليها : إن الغنى والبلاغة اذا اجتمعا لرجل أبظراه ، وإن
أمير المؤمنين مشفق عليك ، فاكثف بالبلاغة .

وقد ذمَّ الشعراء البخل وهجوا من آتصف به . فمن ذلك ، وهو أبلغ ما قاله مُحَدَّث ،
قول ابن الرومي :

[ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور]
الحابس الزوث في أعفاج بَغْلَتِهِ ^(٢) * خوفا على الحبِّ من لَقِطِ العَصَافِيرِ
وقال العسكري : أبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

يَقْرَعُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ * وإِسْ بَيْاقٍ وَلَا خَالِدٍ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ * تَنْفَسُ مِنْ مَنَحَرٍ وَاحِدٍ
[عذرناه أيام إعدامه ^(٣) * فما عذر ذى بَحْلٍ وَاحِدٍ]
رضيت لتشتيت أمواله * يَدَى وارثٍ ليس بالحامِدِ

وقال أبو تمام :

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِنْ قَالَ مَجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفِ فَذَلِكَ الْبَرُّ مِنْ قَسَمِهِ
وإن هممت به فافتك بُحْبَرَتِهِ * فَإِنْ مَوَقَعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ ^(٤) * عَلَى جَرَادِقِهِ كَانَتْ عَلَى حُرْمِهِ

(١) الزيادة عن المحاسن والأضداد للمباحظ طبع ليدن ص ٩٦ ، وقد نسب البيهقي لآخر لم يسمه
ولم يوجد هذان البيتان في ديوان ابن الرومي .

(٢) العفج : ما ينتقل اليه الطعام بعد المعدة .

(٣) الزيادة عن ديوان ابن الرومي المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩ أدب .

(٤) كذا في المقد الفريد . وفي الأصل : « لو كان » .

وقال دَعِيل :

إِسْتَبَقَ وَدَّ أَبَى الْمُقَا * تَلَّ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ
سَيَّانَ كَسَرُ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسَرُ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِهِ
وتراه من خوف التَّزِيدِ * لَلَّ بِهِ يُرَوِّعُ فِي مَنَامِهِ

وقال أبو هلال العسكري :

خُبِرَ الْأَمِيرَ عَشِيْقُهُ * يَغْدُو عَلَيْهِ يُلَاعِبُهُ
وَإِذَا بَدَأَ لِلْجَلِيسِ * أَفْضَى إِلَيْهِ يُعَاتِبُهُ
وَتَحَوَّطَهُ حَرَّاسُهُ * وَتَذُبُّ عَنْهُ كَتَّابُهُ
الزُّورُ يُصَفِّعُ عَنْده * وَالضَّيْفُ يُنْتَفِ شَارِبُهُ

وقال آخر :

فَتَى لِرَغِيفِهِ قُرْطٌ وَشَنْفٌ * وَلِكَلِيلَانِ مِنْ دُرٍّ وَشَدْرٍ
إِذَا كَسَرَ الرِّغِيفَ بَكَى عَلَيْهِ * بِكَاءِ الْخَنَسَاءِ إِذْ جُعِلَتْ بِصَخْرٍ
وَدُونَ رَغِيفِهِ قَلْعُ الشَّيَا * وَحَرْبٌ مِثْلُ وَقْعَةٍ يَوْمَ بَدْرٍ

وقال آخر :

إِنَّ هَذَا الْفَتَى يَصُونُ رَغِيفًا * مَا إِلَيْهِ لَا كَلِيٍّ مِنْ سَبِيلٍ
هُوَ فِي سَفَرَتَيْنِ مِنْ آدَمَ الطَّا * نَفٍ فِي سَلَّتَيْنِ فِي زَنْبِيلٍ
خُتِمَتْ كُلُّ سَلَّةٍ بِرَصَائِصٍ * وَسُيُورٍ قُدْدَنَ مِنْ جَلْدِ فِيلٍ
فِي حِرَابٍ فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسَى * وَالْمَقَاتِيحِ عِنْدَ مِيكَائِيلِ

وقال العسكري :

قَلَّ خَيْرُ آبَنٍ قَاسِمٍ * فَنَفَاهُ كَعُمْدِهِ
كَأَدَّ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرَى * يَحْتَبِي فِي حِرِّ أُمَّه

جاز في اللؤم حده * كأيبه وعمه
كاد يعديك لؤمه * لو تسميت باسمه

وقال أيضا :

لك برمة نزهتها * من أن تدنس بالدم
بيضاء يشرق نورها * كالبدر في غسق الظلم
لو كان عرضك مثلها * كنت الممدح في الأمم
أو كان فعلك مثل قو * لك كنت تاريخ الكرم

وقال أيضا :

ضفت عمرا بقاءني برغيف * زادني أكله على الجوع جوعاً
ثم ولّى يقول وهو كئيب * تلف نفسي على رغيف أضياعاً
كان خداعة الضيوف ولكن * ربما أصبح الخدوع خديعاً
كنت أنزلته محلاً ربيعاً * ففدا ذلك الربيع وضياعاً
عجباً منه إذ أيسح حماء * كيف لم يمتنع وكان منيعاً

وقال آخر :

أرى ضيفك في الدار * وكرّب الموت يغشاه^(١)
على خبرك مكتوب * « سيكرّيكهم الله »

وقال بشار :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معاً * عمرو لبطيته والضيف للجوع

وقال آخر :

نوالك دونه نحرط القتاد * وخبرك كالثريا في البعاد

(١) في المحاسن والأضداد : « الجوع » .

ولو أبصرت ضيفا في منام * لحزمت المنام الى التناد
أرى عمر الرغيف يطول جدا * لديك كأنه من قوم عاد
وما أهجوك أنك كفاء شعري * ولكنني هجوتك للعكساد
وقال العسكري :

قد كان لال ربأ * فصار بالبخل عبده
وصحف الصيف ضيفا * فراح يلطم خده
وقال أبو نؤاس في إسماعيل بن نوبخت، بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره
طارمة، وأصطحب فيها أربعين يوما ومعه جماعة، منهم أبو نؤاس، فبلغت نفقته
أربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك :

خبر إسماعيل كالوش * بي إذا ما شق يُرفا
عجا من أثر الصنعة * عة فيه كيف يخفى
إن رفاءك هذا * أطف الأمة كفا
فإذا ألقى بالنص * ف من الجردق نصفا
أطف الصنعة حتى * ما ترى مطعن إشفى
مثل ما جاء من التند * نور ما غادر حروفا
وله في الماء أيضا * عمل أبداع طروفا
مزجه العذب بماء الـ * ينزكي يزداد ضعفا
فهو لا يشرب منه * مثل ما يسقيك صرفا

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة ، معرب .

(٢) رواية العقد الفريد :

أحكم ما يرى مفرز إشفى

والإشفي : مخفف الإسكاف .

وقال فيه :

على خبز إسماعيل واقية البخل * فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
وما خبزه إلا كعتقاء مغرب * تُصَوَّر في بُسْط الملوكة وفي المثل
يُحَدِّث عنها الناس من غير رؤية * سوى صورة ما إن تُمِرَّ ولا تُحَلِي
وما خبزه إلا كآوى يرى أبْنُه * ولم ير آوى في الحزُون وفي السَهْل
وما خبزه إلا كليب^(١) بن وائل * لبالى يحيى عِزَّةً مَنِيَتَ البَقْل
وإذ هو لا يَسْتَبْ خَصْمان عنده * ولا الصوت مرفوعٌ يَجِدُّ ولا هَزَل
فإن خبز إسماعيل حلّ به الذى * أصاب كليباً لم يكن ذاك عن دَلّ
ولكن قضاء ليس يُسْطاعُ رُدُّه * بحيلة ذى مكرٍ ولا دهي ذى عقل

وقال ابن الرومى :

بجِل يصوم أضيافه * ويَجَل عنهم بأجر الصيام
يُدس الغلام فيوليه^(٢)م * هو انا فيشتم مولى الغلام
فهم مفطرون وهم صائمون * وما يُطعمون وهم في أئام
فيجتال بخلاً لأن يُفطروا * على رَفِث القول دون الطعام

١٥ (١) كليب بن وائل يضرب به المثل في العزة فيقال « أعز من كليب بن وائل » وبلغ من عزه أنه كان يحيى مواقع السحاب فلا ترعى ، وإذا جلس لا يتر أحد بين يديه إجلالا له ، ولا يجتبي أحد في مجلسه غيره ، ولا تورده إبل أحد مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره ، ولم يكن بكى ولا تلمي يجير رجلا أو بعيرا أو يحيى أحدا إلا بأمره ، وكان هو يجير على الدهر فلا تخفّر ذمته . وجاءه كل هذا السلطان بعد أن قاد القبائل الزنارية لحاربة القبائل اليمنية في عدّة مواقع كان النصر فيها آخر الأمر حليفه ، فاجتمعت عليه معدّة كلها بالانقياد والطاعة .

(٢) في ديوان ابن الرومى : « جفا » .

وقال أحمد بن كُشَايِم :

صديقٌ لنا من أبرع الناس في البخل * وأفضلهم فيه وليس بذى فضلٍ
دعاني كما يدعو الصديقُ صديقه * بفت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيتُه * يرى أنه من بعض أعضائه أَكَلِي
ويقتاظ أحيانا وَيَشْتُم عبده * وَأَعْلَمُ أن الغيظ والشمّ من أجل
فاقبلت أَسْتَل الغداءَ مخافةً * وألحظ عينه رقيبٌ على فِعْلي
أمد يدي سِرًّا لَأَسْرِقْ لُقْمَةً * فليحظني شَرًّا فاعبثُ بالْبَقْلِ
إلى أن جنت كَفَى لحنى جَنَابَةً * وذلك أن الجوعَ أعدني عَقْلي
بفترت يدي لخمين رجلَ دَجَاجَةٍ * بفترت كما جرت يدي رجلها رجلِي
وقدّم من بعد الطعام حَلَاوَةً * فلم أَسْتَطِع فيها أَمْرًا وَلَا أَحْلي
وقُتْ لو آتَى كُنْتُ بِتَّ نِيَّةً * رَمَحْتُ ثَوَابَ الصَّوْمِ مَعَ عَدَمِ الْأَكْلِ
وقال آخر :

ترام خشيةَ الأضيافِ خُرسًا * يُقيمون الصلاةَ بلا أَذَانِ



احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه
قالت الحكماء : لتكن عنايتك بحفظ ما آكتسبته كعنايتك باكتسابه .

وقال أبو الأسود الدؤليّ لبنيه : لا تُجاودوا الله فإنه أكرم وأجود ، ولو شاء أن
يُغْنِيَ الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوما لا يُصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر ،
وقوما لا يُصلحهم ولا يصلح لهم إلا الغنى .

وقال رجل من تغلب : أتيت رجلا من كندة أسأله ، فقال : يا أخا بني تغلب ،
إني لن أصلك حتى أحرم من هو أقرب إلى منك ، [وإني^(١) والله لو مكنت من
داري لنقضوها طوبة طوبة] ، وإنه لم يبق من مالى وعرضي وأهلى إلا ما منعته
من الناس .

وقيل : إن لقمان الحكيم قال لابنه : يا بُنى ، أوصيك بأثنين لن تزال بخير
ما تمسكت بهما : ذرهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك .

وقال أبو الأسود : إمساكك ما تبذل ، خير من طلبك ما يبذل غيرك ؛ وأنشد :
يلومونى فى البخل جهلاً وضلة * وللبخل خير من سؤال بخيل
ونظيره قول المتلمس :

وحبسُ المال أنسرُ من بُغاء^(٢) * وضربُ فى البلاد بغير زاد
وإصلاحُ القليل يزيدُ فيه * ولا يبقِ الكثيرُ مع الفسادِ

وقال الجاحظ^(٤) : قلت للحراني : يا بخيل ! قال : لا أعدمنى الله هذا الاسم ، لأنه
لا يقال لى بخيل إلا وأنا ذومال ، فسلم لى المال وسميتى بأى أسم شئت ؛ قلت :
ولا يقال لك سخي ، إلا وأنت ذومال ، فقد جمع الله لهذا الاسم المال والحمد ،
وجمع لذلك المال والذم ؛ فقال : بينهما فرق عجيب ، وبون بعيد ، إن فى قولهم :
بخيل سببا لمكث المال فى ملكى ، وفى قولهم سخي سببا لخروجه عن ملكى ، وأسم

(١) زيادة عن المقد الفريد ج ٣ ص ٣٣٣

(٢) رواية المقد الفريد : إمساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك .

(٣) فى الأصل : « بناء » والبغاء (بالضم والمد) : السعى والطلب .

(٤) ورد هذا الخبر فى المقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٣) والبغلاء للجاحظ ص ٦٥ طبع ليدن بتبسيط

البخل فيه حزم وذم، وأسم السخاء فيه تضييع وحمد؛ وما أقل غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه، وعيرى ظهره، وضاع عياله، وشمت به عدوه ! .

وقال محمد بن الجهم : من شأن من آستغنى عنك ألا يقيم عليك، ومن أحتاج إليك ألا يزول من عندك . ومن جُبَّكَ لصديقك وصَنَّتْك بمودته ألا تبدَّلْ له ما يُغنيه عنك، وأن تُلطف له فيما يُحوجُه إليك . وقد قيل في مثل هذا : « أَجْعُ كَلْبَكَ يَتْبَعَكَ، وَسَمْنَهُ يَأْكُلُكَ » . فمن أَغْنَى صديقه فقد أعانته على الغدر، وقطع أسباب الشكر . والمُعِين على الغدر شريك للغادر، كما أن المَزِين للفُجُور شريك للفاجر .

وقال أبو حنيفة : لا خير فيمن لا يصبون ماله ليصون به عِرْضَه . وَيَصِلَ به رحمه ، ويستغنى به عن لئام الناس . قال عبد الله بن المعتز :

أَعَاذِلْ لَيْسَ الْبَخْلُ مَنَى سَجِيَّةً * وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْفَقْرَ شَرَّ سَبِيلِ
لَمَوْتُ الْفَقِي خَيْرٌ مِنَ الْبَخْلِ لِلْفَقِي * وَلِلْبَخْلِ خَيْرٌ مِنْ سَوَالِ بَخِيلِ

وكان داود بن علي يقول : لَأَنْ يَتْرَكَ الرَّجُلُ مَالَهُ لِأَعْدَائِهِ خَيْرٌ مِنَ الْحَاجَةِ فِي حَيَاتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ . قال الشاعر :

مَالٌ يُخَلِّفُهُ الْفَسَى * لِلشَّامِتِينَ مِنَ الْعِدَا
خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَصْدِهِ * لِإِخْوَانِهِ مَسْتَرَفِدَا

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لَأَنْ أَخْلَفَ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أَحَابَسُ عَلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْتَاجَ إِلَى النَّاسِ . وقال : كَانَ الْمَالُ فِيَا مَضَى يُكْرَهُ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ يَزِينُ الْمُؤْمِنَ . وجاء رجل فقال له : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، تُمَسِّكُ هَذِهِ الدَّنَائِرَ ! فَقَالَ : أَسَكْتُ، فَلَوْلَاهَا لَتَمَنَّدْتَنَا هَؤُلَاءِ الْمُلُوكَ؛ وَلَكِنْ مِنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَصْلَحْهُ، فَإِنَّهُ زَمَانٌ مَنِ احْتِاجَ فِيهِ كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدُلُ دِينَهُ .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التيمي : إنك لسيد لولا جهودُ فيك ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إني لأجحدُ في الحق ، ولا أذوب في الباطل .

وكان محمد بن الجهم يقول : من وهب من عمله فهو أحق ، ومن وهب بعد
العزل فهو مجنون ، ومن وهب من جوائز ملوكه أو ميراثه فهو غزول ، ومن
وهب من كسبه وما آستفاده بحيلة فهو المطبوع على قلبه ، الماخوذ ببصره وسمعه .

وسأل رجل زياد بن أبيه فأعطاه درهما ؛ فقال : صاحبُ العراقين أسأله
فيعطيني درهما ! فقال له زياد : من بيده خزائن السموات والأرض ربما رزق أخص
عباده عنده وأكرمهم لديه التمرة واللقمة ، وما يكبرُ عندي أن أصل رجلا بمائة ألف
درهم ، ولا يصغرُ أن أعطي سائلا رغيفا ، أن كان رب العالمين فعل ذلك .
قال الشاعر :

يأربُّ جودَ جرٍّ فقَرَّ أمرئ * فقام للناس مقامَ الذليل

فأشدُّ عُرًا مالِكٌ وأسْتَبِقِه * فالبخلُ خيرُ من سؤال البخيل

وقال الشريف بن الهبارية :

لأصونَ درهمي * فهو لا شك صانئ

لم يُعني أبْنُ والدي * وصحبي أعلاني

وقال أيضا :

له دَرٌّ دراهمي * ففهي التي أعلت مكاني

لولا الغنى عن صاحبي * لأحلني دارَ الهوان

وقال آخر :

كن بما أوتيته مُغتبطًا * تستديم عيشَ القنوع المكنفي

إِنِّي نِيلُ الْمُنَى وَشَكَ الرَّدَى * وَاجْتَنَابُ الْقَصْدَيْنِ السَّرِفِ

كَيْسِرَاجِ دُھُنْه قُوْتُ لَه * فَإِذَا غَرَّقَتْه فِيْه طَفِي

ومن ذلك رسالة كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فأعذر عنها واحتج فقال :

أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله . قال الأحنف
ابن قيس : يا بني تميم ، لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال أقلهم
حياء من الفرار . وكانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمّة فتأمل عيًّابا ، فإنه
يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب .

وقبح أن تنهى مرشدا أو تغري بمشفيق . وما أريد بما قلت إلا هدايتكم وتقويمكم
وإصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم . ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل
حسن النية فيما بيننا وبينكم . ثم قد تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لأنفسنا
قبلكم، وشهرنا به في الآفاق دونكم ؛ ثم تقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه :
(وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُخِّلَكُمْ إِلَى مَا أَنهَأَكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) . فما كان أحقكم في كريم حرمتنا بكم
أن ترعوا حق قصدا بذلك اليكم على مارعيناه من واجب حقكم ؛ فلا العذر المبسوط
بالغتم ، ولا بواجب الحرمة قتم . ولو كان ذكر العيوب براً ونخرا لرأينا في أنفسنا عن
ذلك شغلا .

عُتِمُونِي بِقَوْلِي لِمَادِمِي : أجيدي العجين فيكون أطيب لطمعه ، وأزيد
في ريعه ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "أملكوا العجين فإنه أحد الربيعين" .

- (١) وردت هذه الرسالة في العقد الفريد (ح ٣ ص ٣٣٥) والبعلا . للباحظ (ص ١٠ طبع ليدن)
وفي روايتهما بعض اختلافات يسيرة عن رواية الأصل .
(٢) أملكوا : أجيديا مجته حتى يأخذ بعضه بعضا .

وعبتموني حين ختمت على سَلِّ عظيم ، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ،
ومن رطبة غريسة ، على عبدِهم ، وصبي جشع ، وأمة لكهاء ، وزوجة مُضيعة ؛
وليس بين أهل الأدب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا في عادات القادة ، ولا في تدبير
السادة ، أن يستوى في نفيس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمان الملبوس ، وخطير
المركوب ، التابع والمتبوع ، والسيد والمسود ؛ كما لا تستوى مواضعهم في المجالس ،
ومواقع أسمائهم في العنوانات . ومن شاء أطعم كلبه الدجاجة السمينة ، وعَلَفَ حمّاره
السَّمِيمَ الْمُقَشَّرَ !



وعبتموني بالختم ، وقد ختم بعض الأئمة على مدّ سَوِيْقٍ ، وختم على كيس
فارغ ، وقال : طَيِّنة خير من طَيِّنة ، فأمسكتهم عن ختم على لا شيء ، وعبتم على من
ختم على شيء !

وعبتموني أن قلت للغلام : اذا زدت في المَرَقِ فزد في الإنضاج ، ليجتمع مع
التأدّم بالحلم طَيِّبُ المَرَقِ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اذا طَبَخَ أحدكم لحماً
فليزد من الماء فمن لم يُصِبْ لحماً أصاب مَرَقاً " .

وعبتموني بخُصْفِ النعل ، وبتصدير القميص ، وحين زعمت أن المخصوصة من
النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنَّسْكِ ، وأن الترقيع من الحزم ، والتفريط من التضييع ،
والاجتماع مع الحفظ ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يَخُصِفُ نعله ، وَيَرْقُعُ
ثوبه ، وَيَلْطَعُ أصابعه ، ويقول : " لو أُهْدِيَ إلى كُرَاعٍ لَقَبِلْتُ ولو دُعِيتُ إلى ذراعٍ
لَأَجَبْتُ " . وقال صلى الله عليه وسلم : " من لم يَسْتَجِ من الحلال خَفَّتْ مؤونته وقلَّ

(١) السل : الجونة وهي سلبة منشأة بالآدم وتكون عند الطائر .

(٢) تصدير القميص : أن يجعل لصدره بطانة .

(٣) رواية الجامع الصغير : " لو أُهْدِيَ إلى كُرَاعٍ لَقَبِلْتُ ولو دُعِيتُ عليه لأَجَبْتُ " .

- كِبْرُهُ". وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يَلْبَسِ الخَلْقَ . وبعث زياد رجلا يرتاد له مُحَدَّثًا ، واشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأتاه به موافقا؛ فقال له : أكننتَ به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكنِّي رأيته في يوم قائظ ، يلبس خَلْقًا ، ويلبس الناسُ جديدا، فتفرست فيهِ العقل والأدب، وقد علمت أن الخَلْقَ في موضعه مثل الحديد في موضعه . وقد جعل الله لكل شيء قَدْرًا، وسمي له موضعا؛ كما جعل لكل زمان حالًا، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسَّم ، وأمات بالغِذاء ، وأغصَّ بالماء، وقتل بالدواء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسِبِينَ ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبرَ الأحنف بن قيس يد عترة ، وأمر مالك بن أنس بفرك البعرة . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ؛ وليس سالم بن عبد الله جلد أضحية . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى لك دجاجة، قال : إن كان لابد، فاجعلها بيوضًا .

- وعبتموني حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالى . وقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية، وأشف من الكفاية، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء، والى التوفير عليها من وظيفة الماء، وجدت في الأعضاء فضلا عن الماء، فعلمت أن لو كنت سلكت (١) الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية أوله، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر؛ فعبتموني بذلك وشغتموه على ؛ وقد قال الحسن — وذكر السرف — : أما إنه ليكون في الماء والكلاء ؛ فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلاء .

(١) أشف : أقل .

(٢) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل والبلاء : « مكنت » .

وعبتموني أن قلت : لا يَفَنَّ أحد بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ورقة عظمه ،
 ووهن قوته ، وأن يرى دخله أكثر من رزقه ، فیدعوه ذلك الى إخراج ماله من يده ،
 وتحويله الى ملك غيره ، أو تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ؛ فلعله
 أن يكون معمرًا وهو لا يدري ، وممدودا له في السن وهو لا يشعر ؛ ولعله أن يُرْزَقَ
 الولد على اليأس ، وتُحدِّث عليه آفات الكبر ما لا يخطر على باله ولا يدركه عقله ،
 فيستدّه من لا يرده ، ويظهر الشكوى الى من لا يرجه ، أضعف ما كان عن الطلب ،
 وأفجع ما كان له أن يطلب ، فعبتُموني بذلك ؛ وقال عمرو بن العاص : « اِعْمَلْ
 لدنياك عمل من يعيش أبدا ، وانمحل لأخرك عمل من يموت غدا » .

وعبتموني بأن قلت : إن التلف والتبذير الى مال الموارث ، وأموال الملوك
 [أسرع^(١)] . وإن الحفظ الى المال المكتسب ، والغنى المحتلب ، والى ما يُعرض فيه
 لذهاب الدين^(٢) ، واهتضام العرض ، ونَصَب البدن ، واهتمام القلب ، أسرع . ومن لم
 يحسب نفقته لم يحسب دخله ؛ ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المال . ومن
 لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر ، وطاب نفسا بالذل .

وعبتموني بأن زعمت أن كسب الحلال ، مُضْمَنٌ بالإِنْفَاق^(٣) في الحلال ، وأن
 الخبيث يترع الى الخبيث ، وأن الطيب يدعو الى الطيب ، وأن الإِنْفَاق في الهوى
 حجاب دون الحقوق ، وأن الإِنْفَاق في الحقوق حجاب دون الهوى ؛ فِعَبْتُ على هذا

(١) التكملة عن البعلاء للمحافظ ، وأصل الجملة فيه : « وعبتموني حين زعمت أن التبذير الى مال القهار
 ومال الميراث والى مال الالتقاط وحباء الملوك ، أسرع » .

(٢) كذا في كتاب البعلاء . وفي الأصل : « بذهاب » .

(٣) في العقد الفريد : « يضمن الإِنْفَاق » .

القول ، وقد قال معاوية بن أبي سفيان : لم أر تبذيرا قط إلا وإلى جنبه حق مُضَيِّعٌ ،
وقال الحسن : إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا في أي شيء
ينفقه ، فإن الخبيث إنما يُنْفَقُ في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم ، وحسن
النظر مني إليكم ، وأنتم في دار الآفات ، والجوائع غير مأمونات ، فإن أحاطت بمال
أحدكم آفة لم يرجع إلى بقية^(١) ، فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة ، فإن البلية
لا تجرى في الجميع ، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في العبد ،
والأمة ، والشاة ، والبعر : فزقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين . وقال ابن
سيرين [لبعض البحرين] : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفرقها في السفن ،
فإن عطب بعض سلم بعض ، ولولا أن السلامة أكثر ، ما حملنا أموالنا في البحر ،
فقال ابن سيرين : « تَحْسِبُهَا خَرْقَاءَ وَهِيَ صَنَاعٌ » .

٩٩

وعبتموني بأن قلت انكم عند إشفائي عليكم : إن لاغنى لسركا ، وللمال لزوجة ،
ومن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد
أهمله ، فعبتموني بذلك ، وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أفقر عقلا من غنى
أمن الفقر . وسكر الغنى أشد من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد
ابن برمك :

وَهُوَ تِلَادَ الْمَالِ فِيَا يَنْسُوبُهُ * مَنْشُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْرَمًا

وعبتموني حين زعمتم أنني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يُفَادُ العلم ،
وبه تقوم النفس قبل أن يُعْرَفَ فضل العلم ، فهو أصل ، والأصل أحق بالترتيب
من الفرع ، فقلتم : كيف هذا وقد قيل لبعض الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟

(١) كذا في البلاء . وفي الأصول : « ثقة » . وفي العقد الفريد : « إلا إلى نفسه » .

(٢) زيادة من كتاب البلاء .

فَقُلْ : العلماء ؛ قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى
الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء
بحق العلم ؟ فقلت : حالهما هي القاضية بينهما ، وكيف يستوى شئ حاجة العامة
إليه ، وشئ يغنى فيه بعضهم عن بعض ! وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء
بالتَّخَذِ العَمِّ ، والفقراء بالتَّخَذِ الدَّجَاجِ . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إني
لأُبغض أهل البيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلي
يقول لولده : إذا بَسَطَ الله لك الرزق وَأَبْسَطَ ، وإذا قَبِضَ فاقْبِض .

وَعَبَّئُونِي حِينَ قُلْتَ : إن فضل الغنى عن القوت أنما هو كفضل الآلة تكون
في البيت إن احتيج إليها أَسْتَعْمِلْتَ ، وإن اسْتُغْنِيَ عنها كانت عُدَّةً ، وقد قال الحُصَيْنُ
ابن المنذر : وَدِدْتُ أَنْ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا لَا أُنْتَفَعُ مِنْهُ شَيْءٌ ؛ قيل له : فما كنتَ
تصنع به ؟ قال : لكثرة مَنْ كَانَ يَخْدُمُنِي عَلَيْهِ ، لأنَّ المال مَخْدُومٌ . وقال بعض
الحكماء : عليك بطلب الغنى . فلو لم يكن فيه إلا أَنَّهُ عِزٌّ فِي قَلْبِكَ ، وَذُلٌّ فِي قَلْبِ
عَدُوِّكَ ، لِمَكَانِ الْحِظِّ فِيهِ جَسِيًّا ، وَالْمَنْعِ عَظِيمًا . واسنأ ندع سيرة الأثيلاء ، وتأذب
الخلفاء ، ونعلم الحكماء ، لأصحاب الهوى ، فاستم على تَرْدُون ، ولا رَأْيِي تُفَنِّدُون ؛
فقدّموا النظر قبل العزم ، وأدركوا ما عليكم من قبل أن تُدْرِكُوا ما لكم . والسلام .



وَمِنْ نَوَادِرِ الْبَخْلَاءِ : قَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْبَخْلَاءِ : لَمْ لَا تَدْعُونِي إِلَى طَعَامِكُمْ ؟
قَالَ : لِأَنَّكَ جَبِيذُ الْمَضْغِ سَرِيعُ الْبَلْعِ ، إِذَا أَكَلْتَ لُقْمَةً هَيَّأَتْ أُخْرَى ؛ قَالَ : يَا أَخِي
أَتُرِيدُ إِذَا أَكَلْتُ عِنْدَكَ أَنْ أَصِلَّ رَكَعَتَيْنِ بَيْنَ كُلِّ لُقْمَتَيْنِ ! .

وقال آخر لبخيل : لِمَ لَا تدعوني الى طعامك ؟ قال : لَأَنكَ تُعَلِّقُ ، وَتُشَدِّقُ ، وَتُحَدِّقُ . أَى تحمل واحدة فى يدك ، وأخرى فى شِدْقِكَ ، وتُنْظُرُ الى الأخرى بعينك .

وقال بعض البخلاء : أَنَا لَا أَكُلُ إِلَّا نَصْفَ اللَّيْلِ ؛ قِيلَ لَهُ : وَلِمَ ؟ قَالَ يَبْرُدُ الْمَاءُ ، وَيَنْقِمِعُ الذُّبَابُ ، وَأَمْنُ بَغَاةِ الدَّخَالِ ، وَصَرَخَةُ السَّائِلِ .

وطبخ بعض البخلاء قِدْرًا وجلس يأكل مع زوجته ، فقال : مَا أَطْيَبَ هَذَا الطَّعَامَ ، لَوْلَا كَثْرَةُ الرَّحَامِ ! فقالت : وَأَى زحام ، وما تَمَّ إلا أَنَا وَأَنْتَ ؟ قال : كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا وَالْقِدْرُ .

وقال بعض البخلاء لعلامة : هَاتِ الطَّعَامَ ، وَأَغْلِقِ الْبَابَ ؛ فقال : يَا مَوْلَاى ، لَيْسَ هَذَا بِحَزْمٍ ، وَأَمَّا أَغْلِقِ الْبَابَ ، وَأَقْدِمِ الطَّعَامَ ؛ فقال له : أَنْتَ حُرُّ لَوْجِهَةِ اللَّهِ .
وعزم بعض إخوانِ أَشْعَبَ عَلَيْهِ لِيَأْكُلَ عِنْدَهُ ؛ فقال : إِنِّى أَخَافُ مِنْ ثَقِيلِ يَأْكُلُ مَعْنَا فَيَنْغُصُ لَذَّتَنَا ، فقال : لَيْسَ عِنْدِى إِلَّا مَا تُحِبُّ ، فَمَضَى مَعَهُ ؛ فَبَيْنَمَا هُمَا يَأْكُلَانِ إِذَا بِالْبَابِ قَدْ طُرِقَ ؛ فقال أَشْعَبُ : مَا أَرَانَا إِلَّا صِرْنَا لِمَا نَكْرَهُ ؛ فقال صاحبُ الْمَنْزِلِ : إِنَّهُ صَدِيقٌ لِّى ، وَفِيهِ عَشْرُ خُصَالٍ ، إِنْ كَرِهَتْ مِنْهَا وَاحِدَةً لَمْ أَذَنْ لَهُ ؛ فقال أَشْعَبُ : هَاتِ ، قَالَ : أَوَلَهَا ، أَنَّهُ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ ، فقال : التَّسْعُ لَكَ وَدَعَهُ يَدْخُلُ ، فَقَدْ أَمِنَّا مِنْهُ مَا نَخَافُهُ .

ذكر ما قيل فى التطفيل

ويتصل به أخبارُ الْأَكْلَةِ وَالْمُؤَاكَلَةِ

والتطفيل من اللؤم ، وهو التعرض الى الطعام من غير أن يدعى اليه . وسندكر

تله هذا الفصل آدابَ الْأَكْلِ ، وَالْمُؤَاكَلَةِ ، وَالِاِقْتِصَادِ فى الْمَطَامِعِ ، وَالْعِفَّةَ عَنْهَا ،

وما يجرى هذا المَجْرَى ، وإن كان خارجا عنه ، وإنما الشيء يُذكر بالشيء . والعرب تقول للطفيلي : الوارث ، والراشئ . قيل : هو مشتق من الطفّل وهو الظلمة ، لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذي لم يُدْعَ إليه مستترا بالظلمة لئلا يُعرف . وقيل : سُمّي بذلك لإظلام أمره على الناس ، لا يدري مَنْ دُعا . وقيل : بل من الطفّل لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار ، فيكون من الظلمة ؛ ولذلك قيل : أطفل من «ليل على نهار» . وأوّل من سُمّي بهذا الاسم : طفيل العرّاس ، واليه ينسب الطّفيليّون . وكان يقول لأصحابه : إذا دخل أحدكم عرسا فلا يلتفت تلتفت المريب ، ويتخيّر المجالس ، وإن كان العرس كثير الزحام فليمض ولا ينظر في عيون الناس ، ليظنّ أهل المرأة أنه من أهل الرجل ، ويظنّ أهل الرجل أنه من أهل المرأة ؛ وإن كان البوّاب غايظا فاحشا ، فليبدأ به ، ويأمره وينهاه من غير أن يُعَفّ عليه ، ولكن بين النصيحة والإدلال .

وأشهر من نُسب إليه هذا الاسم وكثرت عنه الحكايات ، بُنّان الطّفيليّ ، وهو عبد الله بن عثمان ، ويكنى أبا الحسن ، ولقبه بُنّان ، وأصله مروزيّ وأقام ببغداد ، وكان نقش خاتمه «مَالَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ» . حكى أن رجلا سأله أن يدعو له ، فقال : اللهم ارزقه صحة الجسم وكثرة الأكل ، ودوام الشهوة ، ونقاء المعدة ، وأمتعته بضرُس طحُون ، ومعدة هَضُوم ، مع السعة والدعة ، والأمن والعافية . وقال يُوصي بعض أصحابه : إذا قعدت على مائدة وكان موضعك ضيقا فقل للذي يليك : لعلّ ضيقك عليك فإنه يتأخر إلى خلف ، ويقول : موضعي واسع ، فيتسع عليك موضع رجل . وقال له طفيليّ : أوصني ، فقال : لا تصادِفَنَّ من الطعام شيئا فترفع يدك عنه وتقول : لعلّي أصادف ماهو أطيب منه ، فإن هذا عجز وَهْنٌ ، قال : زدني ، قال : إذا وجدت خبزا فيه قِلّة فكلّ الحروف ، فإن كان كثيرا فكلّ الأوساط ، قال : زدني ، قال :

لا تكثر شرب الماء وأنت تأكل ، فإنه يصدك عن الأكل ، ويمنعك من أن تستوفى ؛ قال : زدنى ، قال : اذا وجدت الطعام فكل منه أكل من لم يره قط ، وتزود منه زاد من لا يراه أبداً ؛ قال : زدنى ، قال : اذا وجدت الطعام فاجعله زادك الى الله تعالى ، وقال : إذا دعاك صديق لك فاقعد بمنّة البيت ، فإنك ترى ما تحب ، وتسودهم في كل شيء ، وتسبقهم الى كل خير ، وأنت أول من يغسل يده والمنديل جاف ، والماء واسع ، والحوان بين يديك يوضع ، والنبيذ أول القنينة ورأسها تشربه ، والنقل متخب يوضع بين يديك ، وتكون أول من يتبخّر ؛ فإذا أردت أن تقوم لحاجة لم تحتج أن تختطّاهم ، وأنت في كل سرور الى أن تتصرف . قال البديع الحمذاني في طفليّين يشبههم بَنَان :

١٠ خلّفتم بَنَاناً فكم من أديب * من الغيظ عصّ عليكم بَنَاناً
إذا ما النهار بدا ضوؤه * غدوتم نِماصاً ورُحُم بَطَاناً

ومنه : عثمان بن دراج ، قيل له : كيف كنت تصنع إذا لم يدخلك أهل العرس ؟ قال : أنوح على الباب ، فيتطّرون فيدخلونى . وحكى أبو الفرج الأصفهاني : أن عثمان هذا كان يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي أحد ولد زيد بن الخطاب ، فقال له : ويحك ! إني أبخل بأدبك وعلمك ، وأضن بك عما أنت فيه من التطفيل ولى وظيفة راتبه في كل يوم ، فالزمنى وكن مدعوّاً ، أصاح لك مما تفعل ؛ فقال : يرحمك الله ، فأين لذة الحديد ، وطيب التنقل كل يوم الى مكان^(١) ! وأين نيلك^(٢) ووظيفتك من احتفال العرس ! وأين ألوانك من ألوان الوليمة ! قال : فأما إذ أبيت ذاك فإذا ضاقت عليك المذاهب فأنتي ؛ قال : أما هذا فنعم . قال وقال له رجل :

٢٠ ما هذه الصُفرة التي في لونك ؟ قال : من الفترة التي بين القَصْعَتَيْن ، ومن خوفي

(١) كذا في الأغاني (ح ١٥ ص ٣٧ طبع بولاق) . وفي الأصل : « هَوِيَاك » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « فاذا بُت » .

في كل يوم من نفاذ الطعام قبل أن أشبع . وقيل له مرة : هل تعرف بستان فلان؟ فقال : إى والله ، وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا ؛ قيل له : فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره ، وتقيّل تحت أشجاره ، وتسبح في أنهاره ؟ قال : لأن فيه كلبا لا يتضمض إلا بدماء عراقيب الرجال . وعثمان هذا الذى يقول :

لَذَّةُ التَّطْفِيلِ دُومَى * وَأَقْيَمِ لَا تَرِيْمِ
أَنْتَ تَسْفِينِ غَلِيلِ * وَتَسْلِينِ هُمُومِ

٥

ولهم أخبار وحكايات ، منها : ما نقل عن نصر بن على الجهمضى أنه قال : كان لى جار طفيل إذا دعيت الى مدعاة ركب معى وجلس حيث أجلس ، فياكل وينصرف ، وكان نظيفا عطرا ، حسن اللباس والمركب ؛ وكنت لا أعرف من أمره إلا الظاهر ، فاتفق لجمفر بن القاسم الهاشمى حقّ دعا له أشراف البصرة ووجوهها ، وهو يومئذ أمير البصرة ، فقلت فى نفسى : إن تبعنى هذا الرجل الى دار الأمير لأخزينه ؛ فلما كان يوم الحضور جاءنى الرسول فركبت ، وإذا به قد تبعنى حتى دخل بدخولى ، وأرتفع حيث أجلس ؛ فلما حضرنا الطعام ، قلت : حدثنا دُرُسْتُ آبن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن آبن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من دخل الى دار قوم بغير إذنهم دخل سارقا وخرج مُغيرا ومن دُعِيَ فلم يُجب فقد عصى الله ورسوله " ، فظننت أنى قد أشرفت على الرجل وقصّرت من لسانه ؛ فأقبل على وقال : أعيدك بالله من هذا الكلام فى دار الأمير ، فإن الأشراف لا يحتملون التعريض باللؤم ، وقد حطّر الدين التعريض ، وعزّر عليه عمر رضى الله عنه ؛ ووليمة الأمير دعاء لأهل مصره فإنه سَلِيلُ أهل السقاية والرفادة ، والمطعمين

١٠

١٥

﴿١٠﴾

(١) روايته فى تهذيب التهذيب فى ترجمة أبان بن طارق : « من دخل على عبد دعوة دخل سارقا ... الخ » .

٢٠

الأفضلين الذين هَسَمُوا الثريد ، وأبرزوا الحفان لمن غدا إليها ؛ ثم لا تُوزع وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف ، عن أبان ابن طارق وهو متروك الحديث ، بحكم رفعه الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون على خلافه ، لأن حكم السارق القطع ، والمغير يُعزَّرُ على ما يراه الإمام ، وهذان حكمان لا ينفذان على داخل دارا في جمع فيتناول لُقْمًا من فضل الله الذي آتى أهلها ثم لا يُحَدِّثُ حدنا حتى يخرج عنها ؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة “ ، حدَّثنا بذلك أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن ؟ قال نصر : فأصابتني نَجْمَةٌ شديدة ، فلما نظر الرجل الى ما بي أكل ونهض قبلي ، فلما خرجت وجدته واقفا على دابته بالباب ، فلما رآني تبغى ، ولم يكلِّني ولم أكلِّه ، إلا أني سمعته يتمثل :

وَمَنْ ظَنَّ مِنْ يَلَاقِي الحروب : بِالْأَيُّ صَاب فَقَدْ ظَنَّ نَجْزَا

وقيل : مرّة طفيلٌ بسكة النخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة ، فاقتحم عليهم ، وأخذ مجلسه مع مَنْ دُعِيَ ، فأنكره صاحب المنزل ، فقال له : لو تأنّيت أو وقفت حتّى يُؤدَّنَ لك أو يُبعثَ إليك ! فقال : إنما اتَّخَذْتُ البيوتَ ليدُخَلَ إليها ، ووُضِعَتِ الموائدُ ليؤكَل ما عليها ، وما وُجِعتْ بهديّة فأتوقع الدعوة ؛ والحِشْمَةُ قُطِيعَةٌ ، وأطراحها صِلَةٌ ؛ وقد جاء في الأثر : « صَلِّ مَنْ قَطَعَكَ ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ » ؛ ثم أنشد :

كُلُّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرَصَةِ الدَّاءِ * رَأْسُ الْقَتَارِ شَمُّ الذُّبَابِ

فإذا ما رأيتُ آثارَ عُرْسٍ * أودحانا أودعوة الأصحاب

لم أعرج دون التفحّم لا أر * هب^(١) شتما ولكثرة البواب
مُسْتَيْبِنَا بِن دَخَلَتْ عَلَيْهِ * غَيْر مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هَيَّابٍ
فَتَرَانِي أَلْفٌ بِالرَّغْمِ مِنْهُمْ * كُلُّ مَا قَدَّمُوهُ لَفَّ الْعُقَابِ
ووصف طفيلٍ نفسه فقال :

نَحْنُ قَوْمٌ إِذَا دُعِينَا أَجَبْنَا * وَمَتَى نُنْسَ يَدْعُنَا التَّطْفِيلُ
وَنَقْلُ عَلْنَا دُعِينَا فَنَبِينَا^(٢) * وَأَنَا نَا فَلَمْ يَجِدْنَا الرَّسُولُ

وقال آخر :

نَحْنُ قَوْمٌ يُحِبُّ هَدَى رَسُولِ اللَّهِ هَدِيًّا بِهِ الصَّوَابُ أَصَبْنَا
فَادْعُنَا كُلُّهَا بَسَطَتْ فِئَانَا * لَوْ دُعِينَا إِلَى كُرَاعِ أَجَبْنَا

وقال آخر :

نَحْنُ قَوْمٌ إِنْ جَفَا النَّأ * سُ وَصَلْنَا مِنْ جَفَانَا
لَا نُبَالِي صَاحِبَ الدَّاءِ * ر نَسِينَا أَمْ دَعَانَا

وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يدعى إليه، فقال له صاحب الصنيع :
مَنْ دَعَاكَ ؟ فأنشد :

دَعَوْتُ نَفْسِي حِينَ لَمْ تَدْعُنِي * فَالْحَمْدُ لِي لَا لَكَ فِي الدَّعْوَةِ
وَكَانَ ذَا أَحْسَنَ مِنْ مَوْعِدٍ * إِخْلَافُهُ يَدْعُو إِلَى جَفْوَةٍ

وقد مدح أبو رَوْح ظفر بن عبد الله الهَرَوِي طُفَيْلِيًّا وَلَمْ يُسَبِّحْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ :
إِنَّ الطُّفَيْلِيَّ لَهُ حُرْمَةٌ * زَادَتْ عَلَى حُرْمَةِ تَدْمَانِي
لِأَنَّهُ جَاءَ وَلَمْ أَدْعُهُ * مَبْتَدِئًا مِنْهُ بِإِحْسَانٍ

(١) رواية المقد الفريد : « لا أرهب ملنا » .

(٢) كذا في المقد الفريد : وفي الأصول : « قولنا » ... الخ .

ودخل طفيلٌ إلى قوم فقالوا له : ما دعوناك ! فإِ الذي جاء بك ؟ فقال :
إذا لم تدعوني ولم آت وقعتُ وحشة ، فضحكوا منه وقربوه .

وقيل : مرَّ طفيلٌ على قوم يتعدّون ، فقال : سلام عليكم معشر اللّثام ، فقالوا :
لا والله بل كرام ؛ ففنى ركبته ونزل ، وقال : اللهمّ أجعلهم من الصادقين ،
وأجعلني من الكاذبين .

قال هشام أخو ذى الرمة لرجل أراد سفرا : إنّ لكل رُفقة كلبا يشرّكهم في فضلة
الزاد ، فإنّ أستطعت ألا تكون كلب الرّفاق فافعل .

ونظر طفيلٌ إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل ، فظنهم يدعون إلى صنيع ،
فتلطف حتّى دخل في لفيفهم وصار كواحد منهم ، فلما بلغوا صاحب الشرطة ، أمر
بضرب أعناقهم ، فقتلوا واحدا بعد واحد حتّى آتوها إلى الطفيل ، فلما قدّم للقتل
آلتفت إلى صاحب الشرطة فقال له : إني والله ما أنا منهم ، ولا أعلم بما يدينون ؛
وإنما أنا طفيلٌ ظننتهم يذهبُ بهم إلى صنيع ، فتلطفت حتّى دخت في جملتهم ؛
فقال : ليس هذا مما ينجيك ، اضربوا عنقه ؛ فقال : أصاحك الله ، إن كنتَ عزمتَ
على قتلى فأمرِ السيف أن يضرب بطنى بالسيف ، فإنه هو الذى أوقعنى في هذه
الورطة ، فضحك ؛ وكشف عنه فأخبر أنه طفيلٌ معروف ، نخلّى سبيله .

وحكى أن المأمون أمر أن يُحمل إليه عشرة من الزنادقة سُئِلوا له من أهل
البصرة ، فجمّعوا ، فابصرهم طفيلٌ فقال : ما اجتمعوا إلا للصنيع ، فدخل في وسطهم
ومضى بهم المؤكّلون ، حتّى آتوها إلى زورق قد أعدّ لهم ؛ قال الطفيل : هي نُزْهة ،
فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن قيّدوا ، وقيدَ معهم الطفيل ، ثم سير بهم
إلى بغداد ، فأدخلوا على المأمون ، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا ، ويأمر بضرب

أعناقهم، حتى وصل إلى الطفيل، وقد استوفى العدة؛ فقال للوكّلين : ما هذا ؟ قالوا : والله ما ندرى ، غير أنّنا وجدناه مع القوم، فجئنا به ؛ فقال له المأمون : ما قصّتك ؟ وملك ! فقال يا أمير المؤمنين : أمرأتى طالق إن كنت أعرف من أفاويلهم شيئاً ولا مما يدينون به ، وإنما أنا رجل طفيل، رأيتهم مجتمعين فظننتُ صنيعاً يُدعون إليه فضحك المأمون وقال : يؤدّب ؛ وكان إبراهيم بن المهدي قائماً على رأس المأمون فقال : يا أمير المؤمنين، هب لى ذنبه^(١)، وأحدثك بحديث عجيب عن نفسى ؛ قال : قل يا إبراهيم ؛ قال : يا أمير المؤمنين، خرجتُ من عندك يوماً فطُفْتُ فى سِكَك بغداد متطرّبا حتى انتهيت إلى موضع كذا، فشمت منه قُتَار أبازير قُدور قد فاح [طيبها]^(٢)، فتاقت نفسى إليها وإلى طيب ريحها، فوقفْتُ إلى خياط فقلت له : لمن هذه الدار ؟ فقال : لرجل من التجار [البزازين]^(٣) ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان، فرميت بطرفى إلى الدار، فإذا شُبّاك فيها مُطلٌ ، وإذا كُفٌ قد خرج من الشُبّاك ومِعَصَمٌ ، فشغلنى حسن الكُفِّ والمعصم عن رائحة القُدور ، فُبِيتُ ساعة ، ثم أدركنى ذهنى ، فقلت للخياط : أهو مِمَّن يشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عده اليوم دعوة ، وهو لا ينادم إلا تجّاراً مثله مستورين ؛ فإنى لكذلك إذ أقبل رجلان نيلان راكبان من رأس الدرب، فقال لى الخياط : هؤلاء منادماه ؛ فقلت : ما أسماهما وما كُناهما ؟ فقال : فلان وفلان، فخركتُ دابّتي وداخلتهما وقلت : جُعِلْتُ فِدَاكِما ، قد استَبَطَا كِما أبو فلان ،

(١) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل : « هب لى أدبه » .

(٢) كذا فى أحد الأصلين والعقد الفريد . وفى الأصل الآخر : « متطرّبا » .

(٣) التكلّة عن العقد الفريد .

(٤) فى العقد الفريد : « فينا أنا كذلك » .

٥

١٠

١٥

٢٠

وسايرتهما حتى بلغنا الباب ، فأجلاني وقدماني فدخلت ودخلا ؛ فلما رآني صاحب
المنزل معهما ، لم يشك أنى منهما ، فَرَحَّبَ بي وأجلسني في أفضل المواضع ؛ فغني
يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبز نظيف وأُتينا بتلك الألوان ، فكان طعمها أَطْيَبَ
من ريحها ، فقلت في نفسي : هذه الألوان قد أكلتها ؛ بَقِيَتِ الكَفِّ [والمعصم] ^(١) ،

- كيف [أصل] ^(١) إلى صاحبتيهما ؟ ثم رُفِعَ الطعام ، وجرى بِالْوَضُوءِ ، ثم صرنا إلى مجلس
المنادمة ، فإذا أَشْكَلُ منزل ؛ وجعل صاحب المنزل يُلْطِفُ بي ، ويميل على
بالحديث ، حتى إذا شربنا أقدا حُرِجَتْ علينا جارية كأنها بدر ، نثنتي يا أمير المؤمنين
كالخيزران ، فأقبلت وسألت غير تَحْجَلَةٍ ، وثبت لها وسادة فجلست عليها ، وأتى
بالعود فَوُضِعَ في حِجْرِها ، بَخَسْتُهُ فاستبنتُ حَذَقَهَا في جَسَمِها ، ثم آندفعتُ تَغْنِي :

- ١٠ تَوَهَّمَهَا طَرَفِي فَأَصْبَحَ حَذُّهَا * وفيه مكان الوَهْمِ من نظري أثر ^(٢)
نُصَافِحُهَا كَفِّي فَتَوَلَّيْتُ كَفَّهَا * فَمِنْ مَسِّ كَفِّي فِي أَنَامِلِهَا عَقَرُ
فَهَيَّجَتْ يا أمير المؤمنين بلالي ، وطربتُ لحسن شعرها ؛ ثم آندفعتُ تَغْنِي :

- أَشْرْتُ لَهَا هَلْ عَرَفْتِ مَوَدَّتِي * فَرَدَّتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ
قَدْتُ عَنِ الْإِظْهَارِ عَمْدًا لِسَرِّهَا * وَحَادَتْ عَنِ الْإِظْهَارِ أَيْضًا عَلَى عَمْدٍ
فَصَحَّتْ يا أمير المؤمنين ، وجاءني من الطرب ما لم أملك نفسي معه ؛ ثم آندفعتُ فَنَنَّتْ
الصوت الثالث :

أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ بَيْتًا يَضُمُّنِي * وَإِيَّاكَ لَا نَخْلُو وَلَا نَتَكَلَّمُ
سِوَى أَعْيُنِ تَشْكُو الْهَوَى يَجْفُونَهَا * وَتَقْطِيعُ أَكْبَادَ عَلَى النَّارِ تُضَرِّمُ
إِشَارَةَ أَفْوَاهٍ وَتَغْمِزُ حَوَاجِبَ * وَتَكْسِيرُ أَجْفَانٍ وَكَفَّ تُسَلِّمُ

فجسدها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء، وإصابتها لمعنى الشعر، فقلت: بقی عليك يا جارية، فضربت بالعود على الأرض، وقالت: متى كنتم تُحَضِّرون مجالسكم البغضاء! فندمتُ على ما كان مني، ورأيت القوم تغيروا لي، فقلت: أما عندكم عود غير هذا؟ قالوا: بلى، فأُتيت بعود فأصلحت من شأنه ثم غنيت:

ما للنازل لا يُجِيبَ حَرِينَا * أَصَمَّنَ أَمْ قَدُمَ الْمَدَى قَبْلَانَا ^(١)
راحوا العشيَّ رَوْحَةً مذكورة ^(٢) * إِنْ مُتْنِ مُتْنَا أَوْ حَيِّنَ حَيِّنَا

فما استنعمته يا أمير المؤمنين، حتى قامت الجارية، فأكبت على رجلتي تقبلهما، وقالت: معذرة يا سيدي، فوالله ما سمعت أحدا يُغني هذا الصوت غناءك، وقام مولاهما وأهل المجلس، ففعلوا كفعلها، وطرب القوم واستحسوا الشرب فشربوا، ثم أندفعت أغنى:

أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَمْشِي وَلَا تَذْكُرْنِي * وَقَدْ هَمَمْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرهَا الدِّمَا ^(٣)
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بُحْلَهَا وَسَمَاحَتِي * لَهَا عَسَلٌ مِنِّي وَتَبْذُلُ عَلَقَهَا
فَرُدِّي مُصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتْلِيهِ * وَلَا تَتْرُكِيهِ ذَاهِلَ الْعَقْلِ مُفْرَمَا
فطرب القوم حتى خرجوا من عقولهم، فأمسكتُ عنهم ساعة حتى تراجعوا، ثم غنيت الثالث:

(١) كذا في المقد الفريد. وفي الأصل: «البل».

(٢) في المقد الفريد: «روحة مكورة».

(٣) رواية المقد الفريد:

أَبِي اللَّهِ أَنْ تَمْشِي وَلَا تَذْكُرْنِي * وَقَدْ سَفَحْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِكَ الدِّمَا

هَذَا مُخَيِّكٌ مَطْوِيًّا عَلَى كَبِدِهِ * عَبْرِي مَدَامُكَ تَجْرِي عَلَى جَسَدِهِ
لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهُ * مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَبِدِهِ

بلغت الجارية تصبيح : هذا الغناء والله يا سيدي لا ما كنا فيه منذ اليوم ؛ وسكر القوم ، وكان صاحب المنزل حسن الشرب ، صحیح العقل ؛ فأمر غلمانَه أن يُخْرِجُوهم ويحفظوهم إلى منازلهم ، وخلوتُ معه ؛ فلما شربنا أقداحا ، قال : يا سيدي ، ذهب ما مضى من أيامي ضَيَاعًا ، إذ كنتُ لأعرفك ، فمن أنت ؟ ولم يزل يُبَحِّثُ عَلَيَّ حَتَّى أَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ ، فقام وَقَبَّلَ رَأْسِي وقال : وأنا أعجب أن يكون هذا الأدب إلا لملك ! وإني لجالس مع الخلافة ولا أشعر . ثم سألني عن قصتي ، فأخبرته حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى صَاحِبَةِ الْكَفِّ وَالْمَعْصَمِ ، فقال للجارية : قومي فتقولي لعلانة تنزل ، فلم تنزل تنزل جواريه واحدةً واحدةً فأنظر إلى كَفِّهَا وَمِعْصَمِهَا ، وأقول : ليس هي هذه ! حَتَّى قَالَ : والله ما بقى غَيْرُ أُخْتِي وَأُمِّي ، والله لَا تُزَلِّمَانِي إِلَيْكَ ؛ فَعَجِبْتُ مِنْ كَرَمِهِ وَسَعَةِ صَدْرِهِ ، فقلت : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، إِبْدَأْ بِالْأَخْتِ قَبْلَ الْأُمِّ فَمَعْنَى أَنْ تَكُونَ هِيَ ؛ فَبَرَزَتْ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ كَفِّهَا وَمِعْصَمَهَا قلت : هي هذه ؛ فأمر غلمانَه فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلَّةِ جِرَانِهِ فَأَقْبَلُوا بِهِمْ ، وَأَمَرَ بِبَدْرَتَيْنِ فِيهِمَا عَشْرُونَ أَلْفَ دَرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَشَايِخِ : هذه أُخْتِي فَلَانة ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهَا مِنْ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَمَرْتُهَا عَنْهُ عَشْرِينَ أَلْفَ دَرْهَمٍ ، فَرَضِيْتُ وَقَبِلْتُ النِّكَاحَ ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهَا الْبَدْرَةَ ، وَفَرَّقْتُ الْأُخْرَى عَلَى الْمَشَايِخِ وَصَرَفْتُهُمْ ؛ ثُمَّ قَالَ : يا سيدي ، أُمَهِّدُ بَعْضَ الْبُيُوتِ فَنَتَامُ فِيهِ مَعَ أَهْلِكَ ؟ فَأَحْسِنِي مَا رَأَيْتَ مِنْ كَرَمِهِ ، فَقُلْتُ : أَحْضَرُ عَمَّارِيَّةَ ^(٢) وَأَحْمِلُهَا إِلَى مَنْزِلِي ، ففعل ؛ فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد أتبعها من الجَهَّازِ مَا ضَاقَتْ عَنْهُ بَيْوتُنَا ؛ فَأَوْلَدَتْهَا

هذا القائم على رأس أمير المؤمنين — يشير إلى ولده — فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله، وأطلق الطفيل وأجازه .

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، وهو الذي حاز قصبات السبق في فنّ الأدب على أتباعه، وفاز من البلاغة بقِدْحِهَا الْمُعَلَّى في عُقُوفَانِ شَبَابِهِ، رسالةً وضعها في هذا الفنّ، وصار له بها على أهله غاية المنّ؛ مع نزاهة نفسه الأنيّة، وارتفاعه عن المطامع الدنيّة؛ وإنما وضعها تجربة لخاطره، وضمها إلى فوائد دفاثره، وهي :

هذا عهد عهده زارد بن لاقم، لبالع بن هاجم، آستفتحته بأن قال :

الحمد لله مسهل أوقات اللذات وميسرها، وناظم أسباب الخيرات ومكثرها، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على ساق، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق؛
أحمده على أن أحلنا في منازل السادات أرفع الدرجات، وأحل لنا من الأطعمة الفائقة الطيبات؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع، وتخصّنا بالمحلّ الجسيم المنيع؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام، ومعدن الجسارة والإقدام، الجامع بين فضيلتي الطعان والطعام؛ صلى الله عليه وعلى آله أهل السباحة والكرم والإكرام، صلاة تُحِلُّ قَانِئَهَا في غُرَفَاتِ الحِنَانِ في دار السلام . وبعد ، فإن صناعة التطفيل صناعةٌ مَهُوبَةٌ، وحرقة هي عند الظرفاء محبوبَةٌ؛ لا يلبس شعارها إلا كلُّ مقدم، ولا يرفع خافقَ علمها إلا من عُدَّ في حرفته من الأعلام؛ ولا يتلو أساطير شهامتها إلا من أرتضع أفابيق الصِّفَافَةِ، ولا يبتدى لمنازلَ علائقها إلا من نزع عن منكبِهِ رداء الرِّقَاعَةِ والحِجَافَةِ؛ وكنتُ والقودُ غُدَافِي الإِهَابِ، والغصنَ رَيَّانَ من ماء الشباب؛ والقَدَّ يَمِيسَ في حُلَّةِ النشاط، والقَدَمَ

تَدْرَعُ الأرضَ ذَرَعَ الاختِباطِ ؛ لا يُقامُ سوقٌ وليمةٌ إلا وأنا الساعى إليها ، ولا ترفع
 أعلامَ نارٍ مَأْدُبَةٍ إلا وكنت الواقفُ لديها ؛ أتخذُ الدروبُ شباكاً للصطيادِ ، وحبائلُ
 أبلغُ بها لذيقَ الازدردادِ ؛ قد جعلتُ المَعطَسَ حليفَ الهواءِ ، والقلبَ نزيلَ الأهواءِ ؛
 فحيثُ عَبَّتْ روائحُ الأباذيرِ منْ أعالي تلكِ القصورِ ، وتمندلتْ تلكِ الشوارعُ
 بزعفرانِ البرَمِّ والقُودُورِ ؛ أَلقيتُ عصاَ المسيرِ على البابِ ، وخَلَبْتُ بحسنِ أدبى
 قَلْبَ البَوَّابِ ؛ وأوسعتُ في وصولي أَلْفَ حيلةٍ ، وجعلتها على ما عندى من حسن
 فنونها حَيَلَةً ؛ فلا دعوة إلا وكنت عليهم دعوة ، ولا وليمةٌ خَتَانٌ إلا وقد طلعت
 على أرجائها مثلَ الحانٍ ، ولا سِمَاطٌ تَأْلِبُ إلا وكنتُ إليه الساعى المنيبُ ، ولا تَجْمَعُ
 ضيافةً إلا وكنت عليه أشدَّ آفةً ، ولا ملاكٌ عُرْسٍ مشهودٍ إلا وأنتظمتُ في سلكِ
 الشهودِ ؛ يحسنُ في قولِ القائلِ :

١٠

لو طَيَّحْتَ قَدْرَ بِمَطْمُورَةٍ * مَوْقُدها الشامَ وأعلى الثغورِ
 وأنتَ في الصينِ لو أفتيتها * يا عالمَ الغيبِ بما في القُدُورِ

١٥

واليومَ قد مالَ القَويمُ إلى الاعوجاجِ ، وعزَّ بازى الشيبِ غُرَابَ الشَّعرِ الدَّاجِ ؛
 وقيدَ الزَّمَنُ أقداما ، ومنعتُ الشيخوخةَ إقداما ؛ وصرتُ لحما على وَحَةٍ ، بعد أن كنتُ
 نارا على عَلمٍ ؛ وقد أفادتني التَّجَرُّبَةُ من هذه الصَّناعةِ فنونا ، وتلت على من محاسنها متونا ؛
 وقد أبقيت لكلِّ مجمعٍ بابا ، وقَدْ لَكْتُ لكلِّ مَشْهدٍ حسابا ؛ وقد آتَقَضَى حسنُ الرأى
 أن أفوضَ إليك أمرها ، وأودعُ تَأْمُورَ قلبك وحسَّكَ سرِّها ؛ علمى بأنك الكَيِّسُ
 الفَظِنُ ، بل الأَلْمَى الذَّربَ المَرِنَ ؛ لو عقدتُ أكلَّةَ الولائمِ بَغَابٍ وِلَجَهَ ، وأحسنُ بَتَاتِيهَ
 الجليلِ مَدْخَلَهَ ومَحَرَّجَهَ ؛ وقد شاهدتُ من أعمالك الصالحة ، ما يقال عند ذهابي :

(١) تمندلت : تَضَوَّعت وفاحت ، وأصل التمدل : التطيب بالمنديل .

٢٠

(٢) فى الأصل : « تأنيب » .



ما أشبه الليلة بالبارحة ؛ وقد عَهِدْتُ إليك ، وأستخرت الله في التعويل عليك ؛
فمثلك من يُحْتَطَبُ للناصب ، ويتسمَّ ذِرْوَةُ المراتب ؛ ودونك ما أنطق به من الوصايا ،
وأحفظ ما يسرُّده لسانُ القلم من جميل المزايا : إياك وموائد اللثام ، وأزل بساحات
الكرام ؛ وأتخذ الشروع في الشوارع حرفة ، وأظهر على شيك صَلافة وعِفَّة ؛ وميز
بعينك حُسْنَ المساطب ونَقَشَ الستور ، وجمال الخدم وقعود الصدور ؛ وأقصد
الأبواب العالسة ، والأكلة المنقوشة الحالية ؛ فإن دُلَّت على مَادِبَةٍ نصبتها بعض
الأعيان ، وجمع إليها أصحابه [و] الإخوان ؛ فالبس من ثيابك الجميلة قشيبها ، وضوِّع
بالمندل^(١) الرطب طيبها ؛ وأتقن خُبْرَ صاحب الدار وأخباره ، وقف في صدر الشارع
من الحارة ؛ فاذا رأيت الجَمْعَ وقد تهاوَّأ بالهوادي والأقدام ، وتهاوَّأ فيما بينهم لذيذ
الكلام ؛ تقدَّم إليهم بقلب قلب الأمور ، وعلم بحسن تطلُّعه وتضلُّعه داءَ الجمهور ؛ وقل
لهم : رب الدار قد استبطأكم ، فما الذي أبطأكم ؛ حتَّى إذا قاربوا صُعود العتبة ،
ولم تبقْ هنالك مَعَبَّةٌ ؛ تقدَّم رافعا لهم الستور ، وعرِّفا بمقدار أولئك الصدور ؛
فالأضياف يعتقدون أنك غلام المضياف ، وربُّ الحِلَّةِ يعتقد أنك رفيق السادة
الحِلَّةِ ؛ وإن وُلِّحَتْ مجتمع خِتان ، وقد نُصِبَتْ فيه موائد الألوان ؛ وزُرِفَتْ^(٢) الأبواب ،
وأكْفَهَرَتْ وجوه المجاب ؛ فاجعل تحت ضَبِّكَ^(٣) المجمع ، وأخدع قلوبهم فمثلك من
يُخَدِّع ؛ وقل : رفيق الأستاذ ومعيته ، ورجله التي يسعى بها بل يمينه ؛ فحينئذ ترفع

(١) المندل : أجود العود .

(٢) زرفت : أعلقت ، قال الشهاب الخفاجي في شفاء العليل : وزرته كلمة مولدة واستشهد لذلك

بقول الشاعر :

خددود لثها يرى * من الأسقام لو أمكن

فا تجنى وحارسها * بقفل الصدغ قد زرفن

وفي الأصل « ذرفن » بالذال المعجمة .

(٣) الضب : الكف . وفي الأصول . « طنبك » .

- الستور ، وتُقدِّم لك أطيب القدور ؛ وإن رماك القَدْرُ على باب غفل عنه صاحبه ، وسها في غلقه حاجبه ؛ وقد مدوا في أوانيه سِمَاطا ، وجعلوا لأوائل من يقدمه فِرَاطا ، وقد تفاربت الزبادى ، وأمتدت الأيادى ؛ ورأيت السَّمَاطَ رَوْضَةً تخالفت ألوانها ؛ وأمتدت أفنانها ، والموائد فيما بينها أفلألكُ تدور بصحونها ، بل بروج ثابتة تُشعِرُ بسكونها ؛ فليج على غفلة من الرقيب ، وأبسُط بَنَانُ الأكل وكُفِّه .
- لسان المحيب ؛ فإن قيل لك : أما غلَّقَ دونك باب ؟ فقل : ما على الكرماء من حِجَاب ؛ وإياك والإطالة على الموائد ، فإنها مصايِدُ الشوارد ؛ وإياك والقَدَارَة عليها ، فإنها إمارة الحِرْمَان لديها ؛ وإن وقعت على وليمة كثيرة الطعام ؛ قليلة الأزدحام ؛ فكبر اللقمة ولا تطل عَنَكُهَا ، ومُر الفكِّ في سرعة أن يَفُكَّهَا ؛ فإنك ماتدرى ما تُحدث الليالى والأيام ، خيفة أن يعثرَ عليك بعض الأقوام ؛ فتكتسى حُلَّة الخجل ، وتظهر على وجهك صُفرة ١٠ الوجَل ؛ وأجعل من آدابك ، تطلَّعك الى أثوابك ؛ ولا ترفع لمستجلَّ وجهها وجيها ، وقل لمن يحادثك إيه ولا تقل إياها ؛ وجاوب بنعم ، فإنها مُعينة على ألِّقَم ؛ وأجعل لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، ومِلْ على أهل الولايم والمدآب مِيلَةً وأى مِيلَةً ؛ وأسأل عمن وِث من آبائه مالا ، وقد جمعه بوعثاء السفر وعآنه حراما وحلالا ؛ أهل يَعقد مقاما ، أم يبلغ من دنياه بالقصف مراما ؟ فإن قيل : فلان الغلانى رَبَّ ١٥ هذه المثابة ، وصاحب الدعوة المجابة ؛ فكن نائمة الانآف لِيَابِهِ ، وانتظم في سلك عُشْرَانِهِ وَأَتْرَابِهِ ؛ وتفَقِّد الأسواق خصوصا اللّخمين ، ومواطن الطبخ ومساطب المطربين ؛ وجمّع القراء ومعاهد محالِّ الوعَاط ، وكلَّ بقعة هى مَظَنَّة فرح يعود عليك نفعه ؛ وكن أول داخل وآخر خارج ؛ ومل إلى الزوايا ، فهى أجمل ما لهذه الحِرْفَة من المزايَا ؛ ونَقَل رِكَابك في كلِّ يوم . فسارة في سوق اللحم وتارة في سوق الثوم ؛ وغير ٢٠

الحلية، وقصّر اللحية؛ وأبرز كل يوم في لباس، فهو أكثر للالتباس؛ وجدّد البهت حتى نَحْدَه عَصاك، وتجعله ذريعة لمن عصاك؛ وأتقن الفنون المحتاج إليها: من غناء ونجامة، وطبّ وكهانة؛ وتاريخ وأدب، وكرم أصل وحسب؛ وحالتي التوقيت والتزيل، فاجعلهما دأبك؛ فإذا عرفوك، وحضر الجمع وكشفوك؛ فطرّز كل محفل بحاسن أقوالك، وكلل جيد كل مادبة بجواهر أفعالك؛ وأعلم أنها صنعة دثرت معالمها، وقلّ عالمها؛ ولو لم أر على وجهك مخايل بشرها، وعلى أعطاف أردانك روائح نشرها؛ لما ألفتُ إليك كتاب عهدا، ولا حملتُ لباك راية مجدها؛ فتلق راية هذا العهد بساعِدٍ مُسَاعِد، وعَضُدٍ في الوُلُوج على الأستمطة مُعَاوِد؛ فوضتُ إليك أمر من تحلى بجواهرها المنظومة، وأيس حلّها القشبية المرقومة؛ وبسطتُ لسان قلمك في رَقَمِ عهودها، وأدنتُ لك أن تجريهم على سنن معهودها؛ وإياك أن تعهد إلا لمن ملك خصاها، وجاس خلاها؛ وأستجل هلالها، وأتقن أحوالها؛ ولاية عامة، وكلمة مبرمة تامّة؛ حرس الله بك معقل الأدب واللاطفة، ومحا بك معالم الثقالة والكثافة.

(١٠٥)

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. وروى أن داود عليه السلام أمر مناديه فنادى: أيها الناس، اجتمعوا لأعلمكم التقوى؛ فاجتمعوا، فقام في محرابه فبكى ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، لا تدخلوا هاهنا إلا طيبا، ولا تخرجوا منه إلا طيبا؛ وأشار إلى فيه. قيل: أول آداب الأكل معرفة الحلال من الحرام، والخبر من الطيب.

وأما الآداب في هيئة المؤكلة وأفعالها، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه. وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشموا الطعام كما تشمه البهائم^(١) من أشتهى شيئاً فليأكل ومن كرهه فليسدع". وقال أنس: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر، ودخل دارنا فخلبنا له شاة فثيرب، وأبو بكر عن يساره وأعرابي عن يمينه؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أعط أبا بكر، فقال صلى الله عليه وسلم: "الأيمن فالأيمن". وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

صَدَدْتُ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو * وَكَانَ الْكَأْسُ نَجْرَاهَا الْيَمِينَا

وروى عن أنس: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم شرب جرعة ثم قطع، ثم سَمِيَ ثم شرب جرعة ثم قطع، ثم سَمِيَ ثم قطع الثالثة، ثم جَرَعَ مَصًّا حَتَّى فَرَّغَ، ثم حَمِدَ الله. وقد نُدِبَ إلى غسل اليد قبل الأكل فإنه ينفي الفقر، وَيَنْفِي اللَّعْمَ. ومن السنة: البداءة باسم الله، وحمده عند الانتهاء.

روى عن عمر بن أبي سلمة أنه قال: مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل، فقال: "إِجْلِسْ يَا بُنَيَّ وَسَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِمِيزِكَ مَا يَلِيكَ".

وقال بعض السلف: إذا جمَعَ الطعامُ أرباعاً فقد كُلَّ كُلِّ شَيْءٍ: إذا كان حلالاً، ودُكِّرَ اسمُ الله عليه، وكَثُرَتْ عليه الأيدي، وحَمِدَ الله حين يَفْرُغُ منه.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال عندَ مَطْعَمِهِ ومَشْرَبِهِ بِاسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ [باسم الله]^(٢) رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لم يضره ما أَكَلَ وما شَرِبَ".

(١) في الجامع الصغير: « كما تشمه السباع ».

(٢) رواية البخاري: « يا علام سم الله وكل بميزك وكل ما يليك ».

(٣) الزيادة عن المستطرف في كل فن مستظرف للإيشي (ج ٢ ص ٢١٢).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم قال : ” إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فإن نسي في أوله فليقل بآسم الله في أوله وآخره “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه [واذا شرب فليشرب بيمينه] ^(١) فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله “ .

وَرَوَى : أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا دَعَا أَصْحَابَهُ قَامَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا فَأَصْنَعُوا بِالْفُقَرَاءِ .

ووصف شاعر قوما فقال :

جُلُوسٌ فِي مَجَالِسِهِمْ رِزَانٌ : وَإِنْ ضَيْفُ أَلَمٍ بِهِمْ وَقُوفٌ

قال سهل بن حصّين : شهدت الحسن في وليمة ، فطعم ثم قام فقال : مَدَّ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْعَافِيَةِ ، وَأَوْسَعَ عَلَيْكُمْ فِي الرِّزْقِ ، وَأَسْتَعْمَلَكُمْ بِالشُّكْرِ . ١٠

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ” تَخَالَفُوا فَإِنَّهُ نِظَافَةٌ وَالنِّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ “ . ^(٢)

وفي حديث عمر رضي الله عنه : ” عَلَيْكُمْ بِالْحَشَبَتَيْنِ “ يعني السَّوَاكَ وَالْحِلَالَ . وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه في الطعام : يَا بُنَيَّ ، عَوِّدْ نَفْسَكَ الْأَثَرَةَ ، وَمُجَاهِدَةً [الهوى و] الشهوة ، وَلَا تَنْهَشْ نَهَشَ السَّبَاعِ ، وَلَا تَخْضِمَ خَضْمَ الْبَرَادِينِ [وَلَا تُدْمِنِ الْأَكْلَ إِدْمَانِ النَّعَاجِ ، وَلَا تَلْقَمْ لَقْمَ الْجَمَالِ] ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ لِنَاسَاتَا ، فَلَا تَجْعَلَ نَفْسَكَ بِهَيْمَةً . ١٥

(١) التَّكْلَةُ عَنْ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ وَالْمُسْتَطَرَفُ .

(٢) رَوَايَةُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ : « وَالنِّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ » .

(٣) الْأَثَرَةُ (بِالضَّمِّ) : اسْمٌ مِنَ الْإِيثَارِ وَهُوَ تَفْضِيلُ الْإِنْسَانِ عَلَيْهِ عَلَى غَدِهِ .

(٤) الزِّيَادَةُ عَنْ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

وحكى عن بعض الكتاب قال : تغذيت مع المأمون فالتفت إلى وقال : خلال قبيحة عند الجلوس على الطعام : كثرة مسح اليد ، والانتكاب على الطعام ، وكثرة أكل البقل . ومعنى ذقه هذه الحلال الثلاث : أنه إذا أكثر مسح اليد وإنما ذلك من غمسهما في الطعام ، والانتكاب يدل على شدة الحرص وزيادة الشره والنهم ، قال الشاعر :

لقد سترت منك الإخوان عمامة * دجوجية ظلماتها ليس تقلع .

وأما البقل ، فإن الحاجة إلى البلغة منه ، وفي الإكثار منه تشبه بالبهائم لانه مرعاها .

وقيل : الأكل ثلاثة : مع الفقراء بالإيثار ، ومع الإخوان بالانسياط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب .

وقيل لبعض الحكماء : ^(١) أئى الأوقات أحمدا للأكل ؟ فقال : أما من قدر فإذا أشتهى ، وأما من لم يقدر فإذا وجد .

ذكر الاقتصاد فى المطاعم والعفة عنها

قال الله عز وجل : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من زاره أخوه المسلم فقرب إليه ما تيسر غفر له وجعل فى طعامه البركة ومن قرب إليه ما تيسر فاستحق ذلك كان فى مقت من الله حتى يخرج" . وقالت عائشة رضى الله عنها : أولم النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه مدين من شعير .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول : اعملوا ولا تعملوا لبطونكم ، وإياكم وفضول الدنيا ، فإن فضولها رجز ؛ هذه طير السماء تغدو وتروح ، ليس معها



من أرزاقها شيء ، لا تحرث ولا تحصد ، والله يرزقها ؛ فإن قلتم : بطوننا أعظم من بطونها ؛ فهذه الوحش تغدو وتروح ، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .
وروي أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لما دخل شهر رمضان كان يقطر ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث ؛ ف قيل له : فقال : إنما هي أيام قلائل يأتى أمر الله وأنا نحيص ، فقتل من لياته .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قل طعمه صح بدنه وصفا قلبه ومن كثر طعمه سقيم جسمه وقسا قلبه" . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : "ما زين الله رجلا بزيئة أفضل من عفاف بطنه" . قال حاتم :

أبيت نحيص البطن مضطجرا الحشا * من الجوع أخشى الذم أن أتضلما
فإنك إن أعطيت بطنك سُؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال بعضهم : رأيت مجنونا ببغداد ، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون ، وكنت ممن دعى ، فقلت : ألا تدخل فأن كل فان الطعام كثير ؟ قال : وإن كثر فاني ممنوع منه ؛ فقلت : كيف والباب مفتوح ، ولا مانع من الدخول ؟ فقال : أأكل طعاما لم أدع إليه ! لقد أضطرنى الى ذلك غير الجوع ؛ فقلت : ما هو ؟ قال : دناءة النفس وسوء الغريزة . قال شاعر :

وإني لعف عن مطاع جمّة * إذا زين الفحشاء للنفس جوعها

وقال آخر :

وأعيرض عن مطاع قد أراها * فأتركها وفي البطن أنطواء
فلا وأبيك ما في العيش خير * ولا الدنيا إذا ذهب الحياء^(٢)

(١) العلم (بالعلم) : الطعام .

(٢) كذا في شرح ديوان الحماة طبع أوربا (ص ٥١٦) . وفي الأصول : « وفي الدنيا » .

قال الجنيّد: مرّ بي الحارث بن أسد المحاسبيّ، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عمّ، تدخل الدار وتناول شيئاً؟ قال: نعم، فدخل، وقدمت إليه طعاماً حُمِلَ إلى من عُرْس، فأخذ لقمة فلاكها، ونهَضَ فألقاها في الدهليز ومضى، فالتقيت به بعد أيام، فقلت له في ذلك، فقال: كنت جائعاً، وأردت أن أسرك بأكلي، ولكن بيني وبين الله تعالى علامة، ألا يسوغني طعاماً فيه شبهة، فمن أين كان ذلك الطعام؟ فأخبرته، ثم قلت له: تدخل اليوم؟ قال: نعم، فقدمت إليه كسراً كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمت لفقير شيئاً، فقدم مثل هذا.

وروي أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحكمين: أكثرُوا لهم الطعام، فوالله ما بطن قوم إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عزيمة رجل بات بطينا، فلما وجد معاوية ما قال صحيحاً، قال: «البطنة تُذهب الفطنة»^(١).

١٠

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثرت عليه الماء»^(٢).

ودخل عمر مرضى الله عنه على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً، فقال: ما هذا؟ قال: قَرِمنا إليه، قال: ويحك! قَرِمْتَ إلى شيء فأكلته، كفى بالمرء شراً أن يأكل كل ما يشتهي.

١٥

قال ابن دريد: العرب تُعَيِّرُ [بعضها] بكثرة الأكل، وأنشد:

لست بأكّال كأكل العبد * ولا ينوأم كنوأم الفهد

(١) في جمع الأمثال: «البطنة تأمن الفطنة».

(٢) في الاحياء للزالي: «فإن القلب كالزراع يموت... الخ». وفي المستطرف: «فإن القلب

كالزراع إذا كثرت عليه الماء مات».

(٣) الزيادة عن المستطرف.

٢٠

وقال عمر رضى الله عنه : ما أجمع عند النبي صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر .

وقال أبو سليمان الداراني : خير ما أكون إذا لصق بطني بظهرى ، أجوعُ الجوعَ فانخرج تزحني المرأةُ فما ألفت إليها ، وأشبعَ الشبعةُ فانخرج فأرى عيني تطمحان .

ذكر أخبار الأكلة

قد نُسب ذلك الى جماعة من الأكابر وذوى الهمم ، فمن ذلك ما حكاه الجُدوني في تذكرته : أن معاوية بن أبي سفيان أتى بعجل مشويٍّ ، فأكل معه دستا من الخبز السميد ، وأربع قراني^(١) ، وجدياً حاراً ، وجدياً بارداً ، سوى الألوان ؛ ووضع بين يديه مائة رطل من الباقلاء الرطب ، فأتى عليه . وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع أكالات آخرهن أشدهن ، ثم يقول : يا غلام ، أرفع ، فوالله ما شيعت ، ولكني ملئت .

ومنها عبيد الله بن زياد ، كان يأكل في اليوم خمس أكالات آخرها جنبه بغل ، ويوضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عناق^(٢) أو جدى فيأتى عليه وحده .

ومنها الحجاج بن يوسف ، قال سلم بن قتيبة^(٣) : كنت في دار الحجاج مع ولده ، وأنا غلام ، فقالوا : جاء الأمير ؛ فدخل الحجاج وأمر بتتور فنُصب ، وأمر رجلا يخبز خبز الماء ودعا بسـمـك ، فأكل حتى أتى على ثمانين جاما من السمك بثمانين رغيفا من خبز الماء .

(١) القراني : خبز يشوى ويروى سمننا ولبننا وسكرا .

(٢) العناق : الأنثى من أولاد المعز .

(٣) كذا في كتاب المعارف لابن قتيبة والطبري وابن الأثير . وفي الأصل : « سالم بن قتيبة » .

ومنها سليمان بن عبد الملك، روى أنه شوى له أربعة وثمانون خروفاً، فمديده إلى كل واحد منها فأكل شحم أليته ونصف بطنه مع أربعة وثمانين رغيفاً، ثم أذن للناس وقدم الطعام، فأكل معهم أكل من لم يذوق شيئاً .

وقال السمرّدل ويكل عمرو بن العاص : قدم سليمان بن عبد الملك الطائف ،

فدخل هو وعمر بن عبد العزيز، فجاء حتى ألقى صدره إلى غصن، ثم قال : يا سمرّدل ، ما عندك شيء تطعمني ؟ قلت عندي جدى ^(١) تغدو عليه حافل وتروح أخرى ؛ قال :

عجل به ، فأتيته به كأنه عكة ^(٢) سمن ، بفعل يا كل ، وهو لا يدعو عمر ، حتى بقي منه فخذ قال : يا أبا حفص هلم ، قال : إني صائم ، فأتى عليه ؛ ثم قال : يا سمرّدل وياكل !

ما عندك شيء ؟ قلت : دجاجات ست ، كأنهن ربلان النعام ، فأتيته بهن فأتى عليهن ؛

ثم قال : وياكل يا سمرّدل ! ما عندك شيء ؟ قلت : سويق كأنه قراضة الذهب ، فأتيته ^(٣) بعس يغيب فيه الرأس ، فشربه ؛ فلما فرغ تحشأ كأنه صارخ في جب ؛ ثم قال :

يا غلام ، أفرغت من غدائنا ؟ قال : نعم ، قال : ما هو ؟ قال : نيف وثمانون قدرا ،

قال : فأت بقدر قدر ، ويقناع عليه رفاق ، فأكل من كل قدر ثلاث لقم ، ثم مسح يده وأستلقى على فراشه ، فوضع الخوان وقعد يأكل مع الناس .

ومن المشهورين بالأكل ، هلال بن الأسعر المأزني ، قال المعتز بن سليمان :

سأله عن أكله فقال : جعت مرة ومعي بعير لي فنحرته وأكلته إلا ما حملت منه

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥) : وفي الأصل : « حذع » .

(٢) العكة : زقيق صغير للسمن .

(٣) رواية العقد الفريد : « خمس دجاجات هديات » .

(٤) في العقد الفريد : « حريرة » وهي دقيق يطبخ بلبن أو دسم .

(٥) العس : القدح العظيم .

(٦) في العقد الفريد : « في حب » والحب : الخابية ، فارسي معرب .

(٧) القناع (بالكسر) : الطبق من عشب النخل يوضع فيه الطعام .

على ظهري ، فلما كان الليل راودت أمة لي فلم أصل إليها ، فقالت : كيف تصل إلى
 وبني وبينك جمل ؟ فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة ؟ فقال : أربعة أيام .
 وحكى أبو سعد منصور بن الحسين الآبي في كتابه المترجم بنثر الدر : أن هلالا
 هذا أكل بعيرا ، وأكلت أمراؤه فصيلا وجامعها فلم يتمكن منها ؛ فقالت له : كيف
 تصل إلى وبني وبينك بعيران ! وله حكايات ذكرها الحمدوني في التذكرة ، والآبي
 في نثر الدر تركناها اختصارا .

ومنها محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما
 جنبي بكر شواء بعد طعام كثير .

ومن المشهورين بالنهم أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون ، وكان
 المأمون اذا وجهه في حاجة أمره أن يتغذى ويمضى ؛ فُرِفِعَ الى المأمون في المظالم :
 إن رأى أمير المؤمنين أن يجرى على ابن أبي خالد ^(١) بدلا ، فإن فيه كلبية ، إلا أن
 الكلب يحرس المنزل بكسرة ، وابن أبي خالد يقتل المظلوم ، ويعين الظالم بأكلة ؛
 فأجرى عليه المأمون في كل يوم ألف درهم لمأذنته ، وكان مع ذلك يشره الى طعام
 الناس . ولما أنصرف دينار بن عبد الله من الجبل ، قال المأمون لأحمد بن أبي خالد :
 امض الى هذا الرجل وحاسبه وتقدم اليه بجمل ما يحصل لنا عليه ، وأنفذ معه خادما
 ينهى اليه ما يكون منه ؛ وقال : إن أكل أحمد عند دينار عاد الينا بما نكره .
 ولما اتصل خبر أحمد بدينار قال للطباخ : إن أحمد أشره من نفع فيه الروح ، فإذا
 رأيته فقل له : ما الذي تأمر أن يتخذ لك ؛ ففعل الطباخ ، فقال أحمد : فراريح

(١) كذا في الأغاني (ج ٣ ص ٦٨ طبع دار الكتب) والمستطرف . وفي الأصول : « كم تبلغتك » .

(٢) كذا في معجم ياقوت ونظم الدر لأبي سعد . وفي الأصول : « أبو سعيد منصور بن الحسن الآبي »
 وهو تحريف . والآبي نسبة الى آية قرية من أصهان .

(٣) البذل : العطاء ، وفي الأصل : « نزلا » .

- كَسْكِرِيَّةَ بَءِ الرِّمَانِ تُقَدِّمُ مَعَ خَبْزِ الْمَاءِ بِالسَّمِيدِ، ثُمَّ هَاتِ بَعْدَهَا مَا شِئْتَ، فَابْتَدَأَ
الطَّبَاحُ بِمَا أَمَرَ، وَأَخَذَ أَحْمَدُ يُكَلِّمُ دِينَارًا، فَقَالَ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: إِنْ لَنَا
قَبْلَكَ مَا لَا قَدْ حَبَسْتَهُ عَلَيْنَا؛ فَقَالَ: الَّذِي لَكُمْ ثَمَانِيَةَ آلَافِ أَلْفٍ، قَالَ: فَاحْمِلْهَا،
قَالَ: نَعَمْ، وَجَاءَ الطَّبَاحُ فَاسْتَأْذَنَ فِي نَصَبِ الْمَائِدَةِ، فَقَالَ أَحْمَدُ: تَحْمِلُ بِهَا فَإِنِّي
أَجُوعُ مِنْ كَلْبٍ؛ فَقَدَّمَتْ وَعَلَيْهَا مَا اقْتَرَحَ، وَقَدَّمَ الدِّجَاجُ وَعَشْرِينَ فُرُوجًا كَسْكِرِيَّةَ،
فَاكُلْ أَكُلْ جَائِعٌ نَحْنُ، مَا تَرَكَ شَيْئًا مِمَّا قَدَّمَ، فَلَمَّا فَرَغَ وَقَدَّرَ الطَّبَاحُ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ،
لَوْحَ بَطِينُورِيَّةٍ فِيهَا خَمْسُ سَمَكَاتٍ شَبَابِيظَ كَأَنَّهَا سَبَائِكُ الْفُضَّةِ، فَانْكَرَ أَحْمَدُ عَلَيْهِ
أَنْ لَا قَدَمَهَا، وَقَالَ: هَاتَهَا، وَأَعَادَ أَحْمَدُ الْخَطَّابُ؛ فَقَالَ دِينَارٌ: أَلَيْسَ قَدْ عَرَفْتَكَ
أَنْ الْبَاقِيَ لَكُمْ عِنْدِي سَبْعَةَ آلَافِ أَلْفٍ؟ قَالَ: أَحْسِبُكَ اعْتَرَفْتَ بِأَكْثَرِ مَنَّا؛ فَقَالَ:
مَا اعْتَرَفْتَ إِلَّا بِهَا؛ فَقَالَ: هَاتِ خَطِّكَ بِمَا اعْتَرَفْتَ بِهِ، فَكَتَبَ بِسِتَّةِ آلَافِ أَلْفٍ؛
فَقَالَ أَحْمَدُ: سَبَّحَانَ اللَّهِ! أَلَيْسَ قَدْ اعْتَرَفْتَ بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: مَا لَكُمْ قَبْلِي
إِلَّا هَذَا الْمَقْدَارُ فَأَخَذَ خَطَّهُ بِهَا؛ وَتَقَدَّمَ الْخَادِمُ فَأَخْبَرَ الْمَأْمُونُ بِمَا جَرَى. فَلَمَّا وَرَدَ
أَحْمَدُ نَاولَهُ الْخَطَّ، فَقَالَ: قَدْ عَرَفْنَا مَا كَانَ مِنْ أَلْفِ الْأَلْفِ بِتَنَاوُلِ الْغَدَاءِ، فَمَا بِالِ
أَلْفِ الْأَلْفِ الْأُخْرَى! فَكَانَ الْمَأْمُونُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: مَا أَعْلَمُ غَدَاءَ قَامَ عَلَى أَحَدٍ
بِأَلْفِي أَلْفٍ إِلَّا غَدَاءَ دِينَارٍ؛ وَأَقْتَصَرَ عَلَى الْخَطِّ وَلَمْ يَتَعَقَّبْهُ كَرَمًا وَنُبْلًا.

١٥

وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَالِيَةِ، حُكِيَ أَنَّ أَمْرَأَةً حَمَلَتْ لَخْلَفْتَ إِنْ وَلَدَتْ غُلَامًا لِأَشْبَعِينَ
أَبَا الْعَالِيَةِ خَيْصًا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَاطْعَمْتَهُ، فَأَكَلَ سَبْعَ جِفَانٍ؛ فَقِيلَ لَهُ: لِمَ
حَلَفْتَ أَنْ تُشْبِعَكَ خَيْصًا؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ لِمَا شَبِعْتَ إِلَى اللَّيْلِ.

وَمِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْعَلَّافُ الشَّاعِرُ، دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْوَزِيرِ
الْمُهَلَّبِيِّ بِبَغْدَادَ، فَأَنْفَذَ الْوَزِيرُ مِنْ أَخَذَ حِمَارَهُ الَّذِي كَانَ يَرْكَبُهُ مِنْ غُلَامِهِ، وَأَدْخَلَ

٢٠

المطبخ وذُبح وطُبخ لحمه بماء وملح، وقُدِّم بين يديه، فأكله كله وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج [و] طلب الحمار، قيل له: قد أكلته. وعوضه الوزير عنه ووصله. فهذا كاف في أخبار الأكلة.

ذكر ما قيل في الجُبْن والفرار

٥ ومن أفتح ما هجى به الرجل أن يكون جباناً فزارا، وقد نهانا الله عز وجل عن الفرار، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُمْ بِهِمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِعِضٍ مَّا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. وقالت عائشة رضي الله عنها: إن لله خلقاً قلوبهم قلوب الطير، كلما خفقت الريح خفقت معها، فأف للجناء! أف للجناء!

وقال خالد بن الوليد عند موته: [لقد] لقيت كذا وكذا زحفا، وما في مجسدى موضع [شبر] إلا فيه طعنة برُح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم؛ وهانذا أموت على فراشى حنط أنفى. كما يموت العير؛ فلا نامت أعين الجناء!

١٥ وقيل: كتب زياد إلى ابن عباس: أن صف لي الشجاعة والجُبْن والجلود والبخل؛ فكتب إليه: كتبت تسألني عن طبائع رُكبت في الإنسان تركيب الجوارح، أعلم أن الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه، والجبان يفر عن عِرسه، وأن الجواد يعطي من لا يلزمه، وأن البخيل يُسبك عن نفسه. وقال شاعر:

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ عِرسِ نَفْسِهِ * وَيَتَجَمَّعُ شُجَاعُ الْقَوْمِ مِنْ لَا يَنَاسِبُهُ

٢٠ (١) الزيادة عن العقد الفريد وتذكرة الصفدى. (٢) هو أبو يعقوب الخريزمي كما في كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النرى الأندلسي ورقة ١٣٣ (٣) كذا في الأصل وبهجة المجالس. وفي العقد الفريد: «عن أم نفسه».

وقالوا : الجبن غريزة كالشجاعة بضعها الله فيمن شاء من خلقه .

قال المتنبي :

يرى الجبناء أن الجبن حَزْمٌ * وتلك خديعةُ الطبع اللثيم

وقالوا : حمد الجبن : الضمُّ بالحياة ، والحِرْصُ على النجاة .

وقالت الحكماء في الفراسة : من كانت فزعته في رأسه فذاك الذي يَفِرُّ من أمه وأبيه ، وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التي تُؤْوِيه .

ويقال : أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفِرار .

وقال هانيُ الشيباني لقومه يومَ ذِي قَارٍ خَرَضَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ : يَا بَنِي بَكْرٍ ! هَالِكٌ مَعْدُورٌ خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٌ . الْمِينَةُ وَلَا الدَّيْنَةُ . اسْتَقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِدْبَارِهِ .

النفر في ثغور النحور ، حير منه في الأعجاز والظهور . يَا بَنِي بَكْرٍ ! قَاتِلُوا ، فَمَا مِنْ الْمَنَايَا بُدٌّ ، الْجَبَانُ مُبَغَضٌ حَتَّى لِأُمِّهِ ، وَالشُّجَاعُ مُحَبَّبٌ حَتَّى لِعَدُوِّهِ .

ويقال : الجُبْنُ خَيْرُ أَخْلَاقِ النِّسَاءِ ، وَشَرُّ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ .

وقال يعلَى بْنُ مُنَبِّهٍ لِقَوْمِهِ حِينَ فَرَوْا مِنْ عَلِيٍّ يَوْمَ صِفِّينَ : أَيْنَ؟ فَالُوا : ذَهَبَ النَّاسُ ، قَالَ : أَفَّ لَكُمْ ! فِرَارًا وَاعْتَذَارًا !

قال : ولما قَتَلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيَ وَرَأَى الْعَلْبَةَ عَلَيْهِ فَرًا ، فَقَالَ لَهُ غَلَامُهُ : أَتَرْضَى أَنْ يُحَدِّثَ النَّاسُ بِهَذَا الْفِرَارِ عَنْكَ ؟ وَأَنْتَ الْقَائِلُ :

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْيَسَدَاءُ تَعْرِفُنِي * وَالطَّعْنُ وَالضَّرْبُ وَالْفِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
فَكَرَّرْ جَمْعًا ، وَقَاتِلْ حَتَّى قُتِلَ ، وَاسْتَجِبْ أَنْ يُعَيَّرَ بِالْفِرَارِ .

(١) في ديوان المتنبي : « ان المجزعقل ... الخ » .

(٢) في العقد العريد : « قال الأحف » .

(٣) ورد هذا الخبر في تذكرة الصفدى بتسط عما هنا .

(٤) في تذكرة الصفدى : « حاموا » .

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفّره به : أخبرني عن أصحابي ، أيهم كان أشدّ إقداما في المبارزة ؟ قال : لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أقفيتهم مُدْزِرِينَ ، فقل لهم يُذْبروا لأَعْرَفَكَ أيّهم كان أشدّ فرارا .

وقال ابن الروميّ في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

قِرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضْرَبَهُ * شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيِّدِنَهُ
لَا يَعْرِفُ الْفِرْنَ وَجْهَهُ وَيَرَى * قَفَاهُ مِنْ فَرْسَخٍ فَيَعْرِفُهُ

٥

وقال حسان بن ثابت يُعَيِّرُ الحارث بن هشام بفراره يوم بدر :

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي * فَتَجَوَّيْتُ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَحْبَةَ لَمْ يُفَاتِلْ دُونَهُمْ * وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِحَامٍ
مَلَأَتْ بِهِ الْفَرَجَيْنِ فَارْمَدَتْ بِهِ * وَتَوَى أَحَبَّهُ بَشَرٌ مُقَامٍ^(١)

١٠

وقال أبو الفرج الأصفهاني : وكان أبو حبة النخعيّ ، وهو الهيثم بن الربيع ابن زُرَّارة ، جباناً بخيلاً كذاباً . قال ابن قتيبة : وكان له سيف يسمّيه : أَعَابُ المنية ، ليس بينه وبين الخشبة فرق . قال : وكان أجبن الناس ؛ قال : فخذني جاري له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصّاً ؛ فأشرفتُ عليه ، وقد آنتضى سيفه ، وهو واقف في وسط الدار يقول : أيها المُعْتَرِبْنَا ، المُجْتَرِئُ عَلَيْنَا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ؛ خيرٌ قليل ، وسيفٌ صقيل ، لعابُ المنية الذي سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تُخَافُ نَبُوتهُ ؛ أخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ؛ إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا تقم لها ؛ وما قيس ؟ تَمَلَّأْ والله الفضاء خيلاً ورَجَلاً ، سبحان الله !

١٥

(١) ارمَدَتْ به : أسرعَتْ وعدتْ مثل عدو الرمداء ، وهي النعام .

(٢) يقال : نصي السيف من غمده وأَنْصَاهُ إذا أخرجه .

ما أكثرها وأطيبها! فيينا هو كذلك، إذا الكلب قد خرج، فقال : الحمد لله الذى
مسحك كلبا، وكفانا [فيك] ^(١) حربا .

ومن أبلغ ما قيل فى الحب من الشعر القديم، قول الشاعر :
ولو أنها عُصْفُورَةٌ لحسبتها * مسومةٌ تدعو عبيدا وأزمتا ^(٢)

ومثله قول عمرو بن الورد :
وأشجعُ قد أدركتهم فوجدتهم * يخافون خَطَفَ الطير من كلِّ جانبٍ
وقال آخر :

مازلتَ تحسبُ كلَّ شيءٍ بعدهم - خيلا تكبرُ عليهم ورجالا
وقول أبى تمام :

مَوْكَلٌ بيفاع الأرض يشرفه * من خِفة الخوف لا من خِفة الطَّربِ
وقال ابن الرومي :

وفارس أجبن من صَفِيدٍ ^(٤) * يَحُولُ أو يَعُورُ من صَفْرَةٍ ^(٥)
لوصاح فى الليل به صَائِحٌ * لكانت الأرض له طَفْرَةٍ
يرحمه الرحمن من جُبْنِه * فيرزقُ ^(٦) الجند به النُصْرَة

- ١٥ (١) الريادة عن تذكرة الصمدى .
(٢) فى كتاب النقاض (ص ٥٨٤) ولسان العرب هو العوام بن شاذب الشيباني .
(٣) كذا فى النقاض ص ٥٨٥ ولسان العرب مادة «زتم» ؛ وعبيد وأزمت : بطلان من بنى يربوع .
وفى الأصلين (أرنا) بالراء المهملة وهو تحريف .
(٤) الصفرد : طائر يقال له : أبو المليح وهو طائر جبان .
(٥) فى ديوان ابن الرومي : "أويشول" .
(٦) فى ديوان ابن الرومي : "فقطع الله به نصره" .
- ٢٠٠

- ١٠٩ ومن أخبار الفرّارين الذين حسّنوا الفرار على قبّحه
قال صاحب كلیلة ودهنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بداً منه ، لأن النفقة
فيه من النفس ، والنفقة في غيره من المال .
وقالوا : من توفّي سلّم ، ومن تهور ندّم .
وقال عبد الله بن المقفّع : الشجاعة متلفّة ، وذلك أن المقتول مُقبلاً أكثر من
المفتول مُدبراً ، فمن أراد السلامة فليؤثر الجبن على الشجاعة .
وليم بعض الجبناء على جنبه ، فقال : أوّل الحرب شكوى ، وأوسطها تجوى ،
وآخرها بلوى .
وقال آخر : الحرب مقتلة للعباد ، مذهبة للطارف والتلاد .
وقيل لجبان : لم لا تقاتل ؟ فقال : « عند النطاح يُغَاب الكبش الأجم »^(١) .
وقالوا : الحياة أفضل من الموت ، والفرار في وقته ظفر .
وقالوا : الشجاع مُلقى ، والجبان مُوقى . قال البديع الحمّداني :
ما ذافهما كاشجاع ولا خلا . بمسرّة كالعاجز المتّواني
وقالوا : الفرار في وقته ، خير من الثبات في غير وقته .
وقالوا : السّلم أزكى للمال ، وأبقى لأنفس الرجال .
وقالوا : الحما في الإقدام ، والسلامة في الإحجام .
وقال المتوكل لأبي العيّن : إني لأفرق من لسانك ، يا أمير المؤمنين ، الكريم
ذو فرق وإحجام ، واللّيم ذو وقّاحة وإقدام .

(١) الأجم : الذي لا قرن له ، وهو مثل يضرب لمن علبه صاحبه بما أعد له .

وقيل لأعرابي: ألا تعرف القتال فإن الله قد أمرك به؟ فقال: والله إنني لأبغض الموت على فراشي في عافية، فكيف أمضي إليه ركضاً! قال شاعر:

تمشي المنيا إلى قورم فأبغضها * فكيف أعدو إليها عارى الكفن^(٢)؟

وقيل ليزيد: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيت شخصاً بالليل فكأن للإقدام عليه أولى منه عليك"، فقال: أحاف أن يكون قد سمع الحديث قبل، فأقع معه فيما أكره، وإنما الهرب حير.

وسمع سليمان بن عبد الملك قارئاً يقرأ: **يَقُلْ أَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا**، فقال: ذلك القليل نريد.

- ولما فرأى أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد يوم مرداء هجر بالبحرين من أبي فديك الخارجى إلى البصرة، ودخل عليه أهلها، فلم يدروا كيف يكلمونه ولا ما يلقونه به من القول، أيهنونه بالسلامة أم يعزونه بالفرار، حتى دخل عبد الله ابن الأهم، فاستشرف الناس له، ثم قالوا: ما عسى أن يقول لمنهم! فسلم ثم قال: مرحبا بالصابر المخدول [الذى خذله قومه]، الحمد لله الذى نظر لنا عليك، ولم ينظر لك علينا. فقد تعرضت للشهادة جهداً. ولكن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك فأبغضهم بخذلان من معك لك. فقال أمية: ما وجدت أحداً أخبرنى عن نفسى غيرك.

(١) في تذكرة الصفدى والعقد الفريد (ج ١ ص ٤ طبع يولاي): «ألا تعزو العدو فان الله... الخ».

(٢) في تذكرة الصفدى: «عارى الكفن».

(٣) في معجم البلدان لياقوت — بعد أن شرح «مرداء هجر» بأنها رملة دونها لا تدت شيئا —

قال: «مرداء» مصر أيضاً قرية كان بها يوم بين أبي فديك الخارجى وأمىة بن عبد الله بن خالد بن أسيد ففر أمية أفيج فرار «اه» (٤) الزيادة عن العقد المريد.

وقال الحارث بن هشام وأحسن في اعتذاره عن الفرار :

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا مهري بأشقر مُزِيد
وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يصرُّ عدوى مشهدي
فصدفت عنهم والأحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم سمرِيد

وقال زُفر بن الحارث وقد فز يوم مرج رَاهِط^(١) عن ريفيه^(٢) :

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ واحد إن أسأته * بصلاح أيامي وحسين بلائيا
فلم ترمي زلتة قبل هذه * فِرَارِي وتُرْكِي صاحبي ورائيا

وهي أبيات نذركها إن شاء الله في التاريخ . ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب من أبيات يخاطب بها أخته رَبحانة ، وقد فز من بني عبس :

أجاعله أم الثوير خرايه^(٣) * على فِرَارِي إذ لقيت بني عبس
ولبس إهاب المرء من جبن يومه إذا عُرِفَتْ منه الحمايه^(٤) بالأمس

وعكس هذا البيت عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي . وكان قد فز يوم الحرّة من جيش مسلم بن عقبة ، فلما حاصر الحجاج عبد الله بن الربيع بكّة جعل يقاتل أهل الشام ويرتجز :

أنا الذي فوّرت يوم الحرّة * والشيخ لا يفتر إلا مرّة
فاليوم أجزي كربة يفرد^(٥) * لا بأس بالكربة بعد الفرة
ولم يزل يُقاتل حتى قُتل . قال القزّار السلمي :

(١) مرج رَاهِط : موضع بعوطة دمشق ، سمي باسم رجل من قصيدة ، كانت به وقعة مشهورة بين قيس وغلط (راجع معجم ياقوت) في اسم رَاهِط .

(٢) في العقد المر يد : « عن أبيه وأخيه » .

(٣) في حسانة البحري (ص ٦٧ طبع أوربا) : « أم الحصين » .

(٤) في العقد المر يد : « ... إذا عرفت منه الشجاعة ... الخ » .

(٥) الذي في حسانة البحري ص ٦٥ « وقال حيان بن الحكم السلمي » .

٥

١٠

١٥

٢٠

وفوارس لَبَسَتْهَا بفوارس * حتى إذا أَلْبَسَتْ أَمَلَتْ بِهَا يَدِي^(١)
وَرَكَّتْهُمْ تَقِصُّ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ * من بين مَقْتُولٍ وَآخِرِ مَسْنَدٍ
هَلْ يَنْفَعُنِي أَنْ تَقُولَ نَسَاؤُهُمْ * وَقِيلَتْ دُونَ رَجَالِهِمْ : لَا تَتَّبِعِدِ؟

وقال آخر :

قامت تُسَجِّعُنِي هِنْدٌ فَقَلَّتْ لَهَا * إِنْ الشَّجَاعَةُ مَقْرُونُهَا الْعَطْبُ^(٢)
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارُ رُؤْيَاهُ * مَا يَسْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَرْبُ^(٤)
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ * إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُّوا^(٥)
وقيل لجلبان في بعض الوقائع : تَقَدَّمَ، فقال :

وقالوا تَقَدَّمَ قُلْتُ لَسْتُ بِفَاعِلٍ * أَخَافُ عَلَى نَخَارَتِي أَنْ تَحْطَمَ
فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَتَلَفْتُ وَاحِدًا * وَابْكُهُ رَأْسٌ إِذَا زَالَ أَعْنَمًا
وَأَوْتَمَ أَوْلَادًا وَأَرْمِلُ نِسْوَةً * فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَرَوْنَ التَّقَدَّمَ

ذكر ما قيل في الحمق والجهل

قالوا : الْحَمَقُ قَلَّةٌ الْإِصَابَةُ، وَوَضَعَ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . وَقِيلَ : هُوَ فَقْدَانُ
مَا يُجِدُّ مِنَ الْعَاقِلِ . وَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ : مَا حَدَّثَ الْحَمَقُ ؟ قَالَ : لَا حَدَّثَ لَهُ كَالْعَقْلِ .

(١) ورد هذا البيت في حاشية البحري ص ٢٦٥ هكذا :

وَكَتَبْتُ لَسْتُ بِكَتَبَةٍ * حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَحَتْ بِهَا يَدِي

(٢) كذا في حاشية البحري، وتقص : تدق وتكسر . وفي الأصل : « تقص » وهو تحريف .

(٣) في تذكرة الصفدي : * بَاتَتْ تُسَجِّعُنِي عَرَسِي وَقَدْ عَلِمْتُ *

(٤) رواية تذكرة الصفدي : * نَحَتِ الْأَنْصَارُ كَعْبَتَهُ *

(٥) في تذكرة الصفدي : ... إِلَى آفَاتِهَا ... الخ .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الأحقق أبلغُ الخلق إلى الله ،
لأنَّه حرَّمه أعزُّ الأشياء عليه وهو العقل» .

(١١)

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى : أَتَدْرِي لِمَ رَزَقْتُ الْأَحْقَقَ؟ قال : لا يارب ،
قال : ليعلم العاقلُ أن طَلَبَ الرِّزْقِ ليس بالاجتهاد .

وقال الشعبي : إذا أراد الله أن يُزِيلَ عن عبد نعمةً كان أول ما يُعْدمه عقله .

وقالوا : الحق داءٌ دواؤه الموت . وقد بين الله تعالى خيبة من لم يعقل بقوله : ﴿لِيُنذِرَ
مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ قيل : عاقلا ، وبقوله : ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أثنى قومٌ على رجل عند النبي صلى الله
عليه وسلم حتى بَأْنَعُوا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كيف عقلُ

الرجل» ؛ فقالوا : نُخْبِرُكَ عَنْ اجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَصْنَافِ الْخَيْرِ وَتَسَالْنَا عَنْ
عقله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الْأَحْقَقَ يَصِيبُ بِجُمُغِهِ أَعْظَمَ مِنْ

بُجُورِ الْفَاجِرِ وَتَرْفَعُ الْعِبَادَةُ عِندَ فِي الدَّرَجَاتِ [زَانِي مِنْ رَبِّهِمْ] عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ» .
وَمِنْ كَلَامٍ لِقَمَانٍ لِأَبْنَيْهِ : أَنْ تَكُونَ أَحْرَسَ عَاقِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ نَطُوقًا جَاهِلًا .

ولكل شيء دليل ، ودليل العقل النقل ، ودليل النقل الصمت^(٢) . وكفى بك جهلا
أن تنهى الناس عن شيء وتركبه .

وقال عيسى عليه السلام : عَاجَلْتُ الْأَكْثَرَ وَالْأَبْرَصَ فَأَبْرَأْتُهُمَا ، وَعَاجَلْتُ الْأَحْقَقَ
فَأَعْيَانِي . قال شاعر :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ « إِلَّا الْجَمَاقَةَ أَعْيَتْ مِنْ يَدَاوِيهَا

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

(٢) رواية الصفدى : « ودليل العقل الفكر ، ودليل الفكر الصمت » .

وقال آخر :

وعلاجُ الأبدانِ أيسرُ خطبًا * حينَ تعتلُ من علاجِ العقولِ

وقال آخر :

الحُمقُ داءٌ ما له حيلةٌ * تُرجى كبعدِ النجمِ من مسه

وقيل إذا قيل لك : إن فقيرا استغنى ، وغنيا افتقر ، وحيات مات ، أو ميتا عاش ،
فصدّق ، وإذا بلغك أن أحق استغفاد عفا فلا تصدّق .

وقالوا : الأحقُّ بمنى أمه أنها به مُشكلة ، وتمتني زوجته أنها منه أرملة ، ويتمنى
جارد منه العزلة ، ورقيقه منه الوحشة ، وأخوه منه الفرفة .

وقال سهل بن هارون : وجدتُ مودةَ الجاهل . وعداوةَ العاقل ، أسوةً في الخطب ؛
ووجدتُ الأنسَ بالجاهل ، والوحشةَ من العاقل ، سِتينَ في الغيب ؛ ووجدتُ غشَّ
العاقلِ أقلَّ ضررًا من بصيعةِ الجاهل ؛ ووجدتُ ظنَّ العاقلِ أوقعَ بالصوابِ من
يقينِ الجاهل ؛ ووجدتُ العاقلَ أحفظَ لما لم يُسَكِّمْ من الجاهلِ لما استكتم .
وقال لقمان لأبيه : لا تعانبرِ الأحقَّ وإن كان ذا جمال . وأنظرِ الى السيف ،
ما أحسنَ منظره وأقبحَ أثره ! .

وقال علي رضي الله عنه : فطبيعةُ الجاهلِ نَعْدِلُ حيلةَ العاقلِ . وقال : صديق
الجاهلِ في تعب .

وقال آخر : لأننا للعاقلِ المُدبِّرِ أرَجى مني نالحمقِ المُقْبِلِ ^(١) . وقال شاعر :
عدوكَ ذو العفلِ خيرٌ من الصَّدِيقِ لك الوامِقِ الأحق

(١) كذا في تذكرة الصمدى . وفي الأصل : « أرَجى مني . من الأحق » وهو تحريف .

والبيت المشهور السائر :

وَلَا نَ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ * مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحمَقُ

وقيل : الحمق يَسْلُبُ السلامة ، ويورث الندامة . وقد ذموا مَنْ له أدب بلا عقل .

ووصف أعرابي رجلا فقال : هو ذو أدب وافر ، وعقل نافر . قال شاعر :
فَهَبْكَ أَخَا الْآدَابِ أَى فَضِيلَةٍ * تَكُونُ لَدَى عِلْمٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ



ومن صفات الأحمق وعلاماته . قيل : ما أعْدَمَكَ مِنَ الْأَحْمَقِ فلا يُعْدهم منه كثرة الالتفات وسرعة الجواب . ومن علاماته الثقة بكل أحد .

وَيُقَالُ : إِنَّ الْجَاهِلَ مُوَلَّعٌ بِحِلَاوَةِ الْعَاجِلِ ، غَيْرَ مَالٍ بِالْعَوَاقِبِ ، وَلَا مُعْتَبِرٍ بِالْمَوَاقِظِ ، لَيْسَ يُعْجِبُهُ إِلَّا مَا ضَرَّهْ ، إِنْ أَصَابَ فَعَلَى غَيْرِ قَصْدٍ ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَهُوَ الَّذِي لَا يَحْسَنُ بِهِ غَيْرُهُ ؛ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْإِسَاءَةِ ، وَلَا يَفْرَحُ بِالْإِحْسَانِ .

وقالوا : سَتُ خِصَالُ تُعْرِفُ فِي الْجَاهِلِ : الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ ، وَالْفِطْنَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَلَا يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ ، وَالثِّقَّةُ بِكُلِّ أَحَدٍ .

وقالوا : غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ ، وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ . وَالْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا مَثَلًا ، وَالْأَحْمَقُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا حَلِيفًا ^(١) . الْأَحْمَقُ إِذَا حَدَّثَ ذَهَلًا ، وَإِذَا تَكَلَّمَ عَجَلًا ، وَإِذَا حَمَلَ عَلَى الْقَبِيحِ فَعَلَّ .

وقال أبو يوسف : إثْبَاتُ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ سَهْلٌ ، وَلَكِنْ إِقْرَارُهُ بِهَا صَعْبٌ .

(١) كذا في الدركرة . وفي الأصول : « خلفا » بالخاء المعجمة .

وقال وهب بن منبه : كان يقال للأحمق : اذا تكلم فضحه حمقه ، واذا سكّت فضحه عيّه ، واذا عمل أفسد ، واذا ترك أضاع ؛ لا علمه بعينه ، ولا علم غيره ينفعه ؛ تود أمه أنها تكلته ، ونتمنى أمرأته أنها عديمته ؛ ويتمنى جاره منه الوحدة ، وتأخذ جلسه منه الوحشة .

- وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْأَحْمَقِ بِأَشْيَاءَ ، قَالُوا : مِنْ طَالَتْ قَامَتُهُ ، وَصَغُرَتْ هَامَتُهُ ،
وَأَنْسَدَتْ لَحِيَتُهُ ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى مَنْ يَرَاهُ أَنْ يُقَرِّبَهُ عَنْ عَقْلِهِ السَّلَامَ .
وَيُقَالُ فِي التَّوَرَةِ : اللَّحْيَةُ تَخْرُجُهَا مِنَ الدَّمَاعِ ، فَمَنْ أَفْرَطَ عَلَيْهِ طَوْلُهَا قَلَّ دِمَاعُهُ ،
وَمَنْ قَلَّ دِمَاعُهُ قَلَّ عَقْلُهُ ، وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ .

- وقالت أعرابية لقاضٍ قضى عليها : صَغُرُ رَأْسُكَ ، فَبَعُدَ فَهْمُكَ ، وَأَنْسَدَتْ
لَحْيَتُكَ ، فَتَكُونُ سَجَّ عَقْلِكَ ، وَمَا رَأَيْتَ مَيَّنَا يَقْضِي بَيْنَ حَيِّينِ غَيْرَكَ .
وقال مسامة^(١) بن عبد الملك الجلسائه : يُعْرَفُ حَقُّ الرَّجُلِ فِي أَرْبَعٍ : طَوْلُ لَحْيَتِهِ ،
وَبِشَاعَةِ كَنْتِيهِ وَإِفْرَاطُ شَهْوَتِهِ ، وَنَقْشُ خَاتَمِهِ ، وَفَدْخَلُ عَلَيْهِ رَجُلٌ طَوِيلُ اللَّحْيَةِ ،
فَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ أَتَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ ، فَانْظُرُوا أَيَّ هَوَمِنِ الثَّلَاثِ ؛ فَقِيلَ لَهُ : مَا كُنْتُمْ ؟
فَقَالَ : أَبُو الْيَاقُوتِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا نَقَشَ خَاتَمُكَ ؟ فَقَالَ : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
لَا أَرَى الْهُدْهُدَ . قِيلَ : فَأَيُّ الطَّعَامِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْجُلُنَجِيْنُ^(٢) ، فَقَالَ مَسَامَةُ :
فِيهِ مَا بَعْدَ كَنْتِيهِ ، مَعَ طَوْلِ لَحْيَتِهِ ، مَعَ نَقْشِ خَاتَمِهِ شَكٌّ لِعُتْبَرٍ .

قال الشعبي : خَطَبَ الْحِجَاجُ يَوْمَ جَمْعَةِ فَاطِلٍ ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لَهُ :
إِنَّ الْوَقْتَ لَا يَنْتَظِرُكَ وَإِنَّ الرَّبَّ لَا يَتَعَذَّرُكَ ؛ فَأَمَرَ بِهِ خُبَسَ ، فَأَتَاهُ أَهْلُهُ يَشْفَعُونَ فِيهِ

(١) فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (ج ٢ ص ٣٩ طبع دار الكتب المصرية) : « هشام بن عبد الملك » .

(٢) فِي كِتَابِ الْأَلْفَاظِ الْفَارْسِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَدَى شَيْخٍ وَأَقْرَبِ الْمَوَارِدِ أَنَّ الْجُلُنَجِينَ : مَعْجُونٌ يَعْمَلُ
مِنَ الْوَرْدِ وَالْعَسَلِ ، فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ عَنْ كَلِمَةِ " كُلِّ " وَمَعْنَاهَا وَرْدٌ ، وَعَنْ كَلِمَةِ " أَنْكَبِينَ " وَمَعْنَاهَا عَسَلٌ .

وقالوا : إنه مجنونٌ ؛ فقال المجحجُ : إن أقرَّ بالحنونِ خَلَيْتُ سبيلَه ؛ فاتوه وسألوه ذلك ، فقال : لا والله ، لا أقول إن الله آتِلَانِي وقد عافاني ؛ فبلغَ كلامُه المجحجَ فعظُمَ في نفسه وأطلقَه .

وقال الأصمعيُّ : قلت لغلّامٍ من أبناء العرب : أيسرُّك أن يكون لك مائة ألفٍ وأنت أحقُّ ؟ قال : لا والله ! قلتُ : ولم ؟ قال : أخافُ أن يَحْيِيَ عَلَى حُمُقِي جِنَايَةَ فتذهب مَنِّي ويبقى حُمُقِي .

والعربُ تَضِرُّ المثلَّ في الحُمُقِ بِعَجَلِ بنِ الحُجِّمِ ، ويزعمون أنه قيل له : إنَّ لكلِّ فرسٍ جوادٍ اسماً ؛ وإنَّ فرسَكَ هذا سابقٌ فسَمِّه ؛ ففَقَأَ عينَه وقال : سَمِّتُهُ الأَعورَ . وفيه يقول الشاعر :

رَمَتْنِي بَنُو عَجَلٍ بِدَاءِ أَبِيهِمْ * وهل أحدٌ في الناسِ أحقُّ من عَجَلٍ ١٠

أليس أبوهم عارٌ عَيْنَ جَوَادِهِ * فسارت به الأمثالُ في الناسِ بالجهلِ
ويضربون المثلَّ في الحقِّ بِهَبَشَّةِ القَيْسِيِّ ، وهو يزيدُ بنُ ثُرَوَانَ ، ويكنى أبا نافع ، حكى أنه شَرَدَ له بعيرٌ ، فقال : من جاء به فله بعيران ؛ فقِيلَ له : ألتجملُ في بعيرِ بعيرين ؟ فقال : إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان .

وقد رَضِيَ قومٌ بالجهلِ فقالوا : ضعِفُ العقلِ أمانٌ من الغمِّ . وقالوا : ما سرُّ عاقلٍ قَطُّ . قال أبو الطيّبِ المتنبي :

ذو العقلِ يَشْقَى في النعمِ بعقلِه * وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ يَنعمُ

(١) رواية عيون الأخبار (ج ٢ ص ٤٣) :

* وأى عباد الله أنوك من عجل *

(٢) عاره : صيره أعور .

وقال حكيمٌ : ثمرة الدنيا السرور، ولا سرور للعقلاء . وقال المغيرة بن شعبه :
 ما العيش إلّا في إلقاء الحشمة . وقال بكر بن المعتمر : اذا كان العقل ^(١) سبعة أجزاء
 احتاج الى جزء من جهل يُقدّم على الأمور، فإن العاقل أبداً متوأن متوقّف
 متخوف . قال النابغة الجعدي :

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ اذا لم تكن له * بوادر تَحْيى صفوه أن يُكدرًا
 وقال آخر :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللّهج
 أخذه آخر فقال :

من راقب الناس مات غمًا * وفاز باللذّة الجسور
 وقالوا : الجاهل ينال أغراضه، ويظفر بأرائه، ويطيع قلبه، ويجرى في عنان
 هواه، وهو برئ من اللوم، سليم من العيب، مغفور الزلات .
 وقالوا : الجاهل رنح الدرع، خالى البال، عازب الهم، حسن الظن، لا يخطر
 خوف الموت بفكره، ولا يجرى ألم الإشفاق على ذكره .

وقالوا : الجهل مطيّة المراج والمسرّة، ومسرّح المزاج والفكاهة، وحليف الهوى
 والتصايب، صاحبه ذمائم من عهدة اللوم والعتب، وأمان من قوارص الذم والسب .
 قال بعض الشعراء :

ورأيت الهموم في صحّة العقل فداويها بأمراض عقل

وقالوا : لو لم يكن من فضيلة الجهل غير الإقدام، وورود الحمام، إذ هما من
 الشجاعة والبسالة، وسبب تحصيل المهابة والجلالة، لكفاه . قال أبو هلال العسكري :
 سألني بعض الأدباء : أتى الشعراء أشدّ حمقا ؟ قلت الذي يقول :

٢٠

(١) في تذكرة الصفي : "تسعة" .

أَتِيَهُ عَلَى إِنْسٍ الْبِلَادَ وَجَنَّهَا وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَهَتُّ عَلَى نَفْسِي
أَتِيَهُ فَلَا أَدْرِي مِنَ التَّيِّبَةِ مَنْ أَنَا * سَوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جَنْسِي
فَإِنْ صَدَقُوا أَمَى مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ . فَمَا فِي عَيْبٍ غَيْرَ آتَى مِنَ الْإِنْسِ

ذكر ما قيل في الكذب

قال الله عز وجل : ﴿وَلَا يَكْفُرُ أَفَّاكَ أُنْثَى﴾ . وقال : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ . وقال في الكاذبين : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى
الْفُجُورِ وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” الْكَذِبُ مُجَانِبُ
الْإِيمَانِ “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مَنَاقِبٌ وَإِنْ صَلَّى
وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أَؤْتِمَنَ حَانَ “ .
وقال صلى الله عليه وسلم : ” لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي حَدِّ وَلَا هَزْلِ “ . وقال : ” لَا يَكُونُ
الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا “ .

وقالت الحكماء : ليس للكاذب ثمرة .

وقالوا : مَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يَحْسُنْ صَدُوقُهُ .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : حَلَفَ الْوَعْدُ ثَلَاثُ انْفِاقٍ .

وقال بعض الحكماء : الصَّدَقُ مُنْجِيكَ وَإِنْ خَفَّتْهُ ، وَالْكَذِبُ مُرْدِيكَ وَإِنْ أُمِّتَتْهُ .

قال أبو عمرو بن العلاء القاري : سَادُّ عَتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَكَانَ مَمْلُوقًا ، وَسَادُّ أَبُو جَهْلٍ وَكَانَ

(١) في تذكرة الصفدى زيادة في هذا الحديث نصها : ” وَتَحَرَّوْا الصَّدَقَ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ

حَدَّثَنَا ، وساد أبو سفيان وكان بَجَلًا ، وساد عامر بن الطَّفِيل وكان عاهرا ، وساد
كُتَيْب بن وائل وكان ظلوما ، وساد عَيْنَةُ وكان مُحَمَّقا ، ولم يَسُدْ قَطُّ كَذَابٌ ؛ فصلَح
السُّودُدُ مع الفقر والحداثة والبخل والعهر والظلم والحق ، ولم يصلُحْ مع الكَذِبِ ؛
لأن الكَذِبَ يعم الأخلاقَ كُلَّها بالفساد .

وقال يحيى بن خالد : رأيت شَرِيبَ نَعْمِرٍ نَزَعَ ، ولصا أَقْلَعَ ، وصاحبَ فَوَاحِشَ .
رجع ، ولم أَرَ كَذَابًا رَجَعَ .

ويقال : الكَذِبُ مفتاحُ كُلِّ كَبِيرَةٍ ، والخمرُ جَماعُ كُلِّ شَرٍّ .

وقيل : لا تَأْمَنَنَّ مَنْ يَكْذِبُ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْكَ .

وقيل : الكَذِبُ والنفاقُ والحسدُ أثافي الدَّلِّ .

وقال ابنُ عباس : حَقِيقٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ لِلْكَاذِبِ دَرَجَةً ، وَلَا يُثَبِّتَ لَهُ حِجَّةً . ١٠

وقال سليمانُ بن سَعْدٍ : لو صَحِبْنِي رَجُلٌ وَقَالَ : لَا تَسْتَرِطْ عَلَيَّ إِلَّا شَرْطًا وَاحِدًا
لَقُلْتُ : لَا تَكْذِبْنِي .

وقال أبو حيان التَّوْحِيدِيُّ : الكَذِبُ شِعَارُ خَلْقٍ ، وَمَوْرِدٌ رَنَقٍ ، وَأَدَبٌ سَيِّئٌ ،
وَعَادَةٌ فَاحِشَةٌ ؛ وَقُلَّ مَنْ اسْتَرْسَلَ فِيهِ إِلَّا أَلْفَهُ ، وَقُلَّ مَنْ أَلْفَهُ إِلَّا أَتْلَفَهُ .

وقال غيره : الكَذِبُ أَوْضَعُ الرِّذَائِلِ خُطَّةً ، وَأَجْمَعُهَا لُذْمَةً وَالْحَقُّةً ، وَأَكْبَرُهَا ذُلًّا ١٥
فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرُهَا خُزْيًا فِي الْآخِرَةِ ؛ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ ، وَأَقْوَى الدَّلَائِلِ
عَلَى دَنَاءَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَاقِ ؛ لَا يُؤْتَمَنُ حَامِلُهُ عَلَى حَالٍ ، وَلَا يُصَدَّقُ إِذَا قَالَ .

وقيل : لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ ، وَالْكَذِبُ آفَةُ النُّطْقِ .

وقال بعضُ الكرماء : لَوْ لَمْ أَدِجِ الْكَذِبَ تَأْتِمًا ، لَتَرَكْتُهُ تَكْرُمًا .

وقال أرسطاطاليس : فَضَّلَ النَّاطِقُ عَلَى الْأَخْرَسِ بِالنُّطْقِ ، وَزَيْنُ النَّطْقِ الصِّدْقُ ؛ ٢٠
فَإِذَا كَانَ النَّاطِقُ كَاذِبًا فَلَا أَخْرَسَ خَيْرٌ مِنْهُ .

وقال بعض الحكماء لولده : يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّهُ يُزْرِى بِقَائِلِهِ ، وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا فِي أَصْلِهِ ، وَيُذِلُّهُ وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا فِي أَهْلِهِ .

وقال الأحنف بن قيس : اِثْنَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ : الْكَذِبُ وَالْمَرْوَةُ .

وقال بُزْرَجِيهْرُ : الْكَاذِبُ وَالْمَيْتُ سَوَاءٌ ، لِأَنَّ فَضِيلَةَ النُّطْقِ الصَّدْقُ ، فَإِذَا لَمْ يُوثَقْ بِكَلَامِهِ بَطَلَتْ حَيَاتُهُ . ٥

وقال معاويةُ يَوْمًا لِلْأَحْنَفِ : أَتَكْذِبُ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ الْكَذِبَ شَيْنٌ .

وقيل : لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْذِبَ لِصَلَاحِ نَفْسِهِ ، فَمَا عَجَزَ الصَّدْقُ عَنْ إِصْلَاحِهِ كَانَ الْكَذِبُ أَوْلَى بِفَسَادِهِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَا أَحْسَنَ الصَّدْقَ وَالْمَغْبُوطُ قَائِلُهُ * وَأَقْبَحَ الْكَذِبَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ١٠

وَقَالُوا : إِحْذَرِ مَصَاحِبَةَ الْكَذَّابِ ، فَإِنْ أَضْطَرَّ رَأَيْتَ إِلَيْهَا فَلَا تَصَدِّقْهُ ، وَلَا تَعْلَمْهُ أَنَّكَ كَذَّبْتَهُ ، فَيَنْتَقِلُ عَنْ مَوْدَّتِهِ ، وَلَا يَنْتَقِلُ عَنْ كَذِبِهِ .

وَقَالَ هُرْمَسٌ : اجْتَنِبْ مَصَاحِبَةَ الْكَذَّابِ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ يُتَحَصَّلُ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مَعَهُ عَلَى مِثْلِ السَّرَّابِ يَلْمَعُ وَلَا يَنْفَعُ .

وقيل : الْكَذَّابُ شَرٌّ مِنَ الثَّمَامِ ، فَإِنَّ الْكَذَّابَ يَخْلُقُ عَلَيْكَ ، وَالثَّمَامَ يَنْقُلُ عَنْكَ . قَالَ شَاعِرٌ :

إِنَّ الثَّمُومَ أَغْطَى دُونَهُ خَبْرِي * وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي مُفْتَرِي الْكَذِبِ

وقال آخر :

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْمِي * وَلَيْسَ فِي الْكَذَّابِ حِيلَةٌ

مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو * لُ خَيْلِي فِيهِ قَلِيلُهُ ٢٠

ووصف أعرابي كذابا فقال : كَذِبُهُ مِثْلُ عَطَاسِهِ : لَا يُمَكِّنُهُ رَدَّهُ .

وقال بعض الأعراب : جِبت من الكَذَّابِ المِشِيدِ بكَذِبِهِ ، وإِناهُو يَدُلُّ الناسَ على عَيْبِهِ ، وَيَعْرِضُ للعِقَابِ من رَبِّهِ ، فَالْإِثَامُ لَهُ عَادَةٌ ، والأَخْبَارُ عَنْهُ مُتَضَادَّةٌ ؛ إِنَّ قَالِ حَفَا لَمْ يُصَدِّقْ ، وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤَفَّقْ ؛ فَهُوَ الجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ ، والدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهَا بِمَقَالِهِ ؛ فَمَا صَحَّ من صَدَقَةٍ نُسِبَ إلى غَيْرِهِ ، وَمَا صَحَّ من كَذِبٍ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ .

وَيَقَالُ : الكَذِبُ جَمَاعُ النِّفَاقِ ، وَعِمَادُ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ؛ عَارٌ لَزِمَ ، وَذَلٌّ دَائِمٌ ؛ يُخَيِّفُ صَاحِبُهُ نَفْسَهُ وَهُوَ آمِنٌ ، وَيَكْشِفُ سِتْرَ الْحَسَبِ عَنْ لُؤْمِهِ الْكَامِنِ .
وقال بعض الشعراء :

١٠ لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ * أَوْ عَادَةِ السُّوءِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ الْوَرَعِ
وقال الْأَصْمَعِيُّ : قِيلَ لِرَجُلٍ مَعْرُوفٍ بِالْكَذِبِ : هَلْ صَدَقْتَ ؟ قَالَ : أَخَافُ أَنْ أَقُولَ : "لَا" فَأُصَدِّقَ .

وَأَفَةُ الْكَذِبِ النِّسْيَانُ . قَالَ شَاعِرٌ :

وَمِنْ أَفَةِ الْكَذَّابِ نِسْيَانُ كَذِبِهِ * وَتَلْقَاهُ ذَا دَهْيٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا

١٥ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ شَاعِرُ الْيَتِيمَةِ :

تَكْذِبُ الْكَذِبَةُ يَوْمًا * ثُمَّ تَنْسَاهَا قَرِيبًا
كَنْ ذَكُورًا يَا أَبَا يَحْيَى * إِذَا كُنْتَ كَذُوبًا

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

يَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَعَدًا حَشَوُهُ خُلْفٌ * وَأَكْثَرَ النَّاسِ قَوْلًا حَشَوُهُ كَذِبٌ

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

صَحِيفَةٌ أَقْبِيَتْ "لَيْتَ" بِهَا وَ"عَسَى" * عَنْوَانُهَا رَاحَةُ الرَّاحِي إِذَا يَتَسَا
وَعَدَّ لَهُ هَاجِسٌ فِي الْقَلْبِ قَدْ بَرِمَتْ ^(١) * أَحْشَاءُ صَدْرِي بِهِ مِنْ طَوْلِ مَا هَجَسَا
يِرَاعَةٌ غَرَّ بَنِي مِنْهَا وَمِیْضُ سَنَاءٍ * حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَبِسَا
فَصَادَقْتُ حَجَرًا لَوْ كُنْتَ تَضْرِبُهُ * مِنْ لُؤْمِهِ بَعْضًا مُوسَى لَمَّا أَتَجَسَا

وقال آخر :

وَتَقْسُولُ لِي قَوْلًا أَطْنُكَ صَادِقًا * فَأَجِئْ مِنْ طَمَعِ الْيَكِّ وَأَذْهَبُ
فَإِذَا أَجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَنْتَ يَجْلِسُ * قَالُوا مُسْلِمَةٌ وَهَذَا أَشْعَبُ

ذكر ما قيل في الغدر والخيانة

١٠ قال الله عز وجل : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾

﴿١١٣﴾

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من أمن رجلا ثم قتله

وجبت له النار وإن كان المقتول كافرا " . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا

١٥ جمع الله الأولين والآخرين رُفِعَ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ وَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ " .

(١) رواية العقد المرید (ج ١ ص ٢٤٩ طبع بولاق) :

«وعد له هاجس في الغدر ... * ... من طول ما أعجبا»

(٢) في العقد الفرید : «مواعد» .

(٣) في العقد الفرید : «صادمت» .

٢٠ (٤) رواية الجامع الصغير : «من أمن رجلا على دمه فقتله فأما يرى من القاتل وإن كان المقتول كافرا» .

(٥) في تذكرة الصفدى رواية ابن عمر : «الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان» .

وقالوا : من نقض عهده ، ومنع رِفْده ، فلا خيرَ عنده .

وقالوا : الغالب بالغدر مغلول ، والناكث للعهد ممقوت مخذول .

وقالوا : من علامات النفاق ، نقضُ العهد والميثاق .

وقالوا : لا عذر في الغدر . والعذر يصلح في كلِّ المواطن ؛ ولا عذر لغادر

ولا خائن .

٥

وفي بعض الكتب المتّلة : إن مما تُعَجِّلُ عقوبته من الذنوب ولا تُؤَخِّرُ : الإحسان

يُكْفَرُ ، والذمة مُحْفَرٌ . قال شاعر :

أَخْلِقْ بِنِ رَضَى الْخِيَانَةَ شِيمَةً * أَلَا يُرَى إِلَّا صَرِيحَ حَوَادِثِ

مَا زَالَتِ الْأَرْزَاءُ تُلْحِقُ بِؤْسَهَا * أَبَدًا بِغَادِرِ ذِمَّةٍ أَوْ نَاكِثِ

وقالوا : الغدر ضامن العثرة ، قاطع ليد النصرة .

١٠

ويقال : من تعدى على جاره ، دَلَّ على لُؤْمٍ نِجَارِهِ .

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرَّ برجل وهو يُطارِدُ حَيَّةً وهي تقول له :

والله لئن لم تذهب عني لأَنْفَخَنَّ عليك نفخة أَقْطَعُكُ بها قِطْعًا ؛ فضى عيسى

عليه السلام في شأنه ، ثم عاد فرأى الحية في جُونة الرجل محبوسة ، فقال لها :

ويحك ! أين ما كنتِ تقولين؟ قالت : يَا رُوحَ اللَّهِ ، إنه حلف لى وَغَدَرَ ، وَإِنْ سُمِّ

١٥

غدره أَقْتُلْ له من سُمِّي .

ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة

أعرف الناس في الغدر آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب ، وقد عُدَّت لهم غَدَرَات ، فمنها : غدر قيس بن معد يكرب بمراد ، وكان بينهم عهد ألا يغزوهم إلى أنقضاء شهر رجب ، فوافاهم قبل الأمد بِكِنْدَةٍ ، وجعل يحمل عليهم ويقول :

أقسمتُ لا أنزلَ حتَّى تُهزُّموا * أنا ابنُ معد يكربٍ فاستسلموا

* فارسُ هَيْجَا ورئِيسُ مُصَدِّم *

فَقَتِلَ قيس بن معد يكرب . وآرتد الأشعث عن الإسلام . وغدر الأشعث بنى الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فأسرَّوه ، فَقَدَى نفسه بمائتي بعير ، فأعطاهم مائة وبقي عليه مائة فلم يؤدِّها ، وجاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية .

وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عَقِيل بن أَبِي طالب ؛ وغدر أيضا بأهل طَبْرِسْتان ، وكان عُبَيْد الله بن زياد وُلَّاه إياها ، فصالح أهلها على ألا يدخلها ورحل عنهم ، ثم عاد إليهم عادرا ؛ فأخذوا عليه الشَّعَاب ، وقتلوا ابنه أبا بكر .

وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالحِجَّاج لما وُلَّاه خُرَّاسَانَ ، وخرج عليه وآدعى الخلافة ، وكان بينهم من الوَفَائِع ما نذكره في التاريخ في أخبار الحِجَّاج إن شاء الله تعالى ؛ وكانت الدائرة على عبد الرحمن ؛ وكلَّهم ورثوا الغدر عن معد يكرب ، فإنه غدر مَهْرَةَ ، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل ، فغزاهم نائضا لعهدهم فقتلوه وبَقَرُوا بطنه وملَّشوه بالحصى .

وغدرت أبنسة الصَّيْرَن بن معاوية بأبيها صاحب الحَضَر ودَلَّت سابور على طريق فتحه ، ففتحه وقتل أباه وتزوجها ، ثم قتلها . وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول

من هذا الكتاب في المباني . ومن ذلك ما فعله النعمان بسنمار ، وقد ذكرناه أيضا في خبر بناء الخورنق .

ومن أشهر بالغدر عمرو بن جرموز : غدر بالزبير بن العوام ، وقتله بوادي السباع . ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى في حرب الجمل .

- ومن الغدر الشنيع ما فعلته عَصَل والقارة ، روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَصَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاما وخيرا ، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويُقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ؛ فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد العنوي ، وخالد بن [أبي] البكير حليف بني عديّ ابن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عديّ أخو بني بحجّج بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق ، ومُتَّب بن عبيد أخو عبد الله لأمه ، وأمر عليهم مرثد ابن أبي مرثد ، وقيل أمر عليهم عاصم ؛ فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع — ماء لذيذ — غدروا بهم وأستصرخوا عليهم هُدَيْلا . فلم يرج القوم وهم في رحالهم إلا الرجال في أيديهم السيوف ؛ فأخذوا أسياقهم ليقاتلوا القوم ؛ فقالوا : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصاب بكم شيئا من أهل مكة [ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم] ؛ فأما مرثد وخالد وعاصم ومُتَّب فقالوا : والله ما نقبل من مشرك عهدا

(١) في تذكرة الصمدى : « ستة نفر » وفي طبقات ابن سعد بيتان لحسان بن ثابت ذكر فيهما السنة

ولم يذكر معتب بن عبيد .

(٢) التصويب عن الصفدى والطبقات الكبرى .

(٣) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

١١٤

ولا عقدا ، فقاتلوا حتى قتلوا ؛ وأما زيد وخبيب وعبد الله فلانوا ورجبوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم ، فأسروهم وخرجوا بهم الى مكة ليبيعهم بها ؛ حتى إذا كانوا بمَرَّ الظُّهْرَانِ أَتَرَعه عبد الله بن طارق يده من القرآن^(١) ، ثم أَخَذَ سيفه وأسأخَرعن القوم ، فَرَمَوْهُ بِالْجَارَةِ حتى قَتَلُوهُ ؛ وَقَدِمُوا بخبيب وزيد الى مكة فباعوهما ، فابتاع خبيبا مُجْرِبُ بْنُ أَبِي إِهَابٍ التَّمِيمِيُّ حليف بنى نوفل لَعُقْبَةَ بن الحارث بن عامر بن نوفل لِيَقْتُلَهُ بالحارث ؛ وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةٍ لِيَقْتُلَهُ بأمية بن خَلَفٍ .
وَرُوي أَن خُبَيْبًا لما حصل عند بنات الحارث آسَعارَ من إحداهن موسى ليستحد بها [للقتل] ؛ فإِزارع المرأة إِلا صَبِيَّ لها يَدْرُجُ ، وخبيب قد أَجلاس الصبيَّ على نَحْذِهِ ، والموسى في يده ؛ فصاحت المرأة ، فقال خبيب : أَتَحْسِنِينَ أُنَى أَقْبَلُهُ ؟ إِن الغدر ليس من شأننا ؛ فمالت المرأة : مارأيت بعدُ أسيرا قَطَّ خيرا من خبيب ! لقد رأيتُهُ وما بِمَكَّةَ من ثمرة ، وَأَن في يده قِطْفا من عنب يأكله ، إِن كان إِلا رزقا رزقه الله خبيبا . ولما تُرْجِحُ بخبيب من الحرم لِيَقْتُلُوهُ قال : ذَرُونِي أَصِلَّ رَكَعَتَيْنِ ، ثم قال : لولا أَن يُقال : جَزِعَ لِرِذَّتْ ، وما أَبالى على أَى شَيْءٍ كان مصرعى . وهذه القِصَّةُ نذكرها إِن شاء الله تعالى بما هو أبسط من هذا في السيرة النبوية في سيرة مَرْتَدٍ إِلَى الرَجِيعِ .

١٥ قيل : أَعَارَ خَيْثَمَةُ بن مالك الجُعْفِيُّ على حَيٍّ من بنى القَيْنِ ، فاستاقَ منهم إِبْلا فإِحْقَوْهُ لِيَسْتَنْقِذُوهَا مِنْهُ ، فلم يَطْمَعُوا فِيهِ ؛ ثم ذَكَرَ إِذَا كانت لبعضهم عنده ، نَحَلَّى عِما كان في يده ، وولَّى مَنْصَرَفًا ؛ فنادَوْهُ وقالوا : إِن المفازة أَمَامَكَ ، ولا ماءَ معك ، وقد فعات جَمِيلا ، فَأَنْزَلْ وَلَكَ الدَّمَامَ وَالْحِجَاءَ ، فَتَزَلْ ؛ فلما أَطْمَأَنَّنَ وَسَكَنَ وآسَمَكُنُوا مِنْهُ ، غَدَرُوا بِهِ فقتلوه . ففي ذلك تقول عَمْرُو آبَتُهُ :

(٢) الزيادة عن تذكرة الصنفى .

(١) القرآن : حبل يقاد به البحر .

غَدَرْتُمْ بِنِ لَوْ كَانَ سَاعَةً غَدَرَكُمْ * بِكَفِّهِ مَفْتُوحُ الْغَرَارِ بْنِ قَاضِبُ

أَذَادَكُمْ عَنْهُ بِضَرْبِ كَأَنَّهُ * سَهَامُ الْمَنَائِيكَ لَكَلَّهِ صَوَائِبُ

وَتَلَاخَى بَنُو مَفْرُوقَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَحَارِبَ، وَبَنُو جَهْمَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ مَحَارِبَ، عَلَى مَاءٍ لَهُمْ، فَغَلِبَتْهُمْ بَنُو مَفْرُوقَ فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ؛ وَكَانَ فِي بَنِي جَهْمَ شَيْخٌ لَهُ تَحْرِيبَةٌ وَسِنَّ، فَلَمَّا رَأَى ظُهُورَهُمْ قَالَ: يَا بَنِي مَفْرُوقَ، نَحْنُ بَنُو أَبِ وَاحِدٍ، فَلِمَ نَتَفَانِي؟ هَلُمُّوا إِلَى الصَّلَاحِ، وَلَكُمُ عَهْدُ اللَّهِ تَعَالَى وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّةُ آبَائِكُمْ أَلَّا نَهْجِيَكُمْ أَبَدًا وَلَا نَزَاحِمَكُم فِي هَذَا الْمَاءِ؛ فَأَجَابَتْهُمْ بَنُو مَفْرُوقَ إِلَى ذَلِكَ؛ فَلَمَّا أَطْعَمَانَا وَوَضَعُوا السِّلَاحَ عَدَا عَلَيْهِمْ بَنُو جَهْمَ فَنَالُوا مِنْهُمْ مَنَآلًا عَظِيمًا، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَشْرَافِهِمْ. فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو ظَفَرٍ الْحَارِثِيُّ:

هَلَّا غَدَرْتُمْ بِمَفْرُوقَ وَأَسْرَيْتَهُ * وَالْبَيْضُ مُصَلَّةٌ وَالْحَرْبُ تَسْتَعْرِ ١٠
لَمَّا أَطْعَمَانَا وَشَامَا مِنْ سِيوفِهِمْ * ثُرْتُمْ إِلَيْهِمْ وَعُرَّ الْغَدْرُ مَشْتَهَرُ
غَدَرْتُمُوهُمْ بِأَيْمَانٍ مُؤَكَّدَةٍ * وَالْوَرْدُ مِنْ بَعْدِهِ لِلْغَادِرِ الصَّدْرُ
هَذَا مَا قِيلَ فِي الْغَدْرِ .

وَأَمَّا الْخِيَانَةُ، فَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا ١٥
اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ٢٠
وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» .

وَقِيلَ: مِنْ ضَعْفِ الْأَمَانَةِ، وَرَضِيَ بِالْخِيَانَةِ، فَقَدْ بَرَّيَ مِنَ الدِّيَانَةِ .

(١) كَذَا فِي تَذَكُّرَةِ الصَّفْدِيِّ . وَفِي الْأَصْلِ: «بَنُو مَقْرُون» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي تَذَكُّرَةِ الصَّفْدِيِّ: «هَلَّا ظَفَرْتُ» .

(٣) كَذَا فِي تَذَكُّرَةِ الصَّفْدِيِّ . وَفِي الْأَصْلِ: «فِي» .

(٤) رَوَايَةُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا طَهْرَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ

لَهُ وَمَوْضِعُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ» .

وقال حكيم : لو علم مُضَيِّعُ الأمانة ، مافي النكث والخيانة ، انقصر عنهما عَنَانُهُ .
وقالوا : من خان مان ، ومن مان هان ، وتبرأ من الإحسان .

قيل : دخل شهر بن حوشب وهو من جِلَّةِ القراء وأصحاب الحديث على معاوية ،
وبين يديه خرائط فيها مال ، قد جُمعت لتوضع في بيت المال ، فقعد على خريطة
منها وأخذها ، ومعاوية ينظر إليه ، فلما رفعت الخرائط فُقد من عددها خريطة ،
فأعلم الخازنُ بذلك معاوية ، فقال : هي محسوبة لك فلا تسأل عن أخذها . ففيه يقول
بعض الشعراء :

لقد باع شهرٌ دينه بخريطة * فمن يأمن القراء بعدك يا شهرٌ

وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانة : يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين وعدو
المسلمين ! أكلت مال الله ، وخنت خليفة الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن عيالُ
الله ، وأنت خليفةُ الله ، والمال مالُ الله ، فقال من ناكل إذاً ! فضحك وأطلقه ،
وأمر ألا يؤلَّى عملاً بعدها .

وسرق رجل في مجلس أنوشروان جاماً من ذهب وهو يراه ، ففقدته الشرابي
فقال : والله لا يخرج أحد حتى يُفْتَش ، فقال له أنوشروان : لا تتعرض لأحد ،
فقد أخذه من لا يردّه ، وراه من لا ينمُّ عليه .

وحكى أن بعض التجار أودع عند قاضٍ بمَعَرَّةِ النعمان وديعةً ، وغاب مدّةً ، فلما
رجع طالبها ، فأنكرها القاضى ، فتشقق إليه برؤساء بلده في ردها ، فزالوا به
حتى أقر بها ، وأدعى أنها سُرقَت من حرزه ، فاستحلفه المودع لخلف . فقال ابن
الدويدة في ذلك :

لَا يَصْدُقُ الْقَاضِي الْخَوَوْنُ إِذَا آذَى * عَدَمَ الْوَدِيعَةِ مِنْ حَصِينِ الْمَوْدِعِ
 إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ، إِنَّمَا * ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ بَعْنِي لَوْ تَعَى
 أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ، إِنَّمَا * وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ
 وَقَالَ ابْنُ الْجَحَاجِ :

وَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْقَاضِي عَسَاهُمْ * إِذَا وَقَعَ الْيَمِينُ يُحْلِفُونِي
 وَأَضْعُبُ مَا يَكُونُ الْحَقُّ عِنْدِي * إِذَا عَزَمَ الْغَرِيمُ عَلَى الْيَمِينِ

ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ
 جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ . وَقَالَ : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
 لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ . وَقَالَ : ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جُبَّارًا﴾ . وَقَالَ :
 ﴿سَاصِرُونَ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ . وَنَاهَيْكَ بِهَذَا زَجْرًا .
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ
 نَّحْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ“ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَآخْتَلَى فِي مِشْيَتِهِ
 لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ“ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ
 خِيَلًا لَمْ يُفْطِرِ اللَّهُ إِلَيْهِ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]“ .

وَرَوَى : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ، مَرَّ بِالسُّوقِ يَحْمِلُ حُرْمَةً حَطَبٍ ، فَقِيلَ لَهُ :
 أَلَيْسَ قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ هَذَا؟ قَالَ : بَلَى ! وَلَكِنِّي أُرِدْتُ أَنْ أَقْعَ بِهِ الْكِبَرُ ،
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ”لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
 مِنْقَالُ حَبَّةٍ [مِنْ نَّحْدَلٍ] مِنْ كِبَرٍ“ .

(١) التَّكَلُّفُ عَنِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ .

(٢) التَّكَلُّفُ عَنِ الصَّفْدِيِّ .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ما وجد أحدٌ في نفسه كِبْرًا إلا من مَهَانَةٍ يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ .

وقالوا : مَنْ قَلَّ لُبُّهُ كَثُرَ نَجْبُهُ .

وقالوا : نُجِبَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ أَحَدَ حَسَادِهِ .^(١)

وقال أردشير بن بابك : مَا الْكِبَرُ إِلَّا فَضْلٌ حُمِيَ لَمْ يَدْرِ صَاحِبُهُ أَيْنَ يَضَعُهُ فَصَرَفَهُ إِلَى الْكِبَرِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لِأَبْنِ الْمَعْتَرِ : لَمَّا عَرَفَ أَهْلُ التَّقْصِيرِ حَالَهُمْ ، عِنْدَ أَهْلِ الْكَمَالِ اسْتَعَانُوا بِالْكِبَرِ لِيُعْظَمَ صَغِيرًا ، وَيَرْفَعَ حَقِيرًا ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ .^(٢)

وقال أكرم بن صيفي : مَنْ أَصَابَ حِظًا مِنْ دُنْيَاهُ فَأَصَارَهُ ذَلِكَ إِلَى كِبَرٍ وَتَرَفٍّ فَقَدْ أَعْلَمَ أَنَّهُ نَالَ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّ ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى حَالِهِ فَقَدْ أَعْلَمَ أَنَّهُ نَالَ مَا يَسْتَحِقُّ ؛ وَمَنْ تَوَاضَعَ وَغَادَرَ الْكِبَرَ فَقَدْ أَعْلَمَ أَنَّهُ نَالَ دُونَ مَا يَسْتَحِقُّ . ١٠

وقال علي رضى الله عنه : عَجِبْتُ لِلْكِبَرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نَظْفَةً ، وَهُوَ غَدًا جِيفَةً . وَقِيلَ : مَرَّ بَعْضُ أَوْلَادِ الْمُهْلَبِ بِمَالِكِ بْنِ دِيَارٍ وَهُوَ يَحْتَطِرُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَى ، لَوْ خَفَضْتُ بَعْضَ هَذِهِ الْخَيْلَاءِ أَلَمْ يَكُنْ أَحْسَنَ بِكَ مِنْ هَذِهِ الشَّمْرَةِ الَّتِي قَدْ شَهَرَتْ بِهَا نَفْسَكَ ؟ ! فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : أَوْ مَا تَعْرِفُ مِنْ أَنَا ؟ قَالَ : بَلَى ! وَاللَّهِ أَعْرِفُكَ مَعْرِفَةً جَيِّدَةً ، أُولَئِكَ نَظْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وَأَخْرَكَ جِيفَةً قَذِرَةً ، وَأَنْتَ بَيْنَ ذَلِكَ حَامِلٌ عَذِرَةٍ ؛ فَأَرْنِي الْفَتَى رُذْنِيهِ وَكَيْفَ مِمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ ، وَطَاطَأَ رَأْسَهُ ، وَهَضَبَ مُسْتَرِسِلًا . ١٥

(١) كذا في تذكرة الصفدى . وفي الأصل « عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله » والظاهر أن كلمة « عقله » مقحمة من الناسخ .

(٢) في أدب الدنيا والدين وتذكرة الصفدى : « لما عرف أهل التقص » . ٢٠

(٣) الرذنان : المكان .

وقال الواقدي : دخل الفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه [وأنا عنده] ^(١) وهو يتبخر في مشيته ، [فكره ذلك منه] ، فقال لى يحيى : يا أبا عبد الله ، إن البخل والجھل مع التواضع أزين بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم ؛ فإلها حسنة غطت على عيبي عظيمين ؛ وإلها سيئة غطت على حسنتي كبيرتين ؛ ثم أوما إليه بالجلوس ^(٢) وقال : أحفظه يا عبد الله ، فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء .

ومن الكبر المستهجن ما روى : أن وائل بن حجر أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقطعهم أرضا ، وقال لمعاوية : "اعرض هذه الأرض عليه وأكتبها له" ؛ فخرج مع وائل في هاجرة شاوية ، ومشى خلف ناقته ، وقال له : أردفني على عجز راحلتك ؛ فقال : لست من أرداف الملوك ؛ قال : فأعطني نعلك ؛ فقل : ما بخل يمتني .
يا بن أبي سفيان ، ولكن أكره أن يبلغ أقبال إيمان أنك لبست نعلي ، ولكن أمش ١٠ في ظل ناقتي ، فحسبك به شرفا . وقيل : إن وائلا أدرك زمن معاوية ودخل عليه فأقدمه معه على السرير وحدثه .

والعرب تجعل جذيمة الأبرش الغاية في الكبر ، وروى : أنه كان لا ينادم أحدا ترعفا وكبرا ؛ ويقول : إنما ينادمني الفرقدان . ومنه قول منم :

١٥ * وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةَ حَقْبَةٍ *

قيل : إنما أراد الفرقدن ، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعقيل .
وقيل : كان ابن ثوبة من أقبح الناس كبرا ، روى : أنه قال لغلامه : آسقني ماء ، فقال : نعم ، قال : إنما يقول : "نعم" من يقدر على أن يقول : "لا" ، وأمر

(١) الزيادة عن تذكرة الصفي .

(٢) كذا في الأصل والتذكرة . ولعلها : «يا أبا عبد الله» .

٢٠ (٣) كذا في الصمدى والطبرى . وفي الأصول : «أبو» وهو تحريف . وفي المستطرف (ج ١ ص ٥٥)

«كان ابن عروة» .

بضربه . ودعا أكاراً فكلمه ، فلما فرغ [من كلامه]^(١) دعا بقاء وتمضمض استغذارا لمخاطبته . قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

ولا تعجباً أن تُؤْتِيَا فتكَلِّمَا * فاحشَى الأقوامُ شرّاً من الكبر

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش : بنو مخزوم ، وبنو أمية ؛ ومن العرب : بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زُرارة بن عدس ؛ وأما الأكَسرة فكانوا لا يَعدّون الناس إلا عبيداً ، وأنفسهم إلا أرباباً ، والكبرُ في الأجناس الذليلة أرسخُ ، ولكن القسوة والذلة مانعتان من ظهور كبرهم ؛ ومن قَدَر من الوضعاء أدنى قُدرة^(٢) ظهر من كبره ما لا خفاء به ؛ و [شئ قد قتلته علماً وهو أني] لم أر ذا كبر قطّ علا من دونه إلا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه . قال : أما بنو مخزوم ،

❦

و بنو أمية ، و بنو جعفر بن كلاب ، وأخصاصهم بالتيه ، فإنهم أبطَرهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة ؛ ولو كان في قُوَى عقولهم فضلٌ عن قُوَى دواعي الحمية فيهم لكانوا كبنى هاشم في تواضعهم وإنصافهم من دونهم .

وقال أبو الوليد الأعرابي^(٣) :

ولستُ ببيّاه إذا كنتُ مُثرياً * ولكنه خُلِق إذا كنتُ مُعديماً

وإن الذي يُعطى من المال ثروة * إذا كان نذل الوالدين تعظماً

ومن المتكبرين ، ثُمارة بن حمزة ، حُكي عنه : أنه دخل على المهدي ، فلما استقر به الجلوس ، قام رجل كان المهدي قد أعدّه له ليَتَهَكَّم به ؛ فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : ثُمارة غصبنى ضيعتي ، وذكر ضيعة من

(١) زيادة عن الصفدي .

(٢) رواية الصفدي : « والجملة أن من قدر الخ » .

(٣) في الصفدي : « قال أبو الليداء » .

أحسن ضياع عُمارة وأكثرها نَجَاجاً؛ فقال المهديّ لعُمارة: قم فأجلس مع خَصَمِكَ، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هولى بِخَصْمٍ، إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبُها له، ولا أقومُ من مجلس شرفني به أمير المؤمنين؛ فلمّا أنصرف المجلس، سأل عُمارة عن صفة الرجل، وما كان لبأسه، وأين كان موضع جلوسه. وكان من تيمّه أنه إذا أخطأ يتر على خطئه تكبرا عن الرجوع، ويقول: ^٥ تقض وإبرام في ساعة واحدة، الخطأ أهون منه.

ومنهم من أهلكه الكبر وأذله. كان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسريّ أميراً على العراق، وبلغ من هشام بن عبد الملك محلاً رفيعاً، فأنسد أمره العُجب والكِبَرُ، وأدّياه ^(١) إلى الهلكة، وعُدّب حتى مات؛ وذلك أنه كان إذا ذُكر هشام عنده قال: ابن الحمقاء! فسمعها رجل من أهل الشام، فقال لهشام: إن هذا البطر الأشر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك، يذكرك بأسوأ الذكرك؛ قال: لعله يقول: الأحوّل، قال: لا، ولكنّه يقول: ما لا تلتقي به الشفتان؛ قال: لعله يقول: ابن الحمقاء، فأمسك الشاميّ؛ فقال هشام: قد بلغني كلّ ذلك عنه. وكان خالد يقول: والله ما إمارة العراق ممّا تُشرفني، فبلغ ذلك هشاماً [فغاضه]، فكتب إليه: بلغني أنك يابن النصرانية تقول: إن إمارة العراق لا تُشرفك وأنت دعيّ [إلى] بحيلة القليلة ^(٢) الدليلة، والله إنى لأظن أن أول من يأتيك صيفيّ بن قيس فيشدّ يدك إلى عنقك. قال خالد بن صفوان بن الأهمّ: لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعُدّبه، وقتل أبنه يزيد بن خالد؛ فرأيت في رجله شريطاً قد شدّه به الصبيان يجرّونه، فدخلت إلى هشام يوماً فحدثته فأطلت؛ فتنفّس وقال: يا خالد [رب خالد]! كان أحبّ إلى قُرْباً وألذّ

(١) كذا في تذكرة الصمدى. وفي الأصول: «أدناه».

(٢) الزيادة عن الصمدى.

عندى حديثاً منك — يعنى خالداً القسرى — قال: فانتهرتها ورجوت أن أشفع فتكون لى عند خالد يداً، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما يمنعك من آستئناف الصنعة فقد أدبته بما قرط منه؟ فقال: هيهات! إن خالداً أوجف فأعجف، وأدل فأمل، وأفرط فى الإساءة فأفرطنا فى المكافأة؛ ^(١) فحلم الأديم، ونغل الجرح، وبلغ السيل الزبى، والحزام الطيب، ولم يبق فيه مستصلح، ولا للصنعة - عنده موضع، عُد إلى حديثك. ٥

ومنها: من أفرط به الكبر إلى الكفر. حكى: أن سعيد بن زُرارة مررت به امرأة فقالت له: يا عبد الله، كيف الطريقُ إلى مكان كذا؟ فقال لها: أمثلى يكون من عبيد الله!

ومنها: عبيد الله بن زياد بن ظبيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منه ما أعجبه: كثر الله فينا مثلك، فقال: لقد كلّمت الله شططا. ١٠

ومن أشعار المتكبرين التباهين قول بعضهم:

* أتبه على جنّ البلاد وإنسها *

الآبيات، وقد تقدّمت فى المحقّ.

وقال آخر:

أَلْفَنِي فِي لَطَى فَإِنْ أَحْرَقْنِي * فَيَقْنِ أَنْ لَسْتُ بِالْيَاقُوتِ ١٥

صَنَعَ النَّسَجَ كُلَّ مَنْ حَاكَ لَكِنْ * لَيْسَ دَاوُدُ فِيهِ كَالْمَنْكَبِوتِ

قال ابن صابر الخزاني المنجنيق - ردّ عليه:

أَيُّهَا الْمَدْعَى الْفَخَّارَ دَعِ الْفَخْ * رَ لَذَى الْكِبْرِيَاءِ وَالْجَبْرُوتِ

نَسَجُ دَاوُدَ لَمْ يُفِدْ لَيْلَةَ الْغَا * وَكَانَ الْفَخَّارُ لِلْعَنْكَبُوتِ

٢٠ (١) حلم الأديم: فسد، وهو ما بعده تخاية عن اليأس من إصلاح الأمر بعد أن أوصله الفساد إلى حيث لا يرجى إصلاحه. (٢) فى الأصل « ابن جبارة » والتصويب عن وفيات الأعيان لابن حلكان (أنظر ترجمته فى الجزء الثانى ص ٥٠٠ — ٥٠٧ طبع بولاق).

وبقاء السَّمْنَدِ فِي لَهَبِ الْبَا * رِزِيلُ فَضِيلَةُ الْبَاقُوتِ
وكذلك النِّعَامُ يَنْتَقِمُ الْجَمْدُ * رَوَا الْجَمْرُ لِلنِّعَامِ بُقُوتِ



ومما هُجِيَ بِهِ أَهْلُ التَّكْبَرِ ، قول جُعْفَرَانَ يَهْجُو سَعِيدَ بْنَ سَلَمَ بْنَ قُتَيْبَةَ :
أَمَّ سَعِيدٍ لِمَ وَلَدْتِيهِ * مَلُونًا بِالْكِبَرِ وَالتَّيِّهِ
لَيْتَكَ إِذْ جِئْتَ بِهِ هَكَذَا * حِينَ نَحْرِيَّاهُ أَكَلْتِيهِ

(١١٧)

ذكر ما قيل في الحرص والطمع

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرًا وَأَبْقَى ۝ ﴾ .

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ ... الْخُ » ^(٢) عُدَّ مِنْهَا
الحرص والأمل . وقال : « مَا ذُبَّانِ جَانِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَمٍّ فَأَفْسَدَاهَا أَشَدُّ مِنْ حَرَصِ
الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ » ^(٣) . وقال : « يَنْشِيبُ ابْنُ آدَمَ ^(٤) وَتَشَبَّ مِنْهُ اثْنَتَانِ الْحَرَصُ عَلَى الْمَالِ
وَالْحَرَصُ عَلَى الْعَمْرِ » . وقال : « لِيَأْكُمِ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ » .

(١) السمند : طائر يستلذ بالدار ولا يخرق بها .

(٢) تمام الحديث كما في الجامع الصغير والصعدي : « ... جود العين وقسوة القلب والحرص وطول الأمل » .

(٣) الذي في الجامع الصغير : « مَا ذُبَّانِ جَانِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَمٍّ فَأَفْسَدَاهَا مِنْ حَرَصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ
وَالشَّرَفِ لَدَيْهِ » . وقد ساق الحديث في اللسان مادة (شرف) برواية فيها بعض مخالفة عما هنا وعلق على قوله
« والشرف لديه » بقوله : يريد أن يتشرف للباراة والمفاخرة والمساماة .

(٤) رواية الجامع الصغير : « يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص وطول الأمل » .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الطمعُ مُوردٌ غير مُصْدِرٍ ، وضامنٌ غير وافيٍّ . [وربما شِرقُ شاربِ الماء قبل رِيهِ^(١) ؛ ولما عَظُمَ قدرُ الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقدته . والأمانى تُعَمِّي البصائر . أزرى بنفسه من آستشعر الطمع ، واستولت عليه الأمانى^(٢) .

وقال بعضهم : الحرص يُنْقِص من قدر الإنسان ، ولا يزيد في رزقه .
وقال قُتَيْبَةُ : إن الحرِصَ آسْتَعْجِلَ الدَّلَّةَ ، قبل إدراك البغية .
وقيل : لا راحةَ لحرِصٍ ، ولا غِنًى لذي طَمَعٍ .

وقيل : إن كُتِبَ لِي عبد الله بن سلام ، فقال : يا بن سلام ، مَنْ أَرَبَابُ العلم ؟ قال : الذين يعملون به . قال : فما أَذهب العلم من قلوب العلماء بعد إِذْ عَلِمُوهُ ووعَوْهُ ؟ قال : الطمعُ ، وَشَرُّهُ النفسُ ، وطلب الحوائج الى الناس . قال الأَصْمَعِيُّ : سمعتُ أعرابياً يقول : عَجِبْتُ للحرِصِ المستَكْبِرِ ، المستَقِلِّ لكثير ما في يده ، المستَكْثِرِ لقليل ما في يد غيره ، حتَّى طلب الفضل بذهاب الأصل ؛ فَرَكِبَ مفاوز البرارى ، وَجَلَّحَ البحارَ ؛ معرضاً نفسَه لللمات ، ومالَه للآفات ؛ ناظراً الى من سَلِمَ ، غير معتبر بمن عِدِمَ .

قال يزيد بن الحكم النَقْفِيُّ :

رَأَيْتُ السَّيْحَى الْمَفْسَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ * هَنِئْنَا وَلَا يُعْطَى عَلَى الْحَرِصِ جَاشِعُ
وَكُلُّ حَرِصٍ أَنْ يُجَاوَزَ رِزْقَهُ * وَكَمْ مِنْ مُوَفَّى رِزْقِهِ وَهُوَ وَادِعُ
وقالوا : مصارعُ الألباب تحت ظلال الطمع . ويقال :
الحرَّ عِبْدٌ مَا طَمِعَ * والعبد حرٌّ مَا قَنِعَ

(١) الزيادة عن الصفدى .

(٢) لم يذكر الصفدى كلام علي بن أبي طالب فيه الفقرة الأخيرة ، وإنما ذكرها لأرسطاطاليس وعبارته : « لا غنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانى » .

وقالوا : أُنْجِرِ الطَّمْعَ مِنْ قَلْبِكَ ، تَحُلِّ الْقَيْدَ مِنْ رَجْلِكَ .

وقال عمرو بن مالك الحارثي :

الْحِرْصُ لِلنَّفْسِ فَقْرٌ وَالْقُنُوعُ غِنًى * وَالْقُوَّةُ إِنْ قَنَعَتْ بِالْقُوَّةِ يَجْزِيهَا

وَالنَّفْسُ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ حَيْرَها * مَا كَانَ إِنْ هِيَ لَمْ تَقْنَعْ بِكَافِيهَا

وقال ابن هرمة :

وَفِي الْيَاسِ عَنْ بَعْضِ الْمَطَامِيعِ رَاحَةٌ * وَيَأْرُبُّ خُسَيْرٌ أَدْرَكَهُ الْمَطَامِيعُ

وقال هذبة بن خشرم :

وَبَعْضُ رَجَاءِ الْمَرْءِ مَا لَيْسَ نَائِلًا * عَنَاءٌ وَبَعْضُ الْيَاسِ أَعْنَى وَأَرْوَحُ

وقال مكثف بن معاوية التميمي :

تَرَى الْمَرْءَ يَأْمُلُ مَا لَا يَرَى * وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ رَيْبُ الْأَجَلِ

وَكَمْ آيِسٍ قَدْ أَتَاهُ الرَّجَاءُ * وَذِي طَمَعٍ قَدْ لَوَاهُ الْأَمَلُ

وقال آخر :

طَمِعْتَ فِيمَا وَعَدْتُكَ الْمَنَى * وَلَيْسَ فِيمَا وَعَدْتُ مَطْمَعُ

وَنُفِثَ بِالْبَاطِلِ مِنْ قَوْلِهَا * وَلَيْسَ حَقًّا كُلُّ مَا تَسْمَعُ

وَأَمَّا مَوْعِدُهَا بَارِقُ * فِي كُلِّ حِينٍ خُلْبٌ يَلْمَعُ

ويضرب المثل في الطمع "بأشعب" . قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال

للقائل له : لم تقل هذا إلا وفي نفسك خير تصنعه بي . وقيل : إنه لم يمت شريف

(١) كذا في تذكرة الصفدي وكتاب الشعر والشعراء وحاسة البحرى . وفي الأصل : « هرمة بن

خشرم » وهو تحريف .

(٢) كذا في الصفدي وحاسة البحرى . وفي الأصول : « التبي » .

(٣) في الصفدي وحاسة البحرى « ما لن يرى » .

قَطَّ من أهل المدينة إلا أَسْتَعْدَى أَشْعَبُ على وَصِيَّهٖ أو وارثه وقال له : أحلف أنه لم يُوصَ لى بشيء قبل موته . ووقف على رجل يعمل طبقا من الخِيزْرَانِ ، فقال له : وَسَعَهُ قَلِيلًا ؛ قال الخيزراني : كأنك تريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيُهدى إلى فيه شيئا . وسأله سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن طمعه ؛ قال : قلت لصبيان مرة : أذهبوا ، هذا سالم قد فَتَحَ بيت صدقة عمر حتى يُطعمكم تمرا ، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم ، فعدوتُ في إثرهم . وقيل له : ماذا بلغ من طمعك ؟ قال : أرى دخان جارى فَأُثْرِدُ^(١) عليه . وقيل له أيضا : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عَرُوسا بالمدينة تُزَفُّ إلا كنست بيتي ورششته طمعا أن تُزَفَّ إلى . وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، كلب أُمِّ حَوَمَلٍ ، تبغى فرسخين ، وأنا أَمْضِغُ كُنْدُرًا^(٢) ، ولقد حسدته على ذلك .

١٠

ذكر ما قيل في الوعد والمطل

رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” الْعِدَّةُ دَيْنٌ ”^(٣) .

وقال بعض القرشيين : من خاف الكذب أَقَلَّ من المواعيد .

وقيل : أمران لا يَسْلَمَانِ من الكذب : كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار .

وقالوا : خُلِفَ الوعد ، خُلِقَ الوعد .

١٥

وقال المهلب لبنيه : يَا بَنِيَّ ، إِذَا غَدَا عَلَيْكُمُ الرَّجُلُ أَوْ رَاحَ مُسْلِمًا فَكُفَى بِذَلِكَ

تَقَاضِيَا .

(١) ثرد الخبز : فته .

(٢) الكندر : ضرب من العلك ، وهو اللبان الذكر .

(٣) رواية الجامع الصغير : « عدة المؤمن دين » .

٢٠

قال الشاعر :

أروح لتسليم عليك وأغتدى * فحسبك بالتسليم متى تقاضيا
كنى بطلاب المرء ما لا يناله * عناءً وباليأس المصرح ناهيا

وقيل : الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يُحقِّقه كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لأروح فيه . وقالوا : الخلف الأُم من البخل ، لأنه من لم يفعل المعروف ، لزمه [ذم اللؤم] وحده ، ومن وعد فأخلف لزمه ثلاث مذقات : ذم اللؤم ، وذم الخلف ، وذم العجز .

قال بعض الشعراء :

وعدت فأكذبت المواعيدَ جاهداً * وأقلعت إقلاع الجَهَام بلا وبَل
وابجرت لي حبلاً طويلاً تبعته * ولم أدِر أن اليأس في طَرفِ الحبَل

وقال أبو تمام :

وما نفع من قد مات بالأمس صديقاً * إذا ما سماءُ اليوم طالَ أنهارُها
وما العُرفُ بالتسويق إلا كخلة * تسليت عنها حين شطَّ مزارُها

والعرب تضرب المثل بمواعيد عُرقوب ، وكان رجلاً من الهمايق وله في ذلك حكايات . فنها : أنه أتاه أخ له : يسأله شيئاً ، فقال له عرقوب : إذا أطلعت هذه النخلة فلنك طلعتها ، فلما أطلعت ، أتاه الرجل للعدة ، فقال : دعها حتى تصير بلحاً ، فلما أبلحت ، أتاه ، فقال : دعها حتى تصير زهواً ، فلما أزهرت ، قال : دعها حتى تصير رطباً ، فلما أرطبت ، قال : دعها حتى تصير تمراً ، فلما أثمرت ، عمد إليها عرقوب فغذها ، ولم يعط أخاه منها شيئاً .

وفيه يقول الأشجعي :

وعذت وكان الخلف منك سجيّة * مواعيد عُرقوب أخاه بيترِب^(١)

وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى :

كانت مواعيد عُرقوب لها مثلاً * وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

وقال السّكيت للمهدي : يا أمير المؤمنين ، لو كان الوعد يُستنزَل بالإهمال والسكوت لشكرتك القلوب بالضمير ، وانظرت إلى فضلك العيون بالأوهام ؛ فقال المهدي : هذا جزاء التفريط فيما يكسب الأجر ، ويدخر الشكر ؛ وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابي : العُدْرُ الجميل أحسن من المَطلِ الطويل ، فإن أردت الإنعام فأنجح ، وإن تعدرت الحاجة فافصح .

وقال بعض كُرماء العرب : لأن أموتَ عطشاً أحبُّ إلى من أن أخلفَ موعداً . ١٠

وقالوا : من وعد فأخلف لزمته ثلاث مذمات : ذمُّ التَّؤم ، وذمُّ الخلف ، وذمُّ الكذب . وقال بعض الشعراء :

ولا خيرَ في وعدٍ إذا كان كاذباً * ولا خيرَ في قول إذا لم يكن فعلُ

فإن تُجمَع الآفاتُ فالبخلُ شرُّها * وشرُّ من البخلِ المواعيدُ والمَطلُ

قال بعض الأعراب : فلان له مواعيدُ عواقبها المَطلُ ، وثَمَارُها الخلفُ ، ومحصولُها اليأسُ . ١٥

(١) يترِب (بالثاء المشناة وفتح الراء) : قرية بالجمامة . أنظر اللسان والقاموس . وفي الأصول : يترِب بالثاء المثناة .

(٢) هو صالح الخميّ كما في المستطرف ج ١ ص ٢٣٤

وقال آخر: فلان له وعد مُطعم. ومَظَلُّ مؤنيس، وأنت منه أبدا بين يأس وطعم، فلا بَدَلٌ مُريح، ولا مَنَعٌ صَريح .

وقال النعالي: أول من أخلف المواعيد ولم يَفِ بشيء منها إسماعيل بن صُبَيح كاتبُ الرشيد، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة .

ذكر ما قيل في العيِّ والحَصَر

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَمَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾، وقال تعالى إخبارا عن فرعون عند انتخاره على موسى بالبيان: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾. قال أهل التفسير: إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول قال: ﴿رَبِّ أَسْرِحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ الآية، فقال الله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيَْتَ سُلُوكَ يَا مُوسَى﴾ : ١٠

وقيل: حدَّ العيِّ معنًى قصير يحويه لفظ طويل . وقال أَكْثَمُ بْنُ صَنِفَى: هو أن تَتَكَلَّمَ فوق ما تقتضيه حاجتك . وقالوا: الفقير الناطق أغنى من الغنى الساكت .

وقال كسرى: الصَّمْتُ خيرٌ من عيِّ الكلام .

وقالوا: فَضَّلَ الإنسانُ على ما عداه من الحيوان بالبيان، فإذا نطق ولم يُفصح ١٠ حاد بهيجا .

وقالوا: العيُّ داءٌ دواؤه الخرس . ومن علامات العيِّ الاستعانة، وهي أن ترى المخاطَبَ إذا كلَّ لسانه عند مقاطع كلامه يقول للمخاطَب: اسمع مني، أو سمعت لي، وأفهم عني، وأشباه ذلك .

ومنهم من يقول : قولى كذا، أعنى به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول ليفهم عنه .

ومن عيوب اللسان التمتمة ، والفافأة ، والعقلة ، والحبسة ، واللفف ، والرتة ، والغممة ، والطمطة ، واللكنة ، والغنة ، واللغة . فالتمتة ، قال الأصمعي : إذا تَعَفَّعَ في التاء فهو تَمَتَّمَ ، وإذا تردَّدَ في الفاء فهو فافَاء . قال الراجز :

ليس بَافَاءٍ ولا تَمَتَّمَ * ولا كثيرَ الهَجْرِ في الكلامِ ^(١)

والعقلة : آلتواء اللسان عند الكلام . والحبسة : تعذر النطق ، ولم تبلغ حد الفافاء ولا التمام . ويقال : إنها تعرض أول الكلام ، فإذا مرَّ فيه انقطعت . واللفف : إدخال بعض الكلام في بعض . وقال الراجز :

كَأَنَّ فِيهِ لَفًّا إِذَا نَطَقَ * من طول تحجيس وهم وأرق

والرتة : اتصال بعض الكلام ببعض دون إفادة . والغممة : أن تسمع الصوت

❦

ولا يتبين لك تقطيع الحروف ، ولا تفهم معناه . والطمطة : أن يكون الكلام شبيها بكلام العجم ، وهي خميرية ، وقالوا : هي إبدال الطاء بالباء لأنهما من مخرج واحد ؛ فيقول : السلطان والشيطان ، وأشباه ذلك . قيل : وكانت في لسان زياد بن سلمى ، وكان خطيبا شاعرا كاتبا . واللكنة : إدخال بعض حروف العرب في حروف العجم ، وتشترك فيها اللغة التركية والنبطية ؛ وهي إبدال الماء حاء ، وأقلاب العين همزة ، وكانت في لسان عبيد الله بن زياد ، وصهيب الرومي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن مولى لزياد ، قال له : أيها الأمير ، أهدوا لنا حمرا وهيش : يريد : أهدوا لنا حمرا وحيش ؛ فلم يفهم زياد عنه ، وقال : ويلك ! ماذا تقول :

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤) في هذا الشطر :

* ولا محب سقط الكلام *

- قال : أحدوا لنا آيًّا : يريد عيًّا؛ فقال زياد : أرجعنا إلى الأول فهو خير . والغنة أن يشرب الصوت الخيشوم . والحننة : ضرب منها . والترخيم : حذف بعض الكلمة لتعذر النطق بها . والثغنة : إبدال ستة حروف بغيرها ، وهى : الهمزة والراء والسين والقاف والكاف واللام ؛ أما آلى تعرض للهمزة فهى إبدالها عينا ، فإذا أراد أن يقول : أنت ، قال : عنت ، وهى مستعملة فى لسان التكرور . وأما التى تعرض فى الراء ، فهى ستة أحرف ، فمنهم من يجعلها غينا معجمة فيقول (نَمَغ) : يريد عُمر ، وهى غالبية على لسان أهل دمشق ؛ وإذا اجتمعت الراء والغين فى كلمة كقولهم : رغيف ، قالوا : (غريف) ، وفقرت بمكان فرغت ، فيبدلون كل حرف بالآخر . قيل : وكانت فى لسان محمد بن شبيب الخارجي ، وواصل بن عطاء المعتزلى ، وكان لاقتداره على الكلام ، وغزارة مادته منه يتجنب النطق بها . وفيه يقول الشاعر
- من أبيات :

- ويجعل البرقعا فى تصرفه * وجانب الراء حتى آحتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يجعله * فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر
ومنهم : من يجعلها عينا مهيمة ، فيقول فى أزرق : أزق ، وهى فى لسان عوام
أهل دمشق . ومنهم : من يجعلها ياء ، فيقول فى عُمر : عُمى . ومنهم : من يبدلها بالطاء أخت الطاء . ومنهم : من يبدلها همزة ، فإذا أراد أن يقول : رأيت ، قال : آآيت . وأما التى تعرض للسين فإنهم يبدلونها ثاء ، فيقولون : باسم الله ، ويثرة الله ، إذا أرادوا باسم الله ، ويُسرة الله ، أو أشباه ذلك ؛ وهى مستحسنة فى الجوارى والغلمان . قال الشاعر :

- وأهيف كالللال شكوت وجدى * إليه لحسنه وأطلت بجى
وقلت له فدتك النفس صلي * تحز فى الثواب فقال بجى

وأما التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول :
 نال ، وقلت ، نطق : يَطَالَ ، وَطُلْتُ ، وهي نبطية ؛ وكانت في لسان أبي مُسلم صاحب
 الدعوة ، وعُبيد الله بن زياد . ومنهم من يجعلها كافا فيقول : كَال وكُلْتُ . وأما التي
 تعرض للكاف ، فمنهم من يجعلها همزة ، فيقول : آأَف . ومنهم من يبدلها تاء ،
 فيقول : تَان ، إذا أراد : كان . وأما التي تعرض في اللام ، فمنهم من يبدلها ياء ،
 فيقول : اعْتَيَّيْتُ ، بمعنى اعتلت ، ويقول في جَمَل : جَمِي ، وإذا أقسم بالله ،
 يقول : وَيَاه . ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة ، فيقول في خَوْخ : حَوْح ،
 ويُستحسن في الغلمان والحواري . ومنهم من يبدل الجيم ضاداً ، فإذا اجتمع لأحد
 في كلمة جيم وضاد ، مثل ضجِر ، ونضج ، قال : جضر ، ونجضر . والحمد لله وحده !

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث في أحد الأصلين الفتوغرافيين

كل الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الرابع منه : ” الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المجون والنوادر والفكاهات والملح “ والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث في الأصل الآخر الفتوغرافي

كل الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه، فقير رحمه ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التيمى القرشى المعروف بالتويرى عفا الله عنه . ووافق الفراغ من كتابته في يوم الثلاثاء المبارك لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر عام اثنتين وعشرين وسبعائة ، يتلوه — إن شاء الله تعالى — في أول الجزء الرابع : الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المجون والنوادر والفكاهات والملح .

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

(مطبعة الدار ٤٨٣ / ١٩٢٧ / ١٠٠٠)
